بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
كلية اللغات– قسم اللغة العربية

تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ وصِفَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

"دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ"

The structures of the heart and its attributes in the Holy Quran
"Grammatical Semantic study"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

تَخَصُّصُ الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ

إعدادُ الدَّارِسِ/ كمال عوض حسين علي إشراف/ د. أحلام دفع الله محمد علي

١٤٣٨هـ

٢٠١٧م

Sudan University of Science & Technology

College of Graduate Studies

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية الدراسات العليا

صفحة الموافقة

اسم الباحث : كمال عوض حسين علي عمر

عنوان البحث : تراكيب ذكر القلب وصفاته في القرآن الكريم

(دراسة نحوية دلالية)

موافق عليه من قبل :

الممتحن الخارجي

الاسم: د. عبدالرحيم رمضان حامد

التوقيع: .... التاريخ: 15/8/2017م

الممتحن الداخلي

الاسم: د. محمد علي البشير

التوقيع: .... التاريخ: 15/8/2017م

المشرف

الاسم: د. أحلام دفع الله محمد

التوقيع: .... التاريخ: 15/8/2017م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ
أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾

[الرعد: ٢٨]

إهداء

إلى مَـــنْ في فَضْـلِ نِعْمَتِهِمْ رُبِيتُ أُمِّـي الْحَبِيبة وأَبِـي رَحِمَهُ الله

إلى رَفِيقَةِ دَرْبِي، نَبْعِ الْحَنَانِ، وَوَاحَةِ الْأَمَانِ زَوْجَتِي وَمُهْجَتِي

إلى شَمْسَيّ قَلْبِي وَظِلّه إسلام وحُسَام الدّين

إلى قَمَرَيّ عُمْرِي إيمَان ومِنَّة الله

إلى حَبِيبَتَيّ قَلْبِي شَقيقَتَيّ عُلَا ويَاسَمِين

إلى إخْوَتِي سَعِيد ومُحْسِن وأَيْمَن وحُسَيْن

إلى كُلِّ مَنْ جَمَعَهُمْ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ عَلَى ذِكْرِ الله

إلى أَهْلِ شَيْخِي وشَيْخِي ومَنْ أحبَّهُ شَيْخِي ومَنْ أَحَبَّ شَيْخِي مِنْ عِبَـادِ اللهِ

أهدي بحثي المتواضع هذا

سَائِلًا اللهَ لي ولكم العفوَ والعافيةَ في الدِّينِ والدنيا والآخرة..

وجزاكم اللهُ عني خيرَ الجزاء.

شُكْرٌ وتَقْدِيرٌ

الْحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى رَسُولِهِ الأَمِينِ، وآلِهِ وصَحْبِهِ والتابعِينَ لَهُمْ بِإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ، أمَّا بَعْدُ:

فتأدبًا بقول الله تعالى:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[سورة إبراهيم:٧] أَشْكُرُ اللهَ، وأَحْمَدُهُ حَمْدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وتأدبًا بقول رسول الله ﷺ: " مَنْ لا يَشْكُرِ اللهَ لا يَشْكُرِ النَّاسَ"(١) أتوجه بشكري الجزيل لأستاذتي المشرفة الدكتورة: أحلام دفع الله محمد عَلِي التي لم تَدَّخِرْ جَهْدًا في إبْدَاءِ توجيهاتِهَا، وملاحظاتِهَا السديدة التي أفدتُ منها أيما إفادة، وأسألُ اللهَ أنْ يَجْزِيَهَا عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وأَتَقَدَّمُ بِشُكْرِي الْجَزِيلِ إِلَى أُسْتَاذَيَّ الْكَرِيمَيْنِ في لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ:

فضيلة أ. د: عبد الرحيم سُفيان حامد مُنَاقِشًا خَارِجِيًّا

وفضيلة أ. د: محمد عَلِي أحمد عُمر مُنَاقِشًا دَاخِلِيًّا

لتفضلهمَا عَلَيَّ بقبولِ مُناقشةِ هذهِ الرسالةِ، والاستفادةِ مِنْ عِلْمِهِمَا في سد خللها، وتقويم معوجها، فأدعو اللهَ الكريمَ أنْ يثيبَهما عني خيرَ الجزاءِ.

وأَتَقَدَّمُ بجزيلِ الشُّكْرِ إلى هذا الصَّرْحِ الْعِلْمِيِّ الشَّامِخِ عَامَّةً، وقِسْمِ اللغةِ العربيةِ والنَّحْوِ والصَّرْفِ خَاصَّةً.

ولا يفوتني أنْ أَتَقَدَّمَ بجزيلِ الشُّكْرِ والْعِرْفَانِ لِكُلِّ مَنْ كَانَ له يَدُ عَونٍ أو نُصْحٍ أو إرْشَادٍ أَوْ تَوجِيهٍ أو نَصِيحَةٍ حتى أنجزَت هذه الرسالة، وأَخُصُّ بالذِّكْرِ المُهَنْدِسَينِ إسلام وحسام الدين والدكتورتَيْنِ زينبُ ومِنَّةُ اللهِ، وفضيلة البروفيسور: عثمان سعد علي محمد وأهله الكِرَام، قَائِلًا لَهُ ولجميعِ أَهْلِ السودانِ الْكِرَامِ جَزَاكُمْ اللهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ.

(١) الترمذي، سنن الترمذي(الجامع الكبير)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، وقال الترمذي:" هذا حديث حسن صحيح"،المجلد الثالث، حديث رقم(١٩٥٤)،٥٠٥.

مستخلص البحث

جاءَتْ هذِهِ الدِّرَاسَةُ بعنوان:" تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ وَصِفَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ- دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ"، وتناولت الآيات التي ورد فيها لفظُ القلبِ وصفاته في القرآن الكريم في(١٣٢) موضعًا.

وهدفت إلى:

١- إبراز " **معاني النحو**: في التحليل النحوي الدلالي.

٢- السعي إلى معرفة أسرار نَظْمِ تراكيب القلب القرآنية.

٣- الكشف عن مواضع اتفاق القواعد النحوية واختلافها مع تراكيب القلب القرآنية.

واتبعت المنهج الوصفي التحليلي القائم على الملاحظة والاستقراء، ثم التصنيف والإحصاء.

وتوصلت إلى نتائج منها:

١- ضرورةُ إعادة توصيف كل ما كان توصيفُ النحاة له مخالفًا الاستعمال القرآني.

٢- تركيبُ المجرور بالإضافة يختلفُ عن تركيب المجرور بالحرف فقولنا:(هذا غلامُ زيدٍ) ليس بمعنى(هذا غلامٌ لزيدٍ).

٣- تأدبًا مع الله يُتَجَنَّبُ القولُ بحروفِ جَرٍّ زَائِدَةٍ أو لَغْوٍ حتى لا يُقَالَ إِنَّ بالقرآنِ زِيَادَةً، ونسميها الحروف التوكيدية.

٤ –كُلُّ حرفٍ استعمل في القرآن لا يتناوب معه غيره، وإن اشترك معه في جزءِ من المعنى.

ومما أوصت به الدراسة:

١- الاهتمامُ بالدراسة النحوية الدلالية التي تهتم بـ "معاني النحو"، والجانب التطبيقي، ومحاولة الوقوف على روائع الأساليب والتراكيب النَّحْوية الدلالية في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث العربي.

٢- إعادةُ دراسة مسائل النحو الخلافية كما فعل ابن الأنباري، ومحاولة تضييق هذا الخلاف، وجعل ما يشهد له القرآن الكريم والسنة النبوية ونصوص العربية الصحيحة الفصيحة هو الصواب، وعدم الاعتداد بما يخالف ذلك.

٣- دراسةُ حروف المعاني، وتحديد دورها في التراكيب القرآنية، والكشف عن أسرار بنائها، ودقة توظيفها ودلالاتها في التراكيب.

Abstract

This study entitled "senses of word heart and its attributes mentioned in the Holy Quran" as syntactic-semantic study. Further, it has tackled senses of word heart and its attributes that referred in verses of the Holy Quran in (132) slots. The study aimed to illustrate syntactic meanings in syntactic and semantic analysis, to identify secrets of senses of word heart within Quranic contexts, and to recognize agreement and disagreement of syntactic rules with senses of word heart within Quranic context. The stud employed descriptive-analytical method in terms of observation, inference, classification and statistics. A number of results were reached by the study; some of the most important ones were: it is significant to re-describe any statement incompatibility with grammarians' account for Quranic context. Structure of noun in genitive by addition differs from structure of noun in genitive by prepositions, for instance, the clause "this Zaid's servant" varies in meaning from the clause "this is a servant of Zaid" in all aspects. To be well mannered with Allah, it should have not related that these prepositions are nonsense; to avoid saying that there is overmuch in the Holy Quran so we called them assertive prepositions. Each preposition used in The Holy Quaran cannot be replaced by another one though they share a part of meaning. The study made the following recommendations: It is important to place emphasis on syntactic-semantic study which deals with syntactic meanings, and applicable aspect, as well as make aware of styles' spectaculars of syntactic-semantic structures in the Holy Quran, honorable traditions, and Arabic legacy. To restudy controversial syntactic issues as it was done by Ibn

Alanbari. Likewise, access to this disagreement should be minimized. Moreover, all that mentioned in the Holy Quran, Sunna, and standard Arabic texts should be taken as evidence. It is essential to study letters of meaning, determine their role in structures of Quarn, and reveal aspects of their structures, accurate functions, and semantics in structures.

مُقَدِّمَة

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ للهِ الرَّافِعِ الْخَافِضِ يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، وَيَخْفِضُ مَا يَشَاءُ بقُدرتِهِ، وَيَنْصِبُ مَا يَشَاءُ مِنْ دلائلِ وحدانيَّتِهِ بقيوميتِهِ، والصَّلاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِنَا محمد بن عبد الله ﷺ، سيد الأولين والآخرين، وعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أجمعين، ومَنِ اتبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وبَعْدُ:

فإنَّ موضوعَ هذهِ الدراسةِ هو:" **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ وَصِفَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ**"

وهي دراسة نحوية دلالية تطبيقية تجعَل معاني "النَّظْم "معان للنحو لا تُفْصَل عنه؛ لأنها نتجَتْ منه تفيد من التراث النحوي للغة العربية، وما به مِنْ **إشاراتٍ وعِبَارَاتٍ**:

إشـارات تـربط بـين الظـاهرة النحويـة وجانبهـا الـدلالي عنـد تحليـل تراكيـب القلـب كإشــارات" سـيبويه " (ت١٨٠هـ) في كتابه، نحو: إشارته لقيمةِ التقديمِ في قولِكَ: **ضَرَبَ زيدًا عبدُ اللهِ**. ووصْفه له بأنه عربيٌّ كثيرٌ، وبيانه للمعنى النحوي له بقوله:" كَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَانُهُ أَهَمُّ لَهُمْ، وَهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يُهِمَّانِهِم وَيَعْنِيانِهِم"(١).

وإشارته إلى أسلوبِ الحَذْفِ كأسلوبٍ نَحْوِيٍّ تظهر فيها أهميةُ الجانب الدلالي، وذَكَرَ أمثلةً له منها" قوله تعالى:﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا...﴾[يوسف:٨٢]، إنما يريد: أهل القرية، فاختصر، وعَمِلَ الفِعْلُ في القريةِ كما كَانَ عَامِلًا في الأهلِ لو كَانَ هَاهُنَا..."(٢).

وقوله في هذه الأمثلة وما يماثلها بأنها جاءت على سعة الكلام والإيجاز؛ لِعِلْمِ المُخَاطَبِ بالمَعْنَى.

وإشـاراته الدقيقة عند تقسيمه لأنواع الكلام من حيث الاستقامة والمُحَال بدمجه بين المعنى النَّحْوِيِّ والمعنى الدلاليّ للحُكْمِ على الجُمَلِ في الباب الذي سَمَّاه "هذا بابُ الاستقامةِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْإِحَالَةِ"(٣).

وعبـارات " أبـي عُبَيْدَةَ معمـر بـن المثنـى"(ت٢١٠هـ) التـي يتنـاول فيهـا الطـرق التـي يسـلكها القـرآن فـي تعبيراتـه؛ ليسـاعدَ عامـة النـاس- بمـا فيهم الأعـاجم- علـى فَهْمِ القرآن وإدراك معانيـه، والإلمـام بأسـاليبه

---

(١) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)،الكتاب، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ط٢(١٩٧٧م)،٣٤/١.

(٢) المرجع السابق،٢١٢/١.

(٣) نفسه،٢٥/١، ٢٦.

الجارية على خصائصِ الكلامِ العربيّ مِنْ تقديمِ وتأخيرٍ، وحَذْفٍ واختصارٍ، وزيادةٍ وإضمارٍ،... الخ، ومِنْ عباراته التي توضح ما في التراكيب القرآنية مِنْ تقديمٍ وتأخيرٍ، عند تفسيرِهِ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال:"ومَجازُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: إذا بُدِئَ بكِنَايَةِ المفعولِ قَبْلَ الفعلِ جَازَ الكلامُ، فإنْ بَدَأْتَ بالفعلِ لم يَجُزْ، كقولِكَ: نَعْبُدُ إيَّاكَ، قال العَجَّاجُ: إيَّاكَ أَدْعُو فَتَقَبَّلْ مَلَقِي.

ولو بَدَأْتَ بالفعلِ لم يَجُزْ كقولك: أَدْعُو إيَّاك، مُحَالٌ، فَإِنْ زِدْتَ الْكِنَايَةَ فى آخرِ الفعلِ جَازَ الكَلامُ: أدعوك إياك"[1]، أو حذف واختصار من ذلك قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ...﴾[يوسف:٨٢] مجازها: أهلَ القريةِ[2]، أو القيمة الوظيفية لزيادة(لا) النافية وأحيانًا يستعمل كلمة مجاز بمعنى التركيب الأصليّ للجُملةِ عند تفسيره قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة:٧] " مجازها: غير المغضوب عليهم والضالين، و(لا) من حروف الزوائد؛ لتتميمِ الكلامِ، والمعنى إلقاؤها،...، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: ﴿لَا﴾ تأكيدٌ؛لأنه نَفْيٌ فأُدْخِلَتْ﴿لَا﴾؛ لتوكيدِ النفي، تقول: جئتَ بلا خيرٍ ولا بَرَكَةٍ، وليس عندك نَفْعٌ ولا دَفْعٌ" [3].

وتناولَ كثيرًا مِن المسائلِ النحويةِ في كتابِهِ منها: مجيء﴿ذَٰلِكَ﴾ للقريب، قال أبو عُبَيْدَةَ:" ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ معناه: هذا القرآن وقد تُخاطِبُ العربُ الشَّاهدَ فتُظْهِرُ له مُخَاطَبَةَ الغائبِ"[4]، والرفع والنصب على الاشتغال، وتحليله النحوي الدقيق لإعراب كلمة﴿سُورَةٌ﴾، والعامل فيها الرفع عند تفسيره قوله تعالى:﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا﴾[النور:١] قال:" مرفوعةٌ بالابتداءِ ثم جَاءَ الفعلُ مشغولًا بالهاء عن أنْ تَعْمَلَ فيها، وبعضهم ينصبها على قولهم: زيدًا لقيتُهُ، والمعنى: لقيتُ زيدًا"[5].

---

(١) أبو عُبَيْدَةَ، مَعْمَر بن المُثَنَّى التَّيْمِيّ البصري(ت٢١٠هـ)، مجاز القرآن، تحقيق، د. محمد فؤاد سَزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١٣٧٤هـ-١٩٥٤م)،٢٤/١.

(٢) ينظر، المرجع السابق،٨/١.

(٣) نفسه،٢٥/١، ٢٦.

(٤) أبو عُبَيْدَةَ، مجاز القرآن،٢٨/١.

(٥) المرجع السابق،٦٣/٢.

ومما سَبَقَ يَتَّضِحُ أَنَّ أبا عُبَيْدَةَ في مجازه يؤكدُ صِلَةَ أسلوبِ القرآنِ بأساليبِ العربِ، فَيَذْكُرُ في ختام كلامِهِ أَنَّ "العرب تَفْعَلُ هذا"، وتمتزجُ فيه اللغةُ ومعاني النحو، كما كَانَ الأمرُ في تراثنا القديم في كُتُبِ النحاة الأوائل أمثال سيبويه.

وبالتأمل في عباراتِ أبي عُبَيْدَةَ التي يتحدثُ فيها عن المعنى النحويّ، بذِكْرِهِ أَنَّ(لا) من حروف الزوائد، وأنه نَفْيٌ، والمعنى إلقاؤها، وذِكْرِهِ أَنَّ إدخالها في ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لتوكيدِ النفي، نجده رَبَطَ بين النحو والدلالة، ولا ينتقص مِنْ عَمَلِهِ العظيم أَنَّ رأيه لم يكنِ الأَصْوبَ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ، فـ(لا) ليست زائدةً؛ لتوكيدِ النفي؛ فدخولها في﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ مُزيلة لتوهمِ مُتَوَهِّمٍ أَنَّ الضالين هم المغضوب عليهم، ومُعْلِمَة أَنَّهم غيرهم(١).

وَتَعْتَرِفُ الدراسةُ بالسَّبْقِ والفضْلِ لرجلٍ نَحْويّ اهتمَّ بالجانبِ التطبيقيّ للقاعدةِ النحويةِ، ولم يَفْصِلِ الدلالةَ عن النحو أَلَا وهو عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) في كتابه " دلائل الإعجاز" الذي تناولَ فيه "النَّظْم" والمعاني الموجودة به؛ كالتعريفِ والتنكيرِ، والتقديمِ والتأخير، والحَذْفِ والتكرارِ، والإظهارِ والإضمارِ، والعدولِ عن اسمٍ إلى فِعْلٍ، أو عن صيغةٍ إلى أُخْرَى، وغَيْر هذا مِنْ سَائِرِ أحوالِ الكلمةِ إذا أُلِفَتْ مع غيرها؛ لِتُفْهَمَ، على أنها " **معاني النحو**" لم يَفْصِلْهَا عن عِلْمِ النحو، وعَبَّرَ عن ذلك في أكثرَ من موضعٍ في دلائله، نحو قوله:"النَّظْمُ هو تَوَخِّي **معاني النحو** في معاني الكَلِم"(٢)، وقوله:" ليسَ النَّظْمُ شيئًا إلا تَوَخِّي **معاني النَّحْو** وأحكامِه فيما بَيْنَ معاني الكَلِمِ"(٣)، وقوله:" قد عَرَفْتَ أَنَّ مَدَارَ أَمْرِ النَّظْمِ على **معاني النحو**، وعلى الوجوهِ والفروقِ التي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تكونَ فيه"(٤)، وقوله:"فَلَسْتَ بواجدٍ شيئًا يَرْجِعُ صوابُهُ إِنْ كَانَ صَوَابًا، وخطؤُهُ إِنْ كَانَ خَطَأً إلى النَّظْمِ، ويَدْخُلُ تَحْتَ هذا الاسمِ، إلا وهو مَعْنًى من

---

(١) ينظر، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريًا بن محمد بن حبيب القزويني، اللغويّ(ت٣٩٥هـ)، الصاحبيُّ في فِقهِ اللغةِ العربية ومسائلِها وسُنَنِ العربِ في كلامها، تحقيق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م)،١٢٢.

(٢) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق، د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)،٣٥١.

(٣) المرجع السابق،٤٨٠.

(٤) نفسه،١٢٨.

"**معاني النحو**" قد أُصِيبَ به مَوْضِعُهُ، ووُضِعَ في حَقِّهِ، أو عُومِلَ بخِلَافِ هذهِ المعاملةِ فَأُزِيلَ عن مَوضِعِهِ، واستُعمِلَ في غيرِ ما ينبغي له، فلا تَرَى كَلَامًا قد وُصِفَ بصِحَّةِ نَظْمٍ أو فَسَادِهِ، أو وُصِفَ بمَزِيَّةٍ وفَضْلٍ فيه، إلا وأَنْتَ تَجِدُ مَرْجِعَ تلكَ الصِّحَّةِ، وذلكَ الفسادِ وتلك الْمَزِيَّةِ، وذلكَ الْفَضْلِ إلى"مَعَانِي النَّحْوِ" وأحكامه، ووَجَدْتَهُ يَدْخُلُ في أَصْلٍ مِنْ أُصُولِهِ، ويَتَّصِلُ ببابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ"(١).

ولا تَفْصِلُ الدِّرَاسَةُ تَرَاكِيبَ ذِكْرِ الْقَلْبِ عَنْ سياقِهَا الذي وَرَدَتْ فيه، وإنَّمَا من خلالِ الآياتِ التي تَتَحَدَّثُ عن القلب وصفاته، والتي جاءَتْ مَنْثُورَةً كَالدُّرِّ في القرآنِ الكريمِ مُعَبِّرَةً عن صِفَاتِ الْقُلُوبِ، ورَبْطها بسوابقها ولواحقها في الآية أو الآيات التي نُظِمَتْ فيها.

أسباب اختيار الموضوع:

١- كثرةُ ورودِ لفظةِ القلبِ في القرآنِ الكريمِ، حيث وردت في مائةٍ واثنين وثلاثين موضعًا.

٢- التطبيقُ العمليُّ لمعاني النحو على تراكيب القلب في القرآن الكريم.

٣- مناقشةُ القضايا النحوية والدلالية الواردة في تراكيب القلب، وإبداء رأي الباحث فيها.

أهداف الدراسة:

١- جَمْعُ الآيات القرآنية التي وردت فيها تراكيب(القلب)، ودراستُها دراسة نحوية دلالية.

٢- إبرازُ "معاني النحو" في التحليل النحوي الدلالي.

٣- السعيُ إلى معرفة أسرار نَظْمِ تراكيبِ القلبِ القرآنيةِ.

٤- معرفة اتفاق القواعد النحوية واختلافها مع التراكيب القرآنية.

٥- كَشْفُ اللثَامِ عن ضرورة تدريس التراكيب النحوية القرآنية والحديثية والتراثية شعرًا ونثرًا جَنْبًا إلى جَنْبٍ مع تدريس القواعد النحوية.

٦- مناقشةُ القضايا الخلافية المتصلة بالتراكيب القرآنية دون تعصبٍ لرأي بالقبول أو الرفض، وإبداء رأي الباحث فيها من خلال الاستعمال القرآني.

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز،١٢٣.

مشكلة البحث:

بَدَتْ لي من خلال عملي بالتدريس في وزارة التربية والتعليم منذ سبعٍ وعشرين سنةً مشكلةٌ تتمثلُ في شكوى كثيرٍ من المتعلمين ونفورهم من النحو، فدار في خلدي التساؤلات الآتية:

١- ما سبب تلك الشكوى؟ وذلك النفور؟

٢- هل ما ندرسه في المدارس هو "عِلْمُ النَّحْوِ" أم لا؟

٣- ما عَلاقةُ هذه الشكوى بموضوعِ البحث؟

ما يدرس هو السبب الرئيس في المشكلة؛ لأنه " قواعد مجردة جافة منفصلة عن الدلالة يسمى" أصول النحو"، أما" علم النحو" الذي يهتم بأسرار التراكيب، ونَظْم الكلام، وتأليفه، ومعاني النحو فيه فلا يدرس، وهذه الدراسة محاولة تطبيقية؛ للكشف عن أسرارِ التراكيبِ التي ذُكِرَ فيها القلبُ في القرآنِ الكريمِ.

المصادر والمراجع: تفيدُ الدراسةُ **من قديمها وحديثها** سواء أكانت نحويةً أم نحوية دلالية أم دلالية أم تفاسير قرآنية أم أعاريب للقرآن الكريم أم كُتُبًا لُغَوِيَّة أم دراسات قرآنية:

فمن الكتب النَّحْوِيَّة التراثية:"الكتاب" لسيبويه(ت١٨٠هـ) و"المقتضب" للمبرّد(ت٢٨٥هـ)، و"الأصول في النحو" لابن السَّرَّاجِ(ت٣١٦هـ) و"المُحَلَّى" وُجُوهُ النَّصْب" لابن شُقَيْرٍ(ت ٣١٧هـ)، و"الجُمَل في النحو" للزجَّاجِي(ت٣٣٧هـ أو ٣٤٠هـ)، و"التَّبصرة والتذكرة" للصَّيْمَرِي(من نُحَاة القرن الرابع)، و"المُفَصَّل في عِلْمِ العربية" للزمخشري(ت٥٢٨هـ)، و" نتائج الفكر في النحو" للسُّهَيلي(ت٥٨١هـ)، و"المِصْبَاح في عِلْمِ النَّحْوِ" للمُطَرِّزي(ت٦١٠هـ)، و"التوطِئة في النحو" لأبي علي الشَّلَوبِينِيّ(ت٦٤٥هـ)، و"الكافية في عِلْمِ النحو" لابن الحاجب النحوي(ت٦٤٦هـ)، و" تذكرة النحاة" لأبي حَيَّان(ت٧٤٥هـ).

ومن كتب حروف المعاني: " معاني الحروف " للرُّمَّانِيّ(ت٣٨٤هـ)، و" كِتَابُ الأُزْهِيَّةِ فِي عِلْمِ الْحُرُوفِ" للهَرَوِي(ت٤١٥هـ)، و" رَصْفُ المَبَانِي فِي شَرْحِ حُرُوفِ الْمَعَانِي" للمَالَقِيّ(ت٧٠٢هـ)، و" الجَنَى الدَّانِي في حروفِ المَعَانِي" للمرادي(ت٧٢٤هـ)، و" مُغْنِي اللبيب" لابن هشام(ت٧٦١هـ).

ومن الكتب النحوية الحديثة: " النحو القرآني قواعد وشواهد " للدكتور جميل أحمد ظفر، و" النحو المُصَفَّى" للدكتور محمد عيد، و" نحو القرآن" للدكتور أحمد عبد الستار الجواري.

ومن الكتب النحوية الدلالية التراثية: " الكتاب " لسيبويه "(ت١٨٠هـ)، و" دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ).

ومن الكتب النحوية الدلالية الحديثة: "إحياء النحو " للدكتور إبراهيم مصطفى، و" في النحو العربي نقد وتوجيه" للدكتور مهدي المخزومي، و" النحو والدلالة " للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف.

ومن التفاسير القرآنية:"الكشَّاف" للزمخشري(ت٥٢٨هـ)، و"مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير" للفخر الرازي(ت٦٠٦هـ)، و"البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ أو٧٤٩هـ).

ومن كتب أعاريب القرآن الكريم: " معاني القرآن وإعرابه" للزجَّاج(ت٣١١هـ)، و" إعراب القرآن " للنحَّاس (٣٣٨هـ)، و"تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه" للشيخ محمد علي طه الدرة.

ومن كتب اللغة:"الفروق اللغوية"لأبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)، و"مقاييس اللغة" لابن فارس (ت٣٩٥هـ)، و"المفردات في غريب القرآن" للأصفهاني(ت٥٠٢ هـ)، و"لسان العرب" لابن منظور(ت٧١١هـ)، و" القاموس المحيط " للفيروزآبادي(ت٨١٧هـ).

ومن كتب الدراسات القرآنية: "إيجاز البيان عن معاني القرآن" لبيان الحق النيسابوري(ت٥٥٣هـ)، و" كَشْفُ الْمَعَانِي فِي الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْمَثَانِيَ " لبدر الدين بن جَمَاعَة(ت٧٣٣هـ)، و"البرهان في علوم القرآن" للزركشي(ت٧٩٤هـ)، و"قَطْفُ الْأَزْهَارِ فِي كَشْفِ الْأَسْرَارِ" للسيوطي(ت٩١١هـ).

و"**المنهج الوصفي التحليلي**" هو المنهجُ المستخدَمُ في دراسةِ تراكيبِ القلبِ في القرآنِ الكريمِ، وما يصاحبها مِن ظواهر تركيبية حيث الملاحظة والاستقراء، ثم التصنيف والإحصاء، ثم التوصيف والتحليل، واستخراج النتائج التي تم التوصل إليها.

عملي في الدراسة:

حاولْتُ – جاهدًا – أنْ أسيرَ على طريقٍ واضحةٍ من بداية البحث إلى خاتمتِهِ مُتَّبِعًا الخطواتِ التالية:

أولا: جَمْعُ الآيات القرآنية موضوع البحث مع ذِكْرِ اسم السورة ورقم الآية.

ثانيًا: تصنيفُ تراكيب القلب إلى أنماطٍ تصنيفًا موضوعيًّا نابعًا من تراكيب آيات القلب.

ثالثًا: السعيُ إلى معرفة أسرار التراكيب القرآنية النحوية الدلالية في نَظْمِ الكلام من حيث اختيار المفردات والتراكيب، وتنويع الأساليب، والتمييز بين التراكيب المتشابهة التي تُعَبِّر عن نمطٍ واحدٍ مع وجود تغاير تركيبي فيما بينها، ومحاولة معرفة خصائصها.

رابعًا: الالتزامُ بالأمانة العلمية في نسبة المعلومات إلى الكتب والمراجع التي أَفَدْتُ منها.

خامسا: الاستفادةُ مِنْ دُرَرِ النَّحْوِ المبثوثةِ في كُتُبِهِ قديمها وحديثها وتوظيفها في سبيل نهوضه بدوره في تفسير التراكيب القرآنية، والكشف عن أسرارها ومعانيها، والعَلاقات التي تربطُ بين عناصرِ كلِّ تركيبٍ في سياقِهِ، وما يَعْرِضُ له مِنْ عوارضَ تُخْرِجُهُ مِنْ صُورَتِهِ المألوفةِ إلى صُوَرٍ أُخْرَى، وتتبُّع هذه الصُّور، وتأمُّل دلالاتِها الجديدة.

سادسا: توظيفُ أهم الإمكانات النحوية عند تحليل النص ومنها:

١- **دور الوظائف النحوية**: من فاعلية ومفعولية وإضافة... وغير ذلك، والتي تَمُدُّ المُتَدَبِّرَ في التراكيب القرآنية بالمعاني التركيبية التي تفيد في التحليل الوصفي لهذه التراكيب.

٢- **عوارض التَّراكيب**: مِنْ تقديمٍ وتأخيرٍ وذِكْرٍ وحذْفٍ وإضمارٍ وإظهارٍ... وغير ذلك مما يُعِينُ على معرفة طرائق النص القرآني في وجوه تصرُّفه بالأساليب، والتراكيب في صور خاصة به، وتكشف عن دلالات هذا التصرف وأغراضه.

٣- **حروف المعاني وأثرها في الأساليب**؛ إذ إنَّ معرفة حروف المعاني، وتحديد دورها في الأساليب النَّحوية، يُسَاعِدُ على تعرُّفِ هذه الأساليب، والوقوف على دقائقها وأسرارها.

والدراسة تهتم بهذه الإمكانات مجتمعة، والكشف عن أسرار بنائها، ودقة توظيفها ودلالاتها في التراكيب.

سابعا: عرْضُ نتائج البحث في نقاط محددة.

الدراسات السابقة:

بعد طول بَحْثٍ وتمحيصٍ واستعلامٍ من مركز الملك فيْصَل للدراسات العليا بالرياض، والخدمة الإلكترونية(طلب الإفادة عن موضوع بحث ماجستير- دكتوراه) التي تقدمها مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ومركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي بجدة من قاعدة البيانات الوصفية لأوعية المعلومات القرآنية: **quranc@gmail.com** التابعة للمركز، وملتقى الرسائل الجامعية في الدراسات القرآنية التابع لملتقى قسم التفسير، وجامع البحوث والرسائل العلمية أكبر أرشيف للأبحاث والرسائل الجامعية لطلبة العلم، ومن مواقع الجامعات العربية في مجال التخصص وغيرها تم التحقق من أنه لم يسبق دراسة موضوع البحث " **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ وَصِفَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ" دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ"**، ومن وجود **دراسات** تعد على أصابع اليد الواحدة تناولت القلب في القرآن الكريم، تشترك مع بحثي جزئيًا، **ودراسات** تَنَاوَلَتِ التراكيبَ النحويَّةَ في سورةٍ واحدةٍ، وقد وَقَفْتُ على بعضها على وجه العموم، وتَصَفَّحْتُ

بعضها بقدرِ عَلاقتها بموضوعي حتى أَذْكُرَ بعضًا من أهدافها ونتائجها، وأبيِّنَ اختلافَ دراستِي عنها فيما تشترِكُ معها فيه، وأهمية بحثي وما يضيفه إلى هذه الدراسات، والله أسألُ أنْ أستفيدَ من هذه الدراسات المتمثلة في أربعِ رسائلَ علميةٍ عن القلب في القرآن الكريم هي:

١- "**عبودية القلب في القرآن الكريم**"رسالة دكتوراه للباحث: عبد الرحمن محمد البرادعي من جامعة أم درمان السودانية- قسم التفسير وعلوم القرآن. وهي مطبوعة بدار طيبة الخضراء بمكة المكرمة ط٢(١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

تناولَتِ الدِّرَاسَةُ أهميةَ القلب في تحقيق العبودية، ومكانته، ومنازل الناس في عبودية القلب، ونقلت كثيرا من كتب التفاسير وكتب الأحاديث وأقوال العلماء عند تفسيرها لمعاني صفات القلب.

أهم أهدافها: - جَمْعُ الآيات الواردة في كتاب الله عن القلب، ودراستها دراسة موضوعية.

من نتائجها:- وَصْفُ القلب بالمرض في القرآن الكريم غلب على أهل النفاق.

- القلب لطيفة روحية لها بالعضو الجسدي تعلق وارتباط، ومعناه شرعا يشمل الوجهين.

التشابه مع دراستي: جزء من عنوان دراسته"القلب في القرآن الكريم" موجود بعنوان بحثي، وبعض ما ذكره من أهداف، ونتائج يدخل في اهتمامات بحثي، تناولته في التمهيد بعنوان: " تعريف القلب لغة واصطلاحًا، مع الفرق في المنهج والتناول، ويمكن أن يفيد بحثي منه مع غيره من المراجع والدراسات قبل التحليل النحوي الدلالي؛ فالإعراب فرع المعنى.

اختلاف دراستي عنها:.ما عدا ما ذكرته فلا نسب بين الرسالتين، لا في الموضوع، ولا في المنهج، ولا في التحليل لآيات القلب؛ فهي دراسةٌ في علوم القرآن ودراستي في النحو والصرف.

٢- "**حديث القرآن عن القلوب ومنهجه في إصلاحها**" رسالة ماجستير للباحث: عادل بن سعد بن خليل الجهني من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. نوقشت في(١٤/١/١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

وانصبَّ اهتمامُها على صلاح القلب وفساده، وأمراضه وأنواعها، ومنهج القرآن في صلاحها.

أهم أهدافها: بيان أنواع القلوب، وأمراضها، ومنهج القرآن في إصلاحها.

من نتائجها: - المراد بالقلب اللطيفة الربانية، وله اتصال بالقلب المحسوس.

- القلبُ ينقسمُ باعتبارِ أوصافِهِ إلى: سليمٍ، ومريضٍ، وميتٍ، ولكُلِّ نَوْعٍ صفاتٌ تقومُ به.

التشابه مع دراستي: في اهتمامه بتعريف القلب، واهتمامه بصفاته، وإفراده للحديث عن كل صفة مبحثا، ومنهجية البحث، والأمانة العلمية، والدقة في ترتيب الفهارس والمراجع.

اختلاف دراستي عنها: في نوع الدراسة، ومنهجها، وأهدافها، وفي التحليل النحوي الدلالي.

٣- "**القلب في القرآن الكريم دراسة موضوعية**" رسالة ماجستير للباحثة: ابتهاج ياسر عيسى شحروج من جامعة النجاح الوطنية بنابلس- فلسطين كلية أصول الدين(٢٠١١م).

وانصب اهتمامها على لفظة القلب كمفردة وتتبعها في إطار التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

أهم أهدافها: - علاجُ انحراف القلوب بعلاج أسبابها.

- تربيةُ القلوب على مراقبة الله من خلال القصص القرآني.

من نتائجها: - القلبُ يُبتلى ومواطن ابتلائه كثيرة.

- علاجُ أسباب انحراف القلوب، والصفات المذمومة للقلب في الآيات بالرجوع للكتاب والسنة.

التشابه مع دراستي: دراستها لمعنى القلب، والاهتمام بتتبع لفظة القلب في آيات القرآن الكريم ودراستها لكن في إطار التفسير الموضوعي.

اختلاف دراستي عنها: في منهج البحث، وأهدافه، ونوع الدراسة.

٤- "**القلوب ونظائرها في القرآن الكريم دراسة موضوعية**" رسالة ماجستير للباحث: جبر أحمد أبو عيشة الجامعة الإسلامية بغزة كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن(٢٠٠٨م).

وانصبَّ اهتمامُها على أصناف القلوب، وأوجه الاختلاف والاتفاق بينها، ونظائرها في القرآن مثل: اللب والعقل والفؤاد، وأيضا مثل سابقتها في إطار التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

وهذا ما دعاني إلى الإعراض عن الدراسات السابقة في أول الأمر لا عن سهو ولا عن نسيان.

أهم أهدافها: تتبع أنواع القلوب، وصفات كل نوع في القرآن الكريم، ونظائر القلب في القرآن كالصدر والعقل والفؤاد والنفس.

- جمْعُ وحَصْرُ كل الآيات المتعلقة بموضوع القلوب ونظائرها في القرآن الكريم في دراسة علمية موضوعية متخصصة.

- التعرفُ على أوجه الاختلاف والاتفاق بينها وبين بعضها من ناحية وبينها وبين الألفاظ التي تناظرها كاللب والعقل والفؤاد من ناحية أخرى.

من نتائجها:- كل كلمة في القرآن الكريم تناسب مكانها، ومقصودة لذاتها،لا يقوم غيرها مقامها.
- القلب مركز الوظائف الإنسانية كالتعقل والاعتقادات، والعواطف والانفعالات.

التشابه مع دراستي: آيات القلب في القرآن الكريم هي واسطة العُقْدِ في البحثين، واهتمامه بتعريف القلب، وجمْعه آيات القلب ونظائرها، وزادت دراسته في تناول آيات قرآنية بها ألفاظ جعلها نظائر للقلب كاللب والعقل والفؤاد.

اختلاف دراستي عنها: نوع الدراسة، ومنهجها، وأهدافها، وطريقة تحليل آيات القلب.

٥- "**التراكيب النحوية في القصص القرآني"بحث وصفي تحليلي**" رسالة ماجستير للباحث: العيلة، نضال فؤاد حسين من الجامعة الإسلامية- غزة كلية الآداب- قسم اللغة العربية(٢٠١٥م).

تناولَتِ الدراسةُ التراكيبَ النحويَّةَ في آيات القصص القرآني وفق المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي، وزعمَ صاحبُها أنه لم يقفْ على بحثٍ سابقٍ يتناولُ عنوان(التراكيب النحوية في القصص القرآني)، ولكن الدراسة التالية رسالة دكتوراه تحمل العنوان نفسه مع زيادة قول الباحث(دراسة نحوية صرفية) وقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. وتضمن التمهيد الحديث عن التراكيب النحوية. وتناولت فصوله: تراكيب الجملة الاسمية، وما يتعلق بها. وتراكيب نواسخ الجملة الاسمية، وتراكيب الجملة الفعلية، وتراكيب الجملة الشرطية.

أهم أهدافها: معرفة أغراض التراكيب النحوية التي سيقت بها القصة القرآنية وأنماطها؛ ويتناول أجزاء هذه التراكيب، مع الاهتمام بهذه التراكيب إحصائيا.

من نتائجها: التي جاءت عامة في غالبها منها: أن التراكيب النحوية للجملة الاسمية ونواسخها أوسع من التراكيب النحوية للجملة الفعلية، والتراكيب النحوية للجملة الشرطية أقلها توسعا.

التشابه مع دراستي: الاهتمام بدراسة التراكيب النحوية، واتباع المنهج الوصفي التحليلي، وفي الإطار العام لها.

اختلاف دراستي عنها: توسع في تناوله للتراكيب النحوية؛ اسمية وفعلية وشرطية وللقضايا النحوية لكل تركيب، وانصب اهتمامه بالجانب الإحصائي أكثر من الجانب التطبيقي حيث اكتفي في عرْضه لكل مسألة نحوية بالاستشهاد بشاهد واحد مع شرحه وإعرابه إعرابًا نحويًا منفصلًا عن سياقه القرآني وعن الدلالة مع الإشارة في الهامش إلى بقية الشواهد، أما بحثي فاهتم بالجانب التطبيقي في دراسة التراكيب

النحوية للقلب في سياقاتها في القرآن الكريم كله دون فصْل للنحو عن الدلالة، بهدف الكشف عن أسرار التراكيب القرآنية، وبيانها بالوصف والتحليل.

٦- **"التراكيب النحويــة فـي القصص القرآنـي "دراســة نحويــة صرفيــة"** رسالة دكتوراة للباحث: أسبيتان، مشهور أحمد من جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا كلية الدراسات العليا كلية اللغات- قسم اللغة العربية(٢٠٠٧م).

تتناول هذه الدراسة " التراكيب النحوية في القصص القرآني " دراسة نحوية مستخدمة المنهج الوصفي الإحصائي في دراسة التراكيب وهي تقسم إلى بسيطة ومترابطة، فالبسيطة تدور حول تركيبين الاسمي البسيط والفعلي البسيط، وما يتفرع عنهما من قضايا أثارها النحويون حول الاسم والفعل والإسناد المرتبط بهما.أما التراكيب المترابطة فتدور حول التركيب الفعلي المترابط والتركيب الاسمي المترابط، وما يتفرع عنهما من الجملة الاسمية ومكوناتها والجملة الفعلية ومكوناتها.

أهم أهدافها: دراسة التراكيب النحوية في القصص القرآني دراسة نحوية صرفية، من خلال البحث في الشواهد المستقاة من الآيات القرآنية؛ لما لها من أثر في استنباط القاعدة النحوية، وإحصائها وبيان أنواعها في آيات القصص القرآني.

- إجمال أهم القضايا التي أثارها النحاة في هذا الموضوع.

من نتائجها: - للتركيبِ مظاهرٌ مختلفةٌ كالعَلَامَةِ الإعرابيةِ والرُّتبة والمطابقة والربط والزمن.

- التركيبُ الفعلي البسيط والمترابط أكثر شيوعًا من التركيب الاسمي البسيط والمترابط، إذ بلغ ضِعْفَهُ؛ وذلك لأن القصص يقوم على السرد وإيراد الحوادث، وهذا يعتمد على الفعل.

التشابه مع دراستي: في تناول التركيب لغة واصطلاحا في التمهيد، والاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي.

اختلاف دراستي عنها:عنوان دراسته دراسة نحوية صرفية ذَكَرَ الباحثُ أن بحثه لم يتناول القضايا الصرفية والصوتية والدلالية التي يثيرها النص أو التركيب؛ لأن الدراسة مقتصرة على المستوى النحوي، وتطبيقه على قصص القرآن، ودراستي نحوية دلالية تهتم بإبراز معاني النحو عند التحليل النحوي الدلالي في المقام الأول.

٧- **التراكيب النحوية في سورة يس دراسة نحوية وصفية**" رسالة ماجستير للباحث: فغيران، حاج سيف البحرين من جامعة اليرموك، إربد، الأردن، قسم اللغة العربية- تخصص لغة ونحو(٢٠٠٣م).

جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة؛ تناولت في التمهيد سورة يس وما يتعلق بها، وتحدثت عن المنهج الوصفي وما يتعلق به، وتناولت في فصولها؛ الجمل الخبرية، والإنشائية، والتي لا محل لها من الإعراب، وسجلت في خاتمتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

أهم أهدافها:- **هدف علمي**: التحقق من توافق التراكيب النحوية في الآيات القرآنية في سورة يس مع القواعد النحوية.

- **هدف عملي**: مساهمة الدراسةِ لجنةَ صياغة المناهج في سلطنة بروناي دار السلام.

من نتائجها: - أثبتت الدراسة تحقق الهدف العلمي، وصلاحية الدراسة لأنْ تَدْخُلَ في الكتب النحوية المدرسية في سلطنة بروناي؛ لأنها تمثل التوافق بين القواعد النحوية والآيات القرآنية.

التشابه مع دراستي: دراسة التراكيب النحوية، ومنهج الدراسة الوصفي، وذكره أن القواعد النحوية مستنبطة من القرآن.

اختلاف دراستي عنها: مجال دراسته سورة يس فقط، مجال دراستي تراكيب القلب في القرآن الكريم كله، دراسته نحوية وصفية، للتحقق من التوافق بين القاعدة النحوية والتراكيب النحوية في سورة يس، بحثي دراسته نحوية دلالية لمعاني النحو؛ للكشف عن أسرار النظم القرآني.

هيكل البحث:

جَاءَ هذا البحثُ في مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثةِ فصولٍ وخاتمةٍ:

أما المقدمة: فقد عَرَضْتُ فيها طريقةَ تصنيفِ تراكيب القلب ودراستها في الآيات التي وردت فيها، كما ذَكَرْتُ فيها خطتي، وأهمية الدراسة والمنهج المستخدم فيها، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدَتْ عليها.

وأما التمهيد: فجاء بعنوان (**تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ فِي الدِّرَاسَةِ**) عَرَضْتُ فيه تعريف " التركيب " المعجمي، وفي التراث النحوي عند "ابن يعيش"، وأنواع التراكيب ومفهوم مصطلح " التركيب " في الدراسة، **ومعنى القلب لغةً واصطلاحًا، ومدلول القلب في التراكيب القرآنية**، والطريقة التي يتم بها تحليل أنماط تراكيب القلب في الدراسة كلها.

وأما الفصول الثلاثة: فقد وضعْتُ عنوانًا لكل فَصْلٍ مُعَبِّرًا عن مضمونه؛

فجاء الفصل الأول: " **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا** " في مبحثين: المبحث الأول بعنوان: " **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا فِي الْجُمْلَةِ الاسمِيةِ**"، بدأته بذِكْرِ(**تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا في الْجُمْلَةِ الاسمِيةِ الْمُجَرَّدَةِ**)، وفيه تصنيف الآيات التي وَرَدَ فيها القلبُ مرفوعًا في تركيبٍ اسمي إلى أنماط ، وذِكْرُ صفة القلب التي أُفردت في موضعٍ واحدٍ أو الصفة التي تكررت للقلب في أكثر من موضع، وتحليل هذه المواضع مندرجة تحت نمطها الذي وردت فيه، ثم أَتْبَعْتُهُ بتناول(**تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا فِي الْجُمْلَةِ الاسمِيةِ الْمَنْسُوخَةِ**)، وفيه تصنيف الآيات التي وَرَدَ فيها القلبُ مرفوعًا لفعلٍ ناسخٍ في تركيبٍ اسميٍّ إلى أنماط، وتحليل هذه المواضع مندرجة تحت نمطِها الذي وَرَدَتْ فيه تحليلًا نحويًّا دلاليًّا.

والمبحث الثاني بعنوان: " **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مرفوعًا في الجملة الفعلية** "، وفيه تصنيف الآيات التي وردت فيها "تراكيب القلب مرفوعًا في تركيبٍ فِعْلِي" إلى أنماطٍ ، وذِكْرُ صفة القلب التي أُفردت في موضعٍ واحدٍ أو الصفة التي تكررت للقلب في أكثر من موضع، وتحليل هذه المواضع مندرجة تحت نمطها الذي وردت فيه: ثم ذَكَرْتُ في هذا المبحث" **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا لِلْمُشْتَقَّاتِ الْعَامِلَةِ عَمَلَ الْفِعْلِ**"، وقد وَرَدَ من المشتقات العاملة اسمُ الفاعل، وقد أَلْحَقْتُ **تراكيب** اسم الفاعل بأنماط الفعل المضارع لِمَا بينهما مِنْ تشابُهٍ في العمل والدلالة والزمن، وبعده اسم المفعول الذي ورد في موضعٍ واحد.

ثم **الفصل الثاني بعنوان:** " **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَنْصُوبًا فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ** "، ذَكَرْتُ فيه حَدَّ المفعول به عند النُّحَاة، وصوره من خلال الدراسة، ومعنى قولهم فيه أنه" فَضْلَةٌ "، والقيمة الوظيفية له عند ذِكْرِهِ، وعند حَذْفِهِ، وعند تقدُّمِهِ عن رُتْبَتِهِ، وصَنَّفْتُ تراكيبَ ذِكْرِ القلبِ منصوبًا على المفعولية إلى أنماطٍ بحسب الفعل الناصب للقلب، أبدأ بالفعل الماضي المتعدي لمفعولٍ واحدٍ، ثم الفعل المضارع المتعدي لمفعولٍ واحدٍ، ثم الفعل المتعدي لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر.

ثم الفصل الثالث بعنوان: " **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا** " ذَكَرْتُ فيه المواضعَ التي جاءَ فيها القلبُ مجرورًا إلى أنماطٍ مندرجة تحت النوع الذي تنتمي إليه من بين:

١- **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا بِالْحَرْفِ.**

٢- **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا بِالإِضَافَةِ.**

٣- **تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا بِالتَّبَعِيَّةِ.**

مع محاولة الوقوف على أسرار هذه التراكيب في إيثار التركيب القرآني تعدية فِعْلٍ بحرف جر في موضع بعينه دون غيره أو تعدية فعل بحرف جر مع أنه مُتَعَدٍّ بنفسِهِ،على سبيل المثال سبب التعبير بحرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾[البقرة:٧]، والتعبير بحرف الجر﴿فِي﴾ في مواضع أخرى كقوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[المجادلة:٢٢]، والسر في التعبير بالفعل الماضي المبني للمجهول في قوله تعالى:﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الفتح:١٢]، وبالفعل الماضي المبني للمعلوم في قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧]، وتعدية الفعل بحرف الجر مع إمكانية تعديته بنفسِهِ في مواضعَ كقوله تعالى:﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[التوبة:٦٤]، وتَضْمِين الفعل المتعدي﴿يُخَالِفُونَ﴾ معنى اللازم كقوله تعالى:﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦ﴾[النور:٦٣] أي يعدلون، فما سبب التَّضْمِينِ في هذا الموضع، وفي غيره؟ وما دور الدلالة النحوية لحروف الجر كجزء من حروف المعاني في تحليل التراكيب التي وردت فيها من خلال السياق؟ مع تناول القضايا النحوية والدلالية التي تَعْرِضُ في البحث في موضعها الذي ترد فيه دون تخصيصها بفصلٍ أو موضعٍ واحدٍ.

وأخيرًا: جاءت **خاتمة الدراسة** متضمنة النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة سواء أكانت نحوية أم دلالية أم نحوية دلالية، وبعدها أهم التوصيات التي أوصت بها الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

واللهَ أسألُ أنْ يكتبَ لبحثي القبول، ويجعلَهُ خالصًا لوجهه الكريم، ويعينَني على مواصلةِ البحثِ في النصِّ القرآنيِّ الكريمِ وخِدْمَتِهِ، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيلُ.

التمهيد

تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ فِي الدِّرَاسَةِ

التمهيد: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ فِي الدِّرَاسَةِ

آثرت اختيار" تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ " عُنْوَانًا للدراسة؛ لأنه يُعَبِّرُ عن مضمون الدراسة التي تتناول التراكيب التي ذُكِرَ فيها القلبُ في القرآن الكريم تعبيرًا دقيقًا يتضح بعد معرفة دلالة الكلمتين، فمصطلح " التركيب " يدل على معانٍ متعددة:

في اللغة: التركيب مصدر الفعل الثلاثي المضعَّف(رَكَّبَ)، وفي معنى رَكَّب الشيء قال الفيروزآبادي: " رَكَّبَهُ تَرْكِيبًا وَضَعَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَتَرَكَّبَ وتَرَاكَبَ"(١)، وزادَ المعجمُ الوسيطُ على دلالة " التركيب " اللغوية دلالته الاصطلاحية بقوله: " رَكَّبَ الشيءَ جَعَلَ بعضَه على بعضٍ وضَمَّه إلى غيره فصارا شيئًا واحدًا في المنظر، يقال: رَكَّبَ الفَصَّ في الخاتم، ورَكَّبَ السنان في الرمح، ورَكَّبَ الكلمةَ أو الجملةَ، وهذا تركيب يدل على كذا، وركَّبَ الدواءَ ونحوه؛ ألَّفه مِن مواد مختلفة"(٢).

وبيَّنَ الفيروزآبادي معنى الجَمْع بأنه:" تَأْليفُ المُتَفَرِّقِ"(٣).

ومما سبق يتضح المعنى اللغوي للتركيب وهو: ضم وجمْع شيئين مختلفين أو أكثر والتأليف بينهما؛ للحصول على شيءٍ جديدٍ.

وفي التراث النحوي: "رأى– الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)– أنَّ التركيبَ ظاهرةٌ لغويةٌ تمخَّضَتْ عنها الاستعمالات...، وأشارَ إلى أنَّ المُرَكَّبَ ما كان مؤلفًا من كلمتين تلازمتا في الاستعمال، وتعرضتا لعمليةِ التركيبِ"(٤).

---

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، القاموسُ المُحِيطُ مُرَتَّبٌ تَرْتِيبًا أَلِفْبَائِيًّا وِفْقَ أَوَائِلِ الحروفِ، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشيخ أبوالوفا نصر الهُوريني المصري الشافعي(ت١٢٩١هـ)، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث– القاهرة، سنة الطبع(١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م)،(ركب)،٦٦٤.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة،(١٩٨٠م)،(ركب)،٣٦٨/١ .

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المُحِيطُ،(جمع)،٢٩٣.

(٤) د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية(١٤٠٦هـ–١٩٨٦م)،١٩١.

وذَكَرَ ابنُ يعيش التركيب الذي ينعقد به الكلام، وتَحَدَّثَ عن نوعين من التركيب: أحدهما: تركيب الإفراد، والآخر: تركيب الإسناد، ووضَّحَ أنَّ تركيبَ الإفراد هو أنْ تأتي بكلمتين، فتركّبهما، وتجعلهما كلمة واحدة كما في بعض الأعلام المركَّبة تركيبًا مزجيًّا، نحو: حَضْرَ مَوْتَ، وتركيب الإفراد لا يفيد حتى يُخبَرَ عنه بكلمةٍ أخرى، نحو: حَضْرَ مَوْتَ طيبةٌ. ثم بيَّنَ تركيب الإسناد بأنه إسناد كلمة إلى كلمة أخرى، إذا كان لأحدهما تعلق بالأخرى كما يسند الخبر إلى المبتدأ، والفعل إلى الفاعل؛ ليتم بهما تركيب مستقل به يَحْسُن موقع الخبر، وتمام الفائدة(١)، وذَكَرَ الزمخشري تركيب الكلمات بالإسناد(٢) في حديثه عن معنى الكلام، وعرَّفَ الكلامَ بقوله:"والكلامُ هو المُرَكَّبُ مِنْ كَلِمَتينِ أُسْنِدَتْ إحداهُمَا إلى الأُخْرَى"(٣).

ويفهم من قوله: " (أسندت إحداهما إلى الأخرى)، أنه لم يُرِدْ مُطْلَقَ التَّرْكيبِ، بل تركيب الكلمة مع الكلمة، إذا كان لإحداهما تعلُّقٌ بالأخرى على السبيل الذي يحسن موقعُ الخبر، وتمامُ الفائدة"(٤)، وهذا هو تركيب الإسناد، وقد تناول النحويون القدامى التركيب تحت باب ائتلاف الكلمات يقول أبو علي الفارسي:– "الاسم يأتلف مع الاسم فيكون كلامًا مفيدًا، كقولنا:عَمْرٌو أخوك، وبِشْرٌ صاحبُك، ويأتلف الفعل مع الاسم فيكون ذلك كقولنا: كَتَبَ عبدُ اللهِ وسُرَّ بَكْرٌ"(٥). ويقصد بالتركيب اللغوي جَمْعُ الكلمات بعضها إلى بعض، بحيث تكون كلامًا مفيدًا، سواء أكانت هذه التراكيب إسنادية أم إضافية أم توصيفية أم مزجية(٦)، وبالتركيب

---

(١) ينظر، ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ للزمخشري،١/٧٢، ٧٣.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، المُفَصَّل في عِلْمِ العربية، وبذيله كِتاب المُفَضَّل في شرح أبيات المُفَصَّل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النَّعْسَاني الحلبي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، طبعة مصورة عن طبعة سنة(١٣٢٣هـ)،٦.

(٣) ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المِصْرِي الإسْنَوي المالكي المعروف بابن الحاجب النحوي(ت٦٤٦هـ)، الإيضاح في شَرْحِ المُفَصَّلِ، تحقيق، أ.د إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين للنشر– دمشق– سوريا، ط١(١٤٢٥هـ–٢٠٠٥م)،١/١٤.

(٤) ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،١/٧٢.

(٥) أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفَسَوِيّ(٣٧٧هـ)،الإيضاح العضدي، تحقيق، د.حسن شاذلي فرهود، ط٢(١٩٨٨م)،٥٥.

(٦) ينظر، د. علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب، القاهرة، ط١(٢٠٠٦م)،٧٠.

يتكوّن معنى جديدًا لا تدلّ عليه معاني الألفاظ الداخلة فيه كلّ على حدته، والدلالة الجديدة للمعنى مرتبطةٌ بتفاعل العَلاقات النحوية مع دلالة الألفاظ الأوليّة في إفادة هذا المعنى الجديد بدخولها التركيب اللغوي، يحدده السياق ويقتضيه[1].

وتُعْتَبَرُ دراسةُ التركيبِ أساسًا لعِلْمِ النحو الذي يُعرف به كيفية تركيب الكلام؛ لأنّ النحو"عِلْمٌ بقوانين يُعْرَفُ بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما"[2]، وأشارَ إلى ذلك السكاكي(٦٢٦هـ) بصورة أوضح إذ يقول:" اعلمْ أنَّ عِلْمَ النحو هو أنْ تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكَلِمِ لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة مِن استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها؛ ليحترزَ بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكَلِمِ على بعض، ورعاية ما يكون مِن الهيئات إذ ذاك، وبالكَلِمِ نوعيها المفردة وما هي في حُكْمِهَا"[3]، ومِن ثَمَّ "فإنّ موضوع الدرس النحوي هو التركيب نفْسه"[4]، وتتوسَّع الدراسة في استخدام مصطلح التركيب"ليشمل كل كلمتين أو عدة كلمات ترتبط ببعضها ارتباطًا معنويًا، إما بسبب التوضيح، أو التعريف،أو التخصيص،...،أو أي معنى آخر كالعطف في المفردات، والنعت، والبدل، والتوكيد، والإضافة،... إلى غير ذلك[5].

و"التركيب الإسنادي"؛ ليشمل تراكيب ذِكْرِ القلب في النص القرآني كله، وهو ما يطلق عليه ما فوق الجملة، وبناءً على ما سبق فإنَّ التركيبَ يتسع مدلوله في الدراسة فهو لا يقف عند دراسة إسناد الخبر إلى المبتدأ، أو إسناد الفعل إلى فاعله، وإنما يتناول كذلك ما يوجد في تراكيب ذِكْرِ القلب من مُتَمِّمَات

---

(١) ينظر، د. محمد حماسة، النحو والدلالة،٨٠.

(٢) الشريف الجرجاني، العلامة على بن محمد الشريف الجرجاني(٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة- القاهرة، باب النون، النون مع الحاء،١٦٦.

(٣) السكاكي، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ)، مِفْتَاحُ العلوم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، القسم الثاني من الكتاب في علم النحو، الفصل الأول:علم النحو: ما هو؟،١٢٥.

(٤) د. علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي،٢٢.

(٥) ينظر، د.إبراهيم إبراهيم بركات، وظيفة البنية في تحديد دلالة الكلمة، دار عامر للطباعة والنشر، المنصورة،(١٩٨٨م)،٨٧.

ومُكَمِّلات الجملة التي تَحْسُنُ بها الفائدة، كالمفاعيل، أو التوابع، أو شبه الجملة من الظرف والجار والمجرور.

*** القلب لغة وإصطلاحًا:**

القلب لغة:

مِنْ قَلَبَ الشيءَ أي صَرَفَهُ وحوَّلَهُ عن وَجْهِهِ قال الزبيدي:"(قَلَبَه، يَقْلِبُهُ)، قَلْبًا،...: حَوَّلَهُ عن وَجْهِهِ... وقَلَبَهُ عن وَجْهِهِ: صَرَفَهُ... وقَلَبَ الثَّوْبَ، والحَدِيثَ، وكُلَّ شَيْءٍ: حَوَّلَهُ"[1]، "وقال بعضُهم: سُمّيَ القَلْبُ قَلبًا لِتَقَلُّبِهِ، وأَنشد:

مَا سُمِّيَ القَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ   والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإنسانِ أَطْوارا"[2].

واسم القلب يدلُّ على معناه اللغويّ من حيث كثرة تقلُّبِهِ وصرْفه وتحوله عن وَجْهٍ إلى وَجْهٍ.

القلب اصطلاحًا:

يُرادُ به ما في جوفِ الإنسانِ، ولكل رَجُلٍ قَلْبٌ واحدٌ لقوله تعالى:- ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[الأحزاب:٤]، وهذا القلبُ جِسْمٌ صَنَوبريّ الشكلِ مُودَعٌ في الجانب الأيسر من الصدر[3].

ويُجْمَعُ "قلب" على "قلوب" جمع تكسير من جموع الكثرة، على وزن فُعُول.

وفي بيانِ موضِعِ القلبِ في الجسمِ قال تعالى:- ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦]، ووصف القلوب بـ ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ؛ للتأكيد على أنها القلوب التي في الصدور حقيقة، ونفي توهُّمِ أنَّ التعبيرَ مجازي، وأوضحَ الرسولُ ﷺ أنَّ القلبَ قطعةُ لحمٍ محسوسة من الجسم

---

(١) الزَّبِيدِيّ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، تَاجُ العروسِ مِنْ جواهِرِ القاموس، تحقيق عبد الحميد قطامش، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) الكويت، باب الباء،(قلب)،٤/٦٨.

(٢) المرجع السابق،٤/٧٠.

- والبيت من(بحر البسيط) ذكره ابن منظور في لسان العرب(قلب)، ولم ينسبه لمعين، وقال: "قال بعضهم"، ومثله الزبيدي في(تاج العروس)، مادة قلب.

(٣) ينظر، الجرجاني، التعريفات، القاف مع اللام،١٥٠.

فقالﷺ:-"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ **مُضْغَةً** إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، **أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**"(١). فقد نُصّ على أنها(مُضْغَة) أي: قِطْعَة لحم، وليست شيئًا معنويًا، و"المُضْغَةُ: القِطْعةُ من اللحمِ قَدْرَ ما يُمْضَغُ، ولم ينضج"(٢).

وقد جاء في دعاء رسول الله ﷺ أدعيات تدل على تَصَرُّفِ القلوبِ وتَقَلُّبِهَا، وأَنَّ الله هو الذي يُصَرِّفُهَا، ويُقَلِّبُهَا، منها:

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما سمع رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ قلوبَ بني آدمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرحمنِ كقلبٍ واحدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ" ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: **"اللهمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"**(٣).

وحديث أم سلمة رضي الله عنها عندما سُئِلت عن أكثر دعائهﷺ إذا كان عندها قالتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ ﷺ:" **يَا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**". قالت: فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ: " **يَا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**"! قال: " يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ ليسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ؛ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، ومَنْ شَاءَ أَزَاغَ "(٤).

---

(١) البخاري،الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري،المسمى بـ «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، ط(١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، كتاب الإيمان: باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم(٥٢)،٣٤.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة(د.ت)، كتاب الميم،(مضغ)،٢/٦٠٧.

(٣) مسلم، الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم المُسَمَّى بـ « المسندُ الصحيحُ المختصرُ مِنَ السُّنَنِ بِنَقْلِ العَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ إِلى رسولِ اللهِ ﷺ » تحقيق، نظر محمد الفاريابي – الرياض، دار طيبة للنشر(١٤٢٦هـ)، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء/ حديث رقم(٢٦٥٤)، ١٢٢٥.

(٤) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي(ت٢٧٩هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، كتاب الدعوات، حديث رقم(٣٥٢٢)،٣/٤٤٧.

مدلول القلب في التراكيب القرآنية:

بناءً على ما سَبَقَ أرى أنه إذا أُطْلِق لفْظُ القلبِ ووُصِفَ بصفةٍ في القرآن الكريم فإنما يُراد به ما في الصدرِ لا يُصْرَفُ إلى معنى آخر إلا إذا وجِدَتْ قرينةٌ تمنعُ إرادةَ المعنى الأصلي فلا نجعله بمعنى العقل أو بمعنى الرُوح أو النفْس العاقلة أو غير ذلك على نحو ما ذَهَبَ الفَرّاءُ في قوله تعالى:- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[ق:٣٧]، حيث يقول:

" لِمَنْ كان له عَقْلٌ، قال: وجَائِزٌ في العربية أَنْ يقولَ: ما لكَ قَلْبٌ، وما قَلْبُكَ مَعَكَ، يقولُ: ما عَقْلُكَ معك. وأَيْنَ ذَهَبَ قَلْبُك؟ أَي: عَقْلُك"[1].

وذَهَبَ ابنُ قُتَيْبَةَ إلى أن القلبَ في الآية من مجاز القرآن بوضْع لفظ القلب موضع العقل؛ لوجود عَلاقة المحلية حيث إنَّ القلبَ موضعُ العقل فقال:" ومنه قوله:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: عقل؛ لأنَّ القلبَ موضعُ العقل، فكنى عنه به"[2].

ويرى الباحثُ أنَّ القلبَ في الآية على حقيقته وليس معناه العقل، وإنما القلب الذي يعقل مصداقًا لقوله تعالى:- ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾.

وتَعْرِضُ الدراسةُ الآراءَ التي صَرَفَتِ القلبَ عن معناه الأصلي في مواضعها، وموقف الدراسة منها عند تناول التراكيب التي وردَتْ فيها.

وتتم دراسة التراكيب التي ورد فيها ذِكْرِ القلب مرفوعًا أومنصوبًا أومجرورًا، وما يصاحب هذه الحالات الإعرابية من ظواهرَ تركيبيةٍ من خلال السياق القرآني.

---

(١) الْفَرّاءُ، أبو زكريا يحيي بن زياد الفرّاء(ت٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق، محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط٣(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)،٣/٨٠.

(٢) ابن قُتيبة، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ، شرحه ونشره، السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة- مصر، ط٢(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)،١٥٢.

الفصل الأول

المبحث الأول

تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا فِي الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الفصل الأول: " تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا ":

المبحث الأول: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا في الْجُمْلَةِ الاسمِيَّةِ

*الجملة الاسمية:

هي الجملة التي تتكون من ركنين أساسيين هما: المبتدأ والخبر، وقد تناولهما سيبويه في" باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يستغني واحدٌ منهما عن الآخر،...، فمن ذلك الاسمُ المبتدأ والمبنيُّ عليه – يعني الخبر –. وهو قولك: عبدُ اللهِ أخوك: وهذا أخوك"(١).

والمبتدأ" كُلُّ اسمٍ عُرِّيَ مِنَ العواملِ اللفظيةِ لفظًا أو تقديرًا"(٢)، لفظًا نحو:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[الفتح:٢٩]، وتقديرًا نحو:﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٨٤]، والتقدير: صيامُكم خيرٌ لكم.

وذَكَرَ المُبَرِّدُ أنَّ المبتدأ معروفٌ للسامع، والفائدة للسامع في أنْ تفيدَه الخبرَ الذي يجهله؛ فيصح معنى الكلام، كقولك: زيدٌ منطلقٌ، فلفظة(زيدٌ) لا تفيد شيئًا حتى تقرنها بالخبر؛ فيَحْدُث معنى ويستغني الكلام، وكذلك الفعل وما يُقرَنُ به، وهو يَذكر أهمِيَّةَ الاقتران بين المسند والمسند إليه، ويدخل فيه الترابط بين ركني الجملة الاسميَّة، المبتدأ والخبر، وسمى الباب " باب المُسْنَدِ والمُسْنَدِ إليه وهما مِمَّا لا يستغني كُلُّ واحدٍ مِنْ صاحبِهِ"(٣).
وأصل المبتدأ أن يكون معرفة؛ لأنَّه مُخْبَرٌ عنه، والإخبار عمَّا لا يُعْرَف لا فائدة منه(٤).

---

(١) سيبويه، الكتاب،١/٢٣.

(٢) ابن الأنباري، منثور الفوائد،٢٩.

(٣) المُبَرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،(ت٢٨٥هـ)، المُقْتَضَب، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام، قليوب، مصر، ط٣(١٤١٥هـ-١٩٩٤م)،٤/١٢٦.

(٤) ينظر، ابن الأنباري، أسرار العربية، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م)،٥٦.

وأصل الخبر أنْ يكون نكرة، وإذا اجتمعَ نكرةٌ ومعرفةٌ فأحسنه أنْ يبتدئَ المتكلِّمُ بالأعْرَفِ، وهو أصل الكلام، وقد يكون المبتدأُ نكرةً بشرط أنْ تفيد.

وَرَدَ القلبُ مرفوعًا في الجملة الاسمية في(ثَلاثَةَ عَشَرَ) موضعًا موزعة على:

١- تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا في الْجُمْلَةِ الاسميَّةِ المُجَرَّدَةِ في(١١) موضعًا.

٢- تراكيب ذِكْرِ القلب مرفوعًا في الْجُمْلَةِ الاسميَّةِ الْمَنْسُوخَةِ في(٢) موضعين.

أولا: " تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا فِي الْجُمْلَةِ الاسميَّةِ المُجَرَّدَةِ "صنفت إلى(خمسة) أنماطٍ:

النمط الأول: [مبتدأ "نكرة " + ظرف+ صفة+ خبر "جملة اسمية"]:

وَرَدَ متضمنًا صفتي(الوجف وخشوع البصر) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾[النازعات:٨، ٩]

قال الأصفهاني:"الوَجِيفُ: سُرْعَةُ السَّيْرِ،...قال:﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي مُضْطَرِبَةٌ كقولِكَ طائرةٌ وخافِقَةٌ، ونحو ذلكَ مِن الاستعاراتِ لها"(١).

وَرَدَتِ الْجُمْلَةُ الاسميةُ:﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ لا محلّ لها استئنافية بيانيّة، ﴿قُلُوبٌ﴾ مبتدأ نكرة؛ للتكثير مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وسوّغ الابتداء بالنكرة أنها خُصِّصَتْ بالوصف ﴿وَاجِفَةٌ﴾(٢). فقاربَتِ المعرفةَ بتخصيصها حيث صار فيها فائدة(٣)، وقال أبو حيان:"(ولا يُبتدأُ بنكرةٍ إلّا وفيها عموم أو خصوص) نحو: " كُلٌّ يموتُ. ورجلٌ في الدارِ قائمٌ"(٤). و﴿وَاجِفَةٌ﴾ اسم فاعل من

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الواو،(وجف)،٦٦٧/٢.

(٢) ينظر، الجوجري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي(ت٨٨٩هـ)، شرح شُذور الذهب، تحقيق، د نوَّاف بن جزاء الحارثي، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) المدينة المنورة، القسم الثاني، ٣٥٩.
- والسمين الحلبي،أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)، الدُّرُّ الْمَصُونُ في علومِ الكتابِ المَكْنُونِ، تحقيق، د. أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق(١٤٠٦هـ)،٦٦٩/١٠.

(٣) ينظر، المُبَرِّدُ، المُقْتَضَبُ،١٢٧/٤.

(٤) أبو حيان، محمد بن يوسف علي بن أثير الدين أبو حيان النحويّ الأندلسيُّ الغرناطيّ(ت٧٤٥هـ)، النُّكَتُ الحِسَانُ في شَرْحِ غَايَةِ الإحسانِ، تحقيق، د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)،٥٨.

الثلاثيّ(وجف)، وعبّر به دون الصفة المشبهة(وَجِفَة) التي تدل على ثبات الصفة؛ للدلالة على حدوث اتصاف القلوب بالوجف في الاستقبال يوم القيامة، والصفة المشبهة لا تعمل بمعنى الاستقبال[1]، والجملة الاسمية﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ﴿قُلُوبٌ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف أُضيفَ إلى مثله ﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة متعلق بـ ﴿تَرْجُفُ﴾، وهو مضاف، و﴿إِذٍ﴾ ظرف مبني على السكون حُرّكَ بالكسر؛ منعًا لالتقاء الساكنين؛ سكون الظرف﴿إذْ﴾، وسكون التنوين، والتنوين عِوض عن جملة محذوفة في محل جر بإضافة الظرف إليها، والتقدير: يومئذْ ترجف الراجفة أبصارها خاشعة، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفة لـ﴿قُلُوبٌ﴾، و﴿أَبْصَٰرُهَا﴾ مبتدأ ثان مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، و﴿الهاء﴾ ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة يعود إلى﴿قُلُوبٌ﴾ أفادَ رَبْط جملة الخبر بالمبتدأ، وأُضيفت الأبصارُ إلى الضمير العائد إلى القلوب، و﴿خَٰشِعَةٌ﴾خبره مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجملة الاسمية﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ الأول﴿قُلُوبٌ﴾ .

<u>النمط الثاني: [مبتدأ "مركب إضافي" + خبر "مفرد"]:</u>

وَرَدَ في(ستةِ) مواضعَ:

<u>ورد متضمنًا صفة(الغلف) في موضعين:</u>

أولهما: قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ <u>قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ</u> بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[البقرة:٨٨].

قال الأصفهاني:"﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[البقرة:٨٨]، قيلَ: هو جَمْعُ أَغْلَفَ، كقولهم: سَيْفٌ أَغْلَفُ. أي: هو في غلافٍ، ويكون ذلك كقوله:﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾[فصلت:٥]،... وقيل: معناه قُلُوبُنَا أَوْعِيَةٌ لِلْعِلْمِ. وقيل: معناه قُلوبُنَا مُغَطَّاةٌ،...، وغَلَّفْتُ السيفَ، والقارورةَ، والرَّحْلَ، والسَّرْجَ: جَعَلْتُ لَهَا غِلافًا"[2].

(١) الخوارزمي، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي(ت٦١٧هـ)، شَرْحُ الْمُفَصَّلِ فِي صَنْعَةِ الإِعْرَابِ المَوسُوم بـالتخمير، تحقيق، د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكة المكرمة- جامعة أم القرى، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٢هـ-١٩٩٠م)،٣/١١٥، ١١٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الغين،(غلف)،٢/٤٧٢.

وقَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: "﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمْع أَغْلف، أي: كَأَنَّهَا في غِلافٍ لا تَفْهَمُ عنك، ولا تَعْقِلُ شيئًا مِمَّا تَقُولُ. وهو مِثْل قوله: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾. يقال: غَلَّفْتُ السَّيْفَ: إذا جَعَلْتَهُ في غلافٍ، فهو سَيْفٌ أَغْلَفُ"[1].

ويُفْهَمُ مِنْ كلامِ ابن قُتَيْبَةَ أَنَّهُ مِنْ باب تشبيه القلوب بالسيوف التي في غلاف وغطاء، وهو ما ذَهَبَ إليه أبو عبيدة في مجازه[2].

جاء قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مِنْ قول اليهود الذين استكبروا وكَذَّبوا؛ بيانًا لسبب عدم إيمانهم، وفيه فِعْلُ القول﴿قَالُوا﴾ فعل ماض مبني على الضم؛ لاتصاله بضمير الرفع المتصل﴿واو﴾ الجماعة، وإسناد فِعْل القول المتعدي لمفعولٍ واحدٍ إلى فاعله﴿واو﴾ الجماعة العائد إلى اليهود دَلَّ علَى اتصاف اليهود بقولهم:﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ في الزمنِ الماضي، وجملة ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ اسمية في محل نصْب مقول القول، المبتدأ﴿قُلُوبُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة وهو(مضاف)، اكتسبَ التعريفَ مِنَ (المضاف إليه) ضمير الرفع المتصل﴿نَا﴾ العائد إلى اليهود، وأُسند الخبر المفرد المرفوع، وعلامة رفعه الضمة﴿غُلْفٌ﴾ إلى المبتدأ؛ وهو جمع أغلف صفة مشبّهة مِنْ فَعِلَ غَلِفَ يغلف باب فَرِح، وزنه أفعل والجمع فُعْل بضمٍ فسكون إسنادًا أفادَ أَنَّ قلوبَهم محفوظةٌ حِفْظًا شديدًا كالوعاءِ الحافظِ للشيء إذا جُعلَ له غلاف يستره ويحفظه مِنْ دخولِ ما يكره إليه، ودلَّ هذا القولُ من اليهود على استكبارِهم وكَذِبِهم؛ وتهكمهم ممَّا يدعوهم إليه رسولُ اللهِ ﷺ، وقَطْع طمعه في إسلامهم، وجاء التعبير بالجملة الاسمية؛ للدلالة على ثبات هذه الصفة فيهم[3] فجاء الإضراب الإبطالي عن قولهم بـ﴿بَلْ﴾، وأَعْلَمَ اللهُ ﷻ رسولَهُ ﷺ بكذب قولهم، وأن الحقيقة﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ عبّر بالفعل الماضي﴿لَعَنَ﴾ فأفاد الدلالة على تحقق اللعن والإبعاد لليهود المذكورين المُعبَّر عنهم بالضمير المتصل﴿هُمُ﴾المقدَّم على فاعل اللعن لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾؛ لإفادة التوكيد وتخصيصهم باللعن،﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الجار والمجرور المتعلق بالفعل﴿لَعَنَ﴾،

---

(١) ابن قُتَيْبَةَ، تفسير غريب القرآن،٥٧.

(٢) ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن،٤٦/١، ١٨٨.

(٣) الخوارزمي، التخمير،١١٥/٣.

والذي ربطت فيه﴿الباء﴾ الجارة بين الفعل﴿لَعَنَ﴾ ومجرورها المركَّب الإضافي﴿كُفْرِهِمْ﴾، وأفادت السببية، فبسبب كفرهم تحقَّقَ لعنُهم، فترتَّبَ على ذلك وأعقبه﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، وذَكَرَ الجَمَلُ في حاشيته على الجلالين أنَّ:﴿قَلِيلًا﴾ تحتمل أنْ تكونَ منصوبة على أنها نعت لمصدر محذوف،أي: فيؤمنون إيمانًا قليلًا، وتحتمل أنْ تكونَ منصوبة على أنها صفة لزمانٍ محذوف، أي: فزمانًا قليلًا ما يؤمنون[1]، وجعلها على حَدِّ قوله:﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[آل عمران:٧٢]. ويرى الباحثُ أنَّ﴿قَلِيلًا﴾ نكرة مؤكدة بـ﴿مَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفيد العموم والشمول لقلة زمان إيمانهم، وقلة المؤمنين منهم كعَبْدُ اللهِ بن سَلَامٍ ﷺ في الحال والاستقبال.

والآخر: قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾[النساء:١٥٥].

جَاءَتْ جملةُ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ اسمية في محل نصب مقول القول للمصدر﴿قَوْلِهِمْ﴾ المضاف إلى معموله ضمير الغائبين المتصل﴿هِمْ﴾ العائد إلى اليهود، وجاءَ التعبيرُ بالمصدرِ؛ للدلالةِ على ثباتِهم علَى هذا القول معطوفًا بـ﴿الواو﴾التي أفادَتِ الجمعَ والمشاركةَ بين أربعة أشياء كانت سببًا في لَعْنِ اليهود هي: نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ، وكُفْرِهِمْ بِأَيَاتِ اللهِ، وقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ، وجملة﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مِنْ قول اليهود الذين استكبروا وكَذَّبوا؛ بيانًا منهم لسبب عدم إيمانهم، وهو أنَّ قلوبَهم لا تَعِي شيئًا. فجاء حرف العطف﴿بَلْ﴾ للإضراب[2] عن قولهم الأول، وإبطاله، وإظهار كذبهم، والأخذ في إثبات الثاني وهو جملة ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ الفعلية، وفيها الفعل﴿طَبَعَ﴾ فعل ماضٍ مبني على الفتح أُسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ فأفادَ الدلالة على شدة الطبع وتمكُّنه من قلوبهم؛ ليتناسب مع شدة كفرهم، وبشاعة أفعالهم المذكورة في الآية، وأنَّ هذا الطبعَ هو السبب في منْعِ نفاذِ الإيمان إلى قلوبهم، وتعدَّى الفعل بحرف

---

(١) ينظر، الجَمَلُ،الشيخ سليمان الجَمَلُ، حاشية الجَمَلِ المسماة، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، المطبعة العامرة الشرقية بمصر المحمية، ط(١٣٠٢هـ)،٨٢/١.

(٢) ينظر، ابن الناظم، أبو عبد الله بدر محمد ابن الإمام جمال الدين بن مالك(ت٦٨٦هـ)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)،٣٨٣.

الجر ﴿عَلَى﴾ فأفادَ استعلاءَ الطَّبْعِ وبَعده الضمير المتصل ﴿هَا﴾ إحالة بالضمير العائد إلى قلوبهم أفادت في تماسك الآية القرآنية، وهو في محلّ جرّ، والجار والمجرور ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلّق بالفعل ﴿طَبَعَ﴾، و﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ جارّ ومجرور متعلّق بـ﴿طَبَعَ﴾ أفادَتِ الباءُ السببيةَ فكفرهم بآيات الله هو سببُ طَبْعِ اللهِ عليها، و﴿هِمْ﴾ ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، وفي قوله:﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الفاء﴾عاطفة؛ لرَبْطِ المُسَبِّبِ بالسَّبَبِ، و﴿لَا﴾ نافية﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة أُسندَ إلى فاعله ﴿واو﴾ الجماعة العائد إلى اليهود فأفادَ أنَّ نَفْيَ الإيمان عنهم في الحال والاستقبال مُسَبَّبٌ عن كفرهم﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا إيمانًا قليلًا، أو إلا زمانًا قليلًا.

<u>وورَدَ مُتَضَمِّنًا صفةَ(الإنكار) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾[النحل:٢٢].

قالَ الأصفهاني:" الإنكارُ ضِدُّ العِرْفَانِ. يُقالُ: أَنْكَرْتُ كذا، ونَكَرْتُ، وأَصْلُهُ أَنْ يَرِدَ علَى القلبِ مَا لا يَتَصَوَّرُهُ، وذلك ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ... وقد يُستعمَلُ ذلك فيما يُنْكَرُ باللسانِ، وسببُ الإنكارِ باللسانِ هو الإنكارُ بالقلبِ لكن رُبَّمَا يُنْكِرُ اللسانُ الشيءَ وصورتُهُ في القلبِ حَاصِلَةٌ، ويكون في ذلك كاذبًا. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾"(١)[النحل:٨٣].

وَرَدَ قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ في حق المشركين الذين يجحدون بالآخرة فيه:﴿الفاء﴾استئنافية، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ جملة فعلية فعلها مضارع منفي أفادَ اشتهارَ هؤلاء المشركين باستمرارهم في نَفْيِ الإيمان بالآخرة، وهي صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جملة اسمية في محل رفع خبر﴿الَّذِينَ﴾، وبناءُ الحُكْمِ المذكورِ على الموصول للإشعار بكونه مُعَلَّلًا بما في حيّزِ الصلة، فإنَّ الكفرَ بالآخرةِ كان السبب في الإنكار والاستكبار، و﴿قُلُوبُ﴾ مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف، و﴿هُم﴾ ضمير الغائبين العائد إلى الذين لا يؤمنون باليوم الآخر في محل جر

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب النون،(نكر)، ٢/٦٥٣، ٦٥٤.

مضاف إليه، و﴿مُّنكِرَةٞ﴾ خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وهو اسم فاعل من الرباعي(أَنْكَرَ) حُذِفَ معموله؛ لدلالة المقام عليه، أي: منكرة الوحدانية واليوم الآخر.

وعُبِّرَ بالجملةِ الاسميةِ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ﴾؛ للدلالةِ على دوامِ وثباتِ(١) إنكارِ قلوبِهم، وتمكّن الإنكار منها حتى صارَ لها سَجِيَّةً وطَبْعًا.

ووَرَدَ مُتضمنًا صفة(الوجل) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾[المؤمنون:٦٠]

جاءت جملة﴿وَقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾الاسمية في محل نصب حال مِنْ﴿واو﴾ الجماعة فاعل﴿ءَاتَواْ﴾ يبيّنُ هيئةَ المؤمنين عندما﴿يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ جملة صلة الموصول التي أزالت إبهام الاسم الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾، وعيَّنَتْ مدلوله، ووضَّحَتْ معناه وهي جملة فعلية لا محل لها من الإعراب، وفيها المفعول به ﴿مَآ﴾ الاسم الموصول المشترك لغير العاقل أفادَ العمومَ والشمولَ لكلِّ ما يُؤتى قليلًا أو كثيرًا، وجملة﴿ءَاتَواْ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول﴿مَآ﴾،﴿الواو﴾ واو الحال، و﴿قُلُوبُ﴾مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو مضاف اكتسبَ التعريفَ مِن المضاف إليه ضمير الغائبين﴿هُمۡ﴾ المبني على السكون في محل جر، و﴿وَجِلَةٌ﴾ خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو صفةٌ مُشَبَّهَةٌ على وزن(فَعِلَة) مؤنث (وَجِل) من(وَجِل) (يوجل) باب(فَرِحَ) أفادتْ ثباتَ صفة(٢)وجل قلوب المؤمنين المذكورين حالة إتيانهم ما آتوا، وجاء المصدرُ المؤوّلُ المؤكد بـ ﴿أَنَّ﴾ ﴿أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ متعلّق بـ﴿وَجِلَةٌ﴾ في محلّ جرّ بحرفِ جرٍّ محذوفٍ أي:لأنهم أو بأنهم، أفادَ التعليلَ، أو بيان سبب ثبات الوجل واستقراره في قلوبهم.

وورد متضمنًا صفة(الشتات) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾[الحشر:١٤]

---

(١) ينظر، الخوارزمي، التخمير،١/٢٦٦.

(٢) الحَمَلَاوِيّ، أحمد بن محمد بن أحمد الحَمَلَاوِيّ(ت١٣٥١هـ)، شَذَا العَرْفِ فِي فَنِّ الصَّرْفِ، قدم له، د. محمد بن عبد المعطي، دار الكيان– الرياض، ط(١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)،١٢٤.

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾أي: متفرّقةٌ غيرُ مُجْتَمِعَةٍ عَلَى أَمْرٍ،... وقيل معناه: مَذاهِبُهم مُتَفَرِّقَةٌ، وأديانُهم مُتَفَرِّقَةٌ[1].

قال الأصفهاني:" الشَّتُّ: تفريقُ الشَّعْبِ، يقال: شَتَّ جَمْعُهم شتًّا وشتاتًا، وجَاءُوا أشتاتًا، أي: متفرقي النِّظَامِ، قال:﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾[الزلزلة:٦]، وقال:﴿مِن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[طه:٥٣]،أي: مختلفة الأنواع،﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[الحشر:١٤]،أي:هم بخلاف مَنْ وصفَهم بقوله:﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣]"[2]. وقد جَعَلَ أبو حيان شتاتَ القلوبِ بمنزلة الأهواء المتفرقة فقال:"﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: أي وأهواؤُهم متفرقةٌ ... لا تستقرُ أهواؤُهم على شيءٍ واحدٍ، وموجبُ ذلك الشتات هو انتفاءُ عقولِهم، فهم كالبهائمِ لا تَتَّفِقُ على حالةٍ"[3].

يُلحظ أنه لما كانت القلوبُ محلَّ المشاعر والأهواء فقد جَعَلَ أبو حيان﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ بمنزلة الأهواء المتفرقة التي لا تتفق على حالةٍ واحدةٍ، وجَعَلَ موجب شتات قلوبهم انتفاء عقولهم، حتى وإنْ كانت عقولهم معهم؛ لأنه لمَّا انتفى تعقلُهم صارت عقولُهم كأنْ لم تكن.

وقد جاءت جملة﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾الاسمية في محل نصب حال أفاد بيان هيئة اليهود[4]، فيها ﴿الواو﴾ حالية، و﴿قُلُوبُ﴾ مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف، و﴿هُمْ﴾ ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه يعود إلى اليهود، و﴿شَتَّىٰ﴾ جمع "شتيت" بوزن فَعْلَى، مثل: قَتِيل وقَتْلَى أي: متفرقة مختلفة، فهو تشبيه لقلوبهم بالجماعات المتفرقة في جهات في عدم تلاقيها في مكان واحد وإن اجتمعت أجسادُهم، و﴿شَتَّىٰ﴾ خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف؛ للتعذر أي: متفرقة

---

(١) ينظر، السمين الحلبي، أبو العباس،شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)،عُمْدَةُ الحُفَّاظِ في تفسيرِ أشرفِ الألفاظِ مُعجمٌ لُغويٌّ لألفاظِ القرآنِ الكريمِ، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٦م)،(ش ت ت)،٢/٢٥١.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الشين،(شتت)،١/٣٣٦، ٣٣٧.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)،٨/٢٤٨.

(٤) الخوارزمي، التخمير،١/٤٢٤.

وهي جَمْعُ "شتيت" بمعنى: وحالهم أنَّ قلوبَهم متفرقةٌ لا أُلْفَةَ بينها[1]، وجملة﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ تعليليّة أبانتْ سببَ شتاتِ قلوبِ اليهودِ لا محلّ لها من الإعراب﴿ذَٰلِكَ﴾إشارة إلى ما ذُكِر من أنَّ اليهود ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، و(ذَا) اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و(اللام) للبُعد، و(الكاف) للخطاب،﴿بِأَنَّهُمْ﴾الباء حرف جر يفيد السببية[2]، وضمير الغائبين﴿هُمْ﴾ العائد إلى اليهود في محل نصب اسم﴿أَنَّ﴾، و﴿قَوْمٌ﴾ خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة جاء نكرة؛ لإفادة العموم والشمول لكل أَحَدٍ من اليهود، موصوفًا بالجملة الفعلية المنفية﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾، والجُمل نكرات؛ لخلوها عن التعريف قال جار الله:" ولا يُوصَفُ بالجُمَلِ إلا النَّكِراتِ"[3]، والموصوف﴿قَوْمٌ﴾ نكرة وُصِفَت بجملة فعلية منفية فعلها مضارع﴿لايَعْقِلُونَ﴾ صفة أفادت تخصيص اليهود بأنَّ مِنْ مقومات قوميتهم عدم التعقل في الحال والاستقبال.

<u>وورد متضمنًا صفة(الطمأنينة) في موضع واحد هو:</u>

قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ <u>وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ</u> وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النحل:١٠٦]

جاءت جملة﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ اسمية في محل نصب حال؛ لبيان هيئة المستثنى﴿مَنْ أُكْرِهَ ﴾ على قول كلمة الكُفْرِ باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان، قيل نزلت في عَمَّار بن ياسر ﷺ بعدما قَتَلَ الكفارُ أُمَّه سُميَّةَ وأباه ياسرا ﷺ وإكراههم عَمَّارًا على الكفر بمحمد ﷺ بلسانِهِ، وقلبه كاره، فأخبرَ النبي ﷺ بأن عَمَّارًا كفر قال: كَلَّا إنَّ عمَّارا مُلِيء إيمانًا مِنْ قَرْنِه إلى قدمِهِ، واقترنَ الإيمانُ بلَحْمِهِ ودَمِهِ، فأتى عَمَّارٌ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ ما وراءك؟ قال: شر يا رسولَ اللهِ نِلْتُ منك وذَكَرْتُ فقال: كيف وجدْتَ قلبَكَ؟ قال: مطمئن بالإيمان، فجعلَ النبيُّ ﷺ يمسح عينيه، وقال: إنْ عادوا لك فَقُلْ لهم ما قلت فنزلت

---

(١) ينظر، الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي،(ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٤(١٤٠٥هـ-١٩٨٣م)،٥٨/٢٨.

(٢) المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،٣٩.

(٣) الخوارزمي، التخمير،٩٣/٢.

هذه الآية(١)، وفيها﴿الواو﴾حالية، و﴿قَلْبُهُۥ﴾ مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و(الهاء) ضمير مبني في محل جر مضاف إليه، و﴿مُطْمَئِنٌّ﴾ خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و﴿بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُطْمَئِنٌّ﴾ اسم الفاعل من (اطمأنّ) الخماسيّ، وزنه (مُفعلِلّ) بضمّ الميم وكسر اللام الأولى، وأفادَ التعبيرُ بالحال الجملة الاسمية الدلالةَ على الدوامِ وثباتِ اتصافِ القلبِ بالطمأنينةِ دون تحديد زمان تلك الطمأنينة أو الحديث عن تجددها كما سبق في قوله:﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد:٢٨] وما أشبهها؛ لأنَّ أصلَ الإيمان ثابتٌ في قلب المؤمن لا يتغيرُ بالإكراه، ولا يتجدد.

النمط الثالث: [مبتدأ "مركب إضافي" + خبر"شبة جملة"]: ورد في موضعين:

أولهما: ورد متضمنًا صفة(الأكنة) في موضع واحد هو:

قوله تعالى:﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ...﴾[فصلت:٥]

قال الأصفهاني:"الكِنُّ: ما يُحْفَظُ فيه الشيءُ، ويقال: كَنَنْتُ الشيءَ كَنًّا جَعَلْتُهُ في كِنٍّ، وخُصَّ كَنَنْتُ بِمَا يُسْتَرُ بِبَيْتٍ أو ثَوبٍ وغيرِ ذلكَ مِنَ الأجسامِ،... وأَكْنَنْتُ بمَا يُسْتَرُ في النَّفْسِ،... والكِنَانُ الغِطَاءُ الذي يَكُنُّ فيه الشيءُ،.... قال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[الأنعام:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾[فصلت:٥] قيل: معناه في غِطَاءٍ عن تَفَهُّمِ ما تورِدُهُ علينا"(٢).

وقال الشريف الرضي: " قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ وهذه استعارة والأكنَّة جمع كِنَان وهو الستر والغطاء، مثل: عِنَان وأَعِنَّة وسِنَان وأَسِنَّة، وليس هناك على الحقيقة شيءٌ مما أشاروا إليه، وإنما أخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على استثقالهم ما يسمعونه من قوارع القرآن، وبواقع البيان، فكأنهم مِنْ قوة الزهادة فيه، وشدة الكراهية له قد وَقَرَتْ أسماعُهم عن فَهْمِهِ، وأكنَّتْ قلوبُهم دون عِلْمِهِ، وذلك معروفٌ في عادة الناس أنْ يقول القائل منهم لمن يشنأ كلامه، ويستثقل خطابه ما أسمع قولك، ولا أعي لفظك، وإنْ كان صحيحَ حاسةِ السمع إلا أنه حمل الكلام على الاستثقال والمقت، وعلى هذا قول الشاعر:

---

(١) حاشية الجَمَلِ على الجلالين،٢/٦٢٨، ٦٢٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الكاف،(كن)، ٢/٥٦٩.

وَكَلَامِ سَيِّءٍ قَدْ وَقِرَتْ أُذُنِي عَنْهُ ومَا بِي مِنْ صَمَمْ"(١).

جاءت جملة﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾اسمية في محل نصب مقول القول، وهي مِن قول مَنْ يدعوهم رسولُ الله ﷺ إلى التوحيد،﴿قُلُوبُنَا﴾ مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، و﴿نا﴾ ضمير مبني على السكون في محل جر بالإضافة، و﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ المحذوف أفادت﴿فِيٓ﴾ الظرفية المكانية(٢) أي: في أغطية بمثابة حاجز عن تَفَهُّمِ ما تورِدُهُ علينا وهو تمثيل لنُبُوِّ قلوبهم عما يدعوهم النبي ﷺ إليه من التوحيد وقبوله، وجاء قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[الأنعام:٢٥]، وقوله:﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[الكهف:٥٧] باستعمال حرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ الذي أفاد استعلاء(٣) هذه الأكنة على المجرور﴿قُلُوبِهِمْ﴾ دون إحاطتها، وبيان أنَّ اللهَ ﷻ هو الذي جَعَلَ هذه الأكنة على قلوبهم.

ويرى الباحثُ أنَّ استعمالَ حرف الجر﴿فِيٓ﴾هنا، و﴿عَلَىٰ﴾ فى آية الكهف؛ لاختلاف القائل؛ فهنا القائل المشركون﴿قَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ قَصْدًا منهم إلى المبالغة فى عدم القبول فقالوا:﴿فِيٓ﴾؛ لأن الأكنة إذا احتوت علي قلوبهم احتواء الظرف على المظروف لا يمكن أنْ يصلَ إليها شيءٌ وليست تلك المبالغة فى ﴿عَلَىٰ﴾، والقائل:﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ في الكهف هو الله ﷻ والسياق فى الكهف للعظمة فيناسبه حرف الاستعلاء﴿عَلَىٰ﴾.

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن حسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم وكنيته أبو الحسن الشهير بالشريف الرضي(ت٤٠٤هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق، د.علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت- لبنان،(١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)،٢٦٩. - والبيت من(بحر الرمل)، للمُثَقِّب العبديّ(ت٥٨٧م) وهو العائذ بن مِحْصِنُ بن ثَعْلَبَةَ، من بني عبد القيس، من ربيعة، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، في شِعره حِكمة ورقة، ينظر، ابن قتيبة الدينوري(٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق، أحمد محمد شاكر، دار المعارف- القاهرة، ط٢(١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م)،(٦٠) المثقِّب العبدي،٣٩٥/١.

(٢) ينظر، الجوجري، شرح شذور الذهب،٥٥٢/٢.

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، مُغْنِي اللَّبيبِ عَنْ كُتُبِ الأَعَارِيبِ، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ط(١٤١١هـ - ١٩٩١م)،١٦٣/١.

والآخر: وَرَدَ متضمنًا صفة(الغمرة) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾[المؤمنون:٦٣]

قال ابن قُتيبة: " ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ أي: في غِطَاءٍ وغَفْلَةٍ"(١)، وقال الأصفهاني: " أَصْلُ الغَمْرِ: إزالةُ أثرِ الشيءِ، ومنه قيل للماءِ الكثيرِ الذي يُزِيلُ أَثَرَ سَيْلِهِ؛ غَمْرٌ وغامِرٌ،... والغَمْرَةُ: مُعْظَمُ الماءِ السَاترةُ لمَقَرِّهَا، وجُعِلَ مَثَلًا للجهالةِ التي تَغْمُرُ صاحبَهَا، وإلى نحوه أشار بقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾[يس:٩]، ونحو ذلك من الألفاظ قال:﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾[المؤمنون:٥٤]"(٢).

وقال الشريف الرضي: "وقوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ وهذه استعارة والمراد بها أن القوم الذين قال الله تعالى فيهم أمام هذه الآية :﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾[المؤمنون:٥٤] هم الموصوفون بقوله تعالى:﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: في حيرة تغمرها، وغمة تسترها، والغمر جمع غمرة، وهي ما وَقَعَ الإنسانُ فيه مِنْ أَمْرٍ مُذْهِلٍ وخَطْبٍ مدله ومشبهة بغمرات الماء التي تغمر الواقع فيها وتأخذ بكظم المغمور بها"(٣).

وقال السمين الحلبي:" الغمرة: مُعْظَمُ الماءِ، ثم استعيرَتْ للجهلِ. ومنه قوله تعالى:﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾[المؤمنون:٥٤]أي: جهلهم. وقيل: في حَيْرَتِهم. وقيل: في عَمَايَتِهم، وكلُّها متقاربةٌ. قولُه: ﴿قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: في غطاءٍ وغفلةٍ. ورجلٌ غَمْرٌ، أي: جاهلٌ، كأنَّ عقلَه غُمِرَ بالجهلِ"(٤).

﴿بَلْ﴾ حرف استدراك مبني على السكون، يفيد الإضراب عَمَّا قبله ورجوع إلى بيان حال المشركين، ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعة الضمة الظاهرة، وهو مضاف، وضمير الغائبين﴿هُمْ﴾ العائد إلى المشركين في محل جر مضاف إليه،﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ﴿قُلُوبُهُمْ﴾أفاد حرف الجر﴿فِي﴾ الظرفية المكانية التي تدل على إحاطة الغمرة بقلوبهم،﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ الإشارة بهذا إلى القرآن

---

(١) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٢٩٨.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الغين،(غمر)، ٤٧٣/٢.

(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،١٩٨.

(٤) السمين الحلبي، عُمدة الحفاظ،(غ م ر)،١٧٣/٣.

الكريم، والجار والمجرور متعلقٌ بمحذوفٍ نعت لـ ﴿غَمْرَةٍ﴾، والجملة الاسمية﴿قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾ لا محل لها من الإعراب استئنافية، أفاد التعبير بالجملة الاسمية دوام واستمرار غفلة وجهالة قلوبهم من هذا الذي بيّنَ في القرآن مِنْ أنَّ لديه تعالى كتابًا ينطق بالحق، ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها(١).

النمط الرابع: [مبتدأ "معرَّف بـ (أل)" + خبر"شبة جملة"]:

وَرَدَ متضمنًا صفة(الكظم) المعبِّر عن الفزع الشديد يوم القيامة في موضع واحد هو:

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ .....﴾[غافر:١٨]

جَعَلَ الشيخ ابن عبد السلام(الكَظْم) مِنْ مجاز تشبيه المعاني بالمعاني؛ فقال:" الكَظْمُ وحقيقته أنْ يُملأ السقاء ماء ثم يشد على فمه بكظامة،... قوله تعالى: ﴿ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾ شبَّه تعذر شكواهم لما نَزَلَ بهم بشدِّ ما يشد على فم السقاء؛ فيمتنع الماء من الخروج والظهور، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني"(٢).

وجَعَلَ البغويُّ الآيةَ على حقيقتها فقال:" ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصيرَ إلى الحناجر، فلا هي تعودُ إلى أماكنها، ولا هي تخرجُ مِنْ أفواههم فيموتوا ويستريحوا،﴿كَـٰظِمِينَ﴾ مكروبين ممتلئين خوفًا وحزنًا، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به"(٣).

ويميل الباحثُ إلى رأي البغويّ من كون الكلام على حقيقته؛ للتعبير عن شدة الخوف والفزع من أهوال يوم القيامة.

---

(١) ينظر، الألوسي، روح المعاني،١٨/٤٦، ٤٧.

(٢) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٦٣، ١٦٤.

(٣) البَغَوِيّ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٦هـ)، تفسير البغوي"معالم التنزيل"، تحقيق، محمد عبد الله النمر- وعثمان جمعة ضميرية- وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤(١٤١٧هـ-١٩٩٧م)،٧/١٤٤.

الظرف(إذْ): ظرف زمان دال على الزمن الماضي[1]، وتلزم(إذْ) الإضافة إلى جملة إمّا اسمية أو فعلية فعلها ماضٍ لفظًا ومعنًى نحو قوله تعالى:﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[البقرة:١٢٥]، أو فعلية فعلها ماضٍ معنًى لا لفظًا[2] نحو قوله تعالى:﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[الأنفال:٤٩] والمعنى:إذ قالوا[3]، وقد ترد(إذْ) مضافة إلى جملة دالة على المستقبل فعلية فعلها مضارع، نحو: قوله تعالى:﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[البقرة:١٦٥]،أو اسمية، نحو: قوله تعالى:﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾[غافر:٧١] ، وقد اجتمع في قوله تعالى:﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠] إضافة ﴿إِذْ﴾ إلى جملة فعلية فعلها ماض ﴿أَخْرَجَهُ﴾، وإضافتها إلى جملة اسمية﴿هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾، وإلى جملة فعلية فعلها مضارع﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾[4]، وقد وردت(إذْ) مضافة إلى جملة اسمية دالة على الاستقبال: في قوله تعالى:﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾[غافر:١٨].

جاءت جملة﴿ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ اسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذِ﴾ إليها وهو ظرف زمان مبني على السكون الذي حُرِّكَ بالكسر؛ منعًا لالتقاء الساكنين، و﴿إِذِ﴾ ظرف زمان للزمن الماضي متعلق بالفعل﴿أَنذِرْ﴾أو بدل من﴿يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾، و﴿ٱلْأَزِفَةِ﴾ من أَزِفَ الأمرُ أي: قَرُبَ، وهو نعت لمنعوت محذوف، والتقدير: يوم القيامة الأزفة. وعبّر عن ﴿يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾ وهو من الأمور المستقبَلة بلفظ المضي﴿إِذِ﴾؛ لتحقق وقوع الأمر، فالأمور المستقبلة لما كانت في إخبار الله تعالى مُتيقَّنَةً مَقطوعًا بها عُبِّرَ عنها بلفظ الماضي[5]، واستحضارا لصورته، والدلالة على قُرْبِ وقوعه، واستعمال﴿إِذِ﴾ في هذا

---

(١) ينظر، المُبَرِّدُ، المُقْتَضَبُ،٢/٥٣.

(٢) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،١/٩٩.

(٣) ينظر، الشَّعْرَانِي، عبد الوهاب بن أحمد بن علي(ت٩٧٣هـ)، لُبَابُ الإعرابِ المَانِعِ من اللَّحْنِ فِي السُّنَّةِ والكِتَابِ، تحقيق، د.زهراء سعد الدين شيت ود.باسل خلف حمود، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل- العراق، المجلد٨، العدد٣،(٢٠٠٨م)، ٢٥٠.

(٤) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،١/٩٩.

(٥) المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،١٨٨.

الموضع يتناسب مع التعبير عن يوم القيامة بقوله:﴿يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ سميت بذلك لأزوفها أي قُرب وقوعها يوضح هذا القرب لوقوعها قوله ﷺ:" بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ"[١]، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، والإشارة بهاتين إلى السبابة والوسطى يعني أن ما بيني وبين الساعة بالنسبة إلى ما مضى من الزمان مقدار فضل الوسطى على السبابة شبه القرب الزماني بالقرب المكاني؛ لتصوير غاية القرب، و﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و﴿لَدَى﴾ ظرف مكان مبني في محلّ نصب متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَنَاجِرِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة،﴿كَٰظِمِينَ﴾حال من القلوب أو من أصحاب القلوب على المعنى منصوبة، وعلامة نصبها الياء؛ لأنها جمع مذكر سالم، و(النون) المفتوحة عوض عن تنوين المفرد وحركته[٢]. و﴿ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ " مِنْ شدة هول وفزع يوم القيامة، والكلام كناية عن فرْط التألم، وجوّزَ أنْ يكونَ على حقيقته وتبلغ قلوب الكفار حناجرهم يوم شدة الخوف أو القيامة ولا يموتون"[٣].

و﴿أل﴾ في﴿ ٱلْقُلُوبُ ﴾ و﴿ ٱلْحَنَاجِرِ﴾ عِوَضٌ من الضمير المضاف إليه، وأصله:إذْ قلوبهم لدى حناجرهم، وقد جاء التعريف بأل العهدية عِوَضًا عن التعريف بالإضافة، وهو رأي نُحاة الكوفة وتبعهم ابن مالك، ومذهب أكثر البصريين أنَّ الضمير محذوف، يقدرون: إذ القلوب منهم والحناجر منهم[٤]، "والمعنى: إذْ قلوب الذين تنذرهم، يعني المشركين، فأمَّا قلوب الصالحين يومئذ فمطمئنة"[٥].

النمط الخامس: [خبر مقدم "شبه جملة"+ مبتدأ مؤخر"نكرة"]:

وَرَدَ هذا النمطُ متضمنًا نفي صفة(الفقه) في موضعٍ واحدٍ هو:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاق، باب قولِ النبيِّ ﷺ:" بعثْتُ أنا والساعةَ كهاتينِ"، حديث رقم(٦٥٠٥)، ١٢٤٧.

(٢) ينظر، ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق، د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)،٢/٣٣٠.

(٣) الألوسي، روح المعاني،٢٤/٥٨.

(٤) ينظر، المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،١٩٩.

(٥) ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس(١٩٨٤م)، ٢٤/١١٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩]

أصل الفقه: الفَهْمُ، وقيل: فَهْمٌ مخصوصٌ بفِقْهِ الأشياءِ الخَفِيَّةِ، وقيل: هو التوصُّلُ إلى عِلْمٍ غائبٍ بعِلْمٍ شاهدٍ أي أنَّ الفقهَ أخصُّ مِنْ مُطْلَقِ الفَهمِ(١).

قال الزبيدي:" الفِقْهُ، بالكسر:العِلْمُ بالشيءِ، وفي الصِّحاحِ" الفَهْمُ لهُ، يقال أُوتِي فُلانٌ فِقهًا في الدِّين، أي: فَهْمًا فيه. والفِقْهُ: الفِطْنَةُ"(٢).

وقد جَعَلَ السيوطيُّ التعبيرَ بالقلب عن العقل من المجاز اللغوي كما في قوله تعالى:﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي: عقول(٣)، مِنْ إطلاق اسم المحلّ على الحال.

ويرى الباحثُ أنَّ كلمة﴿قُلُوبٌ﴾ حقيقة لا مجاز، وتُعْطِي من المعنى ما لا تُعطيه كَلِمَةُ عقول، فالقلوب هي التي تتصف بالفقه أو عدمه، ولا موجبَ لحَمْلِ اللفظ على المجاز، فقد جاء في غير هذه الآية إسناد الفقه إلى نَفَرٍ أو إلى شخصٍ على العموم كما في قوله تعالى:﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢]، وفي دعائه ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس ﷺ:" **اللهمَّ فَقِّههُ في الدِّينِ**"(٤)، أو نفيه عن الناس أو عن قوم على العموم كما في قوله تعالى:﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]، وقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[الأنفال:٦٥](٥).

وجاءت هذه الآية ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وخصصت العضو الذي يتصف بالفقه وعدمه وهو القلب.

---

(١) ينظر، السمين الحلبي، عمدة الحفاظ،(ف ق هـ)،٣/٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) الزَّبِيدِيّ، تاج العروس، باب الهاء،(فقه)،٣٦/٤٥٦.

(٣) ينظر، السيوطي، الإتقان،٤٩٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، حديث رقم(١٤٣)، ٥٣.

(٥) ينظر، السمين الحلبي، عمدة الحفاظ،(ف ق هـ)،٣/٢٤٥، ٢٤٦.

وهي جملةٌ اسميَّةٌ في محل نصب حال أو صفة من﴿كَثِيرًا﴾ أبانَ هيئة مَنْ ذرأهم الله لجهنم من الجن والإنس قال الزمخشري: " هم المطبوع على قلوبهم.... كأنهم عدموا فَهْمَ القلوب"[١].

وفيها﴿لَهُمْ﴾ (اللامَ) حرف جر للاختصاص[٢] فُتِحَ؛ لدخولِهِ عَلَى مُضْمَرٍ[٣]، و﴿هُمْ﴾ ضمير الغائبين ضمير مبني في محل جر باللام، والجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم أو متعلق بخبر مُقَدَّم أفاد التقديمُ التوكيدَ والتخصيصَ لمَنْ ذرأهم الله لجهنم باتصافهم بأنَّ لهم قلوبًا لا يفقهون بها، و﴿قُلُوبٌ﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وجملة: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ في محلّ رفع نعت لقلوب أفاد استمراريةَ نفْي الفقه عن قلوبهم، واستحضار الصورة، وتخصيص قلوبهم بدوام واستمرارية عدم الفهم والفِطنة، و﴿لَا﴾ حرف نفي مبني لا محل له من الإعراب أفاد نفْي الفقه عنهم في الحال والاستقبال، و﴿يَفْقَهُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والفعل(يَفْقَه) متعدٍ إلا أنه حُذِفَ مفعوله للتعميم أي لهم قلوب ليس مِنْ شأنها أنْ يفهموا بها شيئًا مما شأنه أنْ يُفْهَمَ، وهو أبلغ في ذمهم مِنْ ذِكْرِ مفعولٍ مُعيَّنٍ، وقد بَيَّنَ الجرجانيُّ بلاغةَ الحذْفِ عمومًا، فقال: "هو بابٌ دقيقُ المَسْلَكِ، لطيفُ المأْخَذِ، عجيبُ الأمرِ، شبيهٌ بالسِّحْرِ، فإنَّك ترى به تَرْكَ الذِّكْرِ أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ أَزْيَدُ للإفادة، وتَجِدُكَ أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ"[٤]، و﴿بِهَا﴾جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَفْقَهُونَ﴾أفادت الباء السببية[٥]؛ فهم لا يفقهون بسبب قلوبهم التي طُبِعَ عليها.

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٨م)،٢/٥٣٣.

(٢) ينظر، ابن جَمَاعَة، شيخ الإسلام أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جَمَاعَة(ت٧٣٣هـ)، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق، د. محمد محمد داود، سلسلة تحقيق التراث(٣)، دار المنار، القاهرة- مصر، ط(٢٠٠٠م)،٣٣١.

(٣) الرُّمَّانِيُّ،أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّانِيّ النحْوي(ت٣٨٤هـ)، كتاب معاني الحروف، تحقيق، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة- المملكة العربية السعودية، ط٢(١٤٠٤هـ-١٩٨١م)،٥٥.

(٤) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز،١٧٠.

(٥) ينظر، المَالَقِيُّ، أحمد بن عبد النور المَالَقِيّ الأندلسي(ت٧٠٢هـ)، رَصْفُ الْمَبَانِي فِي شَرْحِ حُرُوفِ الْمَعَانِي، تحقيق، أ.د.أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، ط٣(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)،٢٢٢.

ثانيا: " تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا في الْجُمْلَةِ الاسميَّةِ الْمَنْسُوخَةِ":

***"كان" وأخواتها مع الجملة الاسمية:**

قال المبرّد: " اِعْلَمْ أنَّ هذا البابَ إنما معناه: الابتداءُ والخبرُ، وإنَّمَا دَخَلَتْ(كان)؛ لتُخْبِرَ أنَّ ذلك وَقَعَ فيما مَضَى، وليس بِفِعْلٍ وَصَلَ منكَ إلى غيرك"(١).

وقال سيبويه:" وذلك قولكَ: كان، ويكون، وصارَ، ومادام، وليس، وما كان نحوهن من الفعل ممَّا لا يستغني عن الخبر. تقول: كانَ عبدُ اللهِ أخاكَ، فإنما أردْتَ أنْ تُخْبِرَ عن الأخوَّةِ، وأدخلْتَ(كان)؛ لتجعلَ ذلكَ فيما مَضَى"(٢).

وقد استعمل من هذه الأفعال:(كان)؛ للدلالة على اتصاف اسمها بخبرها في الزمن الماضي، وتقدّم خبرها على اسمها، واستعملت(تكون)؛ للدلالة على اتصاف اسمها بخبرها في الزمن الحاضر أو الاستقبال في النمط الثاني، وتقدَّم خبرها على اسمها- أيضًا-.

وَرَدَ (القلبُ) اسما مرفوعا للفعل الناسخ في تراكيب ذِكْرِ القلب مرفوعا في الجملة الاسمية المنسوخة بـ(كان) أو(يكون) في(موضعين) صنفتهما إلى(نمطين) على النحو التالي:

النمط الأول: [فعل ماض ناسخ"كان" + خبره مقدم "شبه جملة"+ اسمه مؤخر "نكرة"]:

ورد هذا النمط متضمنًا صفة محذوفة تقدر بـ(واعٍ أو منيب أو سليم...) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾[ق:٣٧]

قال الجرجاني في قوله تعالى: "﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾، أي: لمن أَعْمَلَ قَلْبَه فيما خُلِقَ له مِن التدبُّر والتفكر والنَّظَرِ فيما ينبغي أنْ يُنْظَرَ فيه. فهذا على أنْ يُجْعَل الذي لا يَعِي ولا يَسمع ولا يَنظُر ولا يتفكَّر، كأنه قد عَدِمَ القلبَ من حيثُ عَدِمَ الانتفاع به، وفاته الذي هو فائدةُ القلب والمطلوب منه ، كما يُجْعَلُ الذي لا ينتفع ببصره وسمْعه ولا يُفكِّرُ فيما يؤديان إليه، ولا يَحْصُل من رؤية ما يرى وسَماعِ ما

---

(١) المُبَرِّدُ، المقتضب،٣/٩٧.

(٢) سيبويه، الكتاب،١/٤٥.

يَسْمع على فائدةٍ، بمنزلة مَن لا سَمْع له ولا بَصَر"[1]، ويَرُدُّ الجرجاني على مَنْ يَجْعَلُ(القلب) في الآية بمعنى(العقل) فيقول:" فأما تفسير مَنْ يُفسِّره على أنه بمعنى«مَنْ كان له عقل»، فإنه إنما يَصِحُّ على أنْ يكون قد أراد الدلالة على الغرض على الجملة، فأما أنْ يُؤخذ به على هذا الظاهر حتى كأنَّ«القلب» اسم«للعقل» كما يتوهمه الحَشْو ومَنْ لا يعرف مخارجَ الكلام، فمُحَالٌ باطلٌ؛ لأنه يؤدي إلى إبطال الغرض من الآية، وإلى تحريف الكلام عن صورته، وإزالةِ المعنى عن جهتهِ. وذاك أنَّ المرادَ به الحثُّ على النظر، والتقريعُ على تَرْكه، وذم مَنْ يُخِلُّ به، ويَغْفُلُ عنه. ولا يَحْصُل ذلك إلا بالطريقِ الذي قَدَّمتُه، وإلا بأنْ يكونَ قد جُعِلَ مَنْ لا يَفْقَهُ بقلبِهِ ولا ينظُرُ ولا يَتَفَكَّر، كأنَّه ليس بذي قلبٍ، كما يُجْعَل كأنه جماد، وكأنَّهُ مَيِّتٌ لا يَشْعُرُ ولا يُحِسُّ. وليس سبيلُ مَنْ فَسَّرَ«القلب» ههنا على«العقل»، إلا سبيل من فَسَّرَ عليه «العين» و«السمْع» في قول الناس:"هذا بيّنٌ لمن كانت له عَيْنٌ، ولمن كان له سَمْعٌ"، وفَسَّرَ العمى والصمم والموت في صفة مَنْ يُوصف بالجهالة، على مُجَرَّدِ الْجَهْلِ، وأَجْرَى جميعَ ذلك على الظاهر، فاعرفْه"[2]، وقد ذَكَرَ الشريفُ الرضي للآية معنيين:

أولهما: يوافق مَنْ رَدَّ الجرجاني قوله حيث جعل القلب بمعنى العقل واللُّب أي الخالص من كل شيء، وزاد اللب وأنَّ موضع العقل واللُّب بالقلب، فقال في قوله تعالى: "﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: عَقْلٌ ولُبٌّ فعبَّرَ عنهما بالقلب؛ لأنهما يكونانِ بالقلبِ"[3].

وهو بهذا جعل الآية مجازًا مُرْسَلًا عَلاقته المحلية من قبيل إطلاق المحل"القلب" وإرادة الحال به" العقل"، ويرى الباحثُ أنه لا داعي لجَعْلِ القلبِ بمعنى العقل؛ واللفظ على حقيقته وإنْ كان العقل موضعه القلب؛ فالقلب أعم من العقل، ويُعْطِي من المعنى ما لا يعطيه العقل منفردًا فهو يجمع بين كل ما يعطيه العقل من معنى ويزيد عليه المشاعر والأحاسيس، وبيان قيمة القلب في حصول الذكرى وعدمها.

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز،٣٠٤.

(٢) المرجع السابق،٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٢٩٣.

ثانيهما: تَرْكه القلب على حقيقته وهو الأقرب للصواب فقال:" أو يكون المعنى:﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ ينتفع به؛ لأنَّ مِنَ القلوبِ ما لا يُنتفع به، إذا كان مائلًا إلى الغي، ومنصرفًا عن الرُّشد"(١).

وإجراء القلب على ظاهره أبلغُ في ذَمِّ مَنْ ليس له ذِكْرَى، وينزله بمنزلة مَنْ ليس له قلب كأنه جماد، وكأنَّهُ مَيِّتٌ لا يَشْعُرُ ولا يُحِسُّ.

قال النيسابوري:"﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾:ألقَى سَمْعَهُ نحو كتاب الله. ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر قلبه"(٢).

جاءت جملة﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ جملة اسمية مستأنفة مؤكدة بـ﴿إِنَّ﴾ الحرف المشبه بالفعل، و﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور خبر مقدم، والإشارة إلى إهلاك القرون قبل قريش، و﴿لَذِكْرَىٰ﴾ اللام لام الابتداء للتوكيد، و﴿ذِكْرَىٰ﴾ اسم﴿إِنَّ﴾، و﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ جملة اسمية منسوخة لا محل لها من الإعراب صِلة الموصول المشترك للعاقل﴿مَن﴾المبني على السكون في محل جر باللام، الذي أفادَ العمومَ والشمولَ في حدوث الذِّكْرَى لكل مَنْ كان له قلبٌ، و﴿لِمَن﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ذِكْرَىٰ﴾، وجملة الصلة﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾وَضَّحَتِ المقصودَ بالاسم الموصول﴿مَن﴾، وأزالتْ إبهامه، وفيها﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص ناسخ مبني على الفتح أفاد اتصاف اسمها بخبرها في الزمن الماضي،﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر﴿كَانَ﴾المقدَّم، و﴿قَلْبٌ﴾اسم كان مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وتنكير﴿قَلْبٌ﴾للتعظيم والكمال، والمعنى: لمن كان له قلبٌ ذكيٌّ واعٍ، أي: إنَّ الموعظةَ من إهلاكنا القرون تتحقق لمن كان له قلبٌ واعٍ للحق، أو ألقَى السمعَ إلى المنذر فيتذكر.

قال الزمخشري:" ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أى قلب واع؛ لأنّ مَنْ لا يعي قلبُه فكأنّه لا قلبَ له. وإلقاء السَّمْع: الإصغاء وَهُوَ شَهِيدٌ أى حاضر بفطنته، لأنّ مَنْ لا يحضر ذهنُهُ فكأنه غائب"(٣).

---

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٢٩٣.

(٢) "بيان الحق"النيسابوري، العلامة محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي الملقب بـ "بيان الحق"، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق، حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٩٩٥م)،٧٦١/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف،٦٠٤/٤.

وإتيان﴿قَلْبٌ﴾ نكرة؛ لإفادة العموم والشمول بدون وصف أبلغ وأوضح في البيان من تخصيصه بوصف واحد، نحو:(قلب واع أو منيب أو سليم) فَحَذْفُ الصِّفَةِ وتَرْكُ الموصوف على عمومه أحسن مِنْ ذِكْرِهَا، فالذكرى والموعظة تحدث لكل مَنْ كان له قلب، ومَنْ لم يكن له ذِكْرَى وعِظَة فهو كمَنْ لا قَلْبَ له، ومِنْ ثَمَّ فترك وصْف القلب بصفة ما، فيه من المزية والإفادة والبيان ما لا يوجد عند ذِكْرِ الصفة، وأشارَ إلى ذلك الجرجاني بقوله:" ... فإنك تَرَى به تَرْكَ الذِّكْر، أفصحُ مِنَ الذِّكْر، والصَّمْتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تَنْطِقْ، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ"[١].

وجملة:﴿ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ لا محلّ لها معطوفة على جملة الصلة، وجملة: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ في محلّ نصب حال، بمعنى وهو حاضر بفطنته، وقوله:﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فيه تعريض بالمشركين بجَعْلهم كمَنْ ليس له قَلْبٌ، وبمَن لا يُلْقِي سَمْعَهُ، فقلوبهم، وسمْعهم بمنزلة العدم، ومِنْ ثَمَّ لم تحصُلْ لهم الذِّكْرَى.

ويرى الباحثُ أنه إذا أُطْلِق لفظ القلب، ووُصِفَ بصفةٍ في القرآن الكريم فإنما يُراد به ما في الصدر لا يُصْرَفُ إلى معنى آخر إلا إذا وُجِدَتْ قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي فلا نجعله بمعنى العقل أو بمعنى الروح أو النفس العاقلة أو غير ذلك على نحو ما ذهبَ الفَرّاءُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[ق:٣٧]، حيث يقول: "لِمَنْ كَانَ له عَقْلٌ، وهذا جائزٌ في العربيةِ أَنْ تَقُولَ: مَا لكَ قَلْبٌ، ومَا قَلْبُكَ مَعَكَ، وأَيْنَ ذَهَبَ قَلْبُك؟ تُرِيدُ العَقْلَ لِكُلِّ ذلكَ"[٢].

وذهبَ ابنُ قُتَيْبَةَ إلى أنَّ القلبَ في الآية من مجاز القرآن بِوَضْعِ لَفْظِ القلبِ موضع العقل؛ لوجودِ عَلاقة المحلية حيثُ إنَّ القلبَ موضعُ العقلِ فقال:" ومنه قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾أي: عقلٌ؛ لأنَّ القلبَ مَوْضِعُ الْعَقْلِ، فكنى عنه به"[٣].

وأرى أنَّ القلبَ في الآية على حقيقته وليس معناه العقل، وإنما القلب الذي يعقل مِصداقًا لقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾.

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز،١٤٦.

(٢) الفَرّاءُ، معاني القرآن،٣/٨٠.

(٣) ابن قتيبة، تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ،١٥٢.

النمط الثاني: [فعل مضارع ناسخ" تكون"+ خبر مقدم "شبه جملة"+ اسم مؤخر "نكرة"]:

ورد هذا النمط متضمنًا صفة(العقل) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝﴾[الحج:٤٦]

جاءت جملة﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ استفهامية؛ للتعجب من عدم الاعتبار بحال الأمم الذين كذَّبوا أنبياءهم قال أبو السعود:" والفاء لعطف ما بعدها على مُقَدَّرٍ يقتضيه المقام، أي: أَغَفِلُوا فلم يسيروا فيها"(١)، و﴿الفاء﴾ سببية مُسَبَّبٌ ما بعدها عن سَيْرِ الاعتبار في الأرض، و﴿تَكُونَ﴾ فعل مضارع ناقص ناسخ منصوب بـ(أنْ) مضمرة بعد الفاء، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، و﴿لَهُمْ﴾جار ومجرور متعلق بخبر ﴿تَكُونَ﴾المقدم؛لإفادة التوكيد والتخصيص والاهتمام بالمتقدم، و﴿قُلُوبٌ﴾اسم تكون مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وجملة﴿تَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ صلة "أنْ" المضمرة لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾جملة فعلية في محل رفع صفة لـ﴿قُلُوبٌ﴾ أفادَتْ تخصيصَ الاسمِ النكرةِ﴿قُلُوبٌ﴾ وأبانَتْ مهمةَ القلوبِ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و﴿واو﴾الجماعة ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، و﴿بِهَآ﴾ جار ومجرور متعلق بالفعل﴿يَعْقِلُونَ﴾ أفادَتِ الباءُ السببيةَ أي أن التعقل يكون بواسطة القلوب، و﴿أَوْ﴾ حرف عطف، و﴿ءَاذَانٌ﴾ معطوف على قلوب مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وجملة﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ جملة فعلية في محل رفع نعت لـ﴿ءَاذَانٌ﴾ . وجاء كلٌ من الفعلين﴿يَعْقِلُونَ﴾ و﴿يَسْمَعُونَ﴾ متعديًا لمفعولٍ واحدٍ لم يُذْكَرْ في كُلٍ منهما، ونُزِّلَ كُلُّ فِعْلٍ منهما منزلةَ اللازم؛ للاهتمام بإسناد الفعل إلى فاعله، وبيان مهمة كُلٍّ مِنَ القلوب والآذان؛ فمهمة القلوب الفقه بها، ومهمة الآذان السَّمْع بها لما يفيد صاحبها، فلمَّا لم تستعمل الأمم المكذبة القلوب والآذان في المهمة التي خُلِقَ كُلٌّ منهما لها نزَّلَهما منزلة مَنْ ليس له قلب، ومَنْ ليس له أُذن.

---

(١) أبو السعود، قاضي القضاة، أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي(ت٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، تحقيق، عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديث- الرياض،(١٤٠١هـ - ١٩٨١م)،٣٢/٤.

المبحث الثاني

تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

المبحث الثاني: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا فِي الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ:

جَاءَ القلبُ مرفوعًا في الجملةِ الفعليةِ في(اثنين وثلاثين) موضعًا صنفت إلى(سبعة) أنماطٍ:

النمط الأول: [فعل ماض لازم+ فاعل مركب إضافي]:

جاء الفعل في هذا النمط والذي يليه ماضيًا، وقد عَرَّفَ النحاةُ الفعل الماضي بأنه:" الفعل الدال على اقتران حَدَثٍ بزمان قبل زمانك، وهو مبني على الفتح إلا أنْ يعترضَه ما يوجبُ سكونه أو ضمه"(١).

وبَيَّنَ سيبويه الأصل في بناء الفعل الماضي على الفتح بقوله:"والفتح في الأفعال التي لم تجرِ مجرى المضارعة قولهم: ضَرَبَ، وكذلكَ كلُّ بِناءٍ مِنَ الْفِعْلِ كَانَ معناه فَعَلَ"(٢).

وعلامته قبول تاء التأنيث الساكنة، نحو: صَغَتْ، وكَسَبَتْ، وتاء الفاعل، نحو: ذَكَرْتُ، ذَكَرْتَ، ذَكَرْتِ.

وذَكَرَ سيبويه الفعلَ اللازمَ في باب الفاعل الذي لم يتعدَّه فعلُهُ إلى مفعولٍ، ومثّلَ له بقولك: ذَهَبَ زَيْدٌ وجَلَسَ عَمْرٌو. وعَلَّلَ لذلك بقوله:"لأنّكَ لم تَشْغَلِ الْفِعْلَ بِغَيْرِهِ، وفَرَّغْتَهُ لَهُ، كَمَا فَعَلْتَ ذلكَ بالفاعلِ"(٣).

فسيبويه ذَكَرَ إشارةً دلاليةً لإتيانِ الفعلِ لازمًا مفادها أَنَّ إثباتِ الفعلِ للفاعلِ يجعلُ الأذهانَ تتَّجِهُ إليه، وتنحصرُ الأفكارُ فيه دونَ أَنْ يشغلَ الفعلَ بغير فاعلِهِ، وفيما يلي تحليل المواضعِ المُعبّرةِ عن هذا النمط:

وَرَدَ هذا النمط مُتضمنًا صفة(القسوة) في(ثلاثة) مواضعَ:

أولها: قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤].

قالَ الزبيديُّ:" قَسَا قلبُهُ:(صَلُبَ وغَلُظَ)، فهو قَاسٍ، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: غَلُظَتْ ويَبِسَتْ، وعَسَتْ، فتأويل القسوةِ في القلبِ: ذَهَابُ اللينِ والرَّحمةِ والخُشوعِ منهُ، وأَصْلُ القسوةِ: الصَّلَابَةُ مِنْ كُلِّ شيءٍ... ويقال: الذَّنبُ مَقْسَاةٌ للقلبِ.أي: يُقْسيه... وقد أقساه الذَّنبُ أي: جعلَهُ قَاسِيًا"(٤).

---

(١) الزمخشري، المُفَصَّل،٢٤٤.

(٢) سيبويه، الكتاب،١٦/١.

(٣) المرجع السابق،٣٣/١.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، باب الواو،(قسو)،٢٩٨/٣٩.

وجَعَلَ سلطانُ العلماءِ القسوةَ مِنَ المجازِ فقال:" القسوةُ حقيقتُهَا الصلابةُ والشدَّةُ، والصَّلابَةُ والشدةُ مانعانِ مِنَ التأتِّي لما يُرَادُ مِنْ محلِهما، فتجوَّزَ بذلك عن القلوبِ التي لا تتأتَّى للحقِ، ولا تَنْقَادُ إليهِ"(١).

جاءَتِ الجملةُ الفعليةُ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ معطوفةً بحرفِ العطفِ﴿ثُمَّ﴾ الذي عطفَهَا على جملةِ ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ...﴾[البقرة:٧٣] وأفادَ الترتيبَ والتراخِيَ أي: الترتيب بمُهْلَةٍ فالثاني يَحْدُثُ بَعْدَ الأولِ بمُهْلَةٍ وهذا مذهبُ جمهورِ النُّحَاةِ، وما أَوْهَمَ خِلافَ ذلكَ تأوَّلُوهُ(٢)؛ فحصولُ قسوةِ القلبِ حَدَثَتْ بَعْدَ إراءةِ الآياتِ بفترةٍ زمنيةٍ، وعُبِّرَ بالفعلِ الماضِي؛ للتحقُّقِ والثبوتِ، وجَاءَ الفعلُ اللازمُ﴿قَسَا﴾ ماضيًا ثلاثيًا مُجَرَّدًا على وزنِ(فَعَلَ) مبنيًّا على الفتح المقدّرِ على الألف المحذوفة؛ للتعذُّرِ، واتصلَتْ بالفعلِ﴿تاء﴾التأنيث الساكنة فحذفت ألفه الساكنة؛ منعًا لالتقاءِ الساكنينِ، وزنه(فَعَتْ)، وقد أُسْنِدَ الفعلُ﴿قَسَتْ﴾ إلى فاعلِه ﴿قُلُوبُكُم﴾ فأفادَ اتصافَ قلوبِهم بالقسوةِ المانعةِ مِنَ التأثُّرِ بالعِظَاتِ والآياتِ.

وجَاءَ الفاعلُ مُرَكَّبًا إضافيًّا أُضيفَ فيه ضميرُ المخاطَبينَ﴿كُم﴾العائدُ إلى قومِ موسَىعليه السلام إلى المضافِ﴿قُلُوبُ﴾ إضافةً مَحْضَةً أفادَتِ التعريفَ(٣) بأصحابِ هذهِ القلوبِ والتوبيخ لهم، و﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾ جارّ ومجرورٌ متعلّقٌ بالفعلِ﴿قَسَتْ﴾، و﴿ذا﴾ اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه و﴿اللام﴾ للبُعْدِ و﴿الكاف﴾للخطاب، واسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يشيرُ إلى الآياتِ السابقةِ كإحياءِ الموتَى، وقوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أفادَ زيادةَ التعجبِ مِنْ قَسْوَةِ قلوبِهم بَعْدَ ما شاهدُوهُ مِنَ الآياتِ والمعجزاتِ التي أَرَاهُمُ اللهُ عز وجل إياها. ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ .

وَرَدَ التعبيرُ بالجملةِ الاسميةِ مَعَ كَوْنِ مَا سَبَقَ جملة فعلية؛ للدلالةِ علَى استمرارِ قَساوةِ قلوبِهِمْ، وثبوتِها علَى هذهِ القسوةِ، وفيها الضميرُ﴿هِيَ﴾ ضميرٌ مبنِيٌّ على الفتحِ في محلِ رَفْعِ مبتدأ يعودُ

---

(١) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن، ١٧٠، ١٧١.

(٢) ينظر، المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّاني، ٤٢٦.

(٣) ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور(ت:٦٦٩هـ)، المُقَرِّبُ، تحقيق، أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، ط١(١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، باب الإضافة،١/٢٠٩.

إلى﴿قُلُوبُ﴾، و﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾ الكاف حرف جر للتشبيه، و﴿ٱلْحِجَارَةِ﴾ اسم مجرور، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ﴿هِىَ﴾، وقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ترقِّي في الذَّمِّ فحرف العطف﴿أَوْ﴾ أفادَ التخييرَ، فأنتَ مُخَيَّرٌ في تشبيه قلوبِهم في القسوةِ بالحجارةِ في عدم قبولِ التحولِ، أو جَعْل هذه القلوب أشد قسوةً من الحجارة التي قد يعتريها التأثرُ والتحولُ عن طبيعتِها بتفجّرِ الأنهارِ منها أو بالتشققِ وخروجِ الماءِ منها أو بهبوطِها مِنْ خشيةِ اللهِ، في حين أنَّ قلوبَهم- مع أنَّ مِنْ صفةِ القلوبِ سرعةَ التقلبِ والتحولِ- لم يَحْدُثْ فيها تأثرٌ أو تَغَيُّرٌ في طبيعتها بحيثُ يصدر منها نَفْعٌ، وجملة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾عُطِفَتْ على جملة ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ وفيها المبتدأ محذوف تقديره:(هي) يعود إلى القلوب، وأُسندَ إليه خبره اسم التفضيل﴿أَشَدُّ﴾ الذي جَاءَ بعده التمييز المنصوب﴿قَسْوَةً﴾؛ فأزالَ إبهامَ[1] الشدَّةِ، والمشبَّه به في القسوة﴿ٱلْحِجَارَةِ﴾ جَاءَ اسمًا ظاهرًا مرتين في حين أنَّ المشبَّهَ﴿قُلُوبُكُم﴾ عبّرَ عنه بالاسمِ الظاهرِ مرةً واحدةً تَبِعَهُ التعبيرُ عنه بالضمير المنفصل ﴿هِىَ﴾، ثم الضمير المستتر في﴿ أَشَدُّ﴾ وذلك للترقي في الذم لهم.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأنعام:٤٣]

تَحَدَّثَتِ الآيةُ السابقةُ عَنْ قسوةِ قلوبِ بَنِي إسرائيلَ قومُ موسَىعليه السلام، وتحدثَتْ هذه الآيةُ عن قسوةِ قلوبِ الأممِ السابقةِ الذين أَرْسَلَ اللهُ عز وجل إليهم رُسُلًا قبل رسولِ اللهِصلى الله عليه وسلم، ويَدْخُلُ فيهم بنو إسرائيل.

وفي جملة ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الواو حالية، و﴿لَٰكِن﴾ مخففة من الثقيلة مهملة، فهي لمجرد الاستدراك[2].

---

(١) ينظر، ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي(ت٦٧٢هـ)، شَرْحُ التَّسْهِيلِ تَسهيل الفَوائِدِ وتَكميل المَقَاصِدِ، تحقيق، محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، باب التمييز،٢/٢٩٣.

(٢) الإسفرائيني، اللُّبَابُ فِي عِلْم الإعرابِ،١٣٩.

قال المَالَقِيّ:"فإذا خُفِّفَتْ بَطلَ عَمَلُهَا، ولم يُسْمَعْ لَهَا عَمَلٌ مَعَ التخفيفِ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّحْويينَ، وعِلَّتُهُمْ في ذلكَ عدم اختصاصِهَا بِوَاحِدٍ مِنَ الأسماءِ والأفعالِ،[ولا يعملُ] إلا ما يختصُّ، فلمَّا كُنْتَ تقول: ما قَامَ زَيْدٌ لكنْ عمروٌ لم يَقُمْ، وما يَقُومُ زيدٌ لكنْ يقومُ عَمْرٌو، فتصلُح مع كل واحدٍ منها عُلِمَ أنها لا تعملُ شيئًا"(١).

و﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ جملة فعلية؛ فعل ماض لازم وفاعل، وجاءَ الفاعلُ مُرَكَّبًا إضافيًّا أُضيفَ فيه ضميرُ الغائبينَ﴿هُمْ﴾العائد إلى قلوبِ ظالِمِي الأممِ السابقةِ إلى المضافِ﴿قُلُوبُ﴾إضافةً أفادَتِ التعريفَ بأصحابِ هذهِ القلوبِ، وجاءَتِ جملةُ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بَعْدَ جُملةِ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ فأفادَتْ نَفْيَ التضرعِ عنهم، وجَاءَ التعبيرُ بـ﴿لَوْلَآ﴾؛ فأفادَ أنَّهُ لم يكنْ لهم عُذْرٌ في تَرْكِ التضرعِ إلا عنادهم، وقسوة قلوبهم، وتزيين الشيطان لهم(٢).

وثالثها: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[الحديد:١٦]

قالَ ابنُ فارسٍ:" القاف والسين والحرف المعتل يدل على شِدَّةٍ وصلابةٍ، مِنْ ذلك الحَجَر القاسي. والقسوة :غِلَظُ القلب، وهي مِنْ قسوة الحَجَرِ..."(٣).

جَاءَتْ جملةُ ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ معطوفةً بحرف العطف﴿الفاء﴾على جملة ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ التي لا محل لها من الإعراب؛ فأَخَذَتْ حُكْمَهَا، وأفادَتِ﴿الفاء﴾ الترتيبَ والتعقيبَ(٤)، ودلَّتْ علَى أنَّها تعقبُها حَدَثيًّا وزمنيًّا.

وهذه الآية أبانَتِ أنَّ سببَ قسوةِ قلوبِهم طولُ الزمنِ بينهم وبين أنبيائهم.

ووَرَدَ مُتضمنًا صِفَةَ(الصغو) في موضعٍ واحدٍ هو:

---

(١) المَالَقِيّ، رَصْفُ المباني،٣٤٧.

(٢) ينظر، الزمخشري، الكشاف،٣٤٦/٢.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ط٢(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)،(قسى)،٨٧/٥.

(٤) ابن النحاس، الإمام بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي الشافعي المعروف بابن النحاس(ت٦٩٨هـ)، التعليقة على المُقَرّب(شرح العلامة ابن النحاس على مُقَرّب ابن عصفور في عِلْمِ النحو) تحقيق، د. جميل عبد الله عويضة، سلسلة كتاب الشهر(٩١)، وزارة الثقافة،عمان- الأردن، ط١(١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)،٣٤٢.

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ ... ﴿٤﴾﴾[التحريم: ٤]

قال ابنُ قُتَيْبَةَ:" ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: عَدَلَتْ ومالَتْ عَنِ الحَقّ"(١).

وقال ابن فارس:" الصاد والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على الميل، من ذلك قولُهم: صِغْو فلانٍ معك، أي ميلُه. وصَغَتِ النجومُ: مَالَت..."(٢).

وجَعَلَ سلطانُ العلماءِ إسنادَ الفعلِ﴿صَغَتْ﴾إلى فاعله ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ مجازًا عن(الميل)؛ وذَكَرَهُ مِنْ مجاز تشبيه المعاني بالمعاني فقال:

" قوله:﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾لَمَّا كانَ المائلُ عن طريقِ الصوابِ تاركًا لها، شبَّه تَرْكَ القلوبِ الصوابَ إلى الخطأ بمَنْ كانَ على طريقٍ تُبَلِّغُهُ إلى مقصدِهِ فمَالَ عنه إلى طريقٍ تُهْلِكُهُ، ولا تُبَلِّغُهُ المَقْصِدَ"(٣).

وقال الشريفُ الرضي:" قوله سبحانه:﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وهذه استعارة ومعنى﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي مَالَتْ وانحرفَتْ قال النضر بن شميل يقال: قد صَغَوتُ إليه وصَغَيْتُ وأَصْغَيْتُ إليه وهو الكلام، ولم تَمِلْ قلوبُهما على الحقيقة وإنما اعتقدَ قلباهما خِلافَ الاستقامةِ في طاعة النبي ﷺ فَحَسُنَ أنْ يوصفا بميلِ القلبين مِنْ هذا الوجه، وذلك كقول القائل: مَالَ إلى فلانٍ قلبي إذا أحبَّه، وقد نَفَرَ عن فلانٍ قلبي إذا أَبْغَضَهُ، والقلب في الأمرين جميعًا بحاله لم يخرج عن نياطه، ولم يزل عن مناطه، وإنما قال سبحانه:﴿قُلُوبُكُمَا﴾ والخطاب مع امرأتين؛ لأنَّ كلَّ شيئين تَجُوزُ العبارةُ عنهما بلفظ

(١) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٤٧٢.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الصاد،(صغى)، ٣/ ٢٨٩.

(٣) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٦٤.

الجمع في لغة العرب" [1]، وجاءت جملة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لا محل لها من الإعراب تعليلية[2] للشرط، والتقدير: إنْ تتوبَا إلى اللهِ؛ لأنكما قد مِلْتُمَا مع نفسيكما يَقْبَلُ منكما التوبة[3].

وفيها ﴿الفَاء﴾ تعليلية، و﴿قَـدْ﴾" من الحروف الهوامل، وهي مختصة بالفعل، وإنما لم تعمل فيه؛ لأنها صارت كأحد أجزائه... وإذا دخلَتْ على الماضي قَرَّبَتْهُ من الحال"[4]، وهي حرف تحقيق؛ للتأكيد على ميل قلوبهما إلى التظاهر على رسول الله ﷺ ، و﴿صَـغَتْ﴾ فعل ماض لازم على وزن(فَعَتْ) مبني على الفتح المقدّر على الألف المحذوفة؛ مَنْعًا لالتقاء الساكنين أُسْنِدَ إلى فاعله﴿قُلُوبُكُمَا﴾الذي اتصفَ بالفعل ، وقد أَتَتْ هذه الجملة الفعلية﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ في سياق أسلوب الشرط﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ المحذوف جوابه، وتقديره: يتب عليكما أو يقبل منكما التوبة.

<u>ووَرَدَ مُتضمنًا صفة(الكسب) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا <u>كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ</u>ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾[البقرة:٢٢٥]

قال الطيبي:" أَصْلُ الْكَسْبِ لِمَا يُزَاوَلُ باليدِ، كقوله: ﴿كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[الشورى:٣٠]، فاستعماله في القلب استعارة، فيفيد المبالغة"[5].

وقال الزبيدي:"(كَسَبَ) يجيء لازمًا ومتعدِّيًا لواحدٍ، ويأتي بمعنى أَصَابَ، وأصل معنى(كَسَبَهُ) جَمَعَهُ... ومن المجاز: كَسَبَ خيرًا، واكتسَبَ شرًّا"[6].

---

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٣٢١.

(٢) ينظر، المَالَقِيّ، رَصْفُ المباني،٤٤٢.

(٣) ينظر، صافي، محمود بن عبد الرحيم(ت١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد- دمشق، ط٣ (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)،٢٩٧/٢٨.

(٤) الرُّمَانِيُّ، كتاب معاني الحروف،٩٨.

(٥) السيوطي، قُطْفُ الأَزْهَارِ فِي كَشْفِ الأَسْرَارِ، تحقيق، د.أحمد بن محمد الحمادي، إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٤م)،٤٦٤/١.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، تابع باب الباء ،(كسب)،١٤٦:١٤٤/٤.

وذَكَرَ الأصفهاني أنَّ الكسبَ في القرآن وَرَدَ في فِعْلِ الحسناتِ والسيئاتِ[1]، وأعطَى أمثلةً قرآنيةً للنوعين فمِمَّا استُعْمِلَ في الصالحات قوله تعالى:-﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨]، ومما استعملُ في السيئاتِ قوله تعالى:-﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾[فاطر:٤٥].

وقد استُعملَ الفعلُ﴿كَسَبَ﴾ لازمًا في فِعْل السيئاتِ، و﴿الواو﴾حرف عَطْفٍ عَطَفَ جملة ﴿يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ على الجملة الاستئنافيّة التي لا محل لها من الإعراب:﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ ولذا فلا محل لها من الإعراب، و﴿لَٰكِن﴾حرف استدراك مخفَّف بعد نَفْي لا عمل له، و﴿الباء﴾ حرف جرّ أفاد السببية[2]؛ فالمؤاخذة سببها ما كسبته القلوب مِنْ تعمُّدِ الكذب في الأيمان، و﴿مَا﴾ اسم موصول مُبهَم مبني لغير العاقل يفيد العموم والشمول في محلّ جرّ متعلّق بـ﴿يُؤَاخِذُكُم﴾ ، والجملة الفعلية﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها إعرابيًا إلا أنها وَضَّحَت المقصود بـ﴿مَا﴾، وأزالت إبهامَه،﴿كَسَبَتْ﴾ فعل ماض لازم مبني على الفتح، و﴿التاء﴾ تاء التأنيث، و﴿قُلُوبُكُمْ﴾ فاعل مرفوع و﴿كُمْ﴾ ضمير المخاطبين مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، وقد نبَّه الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أن الاعتدادَ بكسْبِ القلبِ دون غيره من الجوارح حتى أنَّ كلَّ فِعْلٍ لا يكون بالقلب أو عن القلب سهوًا وخطأً يُتَجَاوَزُ عنه، وجاءت خاتمة الآية مناسبة لمضمونها؛ فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ جاء مناسبًا لقوله قبله:﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، وقوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ جاء مناسبًا لقوله:﴿يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فالله يؤاخذهم على كَسْبِ قلوبهم، وعَقْدِهم القلوبَ على الكذب، ومع ذلك يحلم عنهم فلا يعجل لهم العقوبة[3].

<u>وورد متضمنًا صفة(الوجل) في موضعين:</u>

أولهما: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[الأنفال:٢]

---

(١) ينظر، الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الكاف،(كسب)،٢/ ٥٥٦.

(٢) ابن عصفور، المُقَرِّبُ، باب حروف الخفض،١/٢٠٤. - والمُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّاني،٣٩.

(٣) ينظر، السيوطي، قطف الأزهار،١/٤٦٤.

قال الزبيدي:"(الوجَلُ، مُحرّكَة): الفَزَعُ و(الخوفُ)، وجَمْعُهُ أَوْجَالٌ، تقولُ منهُ:(وَجِلَ، كَفَرِحَ)، وفي الحديث: " وَجِلَتْ منها القُلُوبُ "(١).

وجملة﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ جواب شرط غير جازم لا محل لها من الإعراب؛ دَلَّتْ على خوف المؤمنين وفزعِهم عند ذِكْرِ الله ﷻ؛ استعظامًا له.

وفيها الفعل اللازم﴿وَجِلَتْ﴾على وزن(فَعِلَ) فعل ماضٍ مبني على الفتح، دال على الانفعال الباطني (كفَرِحَ) و(هَوِيَ)، و﴿التاء﴾ تاء التأنيث الساكنة لا محل لها، أُسنِد الفعلُ إلى فاعله المتصف بالوجل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾. قال أبو بكر الرازي:" فإن قيل: قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ إلى آخر الآيتين يدل على أنَّ مَنْ لم يتصف بجميع تلك الصفات لا يكون مؤمنًا؛ لأنَّ كلمة إنما للحصر؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: إنما المؤمنون إيمانًا كاملا، أو إنما الكاملون الإيمان، كما يُقال: الرجل مَنْ يَصْبِرُ على الشدائدِ يعني الرجل الكامل"(٢).

والآخر:- قوله تعالى:- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴿٣٥﴾﴾[الحج:٣٥].

في هذا الموضع جَاءَ التركيبُ الموصولي﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ كسابقه إلا أنه -هنا- في محلّ نصب نعت للمفعول به﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾، وفي الموضع السابق في محل رفع نعت ومنعوته﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وربطَتْ أداةُ الشرطِ﴿إِذَا﴾ تَحَقُّقَ جملةِ جوابِ الشرط﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بتَحَقُّقِ جُمْلَةِ الشرطِ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ وجعلَتْهَا تَعْقُبُهَا حَدَثيًّا وزَمَنِيًّا.

وورَدَ مُتضمنًا صِفةَ(الريبة) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:- ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ **[التوبة:٤٥]**.

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق، عبد العليم الطحاوي، تابع باب اللام(وج ل)،٦٩/٣١.

(٢) أبو بكر الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦هـ)، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، تحقيق، د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض- السعودية، ط١(١٤١٢هـ-١٩٩١م)،١٥٣.

جَعَلَ سلطانُ العلماءِ قوله تعالى:- ﴿وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ مِنْ مجازِ اللزومِ فقال:" التجوزُ بلفظِ الريبِ عَنِ الشكِّ لملازمةِ الشكِّ القلقَ والاضطرابَ فإنَّ حقيقةَ الريبِ قَلَقُ النَّفْسِ"[1]، واستدلَ علَى ذلك بأدلةٍ منها قولُهُ ﷺ:"إنَّ فاطمةَ بِضْعَةٌ مِنِّي يريبني ما يريبها" أي: يُقلقني ما يُقلقها، وقوله تعالى:-﴿وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛لأنها معطوفة بالواو على جملة صلة الموصول﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فأفادَتِ الجَمْعَ والمشاركةَ بينَ استمرارِ انتفاءِ إيمانِهم وارتيابِ قلوبهم، وعبَّرَ بالفعلِ الماضي اللازم﴿ٱرۡتَابَتۡ﴾الذي دَلَّ علَى تحقُّقِ ارتيابِ قلوبِهم وثبوتِه في الزمنِ الماضي، مسندًا إلى فاعله﴿قُلُوبُهُمۡ﴾؛ للدلالةِ على قِدَمِ ذلك الارتيابِ في الإيمانِ والبعثِ ورسوخِهِ في قلوبِ المنافقينَ الذين يستأذنونَ رسولَ اللهِ ﷺ في التخلفِ عن الجهادِ.

<u>ووَرَدَ مُتضمنًا صِفَةَ(الاشمئزاز) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ <u>ٱشۡمَأَزَّتۡ</u> قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٥﴾[الزمر:٤٥].

قال الزبيدي:" الشَّمْزُ: نُفورُ النَّفْسِ مِمّا تَكْرَهُ، عن ابنِ الأعرابيّ. وتَشَمَّزَ وَجْهُهُ، أي تَمَعَّرَ. وفي التكملةِ: تَغيَّرَ وتَقَبَّضَ. والتَّشَمُّزُ: التَّقَبُّضُ، وقَدِ اشْمَأَزَّ الرَّجلُ اشْمِئزازًا: انقبَضَ واجْتَمَعَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ. قالَ ابنُ الأعرابيّ: اشْمَأَزَّ: اقْشَعَرَّ، وبه فُسِّرَ قوله تعالى:- ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وعليه اقتصرَ الزَّجّاجُ. أو اشْمَأَزَّ: ذُعِرَ مِنَ الشيءِ، وهو قَوْلُ أَبِي زَيْدٍ... والمُشْمَئِزّ: النَّافِرُ" [2]، وقال الزمخشري: " الاستبشارُ أنْ يمتلئَ قلبُهُ سرورًا حتَّى تَنْبَسِطَ لَهُ بَشَرَةُ وَجْهِهُ ويتَهَلَّلَ والاشمئزازُ أَنْ يمتلئَ غَمًّا حتَّى يَظْهَرَ الانقباضُ في أَدِيمِ وَجْهِهِ"[3]، وجاءَتْ جملةُ ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ جواب شرط غير جازم لا محلَ لها مِنَ الإعراب مترتبة على جملة الشرط ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ وتعقبها زمنيًا وحدثيًا أي: إذا أُفْرِدَ اللهُ بالذِّكْرِ، ولم تُذْكَرْ معه آلهتُهم، فمَدَارُ المعنى على قوله:

---

(١) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٣٩.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، باب الزاي(ش م ز)،١٨٠/١٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف،٣٠٩/٥.

﴿وَحْدَهُ﴾ التي جاءت مصدرًا منصوبًا على الحالية، وجاءَ الفعلُ﴿ٱشْمَأَزَّ﴾ علَى وَزْنِ(افعلَلَّ)؛ للدلالةِ عَلَى المبالغةِ والتوكيدِ، وأُسندَ الفعلُ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ إلى فاعلِهِ المركَّب الإضافي﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ فأكسبَتِ الإضافةُ المضافَ التعريفَ[1] بأصحابِ القلوبِ التي تنفر مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَحْدَهُ بأنهم الذين لا يؤمنون بالآخرة.

ووَرَدَ مُتضمنًا صِفَةَ(التعمد) في مَوضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب:٥].

قال الأصفهاني: "العَمْدُ: قَصْدُ الشَّيءِ... والعَمْدُ والتَّعَمُّدُ في التعارفِ خِلَافُ السَّهْوِ، وهو المقصودُ بالنيَّةِ، قال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾[النساء: ٩٣]، ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾"[2].

جاءَتْ جُمْلَةُ ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ في محل جر معطوفة بالواو على جملة ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾، و﴿لَٰكِن﴾ حرف استدراك مهمل وجوبًا؛ لأنه خُفِّفَ، و﴿مَا﴾ اسم موصول مبهم الدلالة مشترك لغير العاقل مبني على السكون معطوف على﴿مَا﴾ الموصولة في قوله:- ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ يفيد العموم والشمول لكل ما تَعَمَّدَتْ قلوبُكم في وقوع المؤاخذة عليه، والجملة الفعلية﴿تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ صلة الموصول﴿مَا﴾لا محل لها من الإعراب أزالت إبهام﴿مَا﴾، وبيَّنَتْ معناه ووضَّحَتْهُ، وفيها﴿تَعَمَّدَتْ﴾ فعل ماض لازم مبني على الفتح، و﴿التاء﴾ تاء التأنيث الساكنة لا محل لها من الإعراب، أُسْنِدَ الفعلُ﴿تَعَمَّدَ﴾ إلى فاعله ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ فأفادَ تَحَقُّقَ اتصافِ قلوبِهم بالتعمد، وقد جاء الفعل على وزن(تَفَعَّلَ) وهو في هذا الموضع يدلُّ على تكلف الأمر وتعاطيه، فالفاعل يعاني الفعل، ويُرِيدُ الحصولَ عليه من غيرِ إظهارِ ذلك؛ إيهامًا على غيره.

قال سيبويه:" وإذا أرادَ الرجلُ أنْ يُدْخِلَ نَفْسَهُ في أَمْرٍ، حتى يُضافَ إليه، ويكونَ مِنْ أَهلِهِ، فإنَّكَ تقول: تَفَعَّلَ، مثل: تَشَجَّعَ، وتَبَصَّرَ، وتَجَلَّدَ، وتَحَلَّمَ، قال حاتم:

---

(١) الخوارزمي، التخمير،٢/٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب العين،(عمد)، ٢/ ٤٥٠.

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنِ، وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ، حَتَّى تَحَلَّمَا"[١].

وَوَرَدَ مُتضمنًا صفةَ(التشابه) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾[البقرة:١١٨].

قال الزبيدي:" تَشَابَهَا واشْتَبَهَا: أَشْبَهَ كُلٌّ منهما الآخَرَ حتى الْتَبَسَا"[٢]، وجملة:﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة أو اعتراضيّة[٣]،وفيها الفعل﴿تَشَٰبَهَ﴾ فعل ماض لازم مبني على الفتح على وزن (تَفَاعَلَ)؛ للدلالة على المشاركة بين اثنين أو أكثر[٤]، و﴿التاء﴾ تاء التأنيث الساكنة، أُسندالفعل﴿تَشَٰبَهَتۡ﴾ إلى فاعله ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ المركّب الإضافي، وفيه المضاف﴿قُلُوبُ﴾ فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمه الظاهرة، أُضيفَ إليه ضمير الغائبين﴿هُمۡ﴾ العائد إلى مشركي العرب واليهود والنصارى.

النمط الثاني: [فعل ماض متعد لواحد + فاعل" اسم ظاهر" + مفعول به]:

ذَكَرَ سيبويه الفعلَ المتعدّي في بابٍ أسماه "هَذَا بَابُ الْفَاعِلِ الَّذِي يَتَعَدَّاهُ فِعْلُهُ إِلَى مَفْعُولٍ وَذَلِكَ قَوْلُكَ: ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيْدًا. فَعَبْدُ اللهِ ارْتَفَعَ هَهُنَا كَمَا ارْتَفَعَ فِي(ذَهَبَ)، وَشَغَلْتَ(ضَرَبَ) بِهِ كَمَا شَغَلْتَ بِهِ (ذَهَبَ)؛ وَانْتَصَبَ زَيْدٌ؛ لأَنَّهُ مَفْعُولٌ تَعَدَّى إِليهِ فِعْلُ الْفَاعِلِ"[٥]، فسيبويه ذَكَرَ إتيانَ الفعلِ مُتعديًا وأنَّهُ هو

---

(١) سيبويه، الكتاب،٧١/٤. - والبيت من(بحر الطويل) ذكره ابن الشَّجَرِي، هبة الله بن علي أبو السَّعادات العلوي المعروف بابن الشجري(ت٥٤٢هـ)، ونسبه إلى حاتم الطائي في(مختارات شعراء العرب)، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ط١(١٤١٢هـ-١٩٩٢م)،٤٨. وابن هشام ونسبه إلى الأحنف بن قيس،الشاهد(٩٠٤)، في مغني اللبيب،٧٧٤/٢.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، باب الهاء، (ش ب هـ)،٤١١/٣٦.

(٣) صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن،٢٤٨/١.

(٤) ينظر، ابن الحاجب، الكافية في عِلْمِ النحو والشافية في عِلمَيِ التصريف والخط، تحقيق، د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)،٦٣.

(٥) سيبويه، الكتاب،٣٤/١.

الَّذِي رفَعَ الفاعلَ، ولكنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بفاعلِهِ، فَقَدِ انْشَغَلَ بغيرِهِ فنصبَ مفعولًا بِهِ. ويمتاز الفعل المتعدي من اللازم بأنه ينفرد بتعديه إلى مفعول به مباشر دون وساطة من حرف جر.

<u>وَرَدَ هذا النمطُ مُتضمنًا صفة(البلوغ) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ <u>وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ</u> وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝﴾[الأحزاب:١٠].

قال الأصفهاني:"البلوغُ والبلاغُ: الانتهاءُ إلى أقصى المَقْصِدِ والمُنْتَهَى، مكانًا كَانَ أو زَمَانًا، أو أَمْرًا مِنَ الأمورِ المُقدَّرَةِ، ورُبَّمَا يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ المُشَارَفَةِ عليهِ وإنْ لمْ ينتهِ إليهِ"(١).

وقال الشريف الرضي:" وأما قوله:﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ فالمراد به– والله أعلم– انتفاخ الرئات من الرُّعْبِ ومن قولهم للخائفِ الجبانِ انتفخَ سَحَرُهُ، والسَّحَرُ الرِّئَةُ وكني عنها بالقلب؛ لتجاورهما في الجوف، ويجوز أن يكون المراد بذلك نبو القلوب عن أماكنها، وانزعاجها عن معاطنها لشِدَّةِ الرُّعْبِ، وعُلُوّ الكَرْبِ فإذا انزعجَتِ القلوبُ عن مستقراتِهَا فإنَّمَا تطلبُ صَعَدًا فلذلك حَسُنَ أنْ يُقَالَ:﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾، ويجوزُ أنْ تكونَ القلوبُ ههنا كنايةً عن النفوس، ويكون معنى بلوغها الحناجر مقاربتها الخروج من عظيم الجزع، وشدة الهلع"(٢).

"وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: معناه كادت القلوب تبلغ الحناجر من الخوف، فهو مَثَلٌ في اضطراب القلوب ووجيبها، ورَدَّهُ ابنُ الأنباري فقال: العرب لا تضمر(كاد)، ولا تعرف معناه ما لم تنطق به"(٣). وجاءت جملة:﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾الدالة على شدة الخوف والفزع في محلّ جرّ معطوفة بالواو على جملة﴿زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ التي أضيفت إلى الظرف﴿إِذْ﴾، وفيها الفعل﴿بَلَغَتِ﴾ فعل ماض متعد لمفعول واحد مبني على الفتح على وزن(فَعَلَ) اتصلَتْ به تاءُ التأنيث الساكنة التي حُرِّكَتْ بالكسر؛ مَنْعًا لالتقاء الساكنين، أُسْنِدَ الفعلُ إلى فاعلِهِ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾، وتَعَدَّاهُ ونَصَبَ مفعولًا به﴿ٱلْحَنَاجِرَ﴾.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الباء،(بلغ)،١/ ٧٦، ٧٧.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٢٤٢.

(٣) نقلا عن أبي بكر الرازي، غرائب آي التنزيل،٤١٦.

وجَاءَ كلٌّ مِنَ الفاعلِ والمفعولِ بـه مُعَرَّفًا بأل العهدية التي تدل على قلوب المسلمين وحناجرهم، فقد وَصَلَتْ قلوبُهم من شدة الفزع إلى الصعود علوا ؛ فاتصل وجيب هذه القلوب بالحناجر ؛ طلبًا للانفصال.

النمط الثالث: [فعل مضارع لازم + فاعل" اسم ظاهر"]:

جاءَتِ الأفعالُ في هذا النمط والذي يليه مضارعة، والمضارعة تعني المشابهة للأسماء.

قال الأستراباذي:"وإنما عُرِفَ المضارع بمشابهته للاسم؛ لأنه لم يُسَمَّ مُضَارِعًا إلا لهذا"(١).

وقال الجرجاني: "المُضارِعةُ مُشتَقَّةٌ من الضَّرْعَيْنِ كأنَّ المعنى أنَّ الشَّيئَيْنِ إذا تَشَابَهَا فكأنهما قد رَضَعَا من ضَرْعٍ واحدٍ، وقيلَ: إنَّ ذلكَ لما بَيْنَ الضَّرْعَيْنِ من المُشَابَهَة"(٢).

وحَدَّ الفاكهيُّ الفعل المضارع بقوله:" كلمة دلَّتْ على حَدَثٍ وزمانٍ غير مُنْقَضٍ حَاضِرًا كان أو مُسْتَقْبَلًا"(٣)، وذَكَرَ أنَّ مذهب الجمهور أنَّ المضارع موضوع بالاشتراك لهما، وقد يتعين لأحدهما(٤) أي للحاضر أو المستقبل فصيغة المضارع قد تأتي للحال، نحو قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام:﴿**فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ**﴾[النمل:٢٠]، وقد تأتي للاستقبال كقوله تعالى:﴿**يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ**﴾ [النور:٣٧]، وقد تأتي للماضي بقرينة كقوله تعالى:﴿**وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ**﴾[المائدة:٤١].

والمضارع ما كان في أوله إحدَى الزيادات الأربع التي هي الهمزة في أفعلُ أنا، والنون في نفعلُ نحن، والتاء في تفعلُ أنتَ وهي، والياء في يفعلُ هو، قال الزمخشري عند تعريفه للفعل المضارع: " هو ما تعتقبُ في صدرِهِ الهمزةُ والنونُ والتاءُ والياءُ، وذلك قولكَ للمخاطَبِ أو الغائبة(تفعلُ)، وللغائب(يفعلُ)،

---

(١) الرَّضِي الأستراباذي،محمد بن الحسن الأستراباذي(ت٦٨٦هـ)، شَرْحُ الرَّضِي الأستراباذي لكافية ابن الحاجب،(القسم الثاني- المجلد الأول) تحقيق، د. يحيى بشير مصري، عمادة البحث العلمي سلسلة نشر الرسائل الجامعية(١٥)، أشرفت على طباعته إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٦م)،٨٠٧.

(٢) الجرجاني، كتاب المُقتصِد في شرْح الإيضاح، تحقيق، د. كاظم بحر المرجان، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة كتب التراث(١١٥)،(١٩٨٢م)،١/١١٨: ١٢٠.

(٣) الفاكهي، جمال الدين عبد الله بن أحمد الفاكهي النحويّ المكّيّ(ت٩٧٢هـ)، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق، د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة- القاهرة، ط٢(١٤١٤هـ-١٩٩٣م)،٩٩.

(٤) ينظر، المرجع السابق،٩٩، ١٠٠.

وللمتكلم(أفعلُ)، وله إذا كان معه غيره واحدًا أو جماعة(نفعلُ)، وتسمى الزوائد الأربع ويشترك فيه الحاضر والمستقبل"(١).

*** والأفعال المضارعة مُشابِهَةٌ للأسماء من خمسة أوجه**(٢):

أولها:الشِّياع والعموم، الأفعال المضارعة تكون شائعة، فتتخصَّص، كما أن الأسماء تكون شائعَة، فتتخصَّص، بدخول حرف عليها يُزيل شِياعها، ويُخَصِّصُها لشيءٍ واحدٍ، نحو: زيدٌ(يذهب) يصلح أن يكون للحال أو الاستقبال، فيصلح أن يكون مُلتبسًا بالفعل، وأنْ لا يكون قد شَرَعَ فيه بعد، فإذا قلنا:(سيذهب أو سوف يذهب)، فدخول السين أو سوف عليها يخلصها للاستقبال، وهو في هذا يشبه الأسماء الشائعة كرجل وفَرَس، تقول: جاءني رجلٌ. فلا يختص بواحد من النوع، فإذا قلت: جاءني الرجلُ. فتُدْخِلُ عليه اللام فتخلصه إلى واحد معين؛ فالمشابهة بين الأسماء والأفعال المضارعة في إزالة الشياع في كل منهما بحرف أدخلته على أوله.

ثانيها: دخول لام الابتداء على الأفعال المضارعة، وهو مما يختَصُّ بالأسماءِ. تقول: إنَّ زيدًا ليَقُومُ، كما تقول: إنَّ زيدًا لقَائِمٌ. فدلَّ ذلك على مشابهة بينهما؛ بدليل أنها لا تدخل على الماضي والأمر.

ثالثها: أن الفعل المضارع يكون صفة كما يكون الاسم كذلك، تقول: مررْتُ برجُلٍ يَضْرِبُ، كما تقول: مررْتُ برجُلٍ ضَارِبٍ فيقع(يَضْرِبُ) موقع(ضَارِبٍ) ويكون بمعناه.

رابعها: الفعل المضارع يجري على اسم الفاعل في حركاته وسكونه. ألا ترى أن(يَضْرِب) على وزن (ضَارِب) في حركاته وسكونه.

خامسها: الفعل المضارع يشترك فيه الحال والاستقبال، فأشبه الأسماء المشتركة، كالعين يطلق على العين الباصرة، وعلى عين الماء، وعلى غير ذلك.

---

(١) الزمخشري، المفصل،٢٤٤.

(٢) ينظر، ابن الأنباري،الإنصاف في مسائل الخِلَافِ بين البصريين والكوفيين، تحقيق، د. جودة مبروك، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١(٢٠٠٢م)،٤٣٥. - وابن الأنباري، أسرار العربية،٣٥.

وَرَدَ مُتضمنًا صفةَ(التقطع) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١١٠].

قال الأصفهاني:"القَطْعُ فَصْلُ الشيءِ مُدْرَكًا بالبَصَرِ كالأجسامِ أو مُدْرَكًا بالبَصيرَةِ كالأشياءِ المعقولةِ... ﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي إلا أنْ يموتوا، وقيل: أنْ يتوبوا توبةً بها تتقطِعُ قلوبُهم نَدَمًا علَى تفريطِهم"[١].

وقالَ الشريفُ الرضي:" وقوله تعالى:﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وهذه استعارة ومعناها أنَّ ذِكْرَ البنيان الذي بنوه لا يزال ريبةً في قلوبهم يخافون معها إنزال الله سبحانه بهم ضروب العقاب أو بسط المؤمنين عليهم لما ظاهروهم به من العناد والشقاق فهم أبدًا بنفوسهم مستريبون، وعليها خائفون مشفقون فلا يزالون على ذلك إلى أنْ تقطَّعَ قلوبُهم حسرةً، وتزهقَ نفوسُهم خِيفةً، وقد قيل: أيضًا المراد إلا أنْ يتوبوا من ذلك، ويندموا ندمًا تتقطع منه قلوبُهم على طريق المبالغة في صفة الندم، وقيل أيضًا المعنى إلا أنْ يتوبوا فتتقطَّع قلوبُهم التي اعتقدوا بها ذلك الغي، وتبلى أجسادُهم، وتنقص رممُهم"[٢].

جَاءَ قوله تعالى:-﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ استثناء مِن أعمّ الأزمنة أو مِن أعمّ الأحوال، فالمستثنى منه محذوف وهو إمّا عموم الأحوال أو عموم الأوقات أي لا يزال ريبة في كلّ حال أو لا يزال ريبة في كلّ وقت﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[٣]، وهو استثناء للتأكيد على بقاء بنيانهم ريبة أبدًا، فيه المستثنى منه محذوف أي لا يزال بنيانهم الذي بنوا- وهو مسجد الضرار الذي نُهي الرسول ﷺ عن الصلاة فيه- ريبة في كل وقت من الأوقات إلا وقت تقطيع قلوبهم وما هي بمُقَطَّعَةٍ، و﴿أَن﴾ حرف مصدريّ ونصب و﴿تَقَطَّعَ﴾ أصلها تتقطع فعل مضارع لازم منصوب حذف منه إحدى التاءين؛ تخفيفًا.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب القاف،(قطع)،٢/٥٢٧، ٥٢٨.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٩٢.

(٣) ينظر، السَّمِينُ الْحَلَبِيّ، الدر المصون،٦/١٢٧.

اكتفى برفْع فاعله﴿قُلُوبُهُمْ﴾ والمصدر المؤوّل﴿أَن تَقَطَّعَ﴾ في محلّ نصب على الاستثناء بحذْف مضاف أي إلّا حال تقطّع قلوبهم أو إلا وقت تقطّع قلوبهم، وجملة:﴿أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ﴿أَن﴾.

<u>ووَرَدَ مُتضمنًا صفةَ(التخشع) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[الحديد:١٦].

قال الزبيدي:"الخُشُوعُ: الخُضُوعُ ... والخُشُوعُ: السُّكُونُ والتَّذَلُّلُ،... وكُلُّ سَاكِنٍ خَاضِعٌ وخَاشِعٌ"(١).

جَاءَتْ جملةُ ﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فعلية فعلها مضارع لازم﴿تَخْشَعَ﴾ منصوب بـ﴿أَن﴾، وعَلامة نصبه الفتحة الظاهرة أُسْنِدَ إلى فاعله المركّب الإضافي، وفيه المضاف إليه ضمير الغائبين ﴿هُمْ﴾عائد إلى﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، والمصدر المؤوّل﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ في محلّ رفع فاعل﴿يَأْنِ﴾ المجزوم بحذف حرف العلة (الياء) أي: ألم يحن ويقرب...؟ وقد جَاءَ المصدرُ المؤولُ في سياقِ الاستفهامِ المنفيِّ الذي فيه معنَى العتاب؛ وعبّرَ به دون الصريح؛ للتجدد والاستمرار واستحضار الصورة، وجملة ﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ صلة ﴿أَن﴾ المصدرية لا محل لها من الإعراب.﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ اللام حرف جر، و﴿ذِكْرِ﴾ اسم مجرور، وعلامة جره الكسرة(مضاف)اكتسب التعظيم من المضاف إليه لفظ الجلالة﴿ٱللَّهِ﴾، والجار والمجرور متعلق بالفعل ﴿تَخْشَعَ﴾، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، ﴿الواوَ﴾عاطفة عطفت الموصول المشترك لغير العاقل﴿مَا﴾ على﴿ذِكْرِ﴾، وجملة ﴿نَزَلَ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب أزالَتْ إبهامَ الاسمِ الموصولِ﴿مَا﴾ ، وبَيَّنَتْ معناه، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو) رَبَطَ جملةَ الصلةِ بالاسمِ الموصولِ، و﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ جارٌ ومجرورٌ متعلّقٌ بحال من فاعل﴿نَزَلَ﴾ .

<u>ووَرَدَ مُتضمنًا صفةَ(الطمأنينة) في(خمسة) مواضع:</u>

أولها: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾[المائدة:١١٣].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، باب العين،(خشع)،٢٠/٥٠٦، ٥٠٧.

قال الأصفهاني: " الطُّمَأْنينةُ والاطمئنانُ السُّكونُ بَعْدَ الانزعاجِ"[١].

وَرَدَ الفعلُ﴿تَطْمَئِنَّ﴾ مضارعًا، وماضيه(اطْمَأَنَّ) على وزن(افْعَلَلَّ)، وذَهَبَ سيبويه إلى أنَّ الأَصْلَ (طَأْمَنَ)لا(طَمْأَنَ)، وأيَّدَهُ ابنُ جِنّي، وذَهَبَ أبو عَمرو الجَرْمِيّ إلى أنَّ الأَصْلَ تقديمُ الميم على الهمزة (اطمأنَّ)[٢]، وأيَّدَهُ ابنُ عصفور، وأَخَذَ برأيِهِ فقال: " وهو الصحيحُ عِندِي؛ لأنَّ أكثرَ تصريفِ الكلمةِ أَتَى عليه، فقالُوا:"(اطمأنَّ) و(يَطمئنُّ) و(مُطمئنٌّ)" كما قالوا: (طأمَنَ)(يُطأمِنُ) فهو(مُطأمِنٌ)، وقالوا:(طُمأنينة)، ولم يقولوا:(طُؤَمنينة)"[٣].

وهذه الصيغة(افْعَلَلَّ) وَرَدَتْ للدلالةِ علَى المطاوعةِ، والمراد بالمطاوعةِ عندَ عُلماءِ التصريفِ قبول تأثيرِ الغيرِ، أو بتعبيرٍ آخر استجابة المفعول لتأثير الفاعل كقولهم: طمأْنْتُهُ فَاطْمَأَنَّ[٤].

وقد أَغْنَتْ هذهِ الصيغةُ(اطمأنَّ) على وَزْنِ(افعللَّ) عن صيغةِ الثلاثي(طَمَنَ) بوزن(فَعَلَ) غير المستعملة من هذا الفعل[٥].

جاءَتْ جُمْلَةُ ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ من جملة قول الحواريين لعيسى عليه السلام:﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[المائدة:١١٢]، وفيها الفعل﴿تَطْمَئِنَّ﴾ فِعْلٌ مضارعٌ لازمٌ معطوفٌ على الفعل ﴿نَّأْكُلَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، أُسندَ إلى فاعلِهِ المركَّب الإضافي﴿قُلُوبُنَا﴾ الذي اكتسبَ فيه المضافُ﴿قُلُوبُ﴾ التعريفَ مِنْ إضافتِهِ إلى ضميرِ المتكلمينَ﴿نَا﴾ العائد إلى الحواريينَ.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الطاء،(طمن)،٢/ ٤٠٠.

(٢) ينظر، أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق، رجب عثمان محمد- ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٨م)،٨٨.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق، د. فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)،٢/٦١٧، ٦١٨.

(٤) ينظر، الجرجاني، المِفْتَاحُ فِي الصَّرْفِ، تحقيق، د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١(١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)،٥٠.

(٥) ينظر، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الإفريقي ثم المصري المعروف بابن منظور(ت٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيديَ، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣(١٤١٩هـ-١٩٩٩م)،(ط م ن)،٨/٢٠٤.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

جَاءَتْ جملةُ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة بـ﴿الواو﴾ على جملة صلة الموصول﴿ءَامَنُواْ﴾ فأفادَتِ الجَمْعَ والمشاركةَ بين حصول الإيمان واستمرارية طمأنينة القلب الملتصق بِذِكْرِ اللهِ، وعَدَلَ عن عطْفِ الماضي على الماضي فلم يقل:"واطمأنت قلوبهم" إلى صيغة المضارع ﴿وَتَطْمَئِنُّ﴾ ؛ لإفادة تجدد طمأنينة قلوب المؤمنين الملتصقين بذِكْرِ الله واستمراريتها، واستحضار الصورة، و﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ﴿الباء﴾ حرف جر يفيد الإلصاق[1]، والاستعانة، والسببية، و﴿ذِكْرِ﴾اسم مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضافٌ اكتسبَ من المضاف إليه لفظ الجلالة﴿ٱللَّهِ﴾التعظيم، والجار والمجرور ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بالفعل﴿تَطْمَئِنُّ﴾؛ للدلالةِ على أنَّ طمأنينة قلوبهم بسبب ثباتهم على استعانتهم والتصاقهم بذِكْرِ الله ﷻ.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿... أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾[الرعد:٢٨].

أفادَتْ أداةُ الاستفتاحِ﴿أَلَا﴾ التنبيهَ عَلَى أهميةِ ذِكْرِ اللهِ فِي استمراريةِ طمأنينةِ القلوبِ، والحَثَّ عَلَى الثباتِ عَلَى ذِكْرِ اللهِ، وتقدَّم الجار والمجرور﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ على الفعل﴿تَطْمَئِنُّ﴾المتعلق به؛ للتوكيدِ وتخصيصِ الاستعانةِ[2] والالتصاقِ بـ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ في التأثيرِ في القلوبِ بحصولِ طمأنينتِهَا، والاهتمام ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. وتكرَّرَ الفعلُ المضارع اللازم ﴿تَطْمَئِنُّ﴾ مرتين في الآية؛ للتأكيدِ على تَجَدُّدِ الاطمئنان، واستمراره، وأنَّهُ لا يتخلله شكٌّ ولا انزعاجٌ. والفعل﴿تَطْمَئِنُّ﴾ أُسْنِدَ إلى فاعله﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ الذي جَاءَ معرفًا بـ (أل) العهدية؛ فأفادَتِ اتصاف قلوب المتحدَّث عنهم﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالطمأنينة.

وفي تعليل اختلاف الأثر المترتب على ذِكْرِ الله، مرة ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهنا ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ قال ابن جماعة:"هنا﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال:٢]، وفي الرعد﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨] ؛لأنَّ المرادَ هنا ذِكْرُ عظمة الله وجلاله، وشدة انتقامه ممن عصى أمره، لأنَّ الآية نزلت عند تنازعهم في

---

(١) الزمخشري، المُفَصَّلُ،٢٨٥.

(٢) ينظر، ابن عصفور، المُقَرِّب، باب حروف الخفض،١/٢٠٤.

غنائم بدر، فناسب ذِكْر التخويف، وآية الرعد نزلت فيمن هداه الله، وأناب إليه، فالمراد بذلك الذِّكر، ذِكر رأفته ورحمته وعفوه ولطفه بمن أطاعه وأناب إليه، وجمع بينهما في آية الزمر، فقال:﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٢٣] أي عند عظمته وعفوه وكرمه"[١].

ورابعها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ... ﴿٢٦٠﴾﴾[البقرة: ٢٦٠].

قالَ ابنُ قتيبة:" ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ بالنظر. كأنَّ قلبَهُ كانَ مُعَلَّقًا بِأَنْ يَرَى ذلك. فإذا رآه اطمأنَّ وسَكَنَ، وذَهَبَتْ عنه مَحَبَّةُ الرؤيةِ"[٢].

وقال أبو بكر الرازي:" فإنْ قيلَ: كيف يجوز أنْ يكونَ النبي غير مطمئن القلب بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى، حتى قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾؟

قلنا: ليطمئن قلبي بعِلْمِ ذلك عيانًا كما اطمأنَّ به برهانًا، أو ليطمئن بأنك اتخذتني خليلًا، أو بأني مستجابُ الدعوةِ"[٣].

جاءَتْ جملةُ ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ المقدر(أنْ) بعد لام التعليل التي بيَّنَتْ سَبَبَ طَلَبِ إبراهيم عليه السلام سؤال ربه كيفية إحياء الموتى، والمصدر المؤوّل(أنْ يطمئنّ قلبي) في محلّ جرّ باللام متعلّق بفعل محذوف تقديره:(أسألُ)، و﴿لَـٰكِن﴾حرف استدراك، والفعل بعده معطوف بالواو على مقدّر أي: بلى آمنتُ، وما سألتُ غير مؤمن ولكنْ سألتُ عن كيفية الإحياء؛ ليطمئنّ قلبي، وعبّرَ بالمصدر المؤول دون الصريح؛ للدلالةِ علَى طلبِ الخليلِ عليه السلام استمرارية طمأنينة قلبه وسكونه في الحال والاستقبال بعد الإراءة، وأُسندَ الفعلُ المضارعُ المنصوبُ﴿يَطْمَئِنَّ﴾إلى فاعله ﴿قَلْبِى﴾ المرفوع بضمّةٍ مُقدّرةٍ على الباء لمناسبة ياء المتكلم العائد إلى إبراهيم عليه السلام، والياء ضمير المتكلم في محل جر مضاف إليه.

---

(١) ابن جَمَاعَة، شيخ الإسلام أبو عبد الله ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جَمَاعَة (ت٧٣٣هـ)، كَشْفُ الْمَعَانِي فِي الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْمَثَانِي،(٨) سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي- باكستان تحقيق، د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة- مصر، ط١(١٤١٠هـ-١٩٩٠م)،١٨٩، ١٩٠.

(٢) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٩٦.

(٣) أبو بكر الرازي، غرائب آي التنزيل،٢٩.

وخامسها: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١٢٦﴾[آل عمران:١٢٦].

جَاءَتْ جملةُ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ معطوفةً بالواو على﴿بُشْرَىٰ﴾التي أتَتْ مفعولا ثانيًا للفعل في ﴿جَعَلَهُ﴾ الذي اتصل به مفعوله الأول﴿الهـاء﴾ ضمير المفرد الغائب العائد إلى إمداد الله ﷻ المؤمنين بالملائكة مُتقدمًا على فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾؛ للتوكيد على أهمية هذا الإمداد فهو من الله ﷻ بشرَى ومسرة لهم، وجَاءَ التعبيرُ في صورة الاستثناء المفرغ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ بأداة النفي﴿مَـا﴾ والاستثناء﴿إِلَّا﴾؛ للتوكيد على أنَّ اللهَ جَعَلَ الإمدادَ بالملائكة بُشْرَى لكم، ولتطمئنَّ قلوبُكم به، وصرّحَ بالجار والمجرور﴿لَكُمْ﴾ المتعلق بـ﴿بُشْرَىٰ﴾ مع وضوح أنَّ البشرَى لهم؛ للدلالةِ علَى تكرمةِ اللهِ لهم بها، واللام في قوله﴿لِتَطْمَـئِنَّ قُلُـوبُكُم بِـهِ﴾ لام التعليل حرف جر مبني لا محل له مِنَ الإعراب أي ما جَعَلَهُ اللهُ إلا لأجل أنْ تطمئنَ قلوبُكم به، و﴿تَطْمَـئِنَّ﴾ فعل مضارع لازم منصوب بـ(أنْ) المضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة أُسندَ إلى فاعله المركَّب الإضافي الذي جَاءَ فيه المضـاف ﴿قُلُـــوبُ﴾ مرفوعًـا وعلامـة رفعـه الضـمة الظـاهرة، اكتسـبَ مِـنَ المضـاف إليـه ضـمير المخاطَبين﴿كُم﴾ العائد إلى مَنْ مع رسول الله ﷺ من المؤمنين بغزوة بدر التعريفَ.

والجار والمجرور﴿بِهِ﴾ متعلق بالفعل﴿تَطْمَئِنَّ﴾ وفيه أفادت﴿الباء﴾السببية؛ أي: تطمئن قلوبُكم بسبب هذا الإمداد.

وجملة﴿تَطْمَـئِنَّ قُلُـوبُكُم بِـهِ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ المقدر(أنْ) بعد لام التعليل، والمصدر المؤول المنسبك مِنْ(أنْ) المضمرة وما بعدها﴿تَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ في محل جر بلام التعليل أفادَ التعبيرُ به دون الصريح استمرارية الطمأنينة في الحال والاستقبال بسبب هذا الإمداد، واستحضار الصورة، والجار والمجرور﴿لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: بَشَّرَكم.

وتلوينُ الخِطَابِ في عِلَّتَيّ جَعْلِ الإمداد بالملائكة عيانًا مرة بالمصدر الصريح ﴿بُشْرَىٰ﴾، وأخـرى بالمصدر المؤول﴿تَطْمَئِنَّ قُلُـوبُكُم﴾؛ لتشريف المؤمنين وللإيذان بأنهم المحتاجون إلى البِشارة وتسكينِ القلوب بالإمداد بالملائكة.

ووَرَدَ مُتضمنًا صفة(الإباء) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾[التوبة:٨].

قال الأصفهانيُّ:" الإباءُ: شِدَّةُ الامتناعِ، فكُلُّ إباءٍ امتناعٌ، وليسَ كُلُّ امتناعٍ إباءً"[١].

وقال الزمخشري:" وإباءُ القلوبِ مُخَالَفَةُ مَا فيها مِنَ الأَضْغانِ، لِمَا يُجْرُونَهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْكَلَامِ الْجَمِيلِ"[٢].

جملة﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة بالواو على جملة﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ الاستئنافية التي لا محل لها، وفيها﴿تَأۡبَىٰ﴾ فعل مضارع لازم مرفوع، وعَلامة رفعه الضمة المقدَّرة على الألف؛ للتعذر أُسند الفعل إلى فاعله المركّب الإضافي المتصف به﴿قُلُوبُهُمۡ﴾؛ للدلالةِ على شِدَّةِ امتناعِ قلوبِ المشركينَ عن طاعةِ اللهِ ورسولِهِ في الحال والاستقبال.

ووَرَدَ مُتضمنًا صفة(العمى) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:﴿ ... فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾[الحج:٤٦].

قال الأصفهاني: " العَمَى يُقالُ في افتقادِ البصرِ والبصيرةِ، ويُقَالُ فِي الأولِ: أَعْمَى، وفي الثاني:أَعْمَى وعَمٍ... بل لم يُعَد افتقادُ البَصَرِ في جَنْبِ افتقادِ البصيرةِ عَمَى حتى قَالَ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾"[٣].

وجعلَ الشيخُ العز عَمَى الأبصارِ والقلوبِ مِنَ المجازِ، فقالَ:"ويتجوَّزُ بِالعَمَى عَنِ الجهلِ في قولِهِ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ، ولمَّا اشتركَ البصرُ والبصيرةُ في عدمِ الإدراكِ تجوّزَ بِهِ عنهُ"[٤]، وفي الفائدة من وصف القلوب بقوله تعالى:-﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ قال النيسابوري:

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الألف،(أبى)، ١/ ٧، ٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف،٣/١٦، ١٧.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب العين،(عمى)،٢/ ٤٥٢ .

(٤) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٧٤.

النيسابوري: "لِبيانِ أنَّ مَحلَّ العِلْمِ القلبُ؛ ولئلا يُقال إنَّ القَلْبَ يُعنَى به غير هذا العضو على قولهم: القلبُ لُبُّ كلِّ شيءٍ"(١).

وقيل: إنما ذَكَرَ الصدورَ؛ تأكيدًا كما في قوله تعالى:﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[الأنعام:٣٨]، وتقييدًا مفيدًا لمن يجعل القلب بمعنى العقل، ويزعمُ أنَّ العقلَ في الرأس(٢).

وفي معنى﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ قال الزمخشري: " والمعنى: أنّ أبصارَهم صحيحةٌ سالمةٌ لا عَمَى بها. وإنَّمَا العَمَى بِقُلُوبِهِمْ. أو لا يُعْتَدُّ بِعَمَى الْأَبْصَارِ، فَكَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَمًى بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَمَى الْقُلُوبِ. فَإِنْ قُلْتَ: أىّ فائدةٍ فِي ذِكْرِ الصُّدُورِ؟

قُلْتُ: الذي قد تُعورِفَ، وَاعْتُقِدَ أَنَّ العَمَى عَلَى الحقيقةِ مكانُهُ الْبَصَرُ، وهو أنْ تُصَابَ الحَدَقَةُ بِمَا يَطْمِسُ نُورَها. واستعماله في القلبِ استعارة ومَثَل، فلمَّا أُريدَ إثباتُ ما هو خِلافُ المُعْتَقَدِ مِنْ نِسْبَةِ العَمَى إلى الْقُلُوبِ حقيقة، ونفيه عن الأبصارِ، احتاجَ هذا التصوير إلى زيادةِ تعيينٍ وفَضْلِ تعريفٍ؛ لِيَتَقَرَّرَ أنَّ مَكَانَ العَمَى هو القلوبُ لا الأبصار..."(٣).

جَاءَتْ جملةُ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ معطوفة بـ﴿الوَاو﴾ في محل رفع على جملة ﴿لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾التي جاءت في محل رفع خبر﴿إِنَّ﴾ الحرف الناسخ الناصب المشبه بالفعل بمعنى أؤكد، واسمه ضمير الشأن ﴿الهَاء﴾ في قوله﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ وتقديم ضمير الشأن فيه مِنْ قوةِ نَفْيِ العمَى عن الأبصار ما ليس في قولهم:(فإنَّ الأبصارَ لا تَعْمَى)، كما أنَّ فيه مِنَ الفخامة، وتشويق القارئ والمستمع لمعرفة المقصود من ضمير الشأن(٤)، فإذا جَاءَ المسندُ إليه المنفي﴿لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أَفَادَ أنَّ المقصودَ بضمير الشأن هو﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، وأكَّدَ تجدد نَفْيِ العَمَى واستمراره عن الأبصار في الحال والاستقبال بإسناد الفعل المضارع المنفي﴿لَا تَعۡمَى﴾ إلى فاعله﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ الاسم الظاهر المعرف بـ(أل)

---

(١) "بيان الحق" النيسابوري، إيجاز البيان،٢/٥٨٠.

(٢) ينظر، أبو بكر الرازي،غرائب آي التنزيل،٣٤٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف،٤/٢٠١، ٢٠٢.

(٤) ينظر، الفخر الرازي، نهاية الإيجاز،١٨٨.

التعريف الجنسية التي تُفِيدُ العمومَ والشمولَ لجميعِ الأبصارِ، ولِمَا في هذا التركيبِ القرآنيِّ مِنْ إعجازٍ عِلْمِيٍّ، ومِنْ خروجٍ عن مألوفِ الناسِ قد يتطرقُ معه الشكُّ أو الإنكارُ إلى بعض ضِعافِ الإيمانِ جَاءَ في صورةٍ بديعةٍ حيث أُكِّدَ بـ﴿إِنَّ﴾؛ لإزلةِ الشكِّ، وتقوية الحُكْمِ؛ ولبيان أهمية هذا الحُكْمِ، وجَاءَ نَفْيُ العَمَى عن الأبصار مرتين؛ مرة بإسناد﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ إلى ضمير الشأن في﴿إِنَّهَا﴾ العائد بالإحالة إلى متأخر في الرتبة، ومرة أخرى بإسناد﴿لَا تَعْمَى﴾ إلى فاعله﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، وجَاءَ المخصوص بنَفْيِ الحُكْمِ عنه مرتين؛ ﴿الهَاء﴾ و﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، و﴿لَٰكِن﴾ حرف مشبه بالفعل للاستدراك؛ أَفَادَ مَنْعَ الخطأ في الفهم بنَفْيِ اعتقاد أنَّ مكانَ العمَى البصر، وإثبات أنَّ مكانَ العمَى الحقيقي القلوب المستقرة في الصدور، والفعل﴿تَعْمَى﴾ فعل مضارع لازم مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف؛ للتعذر، أُسْنِدَ إلى فاعله﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ الذي جَاءَ معرفًا بـ(أل) الجنسية؛ فأفادت الشمول لقلوبِ المتحدَّثِ عنهم وغيرهم في أنَّها هي التي تتصف بالعمَى حقيقةً، وأكّد هذا الحُكم بوصْفِ هذه القلوب بقوله:﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ؛ لزيادة التقرير والتبيين والتعريف بأنّ مكانَ العمَى هو القلوب المستقرة في الصدور لا الأبصار، و﴿ٱلَّتِي﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل رَفْع نعت لـ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾، و﴿فِي ٱلصُّدُورِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: استقرت أو تستقر، أفادت﴿فِي﴾ الظرفية المكانية أي الوعاء حقيقة، فالقلب مكانه الصدر، والصدر وعاءٌ له، وجملة(تستقر في الصدور) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وأَفَادَ الوصفُ زيادةً على ما سَبَقَ التعريضَ بالمتحدَّث عنهم حيث إنهم لم ينتفعوا بقلوبهم المستقرة في صدورهم.

ويرى الباحثُ أنَّ إسنادَ العمى إلى القلوب في هذا الموضع إسنادٌ حقيقيٌّ، فالقلوبُ تَعْمَى وينتج عن هذا العمى الجهل والضلالة.

<u>النمط الرابع: [فعل مضارع لازم+جار ومجرور+فاعل" اسم ظاهر"]:</u>

ورد هذا النمط في(ثلاثة) مواضع:

<u>أولها: وَرَدَ مُتضمنًا صفةَ (الطمأنينة) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى:-﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ <u>وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ</u> وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾[الأنفال: ١٠].

هذه الآية تتشابه مع قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران:١٢٦].

في المقصود من الآيتين من حيث المعنى، وفي أنَّ كُلا منهما تتحدثُ عن صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتغايرتا في أربعة أشياء:

١- آية الأنفال تتحدث عن الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وآية آل عمران تتحدث عن الإمداد بالملائكة في غزوة أُحُد.

٢- تقديم الجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ على﴿قُلُوبُكُمْ﴾ في آية الأنفال في قوله تعالى:-﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾، وتأخيره في آية آل عمران في قوله تعالى:- ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾.

٣- في آية الأنفال﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ بدون(لكم)، وزيادة ﴿لَكُمْ﴾ في آية آل عمران﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾.

٤- استئناف تأكيد الوصفين بـ﴿إِنَّ﴾ في خاتمة آية الأنفال في قوله تعالى:- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ووردت الصفتان تابعتين دون تأكيد في خاتمة آية آل عمران في قوله ﷻ ﴿ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

وفي تعليل ذلك قال أبو جعفر الغرناطي: " والجواب عن الأول والثاني، والله أعلم: أنَّ آيةَ آل عمران لَمَّا تَقَدَّمَ فيها قوله تعالى:-﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾[آل عمران:١٢٥]، والإخبار عن عدوهم فاختلطَ ذِكْرُ الطائفتين، وضمهما كلامٌ واحدٌ فجردت البشارة لمن هُدِيَ منهما، وأنها لأولياء الله المؤمنين فقيل:﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، وبَيَّنَ أنَّ قلوبَهم هي المطمأنة بذلك فقيل:﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾، فقدمت القلوب على المجرور؛ اعتناءً وبشارةً؛ ليمتازَ أهلُها ممن ليس لهم نصيب. أما آية الأنفال فلم يتقدَّمْ فيها ذِكْرٌ لغير المؤمنين فلم يحتج إلى ضمير الخطاب في﴿لَكُمْ﴾، وأيضا فإنَّ آية الأنفال قد تقدَّمَ قبلها قوله تعالى:-﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[الأنفال:٧] فأغنَى عن عودته فيما بعده اكتفاءً بما قد حَصَلَ مما تقدَّمَ مِنْ تخصيصهم بذلك. والجواب عن السؤال الثالث: أنَّ آيةَ الأنفال تَقَدَّمَ فيها أوعادٌ جليلةٌ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[الأنفال:٧]، ثم قال:﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال:٨]، فهذه أوعادٌ علية لم يتقدَّم إفصاحٌ بمثلها في آية آل عمران فناسبها تأكيد الوصفين

العظيمين مِن قُدرتِهِ جَلَّ وتعالى على كل شيء، وحِكْمَتِهِ في أفعالِهِ فقال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠]، ولَمَّا لم يقعْ في آية آل عمران إفصاحٌ بما في آية الأنفال وردَتِ الصفتان تابعتين دون تأكيدٍ، وجاءَ كلٌّ على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد في تعقيب الآيتين ليناسب، وذلك واضحٌ، والله أعلم"[١].

وثانيها: ورد متضمنًا صفة(الإخبات) في موضع واحد هو:

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾[الحج:٥٤].

قال الأصفهاني: " الخَبْتُ: المُطمئنُ مِن الأرض، وأَخْبَتَ الرَّجُلُ: قَصَدَ الخَبْتَ أو نَزَلَهُ، نحو: أَسْهَلَ وأَنْجَدَ، ثمَّ استُعمِلَ الإخباتُ استعمالَ اللينِ والتواضعِ... وقوله تعالى:- ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾أي تلينَ وتخشعَ"[٢].

فيه﴿الفَاء﴾عاطفة للفعل المضارع اللازم﴿تُخْبِتَ﴾على المضارع المنصوب بعد فاء السببية﴿فَيُؤْمِنُواْ﴾ فأفادَتِ الترتيبَ والتعقيبَ بلا مهلةٍ[٣]؛ فحصول الإيمان بالقرآن وما به يعقبه قريبًا منه إخباتُ قلوبِ الذين أوتوا العِلْمَ حَدَثيًا وزمنيًا، والفعل المضارع اللازم﴿تُخْبِتَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة أُسند إلى فاعله المركَّب الإضافي المتصف بالإخبات﴿قُلُوبُهُمْ﴾ مسبوقًا بالجار والمجرور﴿لَهُۥ﴾ المتعلق بالفعل ﴿تُخْبِتَ﴾وتقديم الجار والمجرور أفاد التوكيد والتخصيص للقرآن بأنه هو الذي تُخبت له قلوبُ الذين أوتوا العِلْمَ إخباتَ خشوعٍ وخضوعٍ ولينٍ وطمأنينةٍ.

وثالثها: ورد متضمنًا صفة(التقلُّب) في موضع واحد هو:

قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾[النور:٣٧].

---

(١) الغرناطي، الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(ت٧٠٨ هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)،٣١٤، ٣١٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الخاء،(خبت)،١/١٨٧.

(٣) ينظر، المُبَرِّد، المُقْتَضَب،١/١٤٨.

قال النيسابوري:﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ ببلوغها إلى الحناجر،﴿وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ بالشُّخُوصِ والزُّرْقَةِ والرَّدِّ على الأَدْبَارِ"[١].

وعَرَضَ البغوي لما قيل في معنى تقلب القلوب والأبصار فقال:

"﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قيل: تتقلب القلوبُ عَمَّا كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنفتح الأبصار من الأغطية، وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك، وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار مِنْ هَوْلِهِ أي ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب أمن قِبَلِ الأيمان أم من قِبَلِ الشمائل، وذلك يوم القيامة. وقيل: تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه مِنْ هول الأمر وشدته"[٢].

ويرى الباحثُ أنَّ التقلُّبَ– هنا– حِسِّيًّا ومعنويًّا، ولا معنى لتخصيصه بنوعٍ دون نوعٍ، وإنما يترك على عمومه؛ للدلالة على شدة الروع في هذا اليوم.

وجاء الفعل﴿تَتَقَلَّبُ﴾ مضارعًا دالا على الاستقبال بقرينة﴿يَوْمًا﴾أي يوم القيامة، وهو على وزن (تَتَفَعَّل)؛ للدلالة على معنى المطاوعة" للتكثير"، قال أبو حيان: "التقلب: التردد، وهو المطاوعة، قَلَّبْتُه، فتَقَلَّبَ"[٣].

وأُسندَ الفعلُ إلى فاعله﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ فدلَّ على معنى التكثير أي كثرة تردد القلوب في يوم القيامة، وتقدَّم الجار والمجرور﴿فِيهِ﴾ على المسند إليه﴿ٱلْقُلُوبُ﴾؛ فأفاد التوكيد والتخصيص والاهتمام بالمتقدِّم ﴿يَوْمًا﴾ الذي جاء مفعولا به وليس ظرفًا على الأظهر[٤]، وجملة:﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في محلّ نصب نعت للمنعوت﴿يَوْمًا﴾ أفاد تخصيص ذلك اليوم بكثرة تقلُّبِ القلوب والأبصار، قال أبو السعود:

---

(١) "بيان الحق" النيسابوري، إيجاز البيان،٦٠٣/٢.

(٢) البغوي، معالم التنزيل،٥١/٦.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط،٤١٨/١.

(٤) ينظر، حاشية الجَمَل،٢٤٢/٣.

"﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ صفة ليومًا أي تضطرب وتتغير في أنفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى:﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أو تتغير أحوالها وتتقلب"(١).

النمط الخامس: [فعل مضارع لازم+ فاعل"مركب إضافي"+ حرف عطف+ اسم معطوف]:

وَرَدَ متضمنًا صفة(اللين) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ...﴾[الزمر:٢٣].

جَعَلَ الشيخُ العز بن عبد السلام(اللين) مِنَ المجازِ عن التأتِّي وسرعة الانقياد إلى الحق والصواب بتأتِّي الشيء إلى ما يُراد منه(٢).

جاءت جملة:﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ في محلّ نصب معطوفة على جملة﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بحرف العطف﴿ثُمَّ﴾ الذي أفاد الترتيب والتراخي في بيان تأثير القرآن الكريم في المؤمنين حيث تقشعر قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذِكْرِ الله.

وجاءَتِ الأفعالُ﴿تَقْشَعِرُّ – يَخْشَوْنَ – تَلِينُ﴾ مضارعة؛ للدلالة على التجدد والاستمرار واستحضار الصورة؛ فالذين يخشون ربهم إذا استمروا على هذه الخشية يستمرُ تأثيرُ القرآن فيهم، أُسند الفعل﴿تَلِينُ﴾ المضارع اللازم المرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة إلى فاعله المركَّب الإضافي﴿جُلُودُهُمْ﴾ المعطوف عليه بـ﴿الواو﴾ التي تفيد الجمع والمشاركة "من غير تعرُّضٍ لترتيبٍ ولا مُهلةٍ"(٣) بين المعطوف﴿قُلُوبُهُمْ﴾ والمعطوف عليه﴿جُلُودُهُمْ﴾ في اللين إلى ذِكْرِ الله ﷻ، وفيه زيادة مَدْحٍ للكِتاب بوصْفه﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بعد وصْفه ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فللقرآن تأثيرٌ ظاهرٌ على جلود الذين يخشون ربهم، وباطنٌ في طمأنينة وسكينة قلوبهم ومِنْ ثَمَّ سرعة الانقياد إلى طاعة الله والاهتداء بهُداه ، والجار والمجرور﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ متعلق

---

(١) تفسير أبي السعود،١٢٤/٤، ١٢٥.

(٢) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن، ١٦٩، ١٧٠.

(٣) ابن عصفور، المُقرِّب، باب عطف النسق،٢٢٩/١.

بالفعل﴿تَلِينُ﴾الذي عُدِّيَ بحرف الجر﴿إِلَىٰ﴾ بتضمينه معنى(تطمئن وتسكن)[1]، وحرف الجر﴿إِلَىٰ﴾ أفادَ انتهاءَ الغايةِ[2] مِنَ اللينِ، والربْط المعنوي بنقْل معنى الفعل وما أُسند إليه﴿تَلِينُ قُلُوبُهُمْ﴾ مصحوبًا بمعنى﴿إِلَىٰ﴾؛ للدلالة على انتهاء الغاية من لين قلوبهم﴿قُلُوبِهِمْ﴾ إلى مجرور﴿إِلَىٰ﴾ المضاف﴿ذِكْرِ﴾الذي اكتسب التعريف والتعظيم من المضاف إليه لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ .

النمط السادس: [أداة نفي" لم"+ فعل مضارع لازم+ فاعل"اسم ظاهر"]:

وَرَدَ مُتضمنًا نفي صفة(الإيمان) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾[المائدة:٤١].

قال الأصفهاني:" يُقالُ لكلِّ واحدٍ مِن الاعتقادِ والقولِ الصِّدْقِ والعملِ الصالحِ إيمانٌ... والإيمان التصديق الذي معه أَمْنٌ"[3].

جاءَتْ جُمْلَةُ ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ حالية؛ لبيان حال المنافقين، وهي من جملة ما اشتملَ عليه نداءُ اللهِ ﷻ لرسوله ﷺ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ بذِكْرِ الصفة المشتقة من(أرسل) التي أفادَتِ التشريفَ، وتبعها جملة جواب النداء ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ ...﴾ التي لا محلّ لها من الإعراب، وفيها النهي عن الحزن ممن يسارعون في الكفر في الحال والاستقبال﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يتسابقون سريعًا في الدخول في الكفر، ثم بينهم الحق ﷻ لحبيبه ﷺ بقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بعضهم من المنافقين وبعضهم من اليهود، فأما طائفة المنافقين فهم الذين حرصوا على إظهار القول بادعاء إيمان كاذب يحصل لهم

---

(١) ينظر، البيضاوي، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت٧٩١هـ)،أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوى، تحقيق، محمد صبحي حسن حَلّاق ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق- بيروت، ط١(١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)،١٨٧/٣.

(٢) ينظر،السيوطي، معترك الأقران، تحقيق، أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)،٦٠/٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الألف،(أمن)،٣٣/١.

بسببه أمْنٌ عاجلٌ، والجار والمجرور ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾في جملة﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾متعلق بالفعل﴿قَالُوٓاْ﴾ والفائدة فى بيان تعلُّقِهِ بالأفواه مع أنَّ القولَ لا يكونُ إلا بالفمِ واللسانِ الدلالةَ على حرصهم على إظهار هذا القول، وكذلك الدلالة على أنَّ ما يجرون على ألسنتهم لا يجاوز أفواههم وإنما نطقوا به غير معتقدين له بقلوبهم﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾، وجَاءَتْ جملة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب؛ وفيها جاءت جملة مقول القول ﴿ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾الفعلية بإسناد الفعل الماضي المبني على السكون لفاعله ضمير﴿نَا﴾ الفاعلين العائد إلى المنافقين؛ حرصًا منهم على إظهار التصديق حتى يتحققَ لهم به أَمْنٌ، ومِنْ ثَمَّ جاء الجار والمجرور﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾متعلقًا بالفعل﴿آمَنَ﴾، دون بألسنتهم؛ تأكيدًا على هذا الحرص؛ وأفاد التصريح بأفواههم مع أنَّ القول لا يكون إلا باللسان والفم أنَّ ألسنتهم ليست معبّرة عن الذي في قلوبهم، ولذلك جاءَتِ الجملةُ الحاليَّةُ ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ من ﴿واو﴾الجماعة في﴿قَالُوٓاْ﴾ فأبانَتْ كَذِبَ ادعائهم بنَفْي إسناد الفعل المضارع اللازم﴿تُؤْمِن﴾ إلى فاعله الذي يتصف به﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بحرف النَّفْي والجزم والقلب﴿لَمْ﴾ الذي نَفَى عنهم صفة الإيمان في الماضي عندما قالوا بأفواههم﴿ءَامَنَّا﴾ ، والمضارع ﴿تُؤْمِن﴾ دلَّ على الماضي بقرينة﴿لَمْ﴾ التي قلبت دلالته إلى المضي، وبعده الفاعل المركّب الإضافي﴿قُلُوبُهُمْ﴾ الذي فيه ضمير الغائبين المبني على السكون﴿هُمْ﴾ العائد إلى المنافقين في محل جر مضاف إليه.

<u>النمط السابع: [أداة نفي" ما"+ كاد+ فعل مضارع لازم+ فاعل"اسم ظاهر"]:</u>

<u>وَرَدَ مُتضمنًا نفي صفة(الزيغ) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ <u>مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ</u> ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[التوبة:١١٧]

قال ابنُ قُتَيْبَة: " ﴿يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: تعدل وتميل"(١).

وقال أبو عُبَيْدَة: " ﴿يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: تعدل وتجور وتحيد،﴿فَرِيقٍ﴾ بعض"(٢).

---

(١) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،١٩٣.

(٢) أبو عبيدة، مجاز القرآن،١/٢٧٠.

وقال الأصفهاني:" الزيغُ: الميلُ عن الاستقامةِ "[١]، وقال الشريف الرضي: " وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ وهذه استعارة؛لأنَّ حقيقة الزيغ الاعوجاج والميل، والمراد مِنْ بعد ما كادت قلوبهم تزول مِنْ عظيم الخيبة، وتقنط مِنْ نزول الرحمة فتكون بذلك كالشيء الزائغ بعد الاستقامة، والمستمال بعد الثبات والرصانة"[٢].

قوله:﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾، والضمير في﴿مِّنْهُمْ﴾ يعود إلى بعض من المهاجرين والأنصار في ساعة العسرة وهي زمن استنفار النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، فجاء التعبير بـ(كاد) وهي من أفعال المقاربة؛ للدلالة على أن هذا الزيغ لم يقع ولكنه قارب الوقوع، فقد قرب منها الميل إلى التخلف عن النبيﷺ لما لقيت من المشقة، ولكنه لم يقع، والمصدر المؤول﴿مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾ مصدرية، و﴿كَادَ﴾ فعل ماض ناقص ناسخ مبني على الفتح، واسمها ضمير الشأن مقدَّر[٣] في محل رفع؛ لتهويل شأنهم حين أشرفوا على الزيغ، والجملة الفعلية ﴿يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ في محل نصب خبر﴿كَادَ﴾ التي أفادت أنَّ الزيغَ لم يقع، ولكنه قَارَبَ الوقوعَ." ولا تحتاج إلى رابط لكونها خبرًا عن ضمير الشأن وهو المنقول عن سيبويه، وإضمار الشأن على ما نقل عن الرضي ليس بمشهور في أفعال المقاربة إلا في(كاد) وفي الناقصة إلا في(كان وليس)"[٤].

ويلحظ أن توصيف النحاة لـ(كاد) بأنها فعل ماض ناسخ يدل على قُرْبِ وقوع الخبر يحتاج إلى إعادة نظر مع ربْطه بالدلالة حتى لا نقعَ في التناقض، فالفعل(كادَ) فعل ماض من جهة الصناعة النحوية، لكنه من جهة الدلالة والمعنى: يدلُّ على قُرْبِ وقوع الخبر، ومعنى قُرْب وقوعه أنه ما وَقَعَ، ولكنه بات قريبًا متوقعًا، أي إنَّ(كاد) في اللفظ ماض، وفي المعنى مستقبل؛ ولذا يرى الباحث أن كل ما كان توصيف النحاة له مخالفًا الاستعمال القرآني يجب إعادة توصيفه التوصيف الدقيق.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الزاي،(زيغ)،١/٢٨٧.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٩٣.

(٣) ينظر، سيبويه، الكتاب، ٧١/١.

(٤) الألوسي، روح المعاني،٤٠/٢١.

*** تراكيب ذِكْرِ القلب مرفوعًا للمشتقات العاملة عمل الفعل:**

وَرَدَتِ المشتقاتُ العاملةُ عَمَلَ الفعلِ(خمس) مراتٍ؛ ورد منها اسمُ الفاعل في(أربعة) مواضع: عُدِلَ فيها عن الفعل إلى اسم الفاعل معرفًا بـ(أل) في موضعين؛ قوله تعالى:﴿ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله تعالى:- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾، ومجردًا من(أل) منونًا في موضعين﴿لَاهِيَةً﴾ وبعده معموله ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ كسابقيه، و﴿ءَاثِمٌ﴾ وبعده معموله ﴿قَلْبُهُۥ﴾ بصيغة الإفراد، واسم المفعول في(موضعٍ) واحدٍ ﴿ٱلْمُؤَلَّفَةِ﴾ معرفًا بـ(أل)، وبعده معموله﴿قُلُوبُهُمْ﴾ نائب فاعل.

وقد أَلْحَقْتُ اسمَ الفاعل بأنماطِ الفعلِ المضارعِ السابقةِ لِمَا بينهما مِنْ تشابُهٍ في العمل والدلالة والزمن أشار إليه سيبويه بقوله: " هذا بابٌ مِن اسمِ الفاعلِ الذي جَرَى مَجْرَى الفعلِ المضارعِ في المفعول في المعنى فإذا أردْتَ فيه من المعنى ما أردْتَ في يَفْعَلُ كان نكرةً منونًا، وذلك قولك: هذا ضارِبٌ زيدًا غدًا. فمعناه وعملُه مثلُ هذا يَضْرِبُ زيدًا غدًا. فإذا حَدَّثْتَ عن فِعْلٍ في حينِ وقوعِه غيرِ منقطعٍ كان كذلك. وتقول: هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعةَ، فمعناه وعملُه مثل هذا يَضْرِبُ زيدًا الساعةَ. وكان زيدٌ ضاربًا أباك، فإنما تُحَدِّثُ أيضًا عن اتّصال فعلٍ في حال وقوعه. وكان مُوافِقًا زيدًا، فمعناه وعملُه كقولك: كان يَضرب أباك، ويوافِقُ زيدًا. فهذا جرَى مجرَى الفعل المضارع في العمل والمعنى منونًا"(١).

وقد وضَّحَ د. مهدي المخزومي التشابهَ في الدلالةِ والزمنِ بقوله: " صيغةُ اسمِ الفاعلِ عبارةٌ عن وَصْفٍ مأخوذٍ مِنْ فعلٍ مضارعٍ مبني للمعلوم للدلالة على مَنْ قامَ بالفعل. ويؤخذُ من المضارع أساسًا؛ لأنه" وصْفٌ يدلُّ على حدَثٍ وزمنٍ، ودلالته على الزمن ترتبطُ بالحال والمستقبل، وهذا هو زمن المضارع، فكلاهما يدل على الاستمرار، ويكون المضارع المأخوذ منه مبنيًا للفاعل؛ لأنَّ المأخوذ منه يكون وصفًا للفاعل أيضًا"(٢).

وقد ذَكَرَ سيبويه أنَّ الألف واللام مَنَعَتا الإضافة، وصارتا بمنزلة التنوين، وأنَّ اسم الفاعل بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى والعمل فقال: " هذا بابٌ صَارَ الفاعلُ فيه بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى، وما يَعْمَلُ

---

(١) سيبويه، الكتاب،١/١٦٤.

(٢) د. مهدي المخزومي، في النحو العربي، ١١٩ .

فيه وذلك قولك: هذا الضاربُ زيدًا، فصار في معنى[هذا] الذي ضَرَبَ زيدًا، وعَمِلَ عَمَلَهُ؛ لأنَّ الألف واللام مَنَعَتا الإضافة، وصارتا بمنزلة التنوين"(١).

بمعنى أنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ بمنزلة (الذين قَسَتْ قلوبُهم) في المعنى والعمل.

ويرى الباحثُ أنه وإنْ كان ذلك كذلك، إلا أنَّ هناك فَرْقًا في المعنى فهذه القسوة لم تَحْدُثْ وتنتَهِ في الماضي، وإنما حَدَثَتْ ولم تنته فصفتها الثبات والاستقرار، والدوام والاستمرار الذي أبينه في تحليل موضعَيِ النمط التاليين:

النمط الأول: [اسم فاعل + فاعل" اسم ظاهر"]:

وَرَدَ مُتضمنًا صفة(القسوة) في موضعين:

أولهما: قوله تعالى:﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾[الحج:٥٣].

جاءَ التعبيرُ عن صفة القسوة﴿ٱلْقَاسِيَةِ﴾ في صورة اسم الفاعل مغايرًا المواضع السابقة التي أتَتْ في صورة الفعل الماضي﴿قَسَتْ﴾ فدلَّ على الإثبات المطلق لقسوة قلوبهم دون قصْد التطرق لزمان تلك القسوة(٢).

قال الأصفهاني:" القسوة: غلظ القلب، وأصله مِن: حَجَرٍ قَاسٍ،... قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾[البقرة:٧٤]،﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾[الزمر:٢٢]، وقال:﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[الحج:٥٣]"(٣).

وفي قوله:﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾الواو عاطفة، و﴿ٱلْقَاسِيَةِ﴾ مشتق اسم فاعل من الثلاثي(قَسَا) معطوف على﴿ٱلَّذِينَ﴾ مجرور، وعلامة جرّه الكسرة، أفاد ثبوت صفة القسوة، وأنها صفة لهم لا تتجدد، بل صارت سجيَّةً لهم، ووَصْفًا لازمًا(٤) لا ينفك عنهم، وحرف العطف﴿الواو﴾ أفاد الجمع والمشاركة بين الذين في قلوبهم مرضُ الترددِ في قبول الإيمان، و﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ في حصول فتنة ما يُلْقِي الشيطانُ إليهم،

---

(١) سيبويه،الكتاب،١/١٨١، ١٨٢.

(٢) ينظر، الفخر الرازي، نهاية الإيجاز،٨٠.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب القاف،(قسو)،٢/ ٥٢٢ .

(٤) ينظر،السيوطي، قَطفُ الأزهار،١/٣٨٢.

و﴿قُلُوبُ﴾ فاعل لاسم الفاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف، وضمير الغائبين﴿هُمْ﴾ في محل جر بالإضافة.

والآخر: قوله تعالى:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر:٢٢].

في قوله تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾الفاء استئنافية، و﴿وَيْلٌ﴾مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والجار والمجرور ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ متعلق بخبر﴿وَيْلٌ﴾المحذوف، أفادت اللام الجارة الاختصاص للقاسية قلوبهم بالويل، وقد وَرَدَ اسم الفاعل بمعنى الصفة المشبهة؛ لأنه دلّ على صفة ثابتة فيهم، ورَفَعَ فاعلا وهو﴿قُلُوبُهُم﴾، وأفادَ إسنادُ القساوةِ إلى قلوبِهم التنصيصَ على فسادِ هذا العضوِ وعدمَ قبولِهِ شيئًا.

وجملة:﴿وَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾لا محلّ لها من الإعراب استئنافيّة، والجار والمجرور﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ متعلّق بالقاسية، أفادت﴿مِن﴾ الجارة الرَّبط بين﴿ٱلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ مصحوبًا بمعنى﴿مِن﴾ و﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فدل ظاهرُ الآية على أنَّ مَنْ تُوعِّدُوا بالويل لاتصاف قلوبهم بالقسوة بسبب ذِكْرِ اللهِ، مما دَفَعَ الزمخشري إلى تأويل﴿مِن﴾ بمعنى(عن) على سبيل المجاوزة كقوله تعالى:﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾[قريش:٤].

أي عن جوعٍ والجوعُ لا يطعمُ منه، والذي حَمَلَهُ على ذلك تنزيهُ ذِكْرِ اللهِ عن أنْ يكون سببًا للقسوة، حيثُ وُصِفَ بأنه سببُ الطمأنينةِ في قوله تعالى:﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨] فقال: "ما الفرقُ بينَ ﴿مِن﴾ وَ"عَنْ "في هذا؟ قلت: إذا قلت: قسا قلبُهُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فالمعنى ما ذكرت من أنَّ القسوةَ من أجل الذِّكْرِ وبسببِهِ، وإذا قلت عن ذِكْرِ اللهِ، فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه، ونظيره: سقاه من العيمة أي من أجل عطشه، وسقاه عن العيمة، إذا أرواه حتى أبعدَهُ عن العطش"(1).

ولكن الرازي جعل﴿مِن﴾ على بابها قائلا:" إنَّ النَّفْسَ إذا كانَتْ خبيثةَ الجوهرِ كدرة العنصر بعيدةً عن مناسبةِ الروحانياتِ شديدة الميل إلى الطبائع البهيمية والأخلاق الذميمة، فإنَّ سماعَهَا لِذِكْرِ اللهِ يزيدها قسوةً وكدورة، وتقرير هذا الكلام بالأمثلة فإنَّ الفاعلَ الواحدَ تختلف أفعالُه بحسب اختلاف القوابل... وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح، وقد نرى إنسانًا واحدًا يذكر كلامًا واحدًا في مجلسٍ واحدٍ

(1) الزمخشري، الكشاف،٥/٢٩٩.

فيستطيبه واحدٌ ويستكرهه غيرُه، وما ذاك إلا مِن اختلافِ جواهرِ النفوسِ، ومن اختلافِ أحوالِها.... إذا عرفْتَ هذا لم يبعدْ أنْ يكونَ ذِكْرُ اللهِ يوجبُ النورَ والهدايةَ والاطمئنانَ في النفوسِ الطاهرةِ الروحانيةِ، ويوجبُ القسوةَ والبُعْدَ عن الحقِّ في النفوسِ الخبيثةِ الشيطانيةِ"(١).

وهناك مَنْ لجأ إلى قياس الآية على كلام العرب من قولهم، حدثته مِنْ فلانٍ، أي عَنْ فلانٍ، ومثَّل له ابنُ مالكٍ بنحو: "عدت منه وأتيت منه، وبرئت منه، وشبعت منه، ورويت منه"(٢).

والذي يميلُ إليه الباحثُ تَرْكُ﴿مِن﴾على بابها، وفي قوله﴿وَيْلٌ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ لنوعيةٍ مِنَ القلوبِ متصفةٍ باستمراريةِ قسوةِ قلوبِهم مِنْ ذِكْرِ اللهِ الذي يلين الجلود والقلوب.

وورَدَ متضمنًا صفة(اللهو) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝﴾[الأنبياء:٣].

قال الأصفهاني: "اللهو: مَا يَشْغَلُ الإنسانَ عمَّا يَعْنيهِ ويَهِمُّهُ،... وقوله تعالى:- ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: ساهيةً مُشْتَغِلَةً بما لا يعنِيها"(٣).

وقال النيسابوري:"﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: مُشْتَغِلَةً، مِنْ لُهِيتُ أَلْهَى لَهْوًا ولُهِيًّا. أو طَالِبَةً لِلَّهوِ، مِنْ لَهَوْتُ أَلْهُو، وإذا تَقَدَّمَتِ الصِّفَةُ انْتَصَبَتْ، كقولِ الشَّاعِرِ:

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ   يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ"(٤).

---

(١) الرازي، تفسير الفخر الرَّازي المُشتهر بالتفسير الكبير ومَفَاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١(١٤٠١هـ، ١٩٨١م)،٢٦/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،٢٤٠.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب اللام،(لهو)،٢/٥٨٦، ٥٨٧.

(٤) "بيان الحق" النيسابوري، إيجاز البيان،٢/٥٥٦. - والبيت من(مجزوء الوافر) لكُثَيِّر عَزَّة، كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي(ت ١٠٥هـ)، ديوان كُثَيِّر عَزَّة، تحقيق، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط(١٣٩١هـ-١٩٧١م)،٥٠٦. - والبيت شاهد على أن صفة النكرة إذا تقدمت على موصوفها تصير حالاً، والتقدير:(لمية طلل موحش)، ووجب نصب الصفة المتقدمة على الحال لأنه لايجوز أن تتقدم الصفة على الموصوف، الشاهد(٢٦٩) أوضح المسالك،٢/٣١٠.

قال المُطَرِّزي:" من حقِ ذِي الحالِ أنْ يكونَ معرفةً، فإذا أردتَ الحالَ مِنَ النكرةِ، فقدِّمْها عليه"[1]، فكلمة(موحشًا) حال من المبتدأ(طَلَلٌ)، والذي سَوَّغَ مجيئها من النكرة تقدمها عليها، وكذلك ﴿لَاهِيَةً﴾ تقدَّمَتْ على﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فصارَتْ حَالًا؛ أفادَتْ بيانَ حالِ قلوبِهم عند استماعِهم للذِّكْرِ؛ فهي مشتغلةٌ أو طالبةٌ اللهوَ حتى لا تستمعَ للقرآن.

أما إذا قيل:(قلوبهم لاهية) فإنَّ ذلك يدل على ثبات صفة اللهو لهم على كلِّ حالٍ وهذا غير مقصود، و﴿لَاهِيَةً﴾ مؤنّث لاهٍ، اسم فاعل من لها يلهو،وهي حالٌ منصوبة من واو الجماعة في ﴿يَلْعَبُونَ﴾، و﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل لاسم الفاعل﴿لَاهِيَةً﴾.

<u>وورد متضمنًا صفة(الإثم) في موضعٍ واحدٍ هو:</u>

قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة:٢٨٣].

قال الأصفهاني:" الإثم والأثام اسمٌ للأفعال المبطِئةِ عن الثَّوابِ، وجَمْعُهُ آثام،... والآثِمُ: المُتَحَمِّلُ معنى الإثمِ، قال تعالى:- ﴿آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ "[2].

قال سلطان العلماء:" الأصل في الإثم أنْ يُضَافَ للعضو الذي صَدَرَ عنه حقيقةً ثم على سائرِ الجسدِ حُكْمًا. فإذا زَنَى الإنسانُ، يقال: أَثِمَ فَرْجُه. وإنْ شَتَمَ: أَثِمَ لسانُه. فينبغي في الشهادة أنْ يأثَمَ لسانُه؛ لأنه الممتنع من الأداء، فقوله:﴿قَلْبُهُ﴾ مُشْكِل.

الجواب: لَمَّا كانَ الأصلُ في المنعِ من الأداءِ، إنما يكون لرغبةٍ أو رهبةٍ وهما في القلب، فالقلب المانع في الحقيقة، فإضافة الذنب إليه أولى"[3].

---

(١) المُطَرِّزِيّ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي الشهير بالمُطَرِّزِيّ النحوي الخوارزمي(ت٦١٠هـ)، المِصْبَاحُ فِي عِلْمِ النَّحْوِ، تحقيق، د. عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب- مصر، ط١(د.ت)،٧٠، ٧١.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الألف،(أثم)،١١/١.

(٣) العز بن عبد السلام، فوائد في مُشْكِلِ القرآنِ، تحقيق، سيد رضوان علي الندوي، دار الشروق- جدة، ط٢ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ١٠٤، ١٠٥.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ ﴿الوَاو﴾ استئنافية، و﴿مَن﴾اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿يَكْتُمْهَا﴾ جملة الشرط جملة فعلية فعلها﴿يَكْتُمْ﴾ مضارع مجزوم، وعلامة جزْمه السكون أُسند إلى فاعله الضمير المستتر(هو)العائد إلى ﴿مَن يَكْتُمْهَا﴾، وتعدّى إلى مفعوله ضمير الغائبة ﴿الهاء﴾ العائدة إلى الشهادة، وبعدها جملة جواب الشرط الاسمية﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ التي جاءَتْ في محلّ جزم جواب الشرط الجازم مقترنة بـ ﴿الفَاء﴾ التي ربطت جملة جواب الشرط بجملة الشرط، وجعلتها ترتبط بها وتعقبها حدثيًّا وزمنيًّا؛ فالموصوف بأنه آثم قلبه مَنْ يستمرُّ في كِتمانِ الشهادةِ، وجملتا فِعْلِ الشرطِ وجوابه في محل رفْع خبر المبتدأ﴿مَن﴾، وجملة:﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة فيها معنى التعليل للنهي عن كتمان الشهادة. و﴿إنَّه﴾ حرف مشبّه بالفعل يفيد التوكيد و﴿الهاء﴾ ضمير مبني على الضم في محلّ نصب اسم﴿إنَّ﴾، و﴿ءَاثِمٌ﴾ خبر إنّ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو اسم فاعل عامل مشتق من الثلاثي (أَثِمَ) أفادَ ثباتَ صفة الإثم لِمَنْ يستمر في كتمان شهادة الحق بالامتناع عن أدائها، و﴿قَلْبُهُۥ﴾ فاعل لاسم الفاعل﴿ءَاثِمٌ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و﴿الهاء﴾ ضمير مبني على الضم في محل جر مضاف إليه. وأسند الإثم إلى القلب، مع أنَّ أداء الشهادة يكون باللسان؛لأنَّ كتمانَ الشهادةِ إضمارُها، ولا يتكلمُ بها، ولما كان ذلك إثمًا مكتسبًا بالقلب أُسْنِدَ إليه؛ لأنَّ إسنادَ الفعلِ إلى الجارحة التي يعملُ بها أبلغُ[1].

النمط الثاني: [اسم مفعول + نائب فاعل" اسم ظاهر"]:

وَرَدَ متضمنًا صفة(تألُّف القلوب) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠...﴾[التوبة:٦٠].

---

(١) ينظر، أبو بكر الرازي، غرائب آي التنزيل،٣٤.

قال الأصفهاني:" والإلفُ: اجتماعٌ مع الْتِئَامٍ... والمُؤَلَّفُ: ما جُمِعَ مِنْ أجزاءٍ مُختلفةٍ، ورُتِّبَ تَرْتِيبًا قُدِّمَ فيه ما حَقُّهُ أنْ يُقَدَّمَ، وأُخِّرَ فيه ما حَقُّهُ أنْ يُؤَخَّرَ،..."(١).

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: ﴿ٱلْمُؤَلَّفَةِ﴾، اسم مفعول عامل معرَّف بـ(أل) من الرباعيّ(ألَّفَ) معطوف بـ ﴿الواو﴾ على﴿ٱلْفُقَرَآءِ﴾ مجرور، وعلامة جره الكسرة، أفادت﴿الواو﴾الجمع والمشاركة بين المؤلَّفة قلوبهم والفقراء في أنهم مِنَ المستحقين للصدقات، و﴿قُلُوبُ﴾ نائب فاعل لاسم المفعول﴿ٱلْمُؤَلَّفَةِ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، و﴿هُمْ﴾ ضمير الغائبين المبني على السكون في محل جر بالإضافة.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الألف،(ألف)،١/ ٢٥

الفصل الثانـي

تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَنْصُوبًا

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الفصل الثاني "تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَنْصُوبًا في الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ"

جَاءَ القلبُ منصوبًا على المفعولية في(ثمانية) مواضع؛﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة:١٢٧]، ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾[الحجرات:٣]،﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[الصف:٥]،﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [الكهف:٢٨]،﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾[التغابن:١١]،﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [المائدة:٤١] ،﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾[آل عمران:٨]،﴿لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ [المائدة:١٣] صنفتها إلى(أربعة) أنماطٍ بحسب الفعل الناصب للقلب، أَبْدَأُ بالفعل الماضي المتعدي لمفعولٍ واحدٍ﴿صَرَفَ – ٱمۡتَحَنَ – أَزَاغَ – أَغۡفَلۡنَا﴾، ثم الفعل المضارع المتعدي لمفعول واحد﴿يَهۡدِ – يُطَهِّرَ – تُزِغۡ﴾، ثم الفعل المتعدي لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر﴿جَعَلۡنَا﴾أتناول تراكيب هذه الصفات مع مفعولها (القلب) بالدراسة والتحليل في السياق الذي وَرَدَتْ فيه بعد حديثي عن المفعول به.

***المفعول به:**

عَرَّفَهُ النحاةُ بأنه:" **الاسم المنصوبُ، الذي يَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ**، نحو قولك: ضَرَبْتُ زيدًا وركِبْتُ الفَرَسَ"(١).

وعَرَّفَهُ ابنُ عصفورٍ بقوله:" المفعول به هو: كُلُّ فَضْلَةٍ انتصبَتْ عن تَمَامِ الكَلَامِ يصلحُ وقوعُها في جوابِ مَنْ قال: بأيِّ شيءٍ وَقَعَ الفعلُ، أو يكون على طريقة ما يصلح ذلك فيه. والعامل فيه أبدًا الفعل..."(٢).

ومعنى ذلك أنَّ المفعولَ به عندَ النحاةِ يُطْلَقُ على ما توفرَتْ فيه ثلاثةُ أُمورٍ:

الأول: أن يكون اسمًا؛ وقد يكون جملة في محل نصب على المفعولية، نحو قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[المائدة:٤١]، وقوله تعالى:﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١].

الثاني:أَنْ يكون منصوبًا؛ فلا يكون مرفوعًا أو مجرورًا.

الثالث:أَنْ يقع به الفعل؛ بمعنى أنْ يقعَ عليه فِعْلُ الفاعل(٣)، ويتعلق به سواء أكان ذلك على جهة الإثبات، نحو:" فَهِمْتُ الدَّرْسَ"، أم على جهة النفي والاستفهام ونحوهما، النفي نحو: " لم أفهم الدَّرْسَ"،

---

(١) محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية، ١٤٠.

(٢) ابن عصفور، المُقَرِّب، باب المفعول به،١/١١٣.

(٣) ينظر، سيبويه،١/٣٤.

وَقَعَ على المفعول عَدَمُ الفَهمِ، والاستفهام، نحو:أفَهِمَ الحاضرون الدرسَ؟ وَقَعَ عليه معنى المستفهم عنه وهو الفهم، والنهي، نحو:﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[آل عمران:٨] وَقَعَ عليه معنى النهي وهو عدم الزيغ.

*مصطلح الفَضْلة عند النحويين:

إنَّ كلمة "فَضْلَة" معناها: زيادة، ولا يعني النحاة بها أنها زيادة يمكن الاستغناء عنها وإنما يريدون بالفَضْلَةِ كل ما زَادَ على رُكْنَي الإسناد "المسند والمسند إليه" في الجملة الكلامية فهو فَضْلَةٌ، كالمفاعيل وسائر متعلّقات الفعل، فَقَصْدُهُمْ من ذلك فيما أرَى أنّ الجملةَ المفيدةَ لا بُدَّ فيها حَتْمًا مِنْ رُكْنَيْ الإسناد، وإلاَّ كانَ الكلامُ غيرَ مفيدٍ، فما زادَ على ذلك يُعْتَبَرُ زائدًا على أدْنَى ما يَجِبُ أَنْ تُبْنَى به جملةٌ كلاميّةٌ مفيدة، لا أنّه زائدٌ على ما يَقْصِدُ المتكلّمُ بيانه، وعندما نقول: "ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا" فإنّ "عَمْرًا" فَضْلَةٌ انتصبت عن تمامِ الكلامِ؛ لأنّ فكرةَ وقُوعِ ضَرْبِ زَيْدٍ على عَمْروٍ فكرةٌ مقصودةٌ بالبيان، تُصَاغُ لَهَا جُمْلَةٌ خَاصَّةٌ مفيدة، نَقُولُ فيها: "ضُرِبَ عَمْرٌو" أو "عَمْرٌو مَضْرُوبٌ"، وهكذا سائرُ متعلّقاتِ الجملة الكلاميّة وقيودُها.

" وليس المقصودُ بالفضلة عند النحاة أنه يجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما إنه ليس المقصود بها أنها يجوز حذفها متى شئنا، فإنَّ الفضلة قد يتوقف عليها معنى الكلام، قال السيوطي:" مِن الفضلات ما لا يَتِمُّ الكلامُ إلا به كقوله تعالى:﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[المدثر:٤٩] فمعرضين حال من الضمير المخفوض، ولا يستغني الكلام عنها؛ لأنَّ الاستفهامَ في المعنى إنما هو عنها"[١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[الأنبياء:١٦] فإنه لا يمكن الاستغناءُ عن قوله:﴿لَٰعِبِينَ﴾، وكقوله تعالى:﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[لقمان:١٨]، فإنه لا يستغنى عن قوله: ﴿مَرَحًا﴾[٢].

ومن ثَمَّ يرى الباحثُ أنَّ المفعولَ به وغيره من المفاعيل ومتعلقات الفعل هي متممّات ومكمّلات رئيسة في بناء الجملة، وهي ضروريةٌ في تأدية المعنى المقصود لا يُمْكِنُ الاستغناءُ عنها والمعنى بدونها ليس كالمعنى بوجودِها، وفي بعضِ التراكيبِ تكونُ لمُكَمّلَاتِ الجملةِ قِيمَةٌ وظيفيةٌ في التعبير عن المعنى

---

(١) السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١١هـ-١٩٩٠م)،٢٠٨/٣.

(٢) د. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، عمان- الأردن، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)،١٤/١.

المقصود لا تَقِلُّ عن قيمةِ طرفي الإسناد وقد تزيدُ كما في قولنا: ذَبَحَ الجزارُ ابنَه. وكما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾[الماعون: ٤، ٥].

وفيما يخص المفعول به من بين المكملات يُلحظ أنَّ:

أولا: بعضُ الجُمَلِ يُذْكَرُ فيها طرفا الإسناد(الفعل) و(الفاعل) ولا تفيد معنى يَحْسُنُ السكوتُ عليه إلا مِنْ خلال ذِكْرِ مفعولين أو أكثر، نحو: زَعَمْتُ، أو وَجَدْتُ.

ثانيًا: إذا بُني الفعلُ للمجهول في وجود المفعول به فإنَّ تركيبَ الجملةِ لا يستغني عن المفعول به حيث يَحِلُّ نائبًا عن الفاعل، ويَأْخُذُ أَحْكَامَهُ.

ثالثًا: جواز إضافة مصدر الفعل إلى مفعوله، كما يضاف إلى فاعله، حيث يجوز القول: قراءة الدرسِ، قراءة محمد – خروج عليٍّ، خروج من المنزل.

رابعًا: "الأحداثُ يلزمها– دائما– طرفان، مؤثِّر ومتأثِّر؛ لأنَّ الحدَثَ إذا صَدَرَ مِنَ المؤثِّر– وهو الفاعل– فإنه لا يكونُ حَدَثًا حقيقيًّا إلا بالاعتداد بالمتأثِّر، فكتابة محمد التي حَدَثَتْ أو تَحْدُثُ أو سَتَحْدُثُ لابد أنْ تكون حادثةً على شيءٍ ما، سواء أكان درسًا أم موضوعًا أم صفحةً أم خِطابًا أم غيرَ ذلك، وإلا فإنه لا تكون كتابةٌ إذا لم يوجد شيء من هذه المتأثرات فإنها تُعَدُّ في الحسبان دائما.

فالفعل في معناه يلزمُه المفعولُ به، وإنما هو في معناه وبنيتِه يلزمُه الفاعل، لذا فإنه يحرص على الجمع بين المؤثِّر والمتأثر بالحدَث، حيث تتم الحدثية بذِكْرِ الاثنين معًا، ويتم ذلك بدراسة المفعول به والقضايا النحوية المتعلقة به من خلال دراسة الجملة الفعلية[١].

***صور المفعول به:**

للمفعول به ثلاثُ صُورٍ:

الأولى: مفعول به اسم ظاهر، وهو ما يَدُلُّ على معناه بلا قرينة، نحو قوله تعالى:﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨].

---

(١) ينظر، د إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي، دار النشر للجامعات– مصر، ط١(١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م)،٢/٢٨، ٢٩.

الثانية: مفعول به مضمر، وهو ما يَدُلُّ على معناه بقرينة التكلم، نحو:﴿هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨]،أو الخطاب، نحو قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الأحزاب:٤٥]، أو الغيبة، نحو قوله تعالى:﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤].

وينقسمُ المفعولُ به المضمر إلى: **مضمر متصل**، كالأمثله السابقة، **ومضمر منفصل**، نحو قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

الثالثة: مفعول به جملة، إذا كان الحذث قولا، نحو قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، وقوله تعالى:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق:١].

***حَذْفُ المفعول به:**

يُحْذَفُ المفعولُ به كثيرًا عند وجودِ قرينةٍ[1] لفظيةٍ أو حاليةٍ دالةٍ على هذا المحذوفِ، وهو على ضربين[2]:

أحدهما: يُحْذَفُ وهو منويٌّ:

كما في قوله تعالى:﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[آل عمران:١٢٩] أي لمن يشاؤه.

والآخر: يُحْذَفُ وهو غير مَنْوِيٌّ:

وذلك إما لتضمين الفعل معنى اللازم كقوله تعالى:﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾[النور:٦٣] أي يعدلون، وإما للمبالغة بترك التقييدِ كقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:٢٤٥] وكما تقول: فلانٌ يُعطِي ويَمْنَعُ، ويَصِلُ ويَقْطَعُ[3].

---

(١) ينظر، الرَّضِي الأستراباذي، شرح الرَّضِي الأستراباذي لكافية ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)،(القسم الأول)، تحقيق، د. حسن بن محمد حفظي، عمادة البحث العلمي سلسلة نشر الرسائل الجامعية(١٣)، أشرفت على طباعته إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٣م)،٣٩٧.

(٢) ينظر، الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب،١/٤٠٤، ٤٠٥.

(٣) الملك الصالح إسماعيل الأيوبي، أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي(ت٧٣٢هـ)،الكُنَّاش في النحو والتصريف، تحقيق، د جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب- القاهرة، ط٢(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)،١/٩٤.

وفيما يلي أنماطُ تراكيبِ ذِكْرِ القَلْبِ منصوبًا على المفعولية وتحليل هذه التراكيب التي وردَتْ على النحو الآتي:

النمط الأول: [فعل ماض متعد لواحد + فاعل" اسم ظاهر"+ مفعول به]:

وَرَدَ هذا النمط في(ثلاثة) مواضع:

أولها: ورد متضمنًا صفة(الصرف) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾[التوبة:١٢٧].

قال الأصفهاني:" الصَّرْفُ: رَدُّ الشيءِ مِنْ حالةٍ إلى حالةٍ، أو إبداله بغيره، يقال: صرفته فانصرف...، وقوله:﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة:١٢٧]، فيجوز أنْ يكونَ دعاء عليهم، وأنْ يكون ذلك إشارة إلى ما فعله بهم"[١].

وقال الزبيدي:" صَرَفَهُ عن وجْهِهِ يَصْرِفُهُ صَرْفًا: رَدَّهُ فانْصَرَفَ. وقوله تعالى:﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾أي: أضلَّهم اللهُ مجازاةً على فِعْلِهِم. وقوله تعالى:﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ أي: أجعلُ جزاءهم الإضلالَ عن هدايةِ آياتي"[٢]. وقال سلطان العلماء: " الصَّرْفُ في الأجرام: إذهاب جِرْمٍ عن جِرْمٍ، وفي المعاصي: صَرْفُ القلوب عن الأفهام... وكذلك قوله:﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾أي: صرفها عن التوحيد والإيمان، شبَّهَ تباعدَهَا عن الفهم والإيمان بتباعد الأجرام عن الأماكن والأحياز، وصرْفها مِنْ مكان إلى مكان"[٣].

وقال الزمخشري:" وقيل: معناه: إذا ما أُنزِلَتْ سُورَةٌ في عيبِ المنافقين﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاء عليهم بالخذلان، وبِصَرْفِ قلوبهم عَمَّا في قلوبِ أَهْلِ الإيمانِ مِنَ الانشراح ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بسبب أنَّهم﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ لا يتدبرون حتى يفقهوا" [٤].

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الصاد،(صرف)،٣٦٧/٢.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، باب الفاء،(صرف)،١٤/٢٤.

(٣) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٩٣.

(٤) الزمخشري، الكشاف،١١٠/٣.

ويرى الباحثُ أنّ إسنادَ الصَّرْفِ إلى القلوبِ إسنادٌ حقيقيٌّ، كما قال الزبيدي مجازاة على فِعْلِهم، وللأسباب التي ذَكَرَهَا اللهُ تعالى في قوله:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف:١٤٦].

وقد جاء الفعل﴿صَرَفَ﴾ ماضيًا ثلاثيًّا مبنيًّا على الفتح؛ للتأكيد على سرعة وقوع الحدَث قبل زمن التكلم عُقيب انصرافهم مسندًا إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾الذي جاء مرفوعًا، وعلامة رفعه الضمة، وتعدَّاه إلى مفعوله الذي وَقَعَ عليه الفعل﴿قُلُوبَهُم﴾التركيب الإضافي؛ وفيه المضاف﴿قُلُوبَ﴾اسم ظاهر حُذِفَ منه التنوين للإضافة(١)، والمضاف إليه﴿هُم﴾ ضمير الغائبين العائد إلى المنافقين، وجملة:﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾لا محل لها من الإعراب خبرية استئنافية بيانية أفادت بيان حال هؤلاء المنافقين، وتَعَلُّقُ الجارِ والمجرورِ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ بالفعل﴿صَرَفَ﴾ باستخدام حرف الجر﴿الباء﴾ أفاد بيانَ سببِ صَرْفِ اللهِ قلوبهم وانصرافهم، والمصدر المؤول بعدها في محل جر بالباء، وهو مكوَّن من الحرف الناسخ الناصب﴿أَنَّ﴾ الذي أفاد توكيد نسبة خبرها﴿قَوْمٌ﴾ إلى اسمها ضمير الغائبين﴿هُم﴾ العائد إلى المنافقين الذين انصرفوا، وتثبيته في الذِّهن وتقويته(٢).

ولم تُغَيِّر﴿أَنَّ﴾ معنى الجملة؛ لأنَّها موضوعةٌ لتأكيد معنى الجملة فقط(٣)، ونَفْي الشك في الحُكْمِ، أو الإنكار له(٤)، وأفاد تنكير﴿قَوْمٌ﴾ الذم والتحقير لهم جميعًا.

والجملة الفعلية المنفية﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ في محلّ رفع نعت لقوم، أفادَ تخصيصَ هؤلاء المنافقين وتمييزَهم عن غيرِهم بنفْي الفقه عنهم في الحال والاستقبال.

---

(١) ينظر، المُبَرِّدُ، المُقْتَضَبُ،٤/١٤٣.

(٢) ينظر، د. محمد عيد، النَّحْو المُصَفَّى، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١(١٩٨٧م)،٢٨٤.

(٣) ينظر، الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب،٢/١٢٤٣. - وسيبويه، الكتاب،٢/١٤٤.

(٤) ينظر، ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك،١١٦.

* أثر(لا) النافية في المضارع بعدها:

قال المرادي: "نَصَّ الزمخشري ومعظمُ المتأخرين، علي أنها تُخَلِّصُهُ للاستقبال. وهو ظاهر مذهب سيبويه. وذهب الأخفش، والمبرد، وتبعهما ابن مالك إلى أن ذلك غير لازم، بل قد يكون المنفي بها للحال"(١).. قال سيبويه: "وإذا قال هو يفعلُ، ولم يكن الفعل واقعًا فنفيُهُ لا يَفْعَلُ"(٢) أي أنَّ دخول "لا" على الفعل المضارع يُخَلِّصُهُ للاستقبال، قال الزمخشري: "لا لنفي المستقبل في قولك لا يفعلُ"(٣)، وهذا ظاهر مذهب سيبويه الذي يدل على أنَّ "لا" تفيد نفي المستقبل المباشر تمامًا، حيث يقول بعد قوله السابق: "وإذا قال لَيَفْعَلَنَّ فنفيه لا يَفْعَلُ، كأنه قال: والله لَيَفْعَلَنَّ فقلت والله لا يَفْعَلُ"(٤).

وفي قول سيبويه"لَيَفْعَلَنَّ" اتصل الفعل المضارع بنون التوكيد فأفاد زمن المستقبلية، واستخدام حرف النفي "لا" أفاد نفي المستقبل المباشر تمامًا، واستدل ابن مالك على أنه لا يلزم من النفي بـ(لا) تخليص الفعل إلى الاستقبال بصحة قولك: "جاء زيدٌ لا يتكلم" بالاتفاق، مع الاتفاق على أن الجملة الحالية لا تُصَدَّر بدليل استقبال(٥).

وذكَر صاحب تاج العروس عن بعض المتأخرين في أوجه(لا):" وتكون لِنَفْيِ الفعل، فإذا دَخلتْ على المستقبل عَمَّت جميع الأزمنة إلا إذا خُصَّ بقَيْدٍ ونحْوِه، نحْو: واللهِ لا أقومُ. وإذا دَخلتْ على الماضي نحو: والله لا قُمْتُ، قَلَبَتْ معناهُ إلى الاستقبالِ، وصارَ معناه: والله لا أقومُ..."(٦).

وقال الزجاجي:"(لا) نَفيٌ للمُستَقْبَلِ والْحَالِ؛ وقبيحٌ دخولُها علَى الماضي، لِئَلَّا تُشبِه الدُّعَاءَ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لو قُلْتَ: لا قَامَ زَيْدٌ؛ جَرَتْ كَأَنَّكَ دَعَوْتَ عَلَيْهِ، وتُزَادُ مَعَ الْيَمِينِ وتُطْرَحُ كقولِهِ تَعَالَى:﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾

(١) المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي، ٢٩٦.

(٢) سيبويه، الكتاب،١١٧/٣.

(٣) الزمخشري، المُفَصَّلُ،٣٠٦.

(٤) سيبويه، الكتاب،١١٧/٣.

(٥) ينظر، ابن هشام ، مغني اللبيب،٢٧٢/١.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، باب الألف اللينة،(لا)،٤٦٤/٤٠، ٤٦٥.

[القيامة:١]؛ وقد تَدْخُلُ عَلَى الماضي بمعنى:(لَمْ) كقوله تعالى:﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[القيامة:٣١]؛ مَعْنَاهُ: لم يَصَّدَّقْ ولم يُصَلِّ"[1].

ويرى الباحثُ أن دخول(لا) على المضارع نفي للحال والاستقبال والمُضِيِّ، ولا يُخَصِّصُ النفيُ بها لأحد الأزمنة إلا بقرينة، ويميلُ الباحثُ إلى رأي ابن مالك ومَنْ وافقه؛ لأنه يتفق مع الاستعمال القرآني في دخول(لا) على المضارع دون قصره على الاستقبال فقط، من ذلك:

أولا: دخول(لا) لنفي المضارع في الحال، كقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات:٩٢]، وقوله على لسان سليمان عليه السلام ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل:٢٠].

ثانيا: دخول(لا) لنفي المضارع في الاستقبال، كقوله ﷻ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ...﴾ [البقرة:١٧٤].

ثالثا: دخول(لا) لنفي المضارع نفيًا مستمرًا ، كقوله ﷻ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥].

مع مراعاة أنَّ الغالبَ على حرف(لا) تخليصُهُ المضارعَ للاستقبال[2]، عند وجود قرينة دالة على ذلك، فمثلا في قوله تعالى:﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[التوبة:١٢٧] يفهم من خلال السياق أنَّ نفْي الفقه عنهم نفيًا مستمرًا في الماضي بدليل تَعَلُّقِ الجار والمجرور والذي مِنْ جُمْلَتِهِ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ بالفعل الماضي﴿صَرَفَ﴾، وفي الحال والاستقبال إذ لا مسوغ في هذا الموضع لتخليصِ الفعلِ إلى الاستقبال، وقَصْرِهِ عليه.

والفعل﴿يَفْقَهُونَ﴾ مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون[3]؛ لأنه من الأفعال الخمسة، أُسْنِدَ إلى فاعله﴿واو﴾الجماعة العائد إلى المنافقين، وحذف المفعول به للفعل المنفي﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ لأنَّ القصدَ المبالغةُ في نفْي معنى الفقه في نَفْسِهِ فِعْلًا للفاعل دون تعديتِهِ إلى مفعولٍ مُعَيَّنٍ، ومِنْ ثَمَّ لم يذكر المفعولُ

---

(١) الزَّجَّاجِيُّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي(ت٣٣٧هـ)، كتاب حروف المعاني والصفات، تحقيق، علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١(١٩٨٤م)، الحرف(٣٣)/٨.

(٢) ينظر، المُبَرِّدُ، المُقْتَضَبُ،١/١٨٥. - وأبو حيان، تذكرة النحاة،٤٩٧.

(٣) ينظر، ابن شُقَيْر، أبو بكر أحمدُ بن الحَسَن بن شقير النَّحْوِيّ البَغْدَادِيّ(ت٣١٧هـ)، المُحَلَّى " وجوه النَّصْبِ "، تحقيق، د. فائز فارس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)،٢٩٩.

به؛ لأنَّ ذِكْرَهُ يَنْقُضُ الغرضَ، ويُغَيِّرُ المعنى(١)؛ فالمقصود نفي الفقه عنهم في نفْسِهِ دون التعرض لحديث المفعول، وهو أبلغ في الذم لهم من تخصيص نفي الفقه عنهم بإيقاعِهِ على مفعولٍ مُحَدَّدٍ، ونُزِّلَ الفعلُ﴿يَفْقَهُ﴾ منزلةَ اللازم الذي لا مفعولَ له(٢)، وفيه مراعاةٌ لفواصلِ الآي(٣).

وأفادَ ذِكْرُ ﴿قَوْمٌ﴾ قبل﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ في وَصْفِ المنافقين الدلالةَ على أنهم جماعةٌ ثَبُتَ لها في الحالِ والاستقبالِ أنَّ مِنْ صفاتِهم التي لا يخلو أحدٌ منهم عنها صفةُ عدم الفقهِ، ومِنْ ثَمَّ خَافُوا مِنْ رؤيةِ النَّاسِ لهم فقالُوا: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾، وذهلُوا عن الخوفِ مِنَ اللهِ؛ لعدمِ فِقْهِهِم.

وثانيها: ورد متضمنًا صفة(الامتحان) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝﴾[الحجرات:٣].

قال ابنُ قُتَيْبَةَ:" ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي أخلصها للتقوى"(٤). جاءت جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾اسمية في محل رفع خبر الحرف الناسخ المشبه بالفعل﴿إِنَّ﴾ الذي أفاد التأكيد على نسبة مضمون جملة الخبر لاسم﴿إِنَّ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، وعبّر بالفعل المضارع ﴿يَغُضُّونَ﴾ عن خفضِ الصوتِ؛ للدلالةِ على شِدَّةِ مبالغتِهم في توقيرِهم رسول الله ﷺ واحترامهم له في الحال والاستقبال؛ امتثالًا لأمرِ اللهِ ونهيِهِ، كما " أخبرَ عنهم بجُمْلَةٍ مؤلَّفَةٍ من معرفتين، والمبتدأ اسمُ الإشارة المُتَضَمِّنُ لِمَا جُعِلَ عُنوانًا لهم، والخبرُ الموصولُ بصلةٍ دلَّتْ على بلوغِهم أقصى الكمالِ مبالغةً في الاعتدادِ بِغَضِّهِم، والارتضاءِ له وتعريضًا بشناعةِ الرفعِ والجَهْرِ، وأنَّ حالَ المُرتكِبِ لهما على خِلافِ ذلك"(٥).

---

(١) ينظر، الفخر الرازي، نهاية الإيجاز،٢٠٨.

(٢) ينظر، السيوطي، الإتقان،٥٣٦.

(٣) ينظر، الزركشي، البرهان،١٦٤، ١٦٥.

(٤) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٤١٥.

(٥) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،٣/٤٠٣.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ (أولاءِ)اسم إشارة مُبْهم مبني على الكسر؛ لشبهه للحرف في الافتقار في محل رفع مبتدأ، وهو صيغةُ جَمْعٍ على غير لفظ واحده، وواحده(ذا) و(الكاف) حرف خطاب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، و(الكاف) "ليست اسمًا إذ لو كانت اسمًا لكانت إمَّا مرفوعة أو منصوبة، ولا يصح شيءٌ منهما إذْ لا رافع هنا ، ولا ناصب، وإمَّا أنْ تكون مجرورة بالإضافة، و(أولاءِ) لا تصحُ إضافتُهُ؛ لأنه مُبْهَمٌ، والمبهماتُ لا تُضَافُ، فبقي أنْ تكون حرفًا مجرَّدًا للخطابِ"[1]، وأفادَ التعبيرُ باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ دون هؤلاءِ الدلالةَ على بُعْدِ منزلةِ المُشَارِ إليهم في الثناء والمدح وتفخيمهم، وخبره قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾، وفيه﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر، وجملة﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾جملةُ صلةِ الموصولِ لا محلَ لها من الإعراب أبانَتْ المقصودَ من الاسم الموصول بعد إبانة اسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لعلو مكانتهم، وجاء الفعل﴿ٱمۡتَحَنَ﴾ ماضيًا خماسيًّا بوزن(افتعل) مُشْعِرًا بالكلفة والمشقة والمبالغة فهو مِنْ قولهم: امتحنَ الذهبَ وفتنَه: إذا أذَابَهُ، وفي القاموس: "مَحَنَهُ، كمَنَعَهُ: اختَبَرَهُ، كامْتَحَنَهُ،...و- الأدِيمَ: ليَّنَهُ، أو قَشَرَهُ، كَمَحَّنَهُ. وامتحَنَ القولَ: نَظَرَ فيهِ ودَبَّرَهُ، و﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾: شَرَحَهَا ووَسَّعَهَا"[2]، وفي الأساس: ومن المجاز: محن الأديم: مدّدَهُ حتى وسعه، أي أنَّ اللهَ أَخْلَصَ قلوبَهم وصَفَّاها﴿لِلتَّقۡوَىٰ﴾، و﴿اللام﴾ حرف جر للاختصاص، و﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾اسم مجرور باللام، وعلامة جره الكسرة المقدرة للتعذر، والجار والمجرور متعلقٌ بالفعل الماضي﴿ٱمۡتَحَنَ﴾جاء مسندًا إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، ومُتَعَدِّيًا إلى مفعوله﴿قُلُوبَهُمۡ﴾ المُرَكَّب الإضافي وفيه المضاف إليه﴿هُمۡ﴾ ضمير الغائبين عائد إلى﴿ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾عبّر به اختصارًا، وتقويةً لربط الكلام باسم﴿إِنَّ﴾؛ وجملة﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، و﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ جملة اسمية لا محل لها استئنافية بيانية؛ لبيان جزاء الغاضّين أصواتهم عند رسول الله ﷺ، مَدْحًا لحالهم،﴿لَهُم﴾ جار ومجرور في محل رفع خبر مقدَّم أفادت اللام الجارة بيان اختصاصهم واستحقاقهم

---

(١) العُكْبَرِيُّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيُّ(ت٦١٦هـ)، التبيان في إعرابِ القرآنِ، تحقيق، سعد كُرَيّم الفقي، دار اليقين، المنصورة- مصر، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)،١/٢٠.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس، حرف الميم،(محن)،١٥١٣.

لهذه المغفرة وهذا الأجر المخصص بالوصف﴿عَظِيمٌ﴾، والتنكير في كل من﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ و﴿وَأَجْرٌ﴾؛ للتعظيم، وأفاد وصف﴿أَجْرٌ﴾ بـ ﴿عَظِيمٌ﴾ المبالغة في عِظَمِهِ.

***اللام الجارة:**

ذَكَرَ المراديُّ أنَّ لها معاني كثيرةً، وأنه قد جَمَعَ لها من كلامِ النَّحْويين ثلاثين قِسْمًا؛ كالاختصاص، والاستحقاق، والمِلك، مع ذكْر أمثلة لكل قسم، ثم أعقبها بتنبيه قال فيه:

"التحقيق أنَّ معنى اللام، في الأصل، هو الاختصاص. وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبُهُ مَعَانٍ أُخَرَ، وإذا تُؤمِّلَتْ سائرُ المعاني المذكورة وُجِدَتْ راجعةً إلى الاختصاص. وأنواعُ الاختصاصِ متعددةٌ؛ ألَا ترى أنَّ مِنْ معانيها المشهورة التعليل، قال بعضُهم: وهو راجعٌ إلى معنى الاختصاص؛ لأنك إذا قلت: جئتُكَ للإكرامِ، دلَّت اللامُ على أنَّ مجيئَك مختصٌّ بالإكرام. إذ كان الإكرامُ سببَه، دون غيره. فتأمَّلْ ذلك. والله أعلم"(١).

وهذا التنبيهُ ضروريٌّ جدا حيثُ إنني أرى ضرورةَ التعاملِ مع التراكيبِ القرآنيةِ تعاملًا توصيفيًّا، والبُعْدَ عن المبالغةِ في تقديرِ محذوفاتٍ أو تأويلاتٍ تُغَيِّرُ دلالةَ الألفاظِ في تراكيبِها، وتشغلُ عن التوصُّلِ لأسرارِ النَّظْمِ القرآنيِّ في تراكيبِهِ إلا إذا وُجِدَتْ قرينةٌ حاليةٌ أو مقاليةٌ تُبَيِّنُ استحالةَ إجراءِ التركيبِ على ظاهرِهِ.

وثالثها: ورد متضمنًا صفة(الزيغ) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[الصف:٥].

قالَ ابنُ فارسٍ:"الزاي والياء والغين أصلٌ يدل على مَيْلِ الشيءِ، يقال: زاغَ يَزِيغُ زَيغًا، والتَّزَيُّغ: التمايُل، وقومٌ زَاغَةٌ، أي: زائغون، وزَاغَتِ الشمسُ، وذلك إذا مَالَت...،وقالَ اللهُ جَلَّ ثناؤه:﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ "(٢).

---

(١) المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،١٠٩.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الزاي،(زيغ)،٣/٤٠، ٤١.

وزَادَ الأصفهانيُ أنَّ:" الزيغ: الميل عن الاستقامة،...،﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف:٥]، لمَّا فارقوا الاستقامةَ عاملَهم بذلك"[١].

قال الشريفُ الرضي:" قوله سبحانه:﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ وهذه استعارة.... وقد يجوز أنْ يكون معنى ذلك أنهم لمَّا زاغُوا عن الحق خذلَهم وأبعدَهم وخلّاهم واختيارهم، وأضافَ سبحانَه الفعلَ إلى نفْسِهِ على طريقِ الاتساعِ، لما كان وقوع الزّيغ منهم مقابلًا لأمره لهم باتباع الحقّ، وسلوك الطريق النهج"[٢].

وفي معنى(لَمَّا) قال الزجاجي:" لَمَّا: تكون بِمَعْنَى:(لَمْ) في نَفْيِ الفعلِ المُستَقْبَلِ كقوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾[ص:٨]؛ وَتَكُونُ بِمَعْنَى:(إلَّا)؛ قال الله تعالى:﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[الطارق:٤] ؛ أي: إلَّا عليها؛ فَإذَا رَأَيْتَ لَهَا جَوَابًا، فَهِيَ لِأَمْرٍ يَقَعُ بِوقُوعِ غَيْرِهِ بِمَعْنَى: حِينَ، كقولِهِ تعالى:﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف:٥٥]؛ أي: حِينَ آسَفونَا، و﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[هود:١٠١] أي: حِينَ جَاءَ"[٣].

جاءَ قولُهُ تعالى:- ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾؛ لبيان موقف قوم موسى عليه السلام منه ومن رسالته ،﴿فَلَمَّا﴾، ﴿الفاء﴾استئنافيّة، و﴿لَمَّا﴾ أداة شرط غير جازمة تقترنُ دلالتُها بالزمنِ الماضي[٤] بمعنى" حين" مبنية على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية أفادَتِ الرَّبْطَ والتعليقَ فقد رَبَطَتْ جملتي الشرط والجزاء وجعلتهما جملةً واحدةً في المعنى، وأفادَتْ تَحَقُّق وقوعِ جملةِ جوابِ الشرط﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، لتَحَقُّقِ وقوعِ جملةِ الشرط﴿زَاغُوٓاْ﴾ يَعْقُبُهُ حَدَثِيًّا وزَمَنِيًّا، وجملة:﴿زَاغُوٓاْ﴾ في محلّ جرّ مضاف إليه، بمعنى فحين زاغُوا عن الحق. والفعل في﴿زَاغُوٓاْ﴾ جَاءَ ماضيًا ثلاثيًّا لازمًا مبنيًّا على الضم؛ لإسناده إلى فاعله ﴿واو﴾ الجماعة العائد إلى قوم موسى عليه السلام، وجملة:﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، فيها الفعل﴿أَزَاغَ﴾ فعلٌ مَاضٍ مبني على الفتح على وزن(أَفْعَلَ) أُسْنِدَ إلى فاعلِهِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ ﴿ٱللَّهُ﴾ المرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وتعدّى بالهمزة إلى مفعوله﴿قُلُوبَهُمْ﴾.

---

(١) الراغب الأصفهاني،المفردات، كتاب الزاي،(زيغ)،١/٢٨٧.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٣٣٤.

(٣) الزجَّاجِي، كتاب حروف المعاني، الحرف(٤١)،١١.

(٤) ينظر، الرُّمَانيُّ، معاني الحروف،١٣٢.

- والمَالَقِيّ، رَصْفُ المباني،٣٥١. - والمُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،٥٩٤: ٥٩٦.

وربطَتْ﴿لَمَّا﴾ جملةَ الجوابِ بجملةِ الشرط حَدَثِيًّا وزَمَنِيًّا،﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ جملة اسمية استئنافية تذييل مقررة لمضمون ما قبلها مِنَ الإزاغة،أسند فيها الخبر الجملة الفعلية المنفية﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ إلى المبتدأ لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾؛ لنفي هداية المعونة والتوفيق عنهم لا لنفي هداية الدلالة بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[فصلت:١٧]، و﴿أل﴾ في الفاسقين للجنس فهي شاملة لجنس الفاسقين وهم داخلون في حُكْمِهِم دخولًا أَوَّلِيًّا.

النمط الثاني: [فعل ماض متعد لواحد + فاعل" ضمير متصل"+ مفعول به]:

وَرَدَ هذا النمطُ متضمنًا صفة(الغفلة) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨﴾[الكهف:٢٨].

قال الأصفهاني: " وقوله:﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾[الكهف:٢٨]، أي: تركناه غيرَ مكتوبٍ فيه الإيمانُ، كما قال:﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾[المجادلة:٢٢]، وَقِيل: مَعْنَاه مَنْ جَعَلْنَاه غافِلًا عَنِ الحقائقِ"(١).

وفي تاج العروس:"(غَفَلَ عنه) غَفْلَةً و(غُفُولا: تَرَكَهُ وسَهَا عنه)...و(غَفَلَ) الرجلُ:(صَارَ غَافِلًا، وغَفَلَ عنه وأَغْفَلَهُ: وَصَلَ غَفْلَتَهُ إليه)، أو تَرَكَهُ على ذُكْرٍ، هذا نصُّ كتاب سيبويه، وفي العَيْنِ: أَغْفَلْتُ الشيءَ: تَرَكْتُهُ غَفَلًا، وأنتَ لَهُ ذَاكِرٌ، وقال الأصفهاني: " الغفلة: سهو يعتري الإنسانَ مِن قلةِ التحفظِ والتيقظِ، والغفلةُ، على ما قاله الحَرَالِيُّ: فَقْدُ الشُّعُورِ بمَا حَقُّهُ أنْ يُشْعَرَ بهِ، وقالَ أبو البقاءِ: هوَ الذُّهولُ عَن الشيءِ... وقيلَ: مُتَابَعَةُ النَّفْسِ علَى ما تشتهيه"(٢).

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الغين،(غفل)،٢/٤٦٩، ٤٧٠.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، تابع باب اللام،(غفل)،٣٠/١٠٨، ١٠٩.

ونَقَلَ النيسابوريُّ عن ابنِ جني قوله في الخصائص:" لو كانَ[أَغْفَلْنَا] بمعنى صَدَدْنَا، ولم تكن بمعنى صادَفْنَا، لكان العطف بالفاء دون الواو، أيّ: كانَ(فاتَّبَعَ هواه) حتى يكونَ الأولُ عِلَّةً للثاني، والثاني مطاوعًا. كقولِكَ: سألتُه فبَذَلَ، وجَذَبْتُهُ فانجذَبَ"[(١)].

جاء قوله﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ من تمام جملة﴿وَلَا تُطِعْ﴾ التي نهى اللهُ ﷻ فيها رسولَهُ ﷺ عن طاعةِ مَنْ أغفلَ قلبَهُ عن ذِكْرِ اللهِ واتَّبَعَ هواه، بعد أمره له ﷺ بأنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ مع الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيّ، والفعل﴿تُطِعْ﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه السكون، وأفادت﴿لَا﴾ النهي عن طاعتهم في الحال والاستقبال، وحذفت(الياء) من(تطيع)؛ منعًا لالتقاء ساكنين، والفاعل مستتر تقديره:﴿أنتَ﴾ يعود إلى رسول الله ﷺ، وتعدّى الفعل إلى مفعوله﴿مَنْ﴾ الذي جاء اسمًا موصولًا مشتركًا للعاقل مبني على السكون في محل نصب، وجملة الصلة، وما عطف عليها﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ أزالَتْ إبهامَ﴿مَنْ﴾، وأبانَتِ الْمَقْصُودَ بها في سياقها، وهي جملةٌ فِعليةٌ لا محل لها من الإعراب، جَاءَ فيها الْفِعْلُ﴿أَغْفَلْنَا﴾ مسندًا إلى فاعله ضمير المتكلم﴿نَا﴾ التعظيمية العائد إلى الله ﷻ، عَلَى وَزْنِ(أَفْعَلَ) ثلاثيًّا مزيدًا بِحَرْفِ الهمزةِ الَّتِي أفادتِ التعديةَ إِلَى المفعول به الذي وَقَعَ عليه الإغفال﴿قَلْبَهُۥ﴾، واتصل به ضميرُ المفرد الغائب﴿الهاء﴾ فأفاد ربْط جملة الصلة بالاسم الموصول﴿مَنْ﴾، وقد جاء مفردًا حَمْلًا على لَفْظِ﴿مَنْ﴾ دون معناه، والجار والمجرور﴿عَن ذِكْرِنَا﴾ متعلقٌ بالفعل﴿أَغْفَلْنَا﴾ أفادَتْ﴿عَن﴾ المجاوزةَ، أي البُعْد مع الغفلة عن﴿ذِكْرِنَا﴾ الذي جاء مُرَكَّبًا إضافيًّا﴿ذِكْرِ﴾ مضاف اكتسب من المضاف إليه﴿نَا﴾العائد إلى لفظ الجلالة(الله) التعظيم، ولم يذكر المَنْهِيُّ عنه؛ لأنه مفهوم من سياق الآية، والمعنى: ولا تُطِعْهُمْ في تنحيةِ الفقراءِ عن مجلسِكَ، وتركُ التصريح بالمنهي عنه أفادَ استمراريةَ النهي عن طاعة﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ في هذه الحالة وفي كل حالة، وأبانَتِ الجملتان الفعليتان المعطوفتان﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾،﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ مع جملة﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ سببَ النهي عن طاعتِهم، والجملتان لا مَحَلَّ لهما من الإعراب معطوفتان على جملة الصلة، وجَاءَ التعبيرُ بالأفعالِ الماضيةِ﴿أَغْفَلْنَا

(١) "بيان الحق" النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق، سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي(١٤١٨هـ-١٩٩٧م)٢/٨٥٦.

- ﴿ٱتَّبَعَ-كَانَ﴾؛ للدلالة على تَحَقُّقِ وثُبُوتِ الغفلةِ لمن كان هذا حاله، واتَّبَعَ هواه، واتَّصَفَ أمرُهُ بالفرط في الزمن الماضي،﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ الهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه ثم سمّى به المهوى المشتهى محمودًا كان أو مذمومًا ثم غلب على غير المحمود، وقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه ومنه فلان من أهل الهوى إذا زاغ عن السُّنَّةِ متعمدًا، وحاصله ميلان النفس إلى ما تشتهيه، وتستلذه من غير داعية الشرع، وجاء الفعل﴿ٱتَّبَعَ﴾ ماضيًا ثلاثيًا مزيدًا بحرفي الألف والتاء بوزن(افتعل) عبّر به دون(تبع)؛لأنَّ زِيَادَةَ المبنَى تدلُّ على زِيَادَةِ الْمَعْنَى، فزيادةُ الألفِ وتاء الافتعال أفادتِ الدَّلَالَةَ على المبالغةِ وتكلف متابعة الهوى والحرص على هذا الاتباع ، فهنا قصديةٌ واضحةٌ تميز هذا الاتباع للهوى. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ في التركِ والْفِعْلِ؛ فإنْ تَرَكَ فقد تَرَكَ تقصيرًا وتفريطًا، وإنْ فَعَلَ فقد فَعَلَ إفراطًا وإسرافًا يتجاوزُ الحَدَّ في الفعْلِ، فَأَمْرُهُ إِفْرَاطٌ وتَفْرِيطٌ.

قالَ ابنُ فارسٍ:"(فَرُط) الفاء والراء والطاء أَصْلٌ صحيحٌ يدلُّ على إزالةِ الشيء عن مكانه وتنحيته عنه. يقال: فَرَّطْتُ عنه ما كَرِهَهُ أي نَحَّيْتُهُ... فهذا هو الأصل، ثم يقال: أَفْرَطَ، إذا تَجاوَزَ الحَدَّ في الأمْرِ، يقولون: إيَّاكَ والفَرْطَ، أي: لا تُجَاوِزِ القَدْرَ، وهذا هو الأصل؛ لأنه إذا جَاوَزَ القَدْرَ فقد أزالَ الشيءَ عن جهتهِ. وكذلكَ التفريطُ، وهو التقصير؛ لأنه إذا قصَّرَ فيه فقد قَعَدَ به عن رُتْبَته التي هي له"[١].

<u>النمط الثالث: [فعل مضارع متعد لواحد + فاعل" ضمير مستتر"+ مفعول به]:</u>

<u>وَرَدَ هذا النمطُ في(ثلاثة) مواضعَ:</u>

<u>أولها: وَرَدَ متضمنًا صفة(الهداية) في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ <u>يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ</u> وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١﴾ **[التغابن:١١]**.

قال الأصفهاني: "الهدايةُ دَلالةٌ بلُطفٍ. وتنقسمُ الهدايةُ إلى هِدَايَةِ دِلَالَةٍ، وهِدَايَةِ تَوْفِيقٍ ومَعُونَةٍ، أما هِدَايَةُ دِلَالَةٍ فقد هَدَى اللهُ المؤمنَ والكافرَ، قال تعالى:﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الفاء،(فرط)،٤/٤٩٠.

﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾[فصلت:١٧]، وأما هِدَايَة التوفيقِ والمعونةِ فإنَّ اللهَ يَخْتَصُّ بها مَنْ قِبَلَ هِدَايَةِ الدِّلَالَةِ، وآمنَ باللهِ، قال تعالى:"﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾[محمد:١٧]، وقال:﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾[التغابن:١١]"(١).

جاءت الجملة الفعلية﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ لا محلَّ لها من الإعراب؛ لأنها جوابُ شَرْطٍ غير مقترنةٍ بالفاء، و﴿يَهۡدِ﴾ فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمة حذف حرف العلة(الياء)، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى الله ﷻ تعدَّى إلى مفعوله﴿قَلۡبَهُۥ﴾ المنصوب، وعلامة نصبه الفتحة وهو(مضاف)، و﴿الهاء﴾ ضمير المفرد الغائب العائد إلى لفظ﴿مَن﴾ دون معناه في محل جر مضاف إليه، والإحالة بالضمير المستتر(هو) العائد إلى﴿ٱللَّهِ﴾، والضمير المتصل﴿الهاء﴾ العائد إلى أداة الشرط قوَّى الربْط بين جملةِ جوابِ الشرط وجملة الشرط، والأداة﴿مَن﴾ اسم شرط مبهم للعاقل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ جزم فعلي الشرط﴿يُؤۡمِنۢ﴾ والجزاء﴿يَهۡدِ﴾، وأدّي وظيفةَ الربْطِ والتعليقِ بين جملتي الجزاء والشرط، ورتَّبَ حصولَ معنى جملة الجزاء﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ على حصولِ معنى جملة الشرط﴿يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ حَدَثِيًّا وزَمَنِيًّا في الحال والاستقبال، وجملة:﴿يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ في محلّ رفع خبر المبتدأ﴿مَن﴾،الذي أفادَ أنَّ تَحَقُّقَ الهدايةِ مترتبٌ على الإيمان ممَّا يدلُّ على أنها هِدَايَةُ التوفيقِ والمعونةِ لمَنْ يؤمنُ بالله تحقيقًا في الحال ويستمر على إيمانه في الاستقبال.

<u>**وثانيها: وَرَدَ متضمنًا نفْيِ إرادة صفة(التطهير) في موضع واحد، وهو:**</u>

قوله تعالى: ﴿... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ <u>أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ</u> لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[المائدة:٤١].

قال الأصفهاني:" والطهارةُ ضربان: طهارة جسم، وطهارة نفْس، وحمل عليهما عامة الآيات..."(٢)، وتطهير القلب لدخول السكينة فيه المذكورة في قوله:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الفتح:٤].

جاءت الجملة الاسمية﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾" إشارة إلى المذكورين من المنافقين واليهود، وما في اسم الإشارة من معنى البُعد؛ للإيذان ببُعْدِ

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الهاء،(هدى)،٢/٧٠٠.

(٢) المرجع السابق، كتاب الطاء،(طهر)،٢/٤٠٠.

منزلتهم في الفساد"[١]، و﴿أولاءِ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محلّ رفع مبتدأ، و﴿الكاف﴾حرف خطاب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب،﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني في محلّ رفع خبر، وجملة﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ الفعلية المنفية لا محلّ لها صلة الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾؛﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب زمن المضارع إلى المضي، فالفعل﴿يُرِدِ﴾ مضارعٌ لفظًا ماضٍ معنًى؛ لدخول﴿لَمْ﴾عليه، و﴿يُرِدِ﴾ المجزوم بالسكون والذي حرّك بالكسر؛ منعا لالتقاء الساكنين أسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، وتعدى إلى مفعوله المصدر المؤوّل﴿أَن يُطَهِّرَ﴾المكون من﴿أَن﴾الحرف المصدري الناصب والفعل المضارع المنصوب ﴿يُطَهِّرَ﴾وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وفاعله ضمير مستتر جوازًا يعود إلى لفظ الجلالة ﴿الله﴾، وتعدى الفعل بالتضعيف إلى مفعوله﴿قُلُوبَهُمْ﴾.

وعدل عن الإتيان بالمصدر الصريح(تطهير) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣] إلى المصدر المؤول﴿أَن يُطَهِّرَ﴾؛ للدلالة على استمرارية نَفْي إرادة التطهير عن قلوبهم في الماضي بدلالة﴿لَمْ يُرِدِ﴾، وفي الحال والاستقبال بدلالة﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وذلك؛ لأنَّ الذهنَ إذا تَصَوَّرَ المصدرَ الصريحَ لم يتصورْ إلا معنى الحَدَثِ مُجَرَّدًا مِنَ الزَّمَانِ، بينما جملة المصدر المؤول الدالة على الصريح تَجْمَعُ بين الدلالةِ على الحَدَثِ والزمانِ[٢]، وتجعلُ الذِّهْنَ يتصورُ الفعلَ وفاعله ومفعوله ومتعلقاته دفعةً واحدةً ينشأُ مِنْ ذلكَ استحضارُ الصورةِ[٣].

قال أبو حيان:"﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وُصِفَ بالعِظَمِ؛ لتزايدِهِ فلا انقضاءَ له، أو لتزايدِ أَلَمِهِ، أو لَهُمَا" [٤].

(١) تفسير أبي السعود،٢/٥٨.

(٢) ينظر، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(ت٥٨١هـ)، نتائج الفكر في النحو، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٢هـ-١٩٩٢ م)،٩٧.

(٣) ينظر، الجرجاني، دلائل الإعجاز،١٦٣.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط،٣/٥٠١.

* **المصدر المؤول:** لا يعرب المصدر المؤول إعراب الجمل، بل يعرب إعراب المفردات حسب موقعه في الجملة سواء أكان الحرفُ المصدريُّ ظاهرًا، نحو:﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾؛ فالمصدر المؤول﴿أَن﴾ والفعل المضارع ﴿يُطَهِّرَ﴾ في محل نصب مفعول به، أم مضمرًا، نحو: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[يونس:٨٨]؛ فالمصدر المؤول بعد﴿حَتَّىٰ﴾(أنْ) المضمرة والفعل المضارع﴿ يَرَوُا۟ ﴾ في محل جر بـ﴿حَتَّىٰ﴾، أي: حتى رؤيتِهم العذاب.

***الفرق بين المصدر المؤول والمصدر الصريح في تأدية المعنى:**

عند التعبير بالمصدر الصريح يكون الاهتمام منصبًا على ثبوت الحدَثِ دون زمنه، ومِنْ ثَمَّ ينتفي فيه تمييزُ زمنِ الفعلِ، أما عند التعبير بالمصدر المؤول فيكون الاهتمامُ بالحَدَثِ وزمنه يوضحُ ذلك قولُ ابن يعيش:"(أنْ)الخفيفة ينسبك منها ومن الفعل الذي بعدها مصدرٌ... قولك:(أعجبني أنْ قمتَ)، والمراد: قيامك، وزمان ذلك المصدر المُضِيُّ؛ لأنَّ فعلَه الذي انسبك منه كان ماضيًا. وكذلك لو كان فعلُه مضارعًا، نحو قولك: (يسرني أن تُحْسِنَ)، والمراد: إحسانك، فهو مصدرٌ زمانُه المستقبلُ، أو الحال كما كان الفعل كذلك"[(١)]، وقوله:" تقول: بلغني أنْ جاءَ زيدٌ أي: مجيئه فيكون المصدر بمعنى الماضي؛ لأنَّ (أنْ) دخلَتْ على فعلٍ ماضٍ، وتقول: أريد أنْ تَفْعَلَ ذلكَ أي: فِعْلكَ؛ فيكون المصدر لما لم يقع؛ لأنَّ (أنْ) دخلَتْ على فِعْلٍ مستقبلٍ"[(٢)]. ومثله أيضًا الفرق بين(جَلَسْتُ إلى أنْ رَجَعَ) و(جَلَسْتُ إلى أنْ يَرْجِعَ)، فالأول إخبارٌ عن حدَثٍ مُنقضٍ، والثاني عن حدثٍ غير مُنقضٍ، وذلك غير ملحوظ في استعمال المصدر الصريح إنْ قلتَ:(جَلَسْتُ إلى رجوعه)، وخلاصة الفرق بينهما في تأدية المعنى أنه يَحْسُنُ التعبير بالمصدر المؤول في المواضع التي يُرادُ منها الدلالةُ على الحدَثِ والزمنِ واستحضار الصورة كما في هذا الموضع، كما يَحْسُنُ التعبيرُ بالمصدرِ الصريحِ عندَ الدلالةِ على ثبوتِ الْحَدَثِ.

وثالثها: ورد متضمنًا الدعاء بعدم صفة(الزيغ) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[آل عمران:٨].

---

(١) ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّل،٥/٩٦.

(٢) المرجع السابق،٥/٨٧.

قال الأصفهاني:" الزيغُ: الميلُ عن الاستقامةِ، والتزايغُ: التمايلُ، ورجلٌ زائغٌ، وقومٌ زاغةٌ، وزائغون، وزاغَتِ الشمسُ، وزَاغَ البصرُ، وقال تعالى:﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأحزاب:١٠]، يَصِحُّ أنْ يكونَ إشارةً إلى ما يداخلهم من الخوف حتى أظلمَتْ أبصارُهم، ويَصِحّ أنْ يكونَ إشارةً إلى ما قال:﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[آل عمران:١٣]، وقال:﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم:١٧]،﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ﴾[التوبة:١١٧]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف:٥]، لَمَّا فارقُوا الاستقامةَ عاملَهُم بذلك[١].

قال السيوطي: الزيغ: هو المَيْلُ عَنِ الاستِقَامَةِ إلى أَحَدِ الجانبينِ، وزاغَ، وزالَ، ومَالَ مُتقاربةٌ، إلا أنَّ (زاغ) لا يُقَالُ إلا فيما كانَ عَنْ حَقٍّ إلى بَاطِلٍ"[٢]. ومِنْ ثَمَّ فالزيغ أخصّ من الميل؛ لأنّه مَيْلٌ عن الصواب والحق وبَعْدَ هدايةٍ.

جاءَتْ جملةُ النداءِ:﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ في محلّ نصب مقول القول لفعلٍ محذوفٍ، والتقدير: قالوا أو قولوا ...وفيه﴿رَبَّنَا﴾ منادى مضاف منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، أُضِيفَ إلى الضمير﴿نَا﴾ الضمير المبني في محل جر مضاف إليه العائد إلى الله إضافةَ تشريفٍ لهم، وتعظيمٍ لربِّهِمْ، وحُذِفَتْ أداةُ النداءِ(يا) قبْلَ المنادى﴿رَبَّنَا﴾ في هذا الموضع؛ لأنها لنداء البعيد، والله ﷻ ليس ببعيد، وإنما أقربُ إلينا من حَبْلِ الوريدِ، فحَذْفُ حَرْفِ النِّدَاءِ؛ للدلالةِ على قُرْبِ المنادَى مِمَّنْ دَعَاهُ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، وتذلّلَ الداعِي بين يدي حاجته؛ واستعمال لفظة﴿رَبَّنَا﴾ في الدعاء يتناسب مع حال هؤلاء المؤمنين حيثُ سَبَقَ إلى قلوبِهِم قَصْدُ الطلبِ والسؤالِ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ فكان دعاءُ اللهِ باسمِ الربِّ هو الأبلغُ لدلالتِهِ على معنى التربيةِ والإصلاحِ والرعايةِ؛ لتضمُّنِهِ صفاتِ الربوبيةِ كُلِّهَا، وجملة:﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا محلَّ لها جواب النداء.

دَلَّ دخولُ﴿لَا﴾ الناهية الدعائية الجازمة على الفعل المضارع المجزوم﴿تُزِغْ﴾ على طلب انتفاء الزيغ في الحال والاستقبال، والفاعل ضمير مستتر تقديره(أنت)، و﴿قُلُوبَ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، و﴿نَا﴾ ضمير مبني في محل جر مضاف إليه. ودلّ قوله﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾على أنَّ الهداية تسبق

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الزاي،(زيغ)،٢٨٧/١.

(٢) السيوطي، قَطْفُ الأَزْهَارِ،٥٦٠/٢.

الإزاغة، وأنَّ مَنِ استحبَّ العَمَى على الهُدَى، وزاغ عن الحق الذي هو الهُدَى، استحقَّ جزاءً وِفَاقًا﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

النمط الرابع: [فعل ماض متعد لمفعولين + فاعل" ضمير متصل"+ مفعولين]:

ورد متضمنًا صفة(القسوة) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ...﴿١٣﴾﴾[المائدة:١٣].

قال الأصفهاني:" جَعَلَ: لَفْظٌ عَامٌّ في الأفعالِ كُلِّهَا، وهوَ أَعَمُّ مِنْ فَعَلَ وصَنَعَ وسَائِرِ أخواتِهَا ويتصرف على خمسةِ أوجهٍ... والرابع: في تصيير الشيء على حالةٍ دون حالةٍ"(١)، وفي الصحاح في اللغة:"وجَعَلَهُ اللهُ نبيًّا، أي صيّره"(٢)، وجَعَلَ بمعنى صيّر ينصب مفعولين.

قال الكَفَوي:" والجَعْلُ:إذا تَعَدَّى إلى المفعولين يكونُ بمعنى التصيير، وإذا تعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ يكونُ بمعنى الخَلْقِ والإيجادِ"(٣).

وفي هذا الموضع تعدَّى الفعل﴿جَعَلَ﴾ المسند إلى فاعله الضمير﴿نَا﴾ العائد إلى الله ﷻ؛ للتعظيم تَعَدَّى إلى مفعولين﴿قُلُوبَهُمْ﴾ و﴿قَٰسِيَةً﴾ بمعنى صيَّرْنَا قلوبَهم قاسيةً لا تنفعل لشيء ولا تتحولُ مِنْ حَالَةٍ إلى حالةٍ؛ بسببِ نَقْضِهِم ميثاقَهم.

جاءَتْ جملةُ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها معطوفةٌ على جملة﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾ الاستئنافية التي لا محلٍ لها من الإعراب. وكِلَا الجملتين﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ مُسَبَّبَةٌ عن قوله:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾، وهو كلامٌ مستأنفٌ فيه﴿الفاء﴾استئنافيّة، و﴿الباء﴾حرف جر مبني

---

(١) الراغب الأصفهاني،المفردات، كتاب الجيم،(جعل)،١/١٢٢.

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٨هـ)، الصحاح تَاجُ اللغةِ وصِحَاحُ العربيةِ مُرَتَّبٌ تَرْتِيبًا ألفبائيًا وِفْقَ أوائلِ الحروفِ، تحقيق، د. محمد محمد تامر، دار الحديث- القاهرة، طبعة(١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)،(جعل)،١٨٧.

(٣) الكَفَوِيُّ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفَوي(ت١٠٩٤هـ)، الكُلِّيَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، وضع فهارسه، د. عدنان درويش ومحمد المصري، الناشر، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان، ط٢(١٤١٩هـ-١٩٩٨م)،٣٠.

على الكسر أفادَ بيانَ سببِ لَعْنِ اليهودِ، وجَعْلِ قلوبِهم قاسيةً، و﴿مَا﴾ مزيدة نحويًّا بعد﴿الباء﴾؛ لتوكيد الكلام، وتمكينه في النفس. قال القرطبي:" قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ﴾ أَيْ: فَبِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ، ﴿مَا﴾ زَائِدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ، عَنْ قَتَادَةَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تُؤَكِّدُ الْكَلَامَ بِمَعْنَى تُمَكِّنُهُ فِي النَّفْسِ مِنْ جِهَةِ حُسْنِ النَّظْمِ، وَمِنْ جِهَةِ تَكْثِيرِهِ لِلتَّوْكِيدِ"[١]، ولا تكفّ الباءَ عن عمل الجرّ، والاسم المجرور﴿نَقْضِهِم﴾ جاء مصدرًا؛ للدلالة على ثبوت صفة نقْض الميثاق لليهود، وضمير الغائبين﴿هِم﴾ العائد إلى اليهود في محل جر مضاف إليه، و﴿مِّيثَـٰقَهُمْ﴾؛ ﴿مِّيثَـٰقَ﴾ مفعول به للمصدر نقْض، و﴿هِم﴾ ضمير مضاف إليه والجار والمجرور متعلقان بـ﴿لَعَنَّـٰهُمْ﴾، وتقدّم المتعلّق ﴿بِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ﴾ أفاد الحصر: وهو أن ليس لعنهم وجعل قلوبهم قاسية إلّا بسبب نقضهم ميثاقهم، وأكّد معنى الحصر والسَّبب بـ﴿مَا﴾ الزائدة، فأفادَتِ الجملةُ حصرًا وتأكيدًا ووثاقَة وتقوية للمعنى[٢]، و﴿لَعَنَّا﴾ فعل ماض مبني على السكون دلّ على تَحَقُّقِ اللَّعْنِ، أُسْنِدَ إلى فاعلِهِ ضمير﴿نَا﴾العائد إلى(الله)الواحد، وعبر به للتعظيم، وعُدِّيَ إلى مفعوله ضمير الغائبين ﴿هُمْ﴾ العائد إلى مَن نقضُوا عهدَهم مِن اليهود، و﴿الواو﴾ العاطفة لجملة﴿جَعَلْنَا﴾ على جملة﴿لَعَنَّـٰهُمْ﴾ أفادَتِ الجمْعَ والمشاركة بين اللعن وجعْل قلوبهم قاسية بسبب نقْضهم ميثاقهم، و﴿قُلُوبَ﴾ مفعول به أول منصوب، و﴿قَـٰسِيَةً﴾ مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة و﴿قَـٰسِيَةً﴾، مؤنّث قاسٍ، اسم فاعل من قسا يقسو بوزن فاعِلَة، وعبّر باسم الفاعل﴿قَـٰسِيَةً﴾ دون(قَسَتْ)؛ للدلالة على ثبات هذه الصفة لهم حتى أصبحت القسوة عادة مستمرة لهم لا يكادون يتركونها، فأصبحت قلوبُهم متصفةً بالقسوة في ذاتها مؤثِّرةً القسوةَ في غيرِها فوقع بسببها كل ما وصفوا به كتحريفهم الْكَلِمَ في الحال والاستقبال عن مواضعه. ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ قساوة القلب مجاز، إذ أصلها الصلابة والشدة، فاستُعيرت لعدم تأثر القلوب بالمواعظ والنذر، وذكَرَ الزجاجي لـ(ما) سبعة مواضع؛ منها(مَا) الزائدة قال: " وتَكُونُ زَائِدَةً فِي مَوْضِعَيْنِ:

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمُبَيِّنُ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السُّنَّةِ وآيِ الفرقانِ، تحقيق، د. عبد الله بن عبد المُحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)،٣٧٩/٧.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل،٧٤/١.

أَحَد الْمَوْضِعَيْنِ لَا تُخِلُّ فِيهِ بِإِعْرَابٍ وَلَا مَعْنى كقول الله تعالى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾[النساء:١٥٥]؛ والموضع الآخر تُغَيِّرُ الْإِعْرَابَ كقولِكَ: إنَّ زيدًا قائمٌ، ثُمَّ تَقُولُ إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ. فَتُغَيِّرُ الْإِعْرَابَ بِدُخُولِهَا و(ما) تَخْتَصُّ بما لا يَعْقِلُ"[١].

قال الزركشي: " وأما﴿مَا﴾ في نحو قوله تعالى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾[المائدة:١٣]﴿مَا﴾ في هذين الموضعين زائدة؛ إلا أنَّ فيها فائدة جليلة؛ وهي أنه لو قال: فبرحمةٍ مِنَ الله لِنْتَ لهم، وبنقضهم ميثاقهم لعنَّاهم،جوَّزنا أنَّ اللينَ واللعنَ كانا للسببين المذكورين ولغير ذلك، فلما أدخل﴿مَا﴾ في الموضعين قَطَعْنَا بأنَّ اللينَ لم يكنْ إلا للرحمةِ، وأنَّ اللعنَ لم يكن إلا لأجل نقْض الميثاق"[٢].

وبَيَّنَ الزركشيُّ أنَّ الزيادةَ في القرآنِ ليس معناها استعمال المُهْمَلِ الذي لم تضعه العرب، أو اللغو الخالي عن الفائدة؛ فكلام الله سبحانه مُنَزَّهٌ عن ذلك فقال:" وليس المرادُ من الزيادة –حَيْثُ ذَكَرَهَا النحويون– إهمالَ اللفظِ، ولا كونه لغوًا؛ فتحتاج إلى التنكب عن التعبير بها إلى غيرها؛ فإنهم إنما سموا "ما" زائدة هنا؛ لجواز تعدِّي العامل قبلها إلى ما بعدها، لا لأنها ليس لها معنى"[٣]. وذَكَرَ الزركشي أنَّ الزائدَ ليس المُهْمَل الذي لم تضعه العرب؛ لأنَّ الزائدَ ما أُتِيَ به لغرض التقوية والتوكيد، وأعقبه بتوضيحٍ للمقصود من الزيادة بتنبيهاتٍ ذَكَرَ في التنبيه الأول منها أن:" أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه: منها ما يَتَعَلَّقُ به هنا، وهو ما أُقْحِمَ تأكيدًا، نحو:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾[البقرة:٢٦] . ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]"[٤]. ومع التسليم بوجاهة ما قاله الزركشي إلا أنَّ الأدبَ مع الله يستوجب علينا ألا نستخدمَ هذهِ الكلمةَ وما شابهها في وصْفِ كلمةٍ من كلامِ اللهِ ﷻ،

---

(١) الزجَّاجِي، كتاب حروف المعاني، الحرف(١١٣)/٥٤، ٥٥.

(٢) الزركشي،البرهان في علوم القرآن، ٨٣/٣.

(٣) المرجع السابق،٧٣/٣.

(٤) نفسه،٧٣/٣.

وهذا التنبيهُ يحتاجُ إلى تنبيهٍ آخر ذكَرَهُ ابنُ هشامٍ حيثُ قال:" وكَثِيرٌ مِنَ المُتقدِّمين يُسَمُّونَ الزَّائِدَ صِلَةً.. وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ مُؤَكِّدًا، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ لَغْوًا، لَكِنَّ اجتنابُ هذهِ العبارةِ في التَّنْزِيلِ واجِبٌ"(١).

وبناءً على ما سَبَقَ يَتَّضِحُ أنَّ:

أولا: مصطلحُ الزيادة عند النحاة لا يعني اللغو أو المهمَل العاري عن الفائدة.

ثانيًا: أطلقَ النحاةُ مصطلح الزيادة؛ لجواز تعدِّي العامل قبلها إلى ما بعدها؛ فدخول﴿مَـا﴾ لم يمنع الجار قبلها﴿الباء﴾ من جر ما بعدها﴿نَقْضِهِم﴾و﴿رَحْمَةٍ﴾ في قوله:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾، وقوله:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾.

ثالثًا: معنى كون الكلمة زائدة أنَّ أصل المعنى حاصلٌ بدونها دون تأكيد؛ فبوجودها تحصل فائدة التوكيد(٢)، أو فوائد دلالية تُفْهم في سياقها.

فزيادة﴿مَا﴾ في الموضعين زيادة نحوية لا يستوي المعنى بها وبدونها، فهي كما قال الزركشي:" فيها فائدةٌ جليلةٌ "، وينبغي في كل ما قيل فيه بالزيادة تدبُّر المعنى بها وبدونها؛ لمحاولة معرفة السبب في ذِكْرِهَا؛ للوقوفِ على بعضٍ من أسرارِ النَّظْمِ القرآنيِّ.

رابعًا: الأدبُ مع الله بتقييد لفظ الزيادة، بقولنا: زيادة نحوية، أو زيادة على أصل المعنى، أو حروف صلة توكيدية، أو حروف الزيادة الدلالية، أو غير ذلك مما يتناسب مع الكلمة الزائدة نحويًّا.

---

(١) ابن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب، تحقيق، علي فودة نيل، الناشر: عمادة شؤون المكتبات- جامعة الرياض- السعودية، ط١(١٤٠١هـ-١٩٨١م)،١٠٩.

(٢) ينظر، الزركشي، البرهان،٣/٧٤.

الفصل الثالث

تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الفصل الثالث: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

جَاءَ القلبُ مجرورًا في(تسعةٍ وسبعين) موضعًا صَنَّفْتُهَا إلى الأنواعِ الآتيةِ:

أولا: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا بِالْحَرْفِ، والذي جَاءَ في(تسعةٍ وستين) موضعًا.

ثانيًا: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا بالإِضَافَةِ، والذي جَاءَ في(سبعةٍ) مواضعَ.

ثالثًا: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا بالتَّبَعِيَّةِ، والذي جَاءَ في(ثلاثةِ) مواضعَ.

أولا: تراكيب ذِكْرِ القلب مجرورًا بالحرف:

تختصُّ حروفُ الْجَرِّ بالدخولِ على الأسماءِ، وتقومُ بربْطِ الأفعالِ أو الأسماءِ التي قبلها بالأسماء التي بعدها[1] ربطًا لفظيًّا دِلاليًّا، نحو:﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[المجادلة:٢٢] حيث ربَطَ الحرف ﴿فِي﴾ رَبْطًا لفظيًّا دلاليًا بين الفعل﴿كَتَبَ﴾ والاسم﴿قُلُوبِهِمُ﴾، فلا يجوزُ أنْ يُذْكَرا متتاليين بدونه[2]، وأضاف معنى الكتابة إلى القلوب مصحوبًا بمعنى الحرف﴿فِي﴾ الظرفية، وهذه الحروف تسمى(حروف الإضافة)؛ لأنها تضيفُ معاني ما قبلها إلى الأسماءِ بعدَهَا، و"(الجرُّ: عَلَمُ الإضافة): وهي نسبة شيء إلى اسم، بواسطة حرف الجر لفظًا أو تقديرًا، فكلُّ مجرورٍ مضاف إليه"[3]، "وتسمى(حروف جر)؛ لأنها تَجُرُّ ما بعدها من الأسماء"[4]، وقد أوضحَ الجرجانيُّ أثرَهَا الدِّلالِي النَّحْوِيّ بقوله:"فإنْ قيل: لم سُمِّيَتْ هذه الحروف حروفَ الجرِّ؟ قيل: إنها تَجُرُّ معاني الأفعال إلى الأسماء؛ لأنك إذا قلت: مَرَرْتُ بزيدٍ فاتصل معنى

---

(١) ينظر، الملك الصالح إسماعيل الأيوبي، الكُنَّاش في النحو والتصريف،٢/٦٩.

(٢) ينظر، د.إبراهيم بركات، النحو العربي،٤/٢٠٨.

(٣) ابن قاسم المالكي، عبد الرحمن بن محمد زين الدين محمد بن قاسم الجلالي المالكي(ت٩٢٠هـ)، شرح حدود النحو للأُبَّذِيّ، أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي البِجَائِيّ الأُبَّذِيّ(ت٨٦٠هـ)، تحقيق، د.خالد فهمي ، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)،٦٧.

(٤)ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّل،٤/٤٥٤.

المرور بزيدٍ، وقيل: تسميتُها بالحروفِ باعتبارِ عَمَلِهَا فيكون من قبيل تسمية المؤثر باسم الأثر، كما سُمّيَتْ حروف الجزم؛ لأن عملها الجزم"(١).

والجرجاني ذَكَرَ سببين لتسمية(حروف الجر) بهذا الاسم:

أولهما: سَبَبٌ دلالي؛ وهو أنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء بعدها.

والآخر: سَبَبٌ لفظي، وهو أنها تعمل الجر فيما بعدها.

ولحروفِ الْجَرّ دورٌ رئيسٌ في إبرازِ المعانِي النحويَّةِ في معمولاتها من خلال سياقاتها المختلفة مما يساعدُ في تحليل التراكيب التي وردت فيها، ولذلك فهي تسمى(حروف الصفات)، قال القُرَشِيُّ الأشبيلي: " وسَمُّوهَا حروفَ الصفاتِ؛ لأنَّها تدلُّ فيما بعدَها على صفةٍ"(٢)، وذَكَرَ أمثلةً لهذهِ الحروفِ، بيَّنَ أنها تُفْهِمُكَ معاني، وتُوجبُ صِفاتٍ في مجرورها، ولأجل تلك الصفات دخلت هذه الحروف، ولو لم تجيء بهذه الحروف لم يتبيَّنْ لمُخاطَبِكَ ما تُرِيدُ، منها: جَلَسْتُ الدارَ، وأنتَ تُريدُ في الدَّارِ، فدخولُ(في) دلّ على أنَّ الدارَ وعاءُالجلوسِ، وجِئْتُ الدارَ المسجدَ، وأنت تريد: جئْتُ مِنَ الدَّارِ إلى المسجدِ، فمِنْ تَقْتَضِي أنَّ الدارَ مبدأُ المجيء، و(إلى) دالةٌ على أنَّ المسجدَ مُنتهَى المَجِيءِ(٣).

فهذهِ الحروفُ تَدُلُّ على صفاتٍ يتوقفُ عليها فَهْمُ الْمَعْنَى، فهي مكملاتٌ رئيسةٌ لا غِنَى عنها؛ ليفهمَ المخاطَبُ ما تريدُ. و" الجَرُّ هو اصطلاحُ أهلِ البصرةِ، والْخَفْض اصطلاحُ أَهْلِ الْكُوفَةِ"(٤).

ولقد عَدَّهَا ابنُ مالك(ت٦٧٢هـ) في ألفيَّتِهِ عشرينَ حَرْفًا وَرَدَ منها في الدراسةِ(ستةُ) أَحْرُفٍ رتَّبْتُهَا ترتيبًا ألفبائيًّا، وهي:**الباء وعلى وعن وفي واللام ومِنْ**، وقبل تحليل مواضع تراكيب ذِكْرِ القلبِ مجرورًا بهذهِ الحروفِ، أتناولُ- بإيجازٍ- فيما يَخُصُّ حروفَ الْجَرّ:

---

(١) الجرجاني، العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، شرح الشيخ خالد الأزهري الجرجاوي(ت٩٠٥هـ) تحقيق، د.البدراوي زهران، دار المعارف- القاهرة، ط٢(١٩٨٨م)،٨٩.

(٢) القرشي الأشبيلي، ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الأشبيلي السَّبْتِي(ت٦٨٨هـ)، البَسيطُ في شرح جُمَلِ الزجَّاجِيّ، تحقيق، د.عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)، ٨٣٨/٢.

(٣) ينظر، المرجع السابق،٨٣٨/٢.

(٤) الكَفَوِيُّ،الكليات،٣٥٣. - وابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،١٢٣/٢.

١- تعريف حروف الجر لغةً واصطلاحًا:

حروف الجر لغةً: الجر لغة: من(جَرَرَ) وهو الجَذْبُ والشَّدُّ والاقْتِيَادُ(١).

واصطلاحًا: استعمل الحرف بمعناه الاصطلاحي منذ نشوء الدراسة النحوية، ويذكرُ الرواةُ أنَّ أبا الأسودِ الدؤلي(ت٦٩هـ) تَلَقَّى مِنَ الإمامِ عَلِيّ ﷺ صحيفةً فيها: " الكلامُ كُلُّهُ اسْمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ، فالاسمُ مَا أَنْبَأَ عَن المُسَمَّى، والْفِعْلُ مَا أَنْبَأَ عَنْ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى، والْحَرْفُ مَا أَنْبَأَ عن مَعْنًى ليسَ بِاسْمٍ ولَا فِعْلٍ"(٢).

وقد عَرَّفَ سيبويه(ت١٨٠هـ) الحرفَ تعريفًا يُقَارِبُ ما جَاءَ في التعريفِ السَّابِقِ فقالَ:" وحرفٌ جاءَ لمعنًى ليس باسمٍ ولا فِعْلٍ"(٣).وعَرَّفَهُ الزَّجَّاجِيُّ(ت٣٣٧هـ)بقوله:"حدُّ حروفِ المعاني، وهو الذي يلتمسُهُ النَّحْوِيُّونَ، فهو أنْ يُقَالَ: الحرفُ ما دَلَّ على مَعْنًى في غيرِهِ"(٤). وقال الأُبَّذِيّ:"(حَدُّ الْحَرْفِ): كُلُّ كَلِمَةٍ لا تدلُّ عَلَى معنًى فِي نَفْسِهَا، لكن تدلُّ عليه في غيرها"(٥). وعَرَّفَهُ المرادي(ت٧٤٩هـ) بقوله: " الحرفُ طَرَفٌ في الكلامِ وفَضْلَةٌ ليس له معنًى في نَفْسِهِ، ولِكَوْنِهِ لا يَدُلُّ على مَعْنًى إلا في غيرِهِ فافتقرَ إلى ما يكونُ معه؛ ليفيدَ معناه"(٦)، والمعنى الذي يدلُّ عليه الحرفُ في غيرِهِ يكون في الاسم والفعل؛ ولذلك عَرَّفَهُ الزمخشريُّ (ت٥٣٨هـ) بقوله:"والحرفُ ما دلَّ على معنًى في غيرِهِ، ومِنْ ثَمَّ لم ينفك من اسمٍ أو فِعْلٍ يَصْحَبَهُ"(٧). وشَرَحَ ابنُ يعيشَ(ت٦٤٣هـ) تعريفَ الزمخشري السابق للحرف، "وقوله:" "ومِنْ ثم لم ينفك من اسمٍ أو فِعْلٍ يَصْحبُهُ"، يريد: ولكونِهِ لا يَدُلُّ على مَعْنًى إلا في غيرِهِ، افتقرَ إلى ما يكونُ معه؛ ليفيدَهُ معناه فيه"(٨)، وشَرَحَ ابنُ قَاسِمٍ التعريفَ وبَيَّنَ أَنَّهُ ليسَ المرادُ أَنَّ الحرفَ لا معنى له في نَفْسِهِ البتة، بل المراد أن لمعناه

---

(١) ينظر، ابن منظور، لسان العرب،(جرر)،٢/٢٤٠.

(٢) السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو،١/١٠.

(٣) سيبويه، الكتاب،١/١٢.

(٤) الزجَّاجِيُّ، الإيضاحُ في عِلَلِ النَّحْوِ، تحقيق، د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)،٥٤.

(٥) ابن قاسم، شرح حدود النحو للأُبَّذِي،٥٥.

(٦) المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،٢٣.

(٧) الزمخشري، المُفَصَّل،٢٨٣.

(٨) ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،٤/٤٥٠.

متعلقًا لَابُدَّ من ذِكْرِهِ عند ذِكْرِ الحرفِ، وأوضحَ بمثالٍ أنَّ الحرفَ(مِنْ) معناه الابتداء، لكن لابُدَّ مِنْ ذِكْرِ مُتَعَلَّقِهِ لفَهْم هذا الابتداء؛ فإذا قلنا: مِنَ الْبَصْرةِ اتضحَتْ دلالةُ الابتداءِ بِذِكْرِ مُتَعَلَّقِهِ(البَصْرة)[1]، وخَالَفَهُ في ذلك السيوطي والأستراباذي فحروف الجرِّ لا تُعْطِي معانيها منفردةً ولكن من خلالِ التركيبِ؛ لأنَّ معنى الحرف في غيره؛ فالمرادي ذكَرَ أنَّ(باء) الجر لا تَدُلُّ على الإلصاقِ حتى تُضَافَ إلى الاسمِ الذي بَعْدَهَا، لا إنَّهُ يُتَحَصَّلُ منها مفردةً، وكذلك القولُ في سائرِ الحروفِ[2]، وكذلك الرضي الأستراباذي(ت٦٨٨هـ) ذَكَرَ أنَّ الْحَرْفَ وَحْدَهُ لا معنى له أصلًا بل معناه في لفظٍ غيره، فإذا أُفْرِدَ عن ذلك اللفظِ بقي غيرَ دَالٍ على معنى أصلًا[3]، وتبعهما الفاكِهِيُّ حيثُ قالَ:" فالحرفُ مشروطٌ في دلالتِهِ على معناه الذي وُضِعَ له: ذِكْرُ مُتعلَّقِهِ. فإنْ لم يُذكَرْ مُتعلَّقه فلا دَلَالَةَ له على شيءٍ. وهو- كما قال الرضي-: كالعَلَمِ المنصوبِ بجنبِ شيءٍ؛ ليدُلَّ على أنَّ في الشيءِ فائدةً ما، فإنْ أُفْرِدَ عنه بقِيَ غيرَ دالٍّ أصلًا"[4].

ونخلصُ من ذلك إلى أنَّ حرفَ الْجَرِّ كلمةٌ لها معنًى دلالي، وهذا المعنى يختلفُ عن معنى الاسم والفعل كما قال الجرجاني(ت٤٧١هـ):"الحرف ما جاء لمعنى ليس فيه معنى اسم ولا فعل"[5].

وكما قال المُطَرِّزِي(ت٦١٠هـ): الْحَرْفُ مَا جاءَ لِمَعْنَى لَيْس بِمَعْنَى الاسْمِ وَلَا بِمَعْنَى الْفِعْلِ"[6].

وحرفُ الجَرِّ يَجُرُّ معني الفعلِ أو الاسمِ الذي قبلَهُ إلى الاسمِ الذي بَعْدَهُ، ويلزمه حالة الجر، قال ابن الحاجب:" حروف الجر: ما وُضِعَ للإفْضَاءِ بِفِعْلٍ أو معناه إلى ما يليه"[7].

---

(١) ينظر، ابن قاسم المالكي، شَرْحُ حدود النحو للأُبَّذِي،٥٥.

(٢) ينظر، المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،٢٢.

(٣) ينظر، الأستراباذي، شَرْحُ كافية ابن الحاجب،٢٢/١.

(٤) الفاكهي، شَرْحُ كتاب الحدود في النحو،١٠٢، ١٠٣.

(٥) الجرجاني، كتاب(الجُمَل)، تحقيق، علي حيدر[أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق] دمشق،(١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)،٦.

(٦) المُطَرِّزِي، المِصْبَاحُ فِي عِلْمِ النَّحْوِ،٤٠

(٧) ابن الحاجب، الكافية في عِلم النحو والشافية في عِلْمَيِ التصريفِ والخَطِّ،٥١.

ولفظ التَوَصُّلِ أظهر من الإفضاء، وتعريف ابن الحاجب لحروف الجر ليس مُطَّرِدًا، حيثُ نَجِدُ كُلًّا من (إلا) في الاستثناء، وواو المعية يُفْضِي بالفعلِ إلى ما يليه، وليس بحرفِ جَرٍّ[١]، في نحو: ما قلتُ إلا الصدقَ. وسِرْتُ والنيلَ.

***الوظيفة النحوية والدلالية لحروف الجر الأصلية في اصطلاح النحاة[٢]:**

يُؤَدِّي كُلُّ حَرْفٍ مِنْ حروفِ الْجَرِّ وظيفةَ الْجَرِّ للاسمِ بعدَهُ، والرَّبْطِ والصِّلَةِ بينَ الاسمِ أو الفعلِ قبلَهُ والاسمِ بَعْدَهُ، كما أنه يؤدي معناه في السياق في الاسمِ بعده[٣]، وقد أَشَارَ ابنُ سِيدَةٍ إلى وظيفةِ الحروفِ عندَ حديثِهِ عن حروفِ المعاني فقال:" الحروفُ التي يسميها النحويون حروفَ المعاني وهي الحروف التي تَرْبِطُ الأسماءَ بالأفعالِ والأسماءَ بالأسماءِ... حروفُ المعاني أقلُّ أقسامِ الكلامِ مع أنَّها أكثرُها في الاستعمال، مِن قِبَلِ أنها إنما يُحتاج إليها لغيرِها مِن الاسمِ أو الفعلِ أو الجملةِ، وليس كذلك غيرُها؛ لأنها يُحْتَاجُ إليها في أَنْفُسِهَا، فصارت هذه الحروفُ كالآلَةِ، وصارَ القسمان الآخرانِ اللذان هما الاسمُ والفعلُ كالعملِ الذي هو الغرضُ في إعدادِ الآلَةِ وإعمالِهَا وهذه عِلَّةٌ ذَكَرَهَا أبو علي الفارسيّ، وهي حَسَنَةٌ"[٤].

***ويُمكنُ إجمال الوظيفة النحوية والدلالية لحروف الجر الأصلية في[٥]:**

أولا: جرُ آخر الاسم الذي يليها، جَرًّا ظَاهِرًا أو مُقَدَّرًا أو مَحَلِّيًّا.

ثانيًا: تعديةُ عاملها اللازم إلى مفعولٍ به في الحُكْمِ أو في المعنى، ومفعولها في المعنى هو الاسمُ المجرورُ بها.

---

(١) ينظر، ابن جَمَاعَة، شَرْحُ كافية ابن الحاجب،٣٢٦.

(٢) ينظر، الملك الصالح إسماعيل الأيوبي، الكُنَّاش،٢/٦٩.

(٣) ينظر، الكفوي، الكليات،٨١١.

(٤) ابن سِيدَة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سِيدَه(ت ٤٥٨هـ)، المخصص (ط الأميرية)، تصوير دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان(د.ت)، السفر الرابع عشر،٤٤، ٤٥.

(٥) ابن النحاس، التعليقة على المقرّب،٢٩٢. - والإسفرائيني، اللباب في علم الإعراب،١٥٠.

- والسخاوي، علم الدين علي بن محمد السخاوي(ت٦٤٣هـ)، المُفَضَّل في شَرْحِ المُفَصَّلِ(باب الحروف)، تحقيق، د. يوسف الحشكي، المكتبة الوطنية،عمان-الأردن، ط٢(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ٤٢.

ثالثًا: الرَّبْطُ المعنويُّ فهي تُضِيفُ، وتَنْقِلُ وتُوَصِّلُ معنى عاملها الذي قبلها(الفعل)، أو شبهه إلى الاسمِ المَجْرُورِ بعدها(١).

رابعًا: نَقْلُ المعنى الدلالي الأصلي لحرف الجر، وما يصحبه مِنْ مَعَانٍ، أو دِلالاتٍ أُخرى من خلال السياق إلى الاسم المجرور بها.

فمثلا: معنى الباء الجارة الأصلي الإلصاق، وهو أَصْلُ معانيها عند النحاة، بحيث لا يكون لها معنى آخر إلا وفيه أَثَرٌ من معنى الإلصاق إما حقيقةً نحو:" بزيدٍ داءٌ"، وإمَّا مجازًا نحو:" مررتُ بزيدٍ"، أي أَلْصَقْتُ مروري بموضعٍ يقرب من زيدٍ(٢).

قال ابنُ هشامٍ:"قيل: هو معنى لا يُفَارِقُهَا فلهذا اقْتَصَر عليه سيبويه"(٣).

__٢ – زيادة حروف الجر:__

إنَّ مِنْ حروفِ الْجَرِّ حروفًا تَجُرُّ الاسمَ الظاهرَ والمُضْمَرَ، وتقعُ أصليةً لا يُمْكِنُ الاستغناءُ عنها في الجملةِ وإذا سَقَطَتْ منها يَفْسَدُ المَعْنَى، نحو: أَكَلْتُ بيدي، ومنها حروفٌ تَجُرُّ الاسمَ لَفْظًا دون المحل، وتقع حروف صلة توكيدية سَمَّاهَا كثيرٌ مِنَ النحاة حروف جر زائدة أَدَّتْ هذهِ التسميةُ إلى اختلافٍ كَثيرٍ. ويرى الباحثُ أَنَّ تحديدَ معنى الزيادةِ في هذهِ الحروفِ يُقَلِّلُ الفجوةَ بينَ الرفضِ والإثباتِ لها؛ فإذا اتُّفِقَ على أَنَّ حروفَ جَرٍّ زَائِدَةٍ تعني حروف جر زائدة نحويًا قَلَّ الاختلافُ بمعنى أنه يُمْكِنُ إسقاطُهَا مِنَ الْجُمْلَةِ ولا يَفْسَدُ التركيبُ نحويًّا لكن المعنى يتأثر ويتغير، ولكُلٍّ منها وظيفته النحوية والدلالية.

---

(١) ينظر، ابن بَابْشَاذ، أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي المصري(ت٤٦٩هـ)، شَرْحُ المقدمة النحوية "الجُمَلُ الهادية في شَرْحِ المقدمة الكافية"، تحقيق، د. محمد أبو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية(١٩٧٨م)،٢/٢١.

(٢) ينظر،الفاضل الهندي(بهاء الدين محمد بن الحسن فاضل الأصبهاني المعروف بالفاضل الهندي(ت١١٣٧هـ)، شَرْحُ العوامل في النحو، ومعه إيضاح المسائل من شَرْحِ العوامل،لمحمد زكي الجعفري، دار الحجة للثقافة، قم، سوق القدس، ط١(١٤٣١هـ)،١١.

(٣) ابن هشام، مُغْنِي اللبيب،١/١١٨.

***الوظيفة النحوية والدلالية لـ(حروف الجر) الزائدة في اصطلاح النحاة:**

أولا: جَرُّ آخر الاسم الذي يليها لفظًا لا محلًا، فمجرورها اللفظي في محل رفعٍ أو نَصْبٍ أو جَرٍّ بِحَسَبِ العواملِ السابقة لهذه الحروف؛ فمثلا:﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[النساء:٦]، و﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء:٧٩] لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل مرفوع محلًّا، مجرور لفظًا.

ثانيا: حروف الجر الزائدة في اصطلاح النحاة لا تعني أنَّ المعنى بها وبدونها متساويًا؛ فلا يتساوى قوله تعالى:﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥] وقولنا:"ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة " مع أنَّ إسقاطَها من الجملة لم يُفْسِدِ الْمَعْنَى إلا أنه يُغَيّرُهُ ويُؤَثّرُ فيه عَلِمْنَا ذلك أم لم نَعْلَمْ فوجود﴿الباء﴾ في الآية أَفَادَ تقويةَ المعنى والتوكيد، والربْط المعنوي فهي تضيف، وتَنْقِلُ معنى عاملها الذي قبلها(الفعل)﴿تُلْقُوا۟﴾ إلى الاسم المجرور بعدها﴿أَيْدِيكُمْ﴾، مصحوبًا بنَقْلِ معنى﴿الباء﴾ الدلالي الأصلي إلى الاسم المجرور بها وهو الإلصاق، وما يصحبه مِنْ مَعَانٍ أو دلالات أخرى من خلال السياق وهو هنا السببية، والمعنى لا تلقوا بسبب أفعالِكم أنفسَكم إلى التهلكةِ، وإسقاطها من سياقها يسقط معه هذه الوظائف النحوية الدلالية.

ثالثا: نَقْلُ المعاني الأصلية لهذه الحروف، وما يصحبها من معان أو دلالات أخرى من خلال السياق إلى الاسم المجرور بها.

وكثيرٌ من العلماء يثبتون حروفَ الزيادةِ لكنها ليسَتْ زيادةَ لَغْوٍ وحَشْوٍ لا فائدةَ منها، فهي زيادةٌ مَقْرُونَةٌ بِغَرَضٍ دِلَالِيٍّ لمجيئها، وذَكَرَ ابنُ مالكٍ في التسهيل في بابِ حروفِ الجَرِّ أَنَّ بعضَ الحروفِ يُزَادُ وبعضَها لا يُزَادُ، من ذلك قوله في(إلى):" ولا تُزادُ خِلَافًا للفَرَّاءِ"، وقوله في(عن):" وتُزَادُ هي و(على) و(الباء) عِوَضًا"، وقوله في(عَلَى):" وقد تُزَادُ دون عِوَضٍ"، وقوله في(الباء):" وتُزَادُ مع فاعلٍ ومفعولٍ وغيرهما"، وهو يُثبتُ للزيادةِ فائدةً، فيقول في زيادة(مِن):" وتُزَادُ لتنصيصِ العمومِ أو لمجرد التوكيد بعد نفْي أو شبهه"[1]،ومِنَ العلماءِ مَنْ لا يُسَمِّيهَا حروفَ زيادة، ويسميها حروف صلة، ومنهم على سبيل المثال: الماوردي الذي يتحاشى لفظةَ الزَّائِدِ، ويُعَبِّرُ عَنْهَا بِالصِّلَةِ، ويرى أَنَّ مجيئَهَا لِحِكْمَةٍ، وأَنَّ لها أثرًا

---

(١) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة،المكتبة العربية، القاهرة (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م)،١٤٤.

في المعنى حيث قال:"﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩] يعني فبرحمةٍ مِنَ اللهِ، و﴿مَـا﴾ صِلَةٌ دَخَلَتْ لحُسْنِ النَّظْمِ"(١).

والبيضاوي الذي سَمَّاهَا بِالصِّلَةِ، وذَكَرَ معانيها، وبيَّنَ المقصودَ بالزيادةِ بقوله:"ولا نَعْنِي بِالمَزِيدِ اللَّغْوَ الضَّائِعَ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ هُدًى وبَيَانٌ"(٢).

والزمخشري يُثْبِتُ حروفَ الزيادة، لكنه لا يرتضيها في مواضعَ مِنَ الْقُرْآنِ، ويَرُدَّهَا ويَذْكُرُ أَنَّ القولَ بالزيادةِ فيها خطأٌ غيرُ صحيحٍ(٣).

وأبو عُبيدةَ معمر بن المثنى ذَكَرَ ما يُزادُ في الكلامِ مِنْ حُروفِ الزَّوَائِدِ(٤)، ومثَّلَ له بأمثلةٍ منها قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾[الحاقة:٤٧].

وابنُ هشام يرى أنَّ بعضَ الحروفِ تَقَعُ زائدةً في القرآنِ الكريمِ(٥)، نحو(الكاف)الجارة في قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١]. عند ذِكْرِهِ معانيها في المغني قال:" والخامس: التوكيد، وهي الزائدة نحو﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قال الأكثرون: التقدير: ليس شيءٌ مِثلَه؛ إذْ لو لم تُقدرْ زائدة صار المعنى ليس شيءٌ مِثلَ مِثْلِه، فيلزم المحالُ وهو إثباتُ المِثْلِ، وإنما زِيدَتْ؛ لتوكيدِ نَفْيِ الْمِثْلِ؛ لأنَّ زيادةَ الحرفِ بمنزلةِ إعادةِ الجُمْلَةِ ثانيًا، قاله ابنُ جني"(٦).

" وقال جماعةٌ من المحققين: ليسَتِ الكافُ هنا زائدةً، وإنما هي عَلَى بابِها، ومعنى الآية والله أعلم: نَفْيُ مِثْلِ الْمِثْلِ، ويلزمُ من ذلك نفي المِثْلِ ضرورة وجوده سبحانه وتعالى، فإنْ قيل: لمَ يُوصَلْ إِلَى نَفْيِ المِثْلِ

---

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصْري(ت٤٥٠هـ)،النُّكَتُ والعيون" تفسير الماوردي"، تحقيق، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان(د.ت)،٤٣٢/١.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل،٧٤/١.

(٣) ينظر، الزمخشري، المفصل،٢٨٥.

(٤) ينظر، أبو عبيدة، مجاز القرآن،٦٣/١.

(٥) ابن هشام، مغني اللبيب،١٢٣/١.

(٦) المرجع السابق،٢٠٣/١.

بِنَفْيِ مِثْلِ الْمِثْلِ، وهَلَّا نُفِيَ المِثْلُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، فالجوابُ أنَّ النَّفْيَ بنَفْيِ مِثْلِ المِثْلِ أفخمُ وأبلغُ مِنْ نَفْيِ المِثْلِ، بدليل أنَّ قولنا: فُلانٌ لا يفعلُ هذا، أبلغُ وأفخمُ مِنْ قولنا: أنتَ لا تفعل هذا؛ لأنه نَفْيُ الشيءِ بذِكْرِ دليلِهِ، فهو أبلغُ مِنَ النَّفْيِ بغيرِ ذِكْرِ الدليلِ"[١].

وقال الألوسي:" ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نَفْي للمُشَابَهَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ... والمرادُ مِنْ ﴿مِثْلِهِۦ﴾ ذاته تعالى فلا فَرْقَ بين ليس كَذَاتِهِ شَيءٌ، ولَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ في المعنى إلا أَنَّ الثاني كِنَايَةٌ مشتملةٌ على مُبالغةٍ، وهي أنَّ المماثلةَ منفيةٌ عمن يكون مِثْله، وعلى صفته فكيف عن نفسه، وهذا لا يستلزمُ وجُودَ المِثْلِ إذ الفرضُ كَافٍ في المبالغةِ ومثل هذا شائعٌ في كلامِ العربِ نحو قول أوس بن حجر:

لَيسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٍ　　　خَلْقٌ يُوَازِيهِ فِي الْفَضَائِلِ

وقوله:

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلْ　　　تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ[٢]

وقيل: إنَّ مثلًا بمعنى الصفة وشيئًا عبارة عنها أيضًا حكاه الراغبُ ثم قال: والمعنى ليس كصفته تعالى صفةٌ تنبيهًا على أنه تعالى وإنْ وُصِفَ بكثيرٍ مما يُوصَفُ به البشرُ فليست تلك الصفات له ﷻ حسب ما يُستَعْمَلُ في البَشَرِ"[٣]. والهروي أثبتَ زيادةَ الحروفِ؛ للتوكيد بقوله: " الموضع الرابع تكون(مِنْ) زائدة؛ للتوكيد كقولك: هل مِنْ رجلٍ في الدار؟ وهل مِنْ طعامٍ عندك؟ فمِنْ ها هنا زائدةٌ للتوكيد، وموضع (مِنْ رجلٍ) و(مِنْ طعامٍ) رفع بالابتداء، كأنه قال: هل رجلٌ في الدار؟ وهل عندك طعامٌ ؟"[٤]

---

(١) ابن النحاس، التعليقة على المُقَرّب،٢٩٩.

(٢) البيت من كلام الشاعر الجاهلي، أبو شريح، أوس بن حجر التميمي زوج أم زهير بن أبي سلمى من (بحر المتقارب)، في غرض الفخر، شاهد كالشاهد السابق، أدخل فيه أداة التشبيه" الكاف" على أختها في المعنى" مثل" لاختلاف لفظهما، توكيدا للكلام، وهو نظير" ما" في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ومعنى ذلك: كجذوع النخيل. (ديوان أوس بن حجر بتحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت)،٢٩-٣١.

(٣) الألوسي، روح المعاني،١٧/٢٥، ١٨.

(٤) الهَرَوِيّ، أبو الحسن علي بن محمد، النحوي الهَرَوِيّ(ت٤١٥ هـ)، كتاب الأزهية في علم الحروف، تحقيق، عبد المعين الملّوحي- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة(١٤١٣هـ-١٩٩٣م)،٣٣٦.

واستدلَّ على زيادة(مِنْ) بالآيات القرآنية كقوله تعالى:﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩].

ومَنْ أنكَرَ زيادةَ حروفِ الجرِّ في القرآن كالمبرد وثعلب وابن السراج، ومَنْ وافقهم أنكروا زيادتها في المعنى، قال صاحبُ البرهان :"وقد اختُلِفَ في وقوعِ الزائدِ في القرآن؛ فمِنْهُمْ مَنْ أنكرَهُ، قال الطرسوسي في العُمدة " : زَعَمَ المبرّدُ وثعلبُ ألّا صلة في القرآن، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصِّلَاتِ في القرآن، وقد وجِدَ ذلك على وجهٍ لا يَسَعُ إنكارُهُ فذُكِرَ كثيرًا. وقال ابنُ الخبّاز في"التوجيه": وعند ابن السراج أنه ليسَ في كلامِ العربِ زَائِدٌ؛ لأَنَّهُ تَكَلُّمٌ بغيرِ فائدةٍ، وما جَاءَ منه حَمَلَهُ على التوكيد"(١).

وأثبتَ صاحبُ التعليقةِ في شرْحِهِ لمُقَرَّبِ ابن عصفور زيادةَ الحروفِ، وبَيَّنَ المقصودَ بزيادتِهَا، ونَفَى أنْ يكونَ المقصودُ بها الزيادةَ في المعنى، فقال:" قوله: (مِنْ) فإنها تكونُ زائدةً: نحو: ما جاءني مِنْ رجلٍ. لا يُقال: إنَّ (مِنْ) أفادَتْ هنا الاستغراقَ فلا تكونُ زائدَةٍ، لأنَّا لا نعني هنا بالزائدِ الذي دخولُه وخروجُه سواء، بل نعني أنَّ مِنْ هنا لم تعلق الفعل بالاسم، ولا أوصلته إليه؛ لأنَّ ما بعدها فاعلٌ، والفعلُ لا يحتاجُ في وصولِهِ إلى الفاعل إلى مُقَوٍّ، ولا مُوصِّلٍ، فهي زائدةٌ من جهةِ التعلقِ لا مِنْ جِهَةِ المعنى"(٢).

ويري الباحثُ أنَّ الخِلَافَ بين المثبتين لحروفِ زائدةٍ في القرآن، والمانعين لها هو خِلَافٍ لفظيٍّ في المصطلح، وهذا النوعُ من الحروفِ موجودٌ في لغةِ العربِ، والقرآنُ نَزَلَ بلُغَتِهِمْ، والمعنى بها يختلفُ عن المعنى بدونها فهي لَيْستْ زيادة لغو معنوي، وإنما زيادة من حيث الصناعةِ الإعرابيةِ، كما قال الكَفَويُّ: " ولا يَصِحُ في الكلامِ المعجزِ معنى الزيادةِ التي تكونُ لغوًا، بل المراد بها أن لا تكون موضوعة لمعنى هو جزء التركيب، وإنما تفيد وثاقة وقوة للتركيب"(٣).

ويرى الباحثُ أنْ يُطْلَقَ علي حروف الجر الزائدة نحويًّا مصطلح "حروف الصلة التوكيدية"، أو"حروف الجر التوكيدية"، أو أي مصطلح يُتفق عليه؛ تأدبًا مع الله ﷻ حتى لا يُقَالَ إنَّ بالقرآنِ زيادةً، وإن كان معنى الزيادة في اصطلاح النحاة لا يعني زيادة لغو لا فائدة في ذِكْرِها، وهذا ما فعله سيبويه حيث أثبت

---

(١) الزركشي، البرهان،٣/٧٢.

(٢) ابن النحاس، التعليقة على المقرب،٢٩٤.

(٣) الكَفَويُّ، الكليات،٤٨٨.

هذه الحروف، ولكنه لم يُطلِقْ عليها مصطلحَ الزيادةِ، ولم يتعاملْ معها على أنها زائدةٌ في المعنى، وإنما أَطْلَقَ عليها مصطلحَ التوكيدِ، من ذلك ما ذَكَرَهُ عند حديثِهِ عن(مِنْ) و(الباء) حيث قال:"(مِنْ) تَدْخُلُ في مَوْضِعٍ لو لم تَدْخُلْ فيه كانَ الكلامُ مستقيمًا ولكنها توكيدٌ بمنزلة(ما)، إلا أنها تجر؛ لأنها حرف إضافة، وذلك كقولك: ما أتاني مِنْ رَجُلٍ، وما رأيتُ مِنْ أحدٍ. ولو أُخرجتْ(مِنْ) كان الكلامُ حَسَنًا، ولكنه أُكِّدَ بمِنْ؛ لأنَّ هذا موضع تبعيضٍ فأرادَ لم يأته بعضُ الرجالِ والناسِ". وقال سيبويه عن(الباء):" قد تكون(باء الإضافة) بمنزلتها، في التوكيد، وذلك كقولك: ما زيدٌ بمنطلقٍ، ولستُ بذاهبٍ، أراد أن يكون مؤكدًا حيثُ نفى الانطلاقَ والذهابَ، وكذلك" : كفى بالشيبِ " لو ألقى(الباء) لاستقام الكلام"[1].

وهذا ما فَعَلَهُ ابنُ هِشَامٍ فمع قولِهِ بالزيادةِ؛ للتوكيدِ قال:" وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَجَنَّبَ الْمُعْرِبُ أَنْ يَقُولَ فِي حَرْفٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ: تَعَالَى إِنَّهُ زَائِدٌ؛ لأَنَّهُ يَسْبِقُ إِلَى الأَذْهَانِ أَنَّ الزَّائِدَ هُوَ الَّذِي لَا مَعْنَى لَهُ، وكَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ"[2]، وذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ فَرَّ مِنَ التعبيرِ بالزائدِ، واستعملَ بَدَلَهُ التأكيدَ، والصِّلَةَ، والْمُقْحَمَ[3].

وبَيَّنَ معنى الزائد في اصطلاح النَّحْوِيِّينَ بقوله:" الزائدُ عند النحويين معناه: الذي لم يُؤْتَ بهِ إلَّا لِمُجَرَّدِ التقويَةِ، والتوكيدِ، لا المُهْمَلُ"[4]. وذَكَرَ الكيشي أن(مِنْ) في نحو: ما جاءني مِنْ رجل. كثيرٌ من النحاةِ يجعلونها مزيدة؛ لتبيين إرادةَ التأكيدِ، وإنْ سألت ما معنى زيادتها؟ مع أنها أفادت الاستغراقَ، ولولاها لم يَسْتَغْرِق النفي، قالوا:" لو حذفتها بقيت صورةُ الجملةِ بحالِها بخلاف الصور المتقدِّمة. وللمعترضِ أنْ يَنقُضَ القاعدةَ بـ(إنَّ)؛ لإفادتِها التأكيدَ، وبقاء الجملةِ دونها، ولم تُسَمَّ زائدةً"[5]. وذَكَرَ الكفويُّ أَنَّ للزائد في كلامهم فائدةً معنويةً أو لفظيَّةً أو يجمعُ الفائدتين، فقال:" والزائد في كلامهم لابدَّ أنْ يفيدَ فائدةً معنويةً أو لفظيةً وإلا كانَ عبثًا ولغوًا. فالمعنويةُ تأكيدٌ للمعنى كما في(مِن) الاستغراقية، و(الباء) في خبر(ما)

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٤/٢٢٥.

(٢) ابن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب، ١٠٨.

(٣) السيوطي، الإتقان، ٣٨٩.

(٤) ابن هشام، الإعراب في قواعد الإعراب، ١٠٨.

(٥) الكِيشِيُّ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد اللطيف القرشي الكيشي(ت٦٩٥هـ)، الإرشادُ إلى عِلْمِ الإعراب، تحقيق، د. عبد الله على الحسيني البركاتي ود. محسن سالم العميري، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي-مكة المكرمة(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ٣٠٦.

و(ليس). واللفظيةُ تزيينُ اللفظِ وكونه بزيادة أفصح، أو مهيأ لاستقامة وَزْنٍ أو لِحُسْنِ سَجْعٍ أو غير ذلك. وقد تجتمعُ الفائدتان في حَرْفٍ، وقد تنفردُ إحداهُمَا عن الأخرى"(١).

٣- التناوب بين حروفِ الجر بين المنع والإجازة:

*** ذَهَبَ العلماءُ في نيابة حروف الجر بعضها موضع بعض إلى مذهبين:(٢)**

المذهب الأول: ذَهَبَ جمهورُ الكوفيين إلى أنّ حروفَ الْجَرّ ينوبُ بعضُها عن بعضٍ ولا يُنْكِرُونَهُ.

وأَيّدَهُمْ في ذلك كثيرٌ مِنْ عُلَمَاء بغداد كابن قُتيبة(٢٧٦هـ)، وابن الشجري(٥٤٢هـ)(٣).

وتناولَ ابنُ جني في كتابه"الخصائص" التناوبَ في باب(استعمال الحروف بعضها مكان بعض)، وتَعَجَّبَ مِنْ بُعْدِ فَهْمِ النَّاسِ لهذا الاستعمالِ عن الصواب، وتلقيهم له عاريًا من الدقة كأنه غُسِلَ منها، فوصفَهم بالسذاجةِ والبُعْدِ عن الصوابِ حيثُ قال:" هذا بابٌ يتلَقَّاه الناسُ مغسولًا سَاذَجًا مِنَ الصنعة، وما أَبْعَدَ الصَّوابَ عنه، وأوقفه دونه"(٤).

وعلّلَ لوَصْفِهِ السابقِ لهم بقولهم بالتناوب في كُلِّ مَوْضِعٍ، وعلى كُلِّ حَالٍ، قال ابنُ جني:" وذلك أنهم يقولون: إنَّ(إلى) تكون بمعنى(مع)، ويَحتجونَ لذلك بقول الله سبحانه:﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف:١٤]، أي مع الله، ويقولون إنَّ(في) تكون بمعنى(على)، ويحتجون بقوله-عزَّ اسمُهُ-: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:٧١]. أي: عليها. ويقولون: تكون الباء بمعنى(عن) و(على)، ويحتجون بقولهم: رميتُ بالقوس أي عنها وعليها..."(٥).

وذَكَرَ أمثلةً أُخرى لاحتجاجِهم على تناوبِ الحروفِ، وعَقَّبَ عليها بقولِهِ: "ولسنا نَدْفَعُ أَنْ يكونَ ذلك كما قالوا، لَكِنَّا نقولُ أنّه يكونُ بمعناه في مَوْضِعٍ دون مَوْضِعٍ، على حسب الأحوالِ الداعيةِ إليه، والمسوّغَةِ له،

---

(١) الكفوي، الكليات،٤٨٧، ٤٨٨.

(٢) ينظر، السامرائي، معاني النحو،٦/٣.

(٣) ينظر، ابن قتيبة، تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ،٥٦٦- ٥٧٨.

(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جنّي الأزديّ(٣٩٢هـ)،الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ط(١٣٧١هـ-١٩٥٢م)،٢/٣٠٦.

(٥) المرجع السابق،٢/٣٠٧.

فأمّا في كلّ موضع، وعلى كلّ حال فلا، ألا ترى أنّك إنْ أخذْتَ بظاهر هذا القول غُفلًا هكذا لا مقيّدًا لزمك عليه أنْ تقولَ: سِرْتُ إلى زيدٍ، وأنت تريد: معه، وأنْ تقولَ: زيدٌ في الفَرَسِ، وأنت تريدُ عليه...ونحو ذلك"[1]، وأشار إلى" أنّ الفعل إذا كان بمعنى فِعْل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرفٍ، والآخرُ بآخر فإنّ العرب قد تتّسع فتُوقِعُ أحدَ الحرفين موقعَ صاحبه إيذانًا بأنّ هذا الفعلَ في معنى ذلك الآخَرِ، فلذلك جيء معه بالحرفِ المعتادِ مع ماهو في معناه..."[2].

ويرى الشَلَوْبِينِيّ أنَّ(إلى)على بابها في هذا الموضعِ خلافًا لمن يرى أنَّ(إلى) قد يَدْخُلُها معنى"مع"، حيثُ قال:" (إلى) تكون لانتهاء الغاية، وقد يَدْخُلُهَا معنى(مع)، في رأي. وذلك نحو قوله تعالى:﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾. والصواب أن﴿إِلَى﴾ على بابها، والمَعنَى: مَنْ أنصاري مُضيفين أنفسَهُمْ في نَصْري إلى الله، ثم حذف هذا المقدَّرُ لدلالة﴿إِلَى﴾ عليه، إذ كان مِنْ تمامه"[3].

ويقول صاحبُ الكُنَّاش:"وتجيء(إلى) بمعنى(مع) قليلا، كقوله تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[النساء:٢]، ولم يجعلها للمعية في قوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[آل عمران:٥٢]، وجعلها لانتهاء الغاية، فقال:" فهي للغاية، أي: مَنْ ينصرني إلى أنْ يأتي أمرُ الله"[4].

وَرَدَّ ابنُ جَمَاعَة قولَ ابنِ الحاجبِ وهو يذكرُ معاني(إلى):" وبمعنى(مع كثيرًا" بقوله:" قوله في(إلى) بمعنى(مع)، ليس بتحقيقٍ، وإنما(إلى) غاية، يجوزُ دخولِ ما بعدَهَا، ويجوزُ ألا يَدْخُلَ، وتُعْرَفُ بالقرائنِ، ولو صَحَّ إطلاقُ(إلى) بمعنى(مع)؛ لصَحَّ: جِئْتُ إلى زَيْدٍ. بمعنى« مع زيدٍ»، ولم يَقُلْ به أحدٌ، وأمَّا قوله تعالى:﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ فإنما عُرِفَ دُخُولُ المرافقِ ببيانِ النبيّ ﷺ، وقوله تعالى:﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾، أي: مَضمومة إلى أموالكم؛ لأنهم لم يفردُوها بالأكل، بل ضَمُّوهَا إلى أموالِهم"[5].

---

(١) ابن جني، الخصائص،٢/٣٠٨.

(٢) المرجع السابق،٢/٣٠٨.

(٣) الشَلَوْبِينِيّ، أبو علي عمر بن محمد الشَلَوْبِينِيّ الأزدي الإشبيلي(ت ٦٤٥هـ)، التوطئة في النحو، تحقيق، د. يوسف أحمد المطوع، دار التراث العربي- القاهرة، ط٢(١٤٠١هـ-١٩٨١م)،٢٤٤.

(٤) الملك الصالح إسماعيل الأيوبي، الكُنَّاش في النحو والتصريف،٢/٧٣.

(٥) ابن جَمَاعَةِ، شَرْحُ كافية ابن الحاجب،٣٢٨.

المذهب الثاني: ذَهَبَ البصريون إلى أنَّ حروفَ الْجَرِّ لا ينوبُ بعضُها مَوْضِعَ بعضٍ قياسًا إلا ما شَذَّ عنه، وما أوهمَ النيابةَ يؤولونَهُ على التضمينِ أو على الْمَجَازِ[1]، نحو قوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١].

فإنَّ الكوفيين ذهبوا إلى أنَّ ﴿فِى﴾ بمعنى(عَلَى)، وذَهَبَ البصريون إلى أنه ليس بمعنى(عَلَى)، ولكن شبّه المصلوب لتمكُّنِهِ مِنَ الجِذْعِ بالحَالِّ في الشيءِ فهو مِنْ بَابِ الْمَجَازِ.

ورأى الشلوبيني أنَّ﴿فِى﴾ على بابها فقال:"(في)، للوعاء، وقد يدخلها معنى(على) في رأي، وذلك في نحو قوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، والصواب أن﴿فِى﴾ على بابها؛ لأنَّ جُذوع النخل مكان للمَصْلوب" [2].

وَرَدَّ الزمخشريُّ قولَ مَنْ جعلَهَا بمعنى(على) فقال:" و(في) معناها الظرفية... وقولهم، في قول الله ﷻ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، إنها بمعنى(عَلَى) عَمَلٌ عَلَى الظَّاهِرِ، والحقيقةُ أنَّها عَلَى أَصْلِهَا؛ لِتَمَكُّنِ الْمَصْلُوبِ فِي الْجِذْعِ تَمَكُّنَ الكائنِ في الظرفِ فيه"[3].

ووافقَهُ ابنُ يعيشَ بقوله:" وأمَّا قوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، فليست﴿فِى﴾ بمعنى"على" على ما يظنُّهُ مَنْ لا تحقيقَ عنده، وإنما لمَّا كان الصلبُ بمعنى الاستقرار والتمكُّن، عُدِّي بـ(في) كما يُعَدَّى الاستقرارُ، فكما يُقال: " تَمَكَّنَ في الشجرة"، كذلك ما هو في معناه"[4].

وقال السخاويُّ في شرْحِهِ لهذا الموضع:" ومِنَ الحروفِ الجارةِ(في) ومعناها الظرفية والوعاء، والظرف والوعاء ما كان مشتملًا على الشيءِ ومحلًّا له"[5]، واستشهدَ بقول أبي العباس الآبَيّ على أنَّ﴿فِى﴾ ليست بمعنى(على)، وأنها على حقيقتها حيث قال:" قال أبو العباس: هو هنا على حقيقته من

---

(١) ينظر، السيوطي، معترك الأقران،١/ ٢٣٠، ٣٠٢. – والكَفَوِيُّ، الكليات،٢٦٦.

(٢) الشَّلَوْبِينِيُّ، التوطئة في النحو،٢٤٥.

(٣) الزمخشري، المُفَصَّل،٢٨٤.

(٤) ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،٤/٤٧٢.

(٥) السخاوي،المُفَضَّل،٥٩.

كونه للوعاء؛ فإنَّ الجذوعَ لَمَّا صُلِبُوا عليها، صارت كأنها قبورٌ لهم لملازمتهم إياها، فكأنهم كانوا فيها؛ لأنها صارت مستقرًّا لهم"[١].

وهذا الرأي مالَ إليه ابنُ هشامٍ، وعدَّهَا من الأمور التي اشتهرَتْ بين النُّحَاةِ على خِلَافِ أصلها، ووجْهُ الصوابِ عنده هو القولُ: بأنَّ الحرفَ بَاقٍ على معناه، وأنَّ العاملَ ضُمِّنَ فيه معنى عاملٍ تَعَدَّى بذلكَ الحرفِ؛لأنّ التجوزَ في الفعلِ أَسْهَلُ منه في الحرفِ[٢]. ويرى الباحثُ في الموضعِ السابقِ أَنَّ:﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ شِبْهُ جملةٍ متعلقةٌ بقوله:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ ، وعدلَ فيها عن تعديَةِ الفعلِ بحرفِ(على) الذي يُفِيدُ الاستعلاءَ إلى حرفِ﴿فِي﴾ الذي يُفِيدُ الظرفية مع أنَّ الصَّلْبَ يكونُ على الجِذْعِ لا في داخلِهِ[٣]؛ للدلالةِ على شِدَّةِ الصَّلْبِ، وتَمَكُّنِهِ تَمَكُّنًا يُشْبِهُ حصولَ المظروفِ في الظَّرْفِ.

وقال الزركشي:"لم يَقُلْ(عَلَى) كما ظَنَّ بعضُهم؛ لأنَّ(على) للاستعلاءِ، والمصلوبُ لا يُجْعَلُ علي رءوسِ النَّخْلِ، وإنَّما يُصْلَبُ في وَسَطِهَا، فكانت﴿فِي﴾ أحسن من(على)[٤]، كما أنَّ استعمالَ﴿فِي﴾يتناسبُ مع حالِ القائلِ(فرعون) مع المقولِ لهم مِمَّنْ آمَنَ(السحرة) أمام الناسِ في يوم الزينة؛ فهو أرادَ أنْ يهوِّنَ من شأنِهم، وأنْ يُظْهِرَ شِدَّةَ تهديدِهِ ووعيدِهِ لمَنْ آمنَ الناتج عن عظمِ حنقِهِ، وشِدَّةِ غَيْظِهِ؛ تهديدًا وتخويفًا لغيرهم ممن لم يؤمنْ بربِّ موسى وهارون–عليهما السلام– يَدُلُّ على ذلك أنه كما ذَكَرَ اللهُ ﷻ عنه قال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝﴾[الشعراء:٥٤، ٥٥] حتى لا يؤمنوا كما آمنَ السحرةُ، فأرادَ أنْ يُبَيِّنَ باستعمالِ﴿فِي﴾ تَمَكُّنَهُ منهم بصلبِهم صَلْبًا غيرَ مَأْلُوفٍ صَلْبًا مُحيطًا بهم من جميعِ جوانبِهم، كما يَدُلُّ على رغبةِ فرعونَ في إبقائِهم على هذهِ الحالةِ زمنًا طويلًا.

وخلاصة القول:"إنّ الأَصْلَ في حروفِ الجَرِّ أَنْ لا يَنُوبَ بَعْضُهَا عن بَعْضٍ، بل الأصل أنّ لكلّ حرفٍ معناه واستعماله، ولكن قد يقتربُ معنيان أو أكثر مِنْ معاني الحروف فتتعاور الحروفُ على هذا

---

(١) السخاوي، المُفَضَّل،٦٠.

(٢) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،٢/٧٥٥، ٧٥٦.

(٣) ينظر، ابن جني، الخصائص،٢/٣١٣.

(٤) الزركشي، البرهان،٤/١٧٦.

المعنى. وإيضاح ذلك أنَّ حرفَ الجَرِّ في العربيةِ قَدْ يُسْتَعْمَلُ لأكثرَ مِنْ معنًى، فـ(مِنْ) مثلًا حَرْفُ جَرٍّ له مَعَانٍ أشهرها ابتداء الغاية، مكانًا وزمانًا، والتبعيض، والتبيين، والتعليل، والبدل، وغيرها[1]، والفعل الواحد قد يتعَدَّى بأكثرَ مِنْ حرفٍ كما" قال أبو نزار(ت٥٦٨هـ) المعروف بمَلِكِ النُّحَاةِ، على ما حكاه الإمامُ السيوطيُّ عنه من قوله:"أنَّ الفعلَ قد يَتَعَدَّى بِعِدَّةٍ مِنْ حُروفِ الْجَرِّ على مِقْدَارِ الْمَعْنَى المُرَادِ مِنْ وقوعِ الفعلِ؛ لأنَّ هذه المعاني كائنةٌ في الفعلِ، وإنَّمَا يُثيرُهَا ويُظْهِرُهَا حُروفُ الْجَرِّ، وذلكَ أَنَّكَ إذَا قُلْتَ: خَرَجْتُ فَأَرَدْتَ أَنْ تُبَيِّنَ ابتداءَ خُروجِكَ قُلْتَ: خَرَجْتُ مِنَ الدَّارِ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُبَيِّنَ أَنَّ خُروجَكَ مُقَارِنٌ لاسْتِعْلائِكَ قُلْتَ: خَرَجْتُ عَلَى الدَّابَّةِ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمُجَاوَزَةَ لِلْمَكَانِ قُلْتَ خَرَجْتُ عَنِ الدَّارِ، وَإِنْ أَرَدْتَ الصُّحْبَةَ قُلْتَ خَرَجْتُ بِسِلَاحِي فَقَدْ وَضُحَ بِهَذَا أَنَّهُ لَيْسَ يَلْزَمُ فِي كُلٍّ أَلَّا يَتَعَدَّى إِلَّا بِحَرْفٍ وَاحِدٍ"[2].

ويتفقُ الباحثُ مع ما ذَهَبَ إليه أبو نزار؛ لأنَّهُ يَتَّفِقُ مَعَ الاستعمالِ القرآنِيِّ؛ فمثلًا الفعلُ(قَضَى) يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ بِنَفْسِهِ، كقوله تعالى:﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة:١١٧] بمعنى أَرَادَ وقَدَّرَ، وقوله:﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾[القصص:٢٩]أي أتمَّ[3]، ويتعدَّى بحروفِ جَرٍّ عديدةٍ تبعًا للمعنى المراد تأديته في كُلِّ تركيبٍ، أو يتعدَّى بنَفْسِهِ ويتعلقُ به الجار والمجرور بحرف جر في موضع وبغيره في موضع آخر على سبيل المثال: استعمل معه﴿إلى﴾ في قوله تعالى:﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ...﴾[الحجر:٦٦] أي أنبأناه، وتعدَّى بـ﴿الباء﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ...﴾ [النمل:٧٨]. تَضَمَّنَ القضاءُ معنى الحُكْمِ، وتعدَّى بـ﴿على﴾ في قوله تعالى:﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]. تَضمّن﴿قَضَىٰ﴾ معنى: قَتَلَ، وتعدَّى بـ﴿في﴾ في قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ

(١) ينظر، السيوطي، معترك الأقران،٢/٥٣٠، ٥٣١.

(٢) السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو،٣/٢٥٧.

(٣) مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط(١٤٠٩هـ-١٩٨٨م)،(قضى)،٢/٩٠٢.

ٱلۡقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾[يونس:٩٣]. تَضمَّن﴿يَقۡضِى﴾ معنىَ: يَفْصِلُ، واستعمل معه﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٌ مِّنۡهَا وَطَرًا﴾[الأحزاب:٣٧]. تَضَمَّنَ﴿قَضَىٰ﴾ معنى طابَتْ نَفْسُهُ أو نَالَ حاجتَهُ.

وبناءً على ما سَبَقَ فإنني أرى أنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ حروفِ الْجَرِّ الأَصْلُ فيه أنْ يكونَ على بابِهِ، ولا يُنْقَلُ عن هذا الأَصْلُ، ويجبُ التدبُّرُ في معنى الحرفِ الذي يؤديه من خلال السياق بأنواعه، ومن خلال القرائن، والتفكرُ في سِرِّ اختيارِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حروفِ الْجَرِّ في موضِعِهِ دون سواه كما فَعَلَ ابنُ جَمَاعَةَ وذكَرَ أنَّ بيانَ النبيِّ ﷺ هو الذي جَعَلَ المرافقَ تَدْخُلُ في الغَسْلِ، ومع ذلك لم يَقُلْ أنَّ(إلى) بمعنى(مع)، فهي على بابِهَا تُفِيدُ انتهاءَ الغايةِ، وقبل بيانِ النبيِّ ﷺ كان المعنى يحتملُ أنْ يكونَ غَسْلُ الأيدي لا تدخلُ فيه المرافقُ، وانتهاؤه عندها، وبعد بيانِ النبيِّ ﷺ عَرَفْنَا أنَّ المرافقَ مِن اليدِ غير مُنفصلين.

٤- التضمين في الأفعال وعلاقته بحروف الجر:

إنَّ القولَ بالتضمينِ أصوبُ، وأدقُّ مِنَ القولِ بتعاقبِ الحروفِ الذي يقولُ به كثيرٌ من النحاةِ، وعارضَهم كثيرٌ من اللغويين والعلماء بل ومن النحاةِ قال أبو البقاء الكَفَوِيّ: " الفعل المتعدي بالحروف المتعددة لابد من أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف. فإنْ ظَهَرَ اختلافُ الحرفين ظَهَرَ الفرقُ، نحو: رغبْتُ فيه وعنه، وعدلْتُ إليه وعنه، ومِلْتُ إليه وعنه، وسعيْتُ إليه وبه. وإنْ تقاربَتْ معاني الأدوات عسرَ الفرْقُ، نحو: قصدْتُ إليه وله، وهديتُ إلى كذا ولكذا، فالنحاة يجعلون أحدَ الحرفين بمعنى الآخر. وأمَّا فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقةَ، بل يجعلون للفعلِ معنى مع الحرفِ ومعنى مع غيرِهِ، فينظرونَ إلى الحرفِ وما يَسْتَدْعِي من الأفعالِ، وهذه طريقةُ إمامِ الصناعةِ: سيبويه"[١].

وقال أبو هلال العسكري:"قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: إنَّ حُرُوفَ الْجَرِّ لَا تَتَعَاقَبُ، حَتَّى قَالَ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ: فِي جَوَازِ تَعَاقُبِهَا إبْطَالُ حَقِيقَةِ اللُّغَةِ وَإِفْسَادُ الْحِكْمَةِ فِيهَا، والقولُ بخِلَافِ مَا يُوجِبُهُ العقلُ والقياسُ.

---

(١) الكَفَوِيّ، الكليات،١٠٠٢، ١٠٠٣.

قال أبو هلال-رحمه الله- وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا تَعَاقَبَتْ خَرَجَتْ عَنْ حَقَائِقِهَا، وَوَقَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهمَا بِمَعْنَى الْآخَرِ، فَأَوْجَبَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَفظَانِ مُخْتَلِفَانِ لَهما مَعْنًى وَاحِدٍ، فَأَبَى الْمُحَقِّقُونَ أَنْ يَقُولُوا بِذَلِكَ، وَقَالَ بِهِ مَنْ لا يَتَحَقَّقُ المَعَانِي"(١).

ففي قوله تعالى:﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾[الأنبياء:٧٧] هناك مَنْ جعل﴿مِن﴾ بمعنى(على) مِنْ تَعَاقُبِ الحروفِ وتناوبِها(٢)، وهناك مَنْ جَعَلَ﴿نَصَرْنَٰهُ﴾ بمعنى(نجَّيناه) فاستعمل معه﴿مِـن﴾؛ للدلالةِ على أنَّهُ نَصْرُ نَجَاةٍ، لا نَصْرَ غَلَبَةٍ واستعلاء، ولذا لم يستعمل الحرفُ(على).

وتَضمِينُ﴿نَصَرْنَٰهُ﴾ معنى(نَجَّيْنَاهُ) والتعبيرُ به يُظْهِرُ سِرَّ دِقَّةِ النَّظْمِ القرآنيّ في استعمالِ﴿نَصَرْنَٰهُ﴾ دون (نجيناه)، فإذا قيل:(نجيناه من القوم) فُهِمَ حُدُوثُ تنجيةٍ تتعلَّقُ بالنَّاجِي فقط، وأنَّكَ خَلَّصْتَه منهم دون أنْ تَتَعَرَّضَ لهم بشيءٍ، وإذا قيل:﴿نَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ فُهِمَ حُدُوثُ تنجيةٍ ونَصْرٍ؛ تنجية للناجي، ونُصْرَة له من القوم الذين نُجِّيَ منهم بعقابِهم، أو بأخْذِ حَقِّهِ منهم.

ويرى الباحثُ أنَّ القولَ بالتضمينِ في الفعلِ أَقْرَبُ للصوابِ مِنَ القولِ بتناوبِ حروفِ الجَرِّ أو بتعاقبِهَا، ولابد مِنَ النَّظَرِ إلى الفعلِ أو الاسمِ السابقِ على حَرْفِ الْجَرِّ؛ لنتعرفَ فائدةَ استعمالِ حَرْفِ جَرٍّ مَا دونَ غيرِهِ، ومِمَّنْ عَرَّفَ التضمينَ السيوطيُّ إذْ يقولُ: " إيقاعُ لَفْظٍ مَوْقِعَ غَيْرِهِ؛ لِتَضَمُّنِهِ معناه "(٣).

وذَكَرَ ابنُ هِشَامٍ التضمينَ وفائدتَهُ حيثُ قالَ:

" قد يُشْرِبُونَ لَفْظًا معنى لَفْظٍ فيعطونَهُ حُكْمَهُ، ويُسَمَّى ذلك تَضْمِينًا، وفائدتُهُ أنْ تؤدِّي كَلِمَةٌ مؤدَّى كلمتين نحو قوله تعالى:﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] ضُمِّنَ معنى يُحرموه فعدّي إلى اثنين"(٤).

---

(١) أبو هلال العسكري،الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى، أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة- مصر، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م)،٢٤، ٢٥ .

(٢) ينظر، د.محمد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم، دار الزمان للنشر، المدينة المنورة- السعودية، ط١ (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)،٣٥/١، ٣٦.

(٣) السيوطي، معترك الأقران،٣٠٢/١.

(٤) ابن هشام، مغني اللبيب،٧٩١/٢.

وذَكَرَ ابنُ النقيبِ تَضْمِينَ الْفِعْلِ وفائدتَهُ بقولِهِ:" مِنَ التضمينِ أيضًا، أنْ تُضمّنَ فِعْلًا معنى فِعْلٍ آخر؛ لإفادةِ معنى الفعليْنِ، وتُعَدِّيه أيضًا تَعْدِيَتَهُ في بعضِ المواطِنِ، وهو في القرآنِ كثيرٌ" [1].

وذَكَرَ أمثلةً قرآنيَّةً للتضمينِ منها،" قوله ﷻ:﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[القصص:١٠]، ضمن﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ معنى لَتُخْبِرُ به أو لَتُعْلِمُ به؛ ليفيدَ الإظهارُ معنى الإخبارِ؛ لأنَّ الخبرَ قد يَقَعُ سِرًّا غير ظاهرٍ"[2].

ويرى الباحثُ أنَّ القولَ بالتضمينِ أَحْسَنَ مِنَ القولِ بزيادةِ حَرْفِ الْجَرِّ(الباء)؛ لأنَّ التضمينَ هنا يُظْهِرُ سِرًّا مِنْ أسرارِ النَّظْمِ القرآنيِّ في التعبيرِ بـ﴿تُبْدِى﴾دون تُخْبِرُ أو تُعْلِمُ مع تَضَمُّنِهِ معناهما؛ لأنه يدلُّ على إظهارِ الخبرِ والإعلامِ به، كما أنَّهُ يَجْعَلُ الباءَ على أصلِهَا تُفِيدُ السببيةَ[3] فهي كادَتْ أَنْ تُبْدِي القولَ بسببِهِ لولا رَبْطُ اللهِ على قلبِها.

ومنها، " قوله تعالى:﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإنسان:٦] ضمّنَ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى يروى أو معنى يلتذُّ؛ ليفيدَ الشُّرْبَ والريَّ، أو الشُّرْبَ والالتذاذَ جميعًا"[4].

والقولُ بالتضمينِ هنا يُغْنِينَا عن قولِ النُّحَاةِ بأنَّ(الباء) هنا بمعنى(مِن)، ويظهِرُ سِرًّا مِنْ أسرارِ النَّظْمِ القرآنيّ؛ فالعدول عن(مِنْ) إلى(الباء)؛ للدلالة على أنه ليس المقصود الإخبار عن ابتداء الشرب من العين أو شرب بعض ماء العين، وإنما استعمال(الباء)؛ للدلالةِ على أنه شُرْبٌ يَتَضَمَّنُ الرِّيَّ والالتذاذَ[5]، وهذا المعنى لا تُعْطِيه(مِنْ).

---

(١) ابن النقيب، جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي المشهور بابن النقيب(ت٦٩٨هـ)، مقدمة تفسير ابن النقيب،علق حواشيها، د.زكريا سعيد علي، الناشر مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١(١٤١٥هـ-١٩٩٥م)،٥٩.

(٢) المرجع السابق،٥٩.

(٣) ينظر، الجَمَلُ، حاشية الجَمَلِ على الجلالين،٣/٣٥٨.

(٤) ابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب،٦٠.

(٥) ينظر، السيوطي، معترك الأقران،١/١٩٨.

وصاغ د. محمد نديم الغرضَ من التَّضمِينِ وفائدته، بقوله:" فالغرضُ مِنَ التَّضمِينِ إفراغُ اللفظيْنِ إفراغًا، حتى كأنَّ أحدَهُمَا سُبِكَ في الآخر، فالمعنى لا يأتيك مُصَرَّحًا بذِكْرِهِ، مَكشوفًا عن وجهِهِ، بل مدلولًا عليه بغيرِهِ... وفائدتُهُ أنْ تؤدي كلمةٌ مُؤدَّى كلمتين، فالكلمتان مقصودتان مَعًا قَصْدًا وتَبَعًا"(١).

ووَضَّحَ ابنُ جني التَّضمِينِ وغرضَهُ في قوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة:١٨٧]، وذَكَرَ أنَّ العربَ لا تقولُ رَفَثْتُ إلى المرأةِ، وإنما تقولُ: رفثْتُ بها أو معها، وعلَّلَ استعمال ﴿إِلَىٰ﴾ مع ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ في الآية الكريمة بقوله:" لَمَّا كانَ الرَّفَثُ هنا في معنى الإفضاء، وكُنْتَ تُعدِّي أَفْضَيْتُ بـ(إلى) كقولكَ: أَفْضَيْتُ إلى المرأةِ، جِئْت بـ(إلى) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا أنه بمعناه"(٢)، ونكون قد جَمَعْنَا المعنيين معًا: الرفث وهو فاحش القول، مع الإفضاء وهو إزالةُ الفضاءِ وأَعْنِي الْإِيلَاجَ، وكلاهما مقصودٌ هنا ليَمْنَحَ العَلاقةَ الزوجيةَ رِقَّةً ونَدَاوةً ورَحْمَةً، وينأى عن التصريح بالمعنى الحيواني، ويسدل ثوبَ الستر على العَلاقة الزوجية. فالرفث أُشرِبَ معنى الإفضاء(٣).

وقال القاضي ابنُ العربي في تضمين﴿يُؤْلُونَ﴾ الذي يتعدّى بـ(على) معنى يعتزلون فعدِّي بـ﴿مِن﴾ في قوله تعالى:﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[البقرة:٢٢٦]: " وكذلك عادة العرب أنْ تَحْمِلَ معانيَ الأفعالِ على الأفعال لِمَا بينهما مِنَ الارتباطِ والاتصالِ، وجهلَتِ النَّحْوِيَّةُ هذا فقالَ كثيرٌ منهم: إنَّ حروفَ الجَرِّ يُبْدَلُ بعضُها مِنْ بعضٍ، ويَحْمِلُ بعضُها معاني البعض، فَخَفِيَ عليهم وَضْعُ فِعْلٍ مكانَ فِعْلٍ، وهو أَوْسَعُ وأَقْيَسُ"(٤).

---

(١) د.محمد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم،١/١٠٦.

(٢) ابن جني، الخصائص،٢/٣٠٨.

(٣) ينظر، د. محمد نديم فاضل، التضمين النحوي،١/٣٦٧.

(٤) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي(ت٥٣٤هـ)، أحكام القرآن، تحقيق، علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣(١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)،١/١٧٧.

وقد قال ابنُ تيميةَ بالتَّضْمِينِ، وغَلَّطَ القولَ بتناوبِ الحروفِ حيثُ قال:" والعربُ تُضَمِّنُ الفعلَ معنى الفعلِ وتُعدِّيه تعديتَه، ومن هنا غلط مَنْ جَعَلَ بعضَ الحروفِ تَقُومُ مقامَ بَعْضٍ"(١).

جاءَ الْقَلْبُ مجرورًا بحرفِ الْجَرِّ في(تسعةٍ وستينَ) مَوْضِعًا تَمَّ تصنيفُها إلى الأنماطِ الآتيةِ:

النمط الأول: [حرف جر" الباء" + اسم مجرور]:

***(الباء الجارة):**

حرف جر يجرُّ الاسمَ الظاهرَ والمضمرَ، ويقعُ أصليًّا لا يُمْكِنُ الاستغناءُ عنه في الجملةِ وإذا سَقَطَ منها يَفْسَدُ المعنى، ويقعُ حرفَ صِلَةٍ توكيديَّةٍ زائدًا نحويًّا بمعنى أنه يُمْكِنُ إسقاطُهُ مِنَ الْجُمْلَةِ ولا يَفْسَدُ التركيبِ نَحْوِيًّا لكن المعنى يتأثرُ ويتغيَّرُ، ولكلٍّ منهما وظيفتُهُ النحويَّةُ والدلاليَّةُ:

***الوظيفة النحوية والدلالية لـ(باء الجر) الأصلية(٢):**

١- جرُّ آخر الاسم الذي يليها، جَرًّا ظَاهِرًا أو مُقَدَّرًا أو مَحَلِّيًّا.

٢- تعديةُ عاملها اللازم إلى مفعول به في الْحُكْمِ أو في المعنى.

٣- الربْطُ المعنوي(٣)؛ فهي توصل معنى عاملها الذي قبلها(الفعل) أو شبهه إلى الاسم المجرور بعدها.

٤- نَقْلُ وإضافة معنى الباء الدلالي الأصلي وهو الإلصاق، وما يصحبه مِنْ مَعَانٍ أو دلالاتٍ أخرى من خلالِ السياقِ إلى الاسمِ الذي بعدها، المجرور بها، وهو الغرضُ الأعلى لحروفِ الْجَرِّ كُلِّهَا على اختلافِ معانيها إنما أُدْخِلَتْ؛ لتوصِلَ معاني الأفعالِ التي قبلَهَا إلى الأسماءِ التي بَعْدَهَا(٤).

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت ٧٢٨هـ)، شَرْحُ مُقَدِّمَة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّةَ، شرحه، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار، دار ابن الجوزي، الرياض- السعودية، ط٢(١٤٢٨هـ)،٦٩، ٧٠.

(٢) ينظر، الكَفَوِيُّ، الكليات،٨١١.

(٣) ينظر، السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو،٢/٢٠.

(٤) ينظر، ابن بَابْشَاذ، شَرْحُ المقدمة النحوية،٢١.

معنى الباء الجارة الأصلي: قال الجرجاني:"الباء ومعناها الأصلي الإلصاق"(١).

أي: اتصالُ شيءٍ بشيءٍ حقيقةً أو حُكْمًا، نحو: به داءٌ، ومررْتُ بزيدٍ، وهو أصل معانيها عند النحاة، بحيث لا يكون لها معنى آخر إلا وفيه أثر من معنى الإلصاق(٢) قال المبردُ: " وأمَّا الْبَاءُ فمعناه الإلصاقُ بالشَّيءِ، وذلك قولك: مَرَرْتُ بزيدٍ. فَالْبَاءُ أَلْصَقَتْ مُرُورَكَ بزيدٍ، وكذلكَ، لَصِقْتُ بِهِ، وأَشْمَتُّ النَّاسَ بِهِ"(٣)؛ ولهذا اقتصرَ عليه سيبويه وقد سَمَّاهُ الإلزاقَ، فقال:" و(باء) الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خَرَجْتُ بزيدٍ، ودَخَلْتُ به، وضَرَبْتُهُ بالسَّوطِ، ألزقْتَ ضَرْبَكَ إيّاه بالسَّوطِ فما اتسعَ من هذا في الكلام فهذا أصلُهُ"(٤)، وابن السراج ذَكَرَ للباء معنى الإلصاق وزَادَ أنه قد يدخلُ معه معنى الاستعانة في مثل: كتبْتُ بالقلمِ. وقد لا يدخل في مثل: مررْتُ بزيدٍ، ونزلْتُ بعبد اللهِ(٥)، ومن معانيها السببية، نحو:﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾[العنكبوت:٤٠]، وقوله:﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى:٥٢]، والتبعيضية، نحو: عَلِقْتُ بالبيت، والتعدية حيثُ يتعدى بها الفعلُ اللازمُ إلى المفعول به، نحو:﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[البقرة:١٧]، وذَكَرَ الفرَّاءُ أنَّ(الباء) الجارة تتناوبُ مع(الهمزة) في معنى التعدية فقال: " ومِنْ شأنِ العربِ أنْ تقول: أذهبْتُ بَصَرَه، بالألف إذا أسقطوا الباء. فإذا أظهروا الباء أسقطوا الألف من: أذهبْتُ"(٦).

ويرى الشَّلَوْبِينِيُّ أنَّ معنى الهمزة المعدِّية إنما هو الإلصاقُ، وأنَّ معنى التعدية ليس بخارجٍ عن معنى الإلصاقِ، وكذلك بقية معاني(الباء)إلا معنى التبعيض فقال:" ومعنى الهمزة المعدِّية، نحو:﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾[البقرة:٢٠]، ومعناها: إنما هو الإلصاق" (٧).

---

(١) الجرجاني، الجُمَل،٢٥.

(٢) ينظر، الكَفَوي، الكليات، ٢٢٨.

(٣) المُبَرِّد، المُقْتَضَب،١٤٢/٤.

(٤) سيبويه، الكتاب،٢١٧/٤.

(٥) ابن السَّراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي البغدادي المعروف بابن السرّاج(ت ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٩٨٥م)،٤١٣/١.

(٦) الفرَّاءُ، معاني القرآن،١٩/١.

(٧) الشَّلَوبِينِيُّ، التوطئة في النحو،٢٤٧.

والسمين الحلبى بعد أنْ ذَكَرَ معانيها وأمثلةً لها قال: " والجمهورُ يَأْبَوْنَ جَعْلَهَا إلا للإلصاقِ أو التَّعْدِيةِ، ويَرُدُّونَ جميعَ المواضعِ المذكورةِ إليهما" [١].

ورد هذا النمط في(ثلاثة) مواضع: وَرَدَ متضمنًا صفة(السلامة) في موضعين:

أولهما: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء: ٨٩]

قال الأصفهاني:"السَّلْمُ والسَّلامةُ التعرّي مِن الآفاتِ الظاهرةِ والباطنةِ، قال:﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي مُتَعَرٍّ مِن الدَّغَلِ فهذا في الباطنِ، وقال تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾[البقرة:٧١] فهذا في الظاهرِ"[٢].

قال ابنُ قُتيبةَ:" ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: خَالِصٍ مِنَ الشِّرْكِ" [٣].

ذَكَرَ السمينُ الحلبيُّ الاستثناءَ في قوله:﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾ وقال:" فيه أوجهٌ، منها: أنه مُنقطِعٌ أي: لكنْ مَنْ أتى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيمٍ فإنَّهُ ينفعُهُ ذلكَ. وقال الزمخشري: " ولا بُدَّ لكَ مَعَ ذلكَ مِنْ تقديرِ مُضَافٍ وهو الحَالُ المُرَادُ بها السَّلامَةُ، وليستْ مِنْ جِنْسِ الْمَالِ والبَنِينَ، حتى يَؤولَ المعنى إلى: أنَّ البنينَ والمالَ لا ينفعانِ، وإنما يَنفعُ سَلامَةُ القلبِ، ولو لم يُقَدَّرِ المُضَافُ لم يَتَحصَّلْ للاستثناءِ معنىً"، ومنها أنه استثناءٌ متصلٌ، وذَكَرَ أنَّ الزمخشري وَجَّهَ اتصالَ الاستثناءِ بوجهيْنِ:" أحدُهما: إلاَّ حالَ مَنْ أتى اللهِ بقلبٍ سليمٍ، وهو مِنْ قوله: - .... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[٤].

" وما ثوابُه إلاَّ السيفُ " ومثالُه أنْ يقالَ: هل لزيدٍ مالٌ وبنون؟ فيقال: مالُه وبَنُوه سلامةُ قلبِه. تريد نَفْيَ المالِ والبنينَ عنه، وإثباتَ سَلَامَةِ قلبِهِ بدلًا عن ذلك. والثاني قال: " وإن شِئْتَ حَمَلْتَ الكلامَ على المعنى،

---

(١) السَّمِينُ الْحَلَبِيّ،الدر المصون،١/١٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب السين،(سلم)،١/٣١٥.

(٣) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٣١٨.

(٤) الشاهد شطر بيت من(بحر الوافر) لعنترة بن شداد، في غرض الوصف، وتمام البيت:
وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيلٍ * تَحِيَّةُ بَينِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ، ينظر، ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)،٣٣٥.

وجَعَلْتَ المالَ والبنينَ في معنى الغِنَى، كأنه قيل: يومَ لا يَنْفع غِنَى إلاَّ غَنى مَنْ أتى، لأنَّ غِنَى الرجلِ في دينِه بسلامةِ قلبِه، كما أنَّ غِناه في دنياه بمالِه وبنيه"(١).

جاءَتْ جملةُ﴿أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾لا محل لها من الإعراب؛ صلة الموصول﴿مَنْ﴾ فعيَّنَتْ مدلولَ الاسمِ الموصولِ، وأزالَتْ إبْهَامَهُ، ووَضَّحَتْ معناه، وفيها جاءَ الجَارُّ والمجرورُ ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ متعلقًا بالفعل ﴿أَتَى﴾ أو بمحذوفٍ حالٍ، أي: مصحوبًا بقلبٍ سليمٍ، وجَرَّتِ﴿الباء﴾ الاسم﴿قَلْبٍ﴾، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وربطَتْ بين الفعل﴿أَتَى﴾ والاسم بعدها﴿قَلْبٍ﴾، كما نقلت معنى الإتيان، الذي عبّر عنه بالفعل الماضي﴿أَتَى﴾ مع أن الفعل لم يقع بدلالة﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ وهو يومُ القيامةِ؛ لتَحَقُّقِ الوقوعِ مصحوبًا بمعنى﴿الباء﴾ الإلصاق إلى مجرورها﴿قَلْبٍ﴾، الموصوف بصفةٍ دالَّةٍ علىٰ السَّلَامَةِ.

وذكَرَ النيسابوري أن:"﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مُسْلَمٍ، فَعِيلٍ بمعنى مُفْعَلٍ. وقيل: سالِمٌ مِنَ الشَّكِ، كما قال في المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾"(٢).

ويرى الباحثُ أنَّ صيغةَ(فعيل) تُسْتَعْمَلُ صِفَةً مُشَبَّهَةً، وبمعنى مفعولٍ(مُسْلَم)، وبمعنى فاعلٍ(سالِم)، وكُلُّهَا تَشْتَرِكُ في تخصيصِ﴿قَلْبٍ﴾ بالسلامةِ إلا أنَّ التعبيرَ بصيغةِ﴿سَلِيمٍ﴾ يُعْطِي من المعنى ما لا يُعطيه التعبيرُ بـ(مُسلَم) أو بـ(سالِم)، فهي صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مشتقة من السلامة أفادَتْ ثبوتَ صِفَةِ السَّلَامَةِ للقلبِ(٣)، وخَصَّصَتْهُ بسلامتِهِ بَاطِنًا مِمَّا وُصِفَ به غيرُهُ بقوله:﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وظاهرًا مِمَّا وُصِفَ غيره بالختم والطبع والران....الخ، فهو قلبٌ سليمٌ مِنَ الشِّرْكِ والنِّفَاقِ، ومِنْ كُلِّ ما وُصِفَتْ به قلوبُ الكافرينَ والمشركينَ والمنافقينَ في القرآن الكريم، وذُكِرَ القلبُ ابتداءً في قوله:﴿بِقَلْبٍ﴾ ثم وُصِفَ بـ ﴿سَلِيمٍ﴾ لِمَا في ذِكْرِ القلبِ مِنْ إحضارِ حقيقةِ ذلكَ القلبِ النزيه، ولذلك أوثر تنكيرُ﴿قَلْبٍ﴾ دون تعريفه، كما أنَّ تنكير﴿قَلْبٍ﴾أَفَادَ الْعُمُومَ والشمولَ لِكُلِّ قَلْبٍ سَلِيمٍ.

والآخر: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾[الصافات:٨٤]

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون،٥٣٢/٨، ٥٣٤.

(٢) "بيان الحق" النيسابوري، باهر البرهان،١٠٤١/٢.

(٣) ينظر، الإسفرائيني، اللُّبَابُ في عِلْمِ الإعْرَابِ،١٧٧/٣.

الظاهر في﴿مِن شِيعَتِهِ﴾ عود الضمير إلى نوح عليه السلام حيث إنَّ الأعرفَ أنَّ المتأخرَ في الزمان هو شيعةٌ للمتقدّمِ؛ فإبراهيم عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام موافق له في أصل الدين وهو نَبْذُ الشركِ والدعوة إلى التوحيد، والتوكيد بـ﴿إِنَّ﴾ واللام في﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾، وتقديم خبر إنَّ شبه الجملة الجار والمجرور﴿مِن شِيعَتِهِ﴾ على اسم إنَّ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾ أفادَ زيادةَ تأكيدِ الثناءِ على كل من نوح وإبراهيم عليهما السلام.

وقد جاءت جملة﴿جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ في محل جر بإضافة﴿إِذْ﴾الظرفية الحينية الدالة على الماضي إليها، وناقشَ أبو حيان تعلق الظرف (إذْ) بقوله:" وقال الزمخشري: فإنْ قلت: بم يتعلق الظرف؟ قلت: بما في الشيعة مِنْ معنى المشايعة، يعني: وإنَّ ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لإبراهيم، أو بمحذوف، وهو اذكُرْ. انتهى. أما التخريج الأول فلا يجوز، لأنَّ فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، وهو قوله:﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾، لأنه أجنبي من﴿شِيعَتِهِ﴾، ومن﴿إِذْ﴾، وزادَ المنع، إذ قدره ممن شايعه حين جاء لإبراهيم. وأيضًا فلام التوكيد يمنع أنْ يعمل ما قبلها فيما بعدها. لو قلت: إن ضاربًا لقادمٌ علينا زيدًا، وتقديره: إن ضاربًا زيدًا لقادمٌ علينا، لم يجز. وأما تقديره:اذكرْ، فهو المعهود عند المعربين"(١).

وزاد الألوسي أنه:" جوز تعلقه بفعل مقدر يدل عليه قوله تعالى:﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ﴾كأنه قيل: متى شايعه؟ فقيل: شايعه﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُ﴾"(٢). والفعل﴿جَآءَ﴾ فعل ماض لفظا ومعنى دل على تحقُّقِ المجيء.

وجَعَلَ الصاوي معنى﴿جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي أقبلَ بقلبِهِ مُخْلِصًا فقال: " معنى مجيئه توجهه بقلبِهِ مُخْلِصًا لربِهِ، وفي الكلامِ استعارةٌ تَبَعِيَّةٌ تقريرها أنْ تقولَ: شبَّهَ إقبالَهُ على ربِّهِ مُخْلِصًا قلبَهُ بمجيئِهِ بتُحْفَةٍ جميلةٍ، والجامعُ بينهما طلبُ الفوزِ بالرِّضَا، واشتقَّ مِنَ المجيءِ جاءَ بمعنى أقبلَ بقلبِهِ"(٣).

وتبعه ابن عاشور بقوله: "وأطلق المجيء على معاملة إبراهيم عليه السلام به في نَفْسِهِ بما يُرضي ربَّهُ على وجهِ التمثيلِ بحالِ مَنْ يجيء أحدًا مُلْقيًا إليه ما طَلَبَهُ مِنْ سلاحٍ أو تُحَفٍ أو ألطاف فإنَّ الله أَمَرَهُ بتزكيةِ نَفْسِهِ

---

(١) أبو حيان، تفسير البحر المحيط،٧/٣٥٠.

(٢) الألوسي، روح المعاني،٢٣/١٠٠.

(٣) الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي المالكي(ت١٢٤١هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر، ط١(١٣٤٥هـ-١٩٢٦م)،٣/٢٨٣.

فامتثلَ فأشبَهَ حالَ مَنْ دعاه فجاءَهُ. وهذا نظير قوله تعالى:﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾[الأحقاف:٣١]"[١]، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى إبراهيم عليه السلام عدّي إلى مفعوله المركّب الإضافي إضافة تشريفٍ ﴿رَبَّهُۥ﴾، والجار والمجرور ﴿بِقَلْبٍ﴾ متعلق بالفعل﴿جَآءَ﴾، و﴿سَلِيمٍ﴾ صفته مجرورة، وعلامة جرها الكسرة، و﴿قَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾هنا هو قلب إبراهيم عليه السلام.

<u>ويلحظ في الموضعين اللذين وردَ فيهما القلب مجرورًا بالباء موصوفًا بالسلامة ما يلي:-</u>

أولا: استعمال الفعل﴿أَتَى﴾ في الموضع الأول في قوله:﴿أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، واستعمال الفعل﴿جَآءَ﴾ في الموضع الآخر في قوله:﴿جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وبيْن الفعلين عمومٌ وخصوصٌ، فالإتيان أخص من المجيء؛ لأنه مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه أَتِيٌ[٢].

بينما المجيء أعم من الإتيان فهو إتيان من أي وجه كان[٣].

قال الأصفهاني: "المجيء كالإتيان لكن المجيء أعم؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصْدِ، وإن لم يكن منه الحصولُ، والمجيء يقال اعتبارًا بالحصول"[٤].

وقال أبو هلال العسكري:" الفَرْقُ بَيْنَ قولِكَ: أَتَى فُلَانٌ، وجَاءَ فُلَانٌ: أَنَّ قَوْلَكَ: جَاءَ فُلَانٌ، كَلَامٌ تَامٌ، لا يَحْتَاجُ إِلَى صِلَةٍ، وقولك: أَتَى فُلَانٌ، يَقتضي مجيئه بشيءٍ، ولهذا يُقَالُ: جَاءَ فلانٌ نَفْسُهُ، ولا يُقَالُ: أَتَى فُلَانٌ نَفْسُهُ، ثم كَثُرَ ذلكَ حتى اسْتُعْمِلَ أَحَدُ اللفظينِ في مَوْضِعِ الآخَرِ"[٥].

ولكن الاستعمالَ القرآنِيَّ لـ﴿جَآءَ﴾ و﴿أَتَى﴾ في الموضعين دلّ على المجيء مصحوبًا بشيءٍ وهو﴿قَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ دونَ تفرقةٍ بينهما في ذلك.

ثانيًا: الفعل﴿أَتَى﴾ في قوله:﴿أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ماض لفظا لا معنى، فالإتيان لم يَحْدُثْ؛ لأنه سيكون يوم القيامة، أما الفعل﴿جَآءَ﴾ في قوله:﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ماض لفظًا ومعنًى دل على تحقُّق

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،١٣٧/٢٣.

(٢) ينظر، الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الألف،(أتى)،١/ ٩.

(٣) ينظر، أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية،٣٣٠ .

(٤) ينظر، الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الجيم،(جاء)،١٣٥/١.

(٥) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية،٣٠٩.

مجيء إبراهيم﵇ بقلبه مُقْبِلًا على ربِّهِ في موقفه مع أبيه وقومه﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات:٨٥].

ثالثًا: فاعل﴿أَتَى﴾ ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى لفظ﴿مَنْ﴾ الموصولة دون معناها، وهو يشملُ كل مَنْ أتى اللهَ يوم القيامة بـ﴿قَلْبٍ﴾صفته﴿سَلِيمٍ﴾، وفاعل﴿جَآءَ﴾ ضمير مستتر تقدير(هو) لكنه يعود إلى مفرد مذكر(إبراهيم)﵇.

رابعًا: تعدّى كل من الفعلين إلى مفعول، الفعل﴿أَتَى﴾ نَصَبَ لفظ الجلالة﴿ٱللَّهَ﴾، والفعل﴿جَآءَ﴾ نَصَبَ لفظة﴿رَبَّهُۥ﴾.

خامسًا: عبّر بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ في قوله:﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ۝٨٨إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ لأنه الاسم الكريم الدال على ذاته، الراجع إليه جميع صفاته، فهو مختص به تعالى، لم يُسم به أحد، فهو يناسب يوم الدِّين؛ لأنَّ لله الملك في هذا اليوم ظاهرًا وباطنًا، وعبّر بلفظ﴿رَبَّهُۥ﴾ بإضافة﴿رَبَّ﴾ إلى ضمير المفرد الغائب﴿الهاء﴾ العائد إلى إبراهيم﵇؛ ليتناسب مع قصة إبراهيم حيث تدلُّ على تشريفِ اللهِ وعنايته به، إلى أنْ بلَغَ كمالَهُ﵇. قال الكرماني:"الربُّ مِنَ التربية، وهي تبليغُ الشيءِ كمالَه على التدريج... **والربّ** له أربعة معان: **المعبود، والمالك، والسيد، والمُصْلِح**. ويُحمَلُ في كُلِّ موضعٍ مِنَ القرآنِ علَى ما يُنَاسِبُهُ"(١). وجميع معاني الرب هنا مقصودة، ومناسبة لحال إبراهيم﵇ مع قومه فكان التعبير به أولى.

سادسًا: تكرار﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مع تخصيص وصف﴿قَلْبٍ﴾ بـ﴿سَلِيمٍ﴾ في الموضعين تكرار في اللفظ دون المعنى؛ فالمعنى مختلف في كُلِّ مَوْضِعٍ من الموضعيْنِ؛ فقوله﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ في الموضع الأول مخصوص بقلب إبراهيم﵇، أما﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ في الموضع الثاني فأعم يشملُ كُلَّ قَلْبٍ أَتَى اللهَ بهذه الصفة، ويدخلُ فيه إبراهيم﵇.

<u>وورد متضمنًا صفة(الإنابة) في موضع واحد:</u>

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾[ق:٣٣]

---

(١) السيوطي، قَطْفُ الأزهار،١/١٢٣، ١٢٤.

جاءت جملة﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾لا محل لها من الإعراب معطوفة بـ﴿الواو﴾على جملة صلة الموصول التي لا محل لها من الإعراب﴿خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾، وفيها الفعل﴿جَآءَ﴾ فعل ماض لفظًا مستقبل معنى؛ فالكلام حكاية حال مستقبلة، وفاعل﴿جَآءَ﴾ ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى لفظ﴿مَنْ﴾ الموصولة دون معناه، والجار والمجرور﴿بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ متعلق بالفعل﴿جَآءَ﴾أفادت﴿الباء﴾ الجارة المصاحبة وجر الاسم ﴿قَلْبٍ﴾، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وربْط الفعل﴿جَآءَ﴾ مع نَقْلِ معناه مصحوبًا بمعنى﴿الباء﴾ المصاحبة والإلصاق إلى﴿قَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ الذي جاءَ نكرةً؛ لإفادةِ العمومِ والشمولِ مخصصة بالوصف اسم الفاعل﴿مُنِيبٍ﴾ من الفعل الرباعي(أناب)؛ للدلالة على اتصاف القلب برجوعه مع خشيته الرحمن بالغيب، أو؛ للدلالة على أنَّهُ لا عِبْرَةَ للإنابة والرجوع إلى الله ﷻ إلا إذا كان بقلبٍ منيبٍ إليه بالتوبة وإخلاص العمل[1]، مُعْرِض عمَّا سواه مُقْبِل عليه بكلّيته، ووصف عبد بـ ﴿مُنِيبٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[ق:٨]، وهنا وصفُ قلب بـ ﴿مُنِيبٍ﴾؛ للدلالة على أن القلب سبب الإنابة؛ لأنه الباعث عليها.

النمط الثاني: [حرف جر"على" + اسم مجرور]:

(على): حرف جر يجر الاسم الظاهر والمضمر.

***الوظيفة النحوية والدلالية لحرف الجر(على):**

يؤدي الحرفُ(على) وظيفةَ الجر للاسم بعده، والربْط والصلة بين الفعل قبله والاسم بعده، كما أنه يؤدي معناه في الاسم بعده.

*** من معاني الحرف(على)[2]:**

يؤدي الحرف(على) عددا من المعاني الدلالية تُفْهَمُ مِنْ خلال السياقِ منها:

١ – الاستعلاء:

---

(١) ينظر، الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب النون،(نوب)،٦٥٧/٢، ٦٥٨.

(٢) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،١٦٣/١، ١٦٤. – والسيوطي، معترك الأقران،٦٢٣/٢.

وهو أصل معاني(على) الجارة الملازم لها، ولم يُثبتْ أكثرُ البصريين لها إلا هذا المعنى، وتأوَّلوا ما كان غير ذلك[1]، و(الاستعلاء) إما أنْ يكون حقيقيًا حِسِّيًا وهو استعلاءُ جِرْم على جِرْم حقيقةً، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[المؤمنون:٢٢]، أو مجازيًّا معنويًا وهو استعلاءُ معنى على جِرْمٍ نحو قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾[الشعراء:١٤] وقوله:﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد:٢٤]، أو معنى على معنى كقوله تعالى على لسان لقمان الحكيم:﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[لقمان:١٧]، وتدل على بضعةَ عَشَرَ معنًى أو دلالة ذَكَرَهَا النحاةُ في كتبهم تفهمُ من خلال السياق، ولا تدل(على)على معنى من معانيها إلا وفيه أثر من معنى الاستعلاء؛ ولهذا اقتصرَ عليه بعضُهم.

٢- السببية أو التعليل:

وذلك حين تكون(على) بمعنى اللام، فيكون ما بعدها سببا وعلة فيما قبلها، كقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[البقرة:١٨٥]. أي: لهدايته إياكم.

٣- المصاحبة:

وذلك عندما تصلح(مع) الظرفية الدالة على المصاحبة موضع(على)، كقوله تعالى:﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[البقرة:١٧٧]، أي: مع حبه، وقوله تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[الرعد:٦]، أي: مع ظلمهم.

٤- انتهاء الغاية:

وذلك عندما تكون(على) موافقة معنى(إلى) وهو انتهاء الغاية ، كقوله تعالى:﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾[مريم:١١] أي: إليهم، ومنه قوله تعالى حكاية عن قارون:﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾[القصص:٧٩] أي:إليهم.

٥- المجاوزة:

(١) ينظر، الرُّمَانيُّ، معاني الحروف،١٠٧. - وابن مالك، التسهيل،١٤٦.

- ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله المشهور بابن عقيل المصري(ت٧٦٩هـ)، شَرْحُ ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢(١٩٨٥م)،٢٠٧/١.

وذلك عندما تقترب(على) من معنى(عن)؛ فتفيد معنى المجاوزة، نحو قوله تعالى:﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[التوبة:١٥]، أي: يتجاوز عن سيئاته.

٦- موافقتها معنى(من) الجارة:

وذلك عندما تكون(على) موافقة معنى(مِن)، كقوله تعالى:﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[المطففين:٢]، أي: من الناس.

٧- موافقتها معنى أداة الشرط:

وذلك عندما ترد(على) في سياق يُفْهَمُ منه أنَّ ما بعدها شرطٌ لما قبلها، كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف:٦٦]، وقوله على لسان شعيب عليه السلام:﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾[القصص:٢٧].

ويرى الباحثُ أنه ليس معنى أنْ تتشابه(على) في دلالتها مع بعض حروف الجر الأخرى، التناوب في الاستخدام مع إعطاء المعنى من كل وجه، فاستخدام(على) في المواضع التي استخدمت فيها هو الأبلغ والأحسن ومن أسرار النَّظْمِ في تراكيب ذِكْرِ القلب وفي التراكيب القرآنية كلها، ولا يمكن أن يحل محلها أي حرف آخر ويعطي معناها، فهي إنْ أعطت معنى حرف جر آخر في سياق ما فإنها تضيف إليه معنى الاستعلاء، وسأعرض لمعانيها النحوية في مواضعها.

ورد هذا النمط في(ثلاثة وعشرين) موضعًا، استعمل فيها حرف الجر(على)؛ للدلالة على الاستقرار، والتمكُّن؛ لأنَّ الْجِسْمَ إذا عَلَا شيئًا، فقد تَمَكَّنَ منه واستَقَرَّ عليه(١).

وفيما يلي مواضع الحرف(على) وتحليلها:

ورد متضمنًا صفات(التنزيل والتصديق والهدى والبشرى) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى:﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[البقرة:٩٧]

---

(١) ينظر، العز بن عبد السلام، فوائد في مُشْكِلِ القرآن، ٧٠.

قالَ ابنُ فارسٍ:"(نَزَلَ): النون والزاي واللام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُ على هبوطِ شيءٍ ووقوعِهِ... ومكانٌ نَزِلٌ يُنْزَلُ فيه كثيرًا...والتنزيلُ: ترتيبُ الشَّيءِ ووضْعُهُ مَنْزِلَهُ"[1]. وقال الراغب وغيره:"(النُّزُولُ) بالضم (الحلول)، وهو فِي الأَصْلِ انحطاطٌ مَنْ عُلْوٍ...ونَزَلَ بِكَذا، وأَنزلَهُ بِمَعْنًى..."[2].

ومن اللغويين مَنْ لا يُفَرِّقُ بين(نَزَّلَ) و(أَنْزَلَ) ويجعلهما بمعنى واحد، ومنهم مَن يُفَرِّقُ بينهما، قال صاحب التاج: " ونَزَّلَه تنزيلا، وأنزلَهُ إنزالًا... بمعنى واحد ، قال سيبويه:[وكان] أبو عمرو يُفَرِّقُ بين نَزَّلْتُ وأنزلْتُ ، ولم يذكرْ وجهَ الفرْقِ ، قال أبو الحسن: لا فرقَ عندي بينهما إلا صيغةُ التكثير في نَزَّلْتُ... وفرَّقَ جماعةٌ مِنْ أربابِ التحقيقِ، فقالوا:(التنزيلُ) تدريجِيٌّ، والإنزالُ دَفْعِيٌّ...وَالْفَرَق بَيْن الإنزالِ والتَّنْزِيلِ فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ وَالْمَلَائِكَةِ أَنَّ التَّنْزِيلَ يَخْتَصُّ بالموضعِ الَّذِي يُشِيرُ إِلَى إنزالِهِ مُتفرِّقًا مُنَجَّمًا، وَمَرَّةً بَعَدَ أُخْرَى، والإنزالُ عامٌّ، وقوله تعالى:﴿لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞ﴾[محمد:٢٠]، وقوله تعالى:﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ [محمد:٢٠]، فإنما ذَكَرَ في الأول﴿نُزِّلَ﴾، وفي الثاني﴿أُنزِلَ﴾ تنبيهًا أنَّ المنافقين يقترحون أنْ يُنَزَّلَ شيءٌ فشيءٌ مِن الحثِّ على القتال لِيَتَوَلَّوْهُ، وإذا أُمِرُوا بذلك دَفْعَةً واحدةً تَحَاشَوْا عنه فلم يفعلوه، فهم يقترحون الكثيرَ، ولا يوفون منه بالقليل، وقوله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[القدر:١]، إنما خُصَّ لفظُ الإنزال دون التنزيل لِمَا رُوِيَ أنَّ القرآنَ أُنزِلَ دَفْعَةً واحدةً، إلى السماءِ الدنيا، ثم نُزِّلَ مُنَجَّمًا بحسبِ المصالحِ"[3].

قالَ الشيخُ ابنُ عبد السلام:" وحقيقة النزول: انحدارُ الأجرامِ مِنْ عَالٍ إلى سَافلٍ، وإنزالها انحدارها، وله في المعاني أمثلة..."[4]. وذكَرَ أمثلةً قرآنيّةً للنزولِ والإنزالِ، خَتَمَهَا بقوله تعالى:﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾، وقال: "وهذا من مجاز التشبيه لما كانت هذه الأشياءُ مكتوبةً في اللوحِ المحفوظِ، ثم خُلقت في القلوب شُبِّهَتْ بما كان عاليًا ثم نَزَلَ"[5].

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب النون،(نزل)، ٥/٤١٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب النون،(نزل)،٢/٦٣١.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، باب اللام،(نزل)،٣٠/٤٧٨، ٤٧٩.

(٤) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،٢٢٢.

(٥) المرجع السابق،٢٢٢.

جاءَتِ الْجُمْلَةُ الاسميةُ المنسوخةُ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ مؤكدةً بالحرف الناسخ المشبه بالفعل ﴿إِنَّ﴾؛ للتأكيدِ على تَحَقُّقِ تنزيل الله ﷻ لجبريل عليه السلام بالقرآن مُنَجَّمًا على قلب رسول الله ﷺ بإذن الله، وفيها﴿الفاء﴾عاطفة على جوابِ شرطٍ محذوفٍ تقديره عند السيوطي:﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّـجِبْرِيلَ﴾"فلا وجْهَ لمُعاداته"[١]، وعند الزمخشري:" فالسبب في عداوته أنه نَزَّلَ عليك القرآن مصدقًا لكتابهم، وموافقًا، وهم كارهون للقرآن، ولموافقته لكتابهم، ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته لهم"[٢]، وأفادت جملة﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ التعليل لجواب الشرط المحذوف، ولا يصح أنْ يكونَ قوله ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ هو الجواب؛ لأن جواب الشرط لا بد أنْ يشتملَ على ضميرٍ يعود عليه فلا يصح أنْ تقولَ: مَنْ يُكرمني فزيدٌ قائمٌ؛ ولأن فعل التنزيل مُتَحَقِّقُ المُضِيِّ، والجزاءُ لا يكونُ إلا مُستقبلًا[٣]، و﴿الهاء﴾ في﴿فَإِنَّهُۥ﴾ ضمير عائد إلى جبريل عليه السلام في محل نصب اسم﴿إِنَّ﴾، وجملة﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ الفعلية في محل رفع خبر﴿إِنَّ﴾ أفادت التحقق والثبوت، وفيها الفعل﴿نَزَّلَ﴾على وزن(فَعَّلَ) بالتضعيف أفادَ كثرةَ نزولِ القرآنِ على قلب رسول الله ﷺ، نزولًا تدريجيًّا مُتفَرِّقًا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وأَدَّى التضعيفُ دلالةَ التعديةِ إلى المفعول به(الهاء)العائد إلى (القرآن) فهو الذي نَزَّلَ بالقرآن الكريم كما في قوله تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء:١٩٣، ١٩٤].

قال السيوطي:"﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن، أضمر، ولم يسبق له ذِكْرٌ، تفخيمًا لشأنه حيث جعل لفرط شهرته، كأنه يدلُّ على نَفْسِهِ، ويكتفى عن اسمه الصريح بذِكْرِ شيءٍ مِنْ صفاتِهِ"[٤].

والجار والمجرور﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ متعلقٌ بالفعل﴿نَـزَّلَ﴾أفادَ استعمالُ﴿عَلَىٰ﴾الدلالةَ على الاستعلاء والاستيلاء والتمكُّنِ من قلب النبي ﷺ، يعني إذا نَزَلَ جبريل عليه السلام بالقرآن على قلبك استولى عليه، وجعل مجامعه مغمورة به، وتمكَّنَ فيه، فلا يشذ منه شيء فهو أبلغ مِن(إلى)، كما أن﴿عَلَىٰ﴾مختص بالفوقية، وهي

---

(١) السيوطي، قَطْفُ الأزهارِ،١/٢٩٤.

(٢) الزمخشري، الكشاف،١/٣٠٢.

(٣) ينظر، السمين الحلبي، الدر المصون،٢/١٧.

(٤) السيوطي، قَطْفُ الأزهارِ،١/٢٩٤.

مختصة بالرسل؛ لأنَّ الكتبَ منزلةٌ عليهم، ومنها القرآن، واستعمال﴿عَلَىٰ﴾أفادَ تشريفَ النبيِّ ﷺ بأنْ خُصَّ بالقرآن، وفيه إعلاء شأن القرآن، وبيان أهميته ورفعته، كما أن تخصيص﴿قَلْبِكَ﴾ بالذكر فيه تشريفٌ لقلبه ﷺ بأنه محل تلقي أشرف العلوم وهو القرآن مما يدل على أنه أشرف الأعضاء الشريفة، و﴿قَلْبِ﴾اسم مجرور بـ﴿عَلَىٰ﴾، وعلامة جره الكسرة اكتسب التعريف من إضافته إلى﴿كاف﴾المخاطَب العائد إلى رسول الله ﷺ ، وعبَّر بقوله﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ دون(على قلبي)؛ للدلالة على أمانة رسول الله ﷺ في البلاغ عن ربه، وأنَّ القرآن ليس من عنده ، وإنما هو مُبَلِّغٌ عن ربه، فإذا قال له(قلْ) لا يذكر مقول القول دون فعل القول، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال﴿مُصَدِّقًا﴾حال ثانية، وأفادَ الحالان بيانَ هيئةِ القرآنِ حينَ نزولِهِ، و﴿لِّمَا﴾ الجار والمجرور متعلقان بـ ﴿مُصَدِّقًا﴾ ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾الظرف متعلق بمحذوف لا محل له؛ لأنَّه صلةُ الموصولِ ﴿مَا﴾ الذي أفادَ العمومَ والشمولَ لكل ما سبقَ القرآن الكريم من كتبٍ سماويةٍ منزلة من الله ﷻ ،﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ معطوفان على﴿مُصَدِّقًا﴾، وذَكَرَ السيوطيُّ المسوغ في تقديم لفظ ﴿هُدًى﴾ على﴿بُشْرَىٰ﴾، وفي تخصيص المؤمنين بهما فقال:"﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فيه بيان ما وقع به التكليف من الأعمال، وبيان ما على ذلك من الثواب، فهو من الوجه الأول﴿هُدًى﴾، ومن الوجه الثاني﴿بُشْرَىٰ﴾، والأول مقدَّم على الثاني في الوجود، فلهذا قُدِّمَ لفظ"الهُدَى" على لفظ" البُشْرَى"، وخصهما بالمؤمنين؛ لأنهم الذين اهتدوا به، والبُشْرَى لا تكون إلا لهم"(1). و﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بالمصدرين ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾(2) أو بمحذوف صفة وخبر﴿مَن﴾ فعل الشرط ﴿كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ وجوابه المحذوف.

وقوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ بتنكير المصدرين أفادَ أنَّ القرآنَ في الهداية والبشارة بالغٌ درجة ما يدرك كنهها ، لما في تنكيرهما مِنَ الإبهام والتفخيم(3)، والإتيان بالمصدرين دون اسم الفاعل منهما هاد ومبشِّر؛ للدلالة على أن هداية القرآن وبشارته محضة، وخص الهُدَى والبُشْرَى﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لانتفاعهم به، وأفادت﴿اللام﴾

(1) السيوطي، قَطْفُ الأزهار،1/295،294.

(2) ينظر، الجَمَل، حاشية الجَمل على الجلالين،1/89.

(3) ينظر، السيوطي، قَطْفُ الأزهار،1/166.

الاختصاص، وشَرَحَ ابنُ جَمَاعَةَ قولَ ابن الحاجب:" واللام للاختصاص..." بقوله:" واللام جميع معانيها يَرْجِعُ إلى الاختصاصِ ما عدا الزائدة"[١]، وكذلك البَيْتُوشِيُّ ذَكَرَ معاني اللام الجارة في منظومته، وأنَّ مَنْ يتأمَّلُ جميعَ معانيها، يرى فيها معنى الاختصاص، وعَبَّرَ عن ذلك بقوله:

"وَكُلُّ ما ذَكَــرْتُ مَـنْ تَأَمَّلا   يَرَى للاختصَاصِ فيهِ مَدْخَلا"[٢].

والاختصاص هو المعنى الأصلي للَّام، وهذا المعنى لا يفارقها، وإنْ دلَّتْ على معنى آخر أيضًا، قال الرضي في شرح الكفاية:"وفائدة اللام: الاختصاص، إمَّا بالملكية، نحو: المالُ لزيدٍ، أو بغيرها، نحو: الجُلُّ للفرس، والجنةُ للمؤمنِ، والابنُ لزيدٍ..."[٣]، ومع أنَّ النحاة ذَكَرُوا لها معاني كثيرة إلا أن سيبويه جعل للام الجر معنى واحد وهو المِلْك واستحقاق الشيء[٤].

فالمؤمنون هم المستحقون الهُدَى والبُشْرَى فضلا من الله ﷻ؛ لاختصاصهم بتمسكهم بهداية الدلالة دون غيرهم﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[فصلت:١٧]، فاختصهم الله بهداية المعونة: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[محمد:١٧]، دون غيرهم ممن رفض هداية الدلالة فلا يستحقون هُدَى معونة ولا بُشرى.

__وورد متضمنًا صفتي(النزول والإنذار) في موضع واحد، وهو:__

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء:١٩٤].

قال الفيومي:"(نَزَلَ) مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ينزِلُ نزولا، ويتعدَّى بالحرف والهمزة والتضعيف فيقال: نَزَلْتُ به وأنزلته ونَزَّلته"[٥].

---

(١) ابن جَمَاعَة، شَرْحُ كافية ابن الحاجب،٣٣١.

(٢) البَيْتُوشِيُّ، عبد الله بن محمد الكُرْدِي البَيْتُوشِيُّ الشافعي العراقي(ت١٢١١هـ)، كِفَايَةُ المُعَانِي في حروفِ المَعَانِي، تحقيق، شفيع برهاني، دار اقرأ للطباعة والنشر، سورية- دمشق، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)،٦٠.

(٣) المرجع السابق،٦١.

(٤) ينظر، سيبويه، الكتاب،٤/٢١٧.

(٥) الفيومي، شهاب الدّين، أبو العبّاس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ(ت٧٧٠هـ)،المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعيّ، مكتبة لبنان- لبنان،(١٩٨٧م)،(نزل)،٢٢٩.

وقال ابن فارس:" والتنزيل: ترتيبُ الشيءِ ووضْعُهُ مَنْزِلَهُ"[1].

جاءت جملة﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾ في محل رفع صفة للمصدر ﴿تَنزِيلُ﴾ الذي جاء خبرًا لإنَّ مؤكدًا باللام المزحلقة ومضافًا إلى المركّب الإضافي﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إضافة تعريف وتخصيص[2] وتشريف للقرآن بأن تنزيله الأول من الله ﷻ، وفي قوله:﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾الجملة الاسمية مؤكدة بـ﴿إِنَّ﴾ و﴿اللام﴾اهتمامًا بإسناد تنزيل القرآن إلى ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وردًّا على من زعم غير ذلك، والمركّب الإضافي﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه﴿رَبِّ﴾ مصدر على وزن(فَعْل) من رَبَّهُ يرُبُّهُ بمعنى رَبَّاه، وهو رَبٌّ بمعنى مُرَبّ، والوصف بالمصدر ﴿رَبّ﴾ أفادَ المبالغةَ وثبات صفة الربوبية قبل وجود المربوبين، وإضافة﴿تَنزِيلُ﴾ القرآن هنا إلى﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وفي موضع آخر﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[الأحقاف:٢] يُفهم منه أن ابتداء تنزيل القرآن من الله القوي الغالب الذي يضع الشيء في موضعه ومن هذه الحِكْمة تنزيله على قلب رسول الله ﷺ بعد نزول جبريل به جملةً واحدةً في ليلة القدر، وتنزُّلِهِ به مُنَجَّمًا في ثلاثٍ وعشرين سنةً ويُرتب القرآن بعد تنزيله وِفْقَ نُزوله بوضْعِ كل آية وكل سورة في منزلتها التي أرادها اللهُ لها وقت نزوله فهو تنزيل من إله معبود وتنزيل رب أي مالِك وخالِق وصاحب[3] قَيُّوم دائم القيام بإصلاح أحوال العالَمين، و﴿رَبِّ﴾ نكرة أضيفت إلى﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المعرف بـ (أل) فاكتسبَ منه التعريفَ[4]، وفي إضافة تنزيل القرآن إلى رب العالمين حثٌّ لهم على الاستجابة والقبول. و(أل) في﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استغراقية[5]؛ لتشمل ربوبية الله لكل جنس سُمِّيَ به، وجمع(العَالَم)، ولم يؤتَ به مفردًا؛ للتأكيدِ على الاستغراقِ؛ لأنَّ الجمْعَ قرينةٌ على الاستغراق؛ ولأنه لو أفردَ لتوهمَ أنَّ المرادَ من التعريف العهدُ

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب النون،(نزل)، ٥/٤١٧.

(٢) ينظر، ابن الناظم، شَرْحُ ألفية ابن مالك،٢٧٤، ٢٧٥ .

(٣) ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الراء، باب الراء وما معها في الثنائي والمطابق، ٢/٣٨١.

(٤) ينظر، د. محمد عيد، النَّحْو المُصَفَّى،٥٥.

(٥) ينظر، الأزهري، خالد بن عبد الله(ت٨٩٦هـ)، شَرْحُ التصريحِ على التوضيحِ، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي،(د.ت)،١/١٥٠.

أو الجنس[1]. وجاء الفعل﴿نَـزَلَ﴾ ماضيًا مبنيًّا على الفتح؛ للدلالةِ على تحقُّقِ النزولِ على وزن(فَعَلَ) بالتخفيف لازمًا مكتفيًا بالفاعل﴿ٱلـرُّوحُ﴾ والضمير يعودُ إلى القرآن، وعبَّر بالضمير دون سبْقه بالاسم الظاهر؛ للعِلْمِ به، والجار والمجرور ﴿بِهِ﴾ متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من﴿ٱلرُّوحُ﴾أي: متلبسًا به وملتصقًا به، وأفادَ التقديمُ التوكيدَ والتخصيصَ والاهتمامَ بالمتقدِّمِ﴿الهـاء﴾ العائد إلى القرآن، وأسند الفعل﴿نَزَلَ﴾ إلى فاعله﴿ٱلرُّوحُ﴾الذي جاءَ معرفًا بأل موصوفًا بالصفة التي دلَّتْ على أمانته على ما نَزَلَ به(القرآن)، و﴿عَلَىٰ قَلۡبِـكَ﴾جار ومجرور متعلقٌ بـ﴿نَـزَلَ﴾أفادَ الحرفُ﴿عَلَىٰ﴾ رَبْطَ الفعلِ﴿نَـزَلَ﴾قبله والاسم﴿قَلۡبِكَ﴾ بعده رَبْطًا لفظيًّا ودلاليًّا؛ بجَرِّ الاسم﴿قَلۡبِ﴾جرًّا لفظيًّا ظاهرًا، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وإضافة معنى(النزول) بالقرآن إلى﴿قَلۡبِـكَ﴾ مصحوبًا بمعنى الحرف﴿عَلَىٰ﴾ الاستعلاء؛ للدلالةِ على استقرارِ القرآن، وتمكُّنِهِ مِنْ قلبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، و﴿الكاف﴾ ضمير مخاطب عائد إلى رسول الله ﷺ مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه، وجملة﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ تعليلية لسبب نزول القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ، وفيها﴿اللام﴾ للتعليل و﴿تَكُونَ﴾ فعل مضارع ناقص ناسخ منصوب بأنْ مضمرة بعد اللام، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، واسمه ضمير مستتر تقديره(أنتَ)، و﴿مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلِّقٌ بخبر تكون، والتقدير: لتكون نذيرًا من المنذرين للناس، وجملة﴿تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ صلة الموصول الحرفي(أن) المضمرة لا محل لها من الإعراب.

وبالتدبر في الموضع السابق وهذا الموضع يُلحظ أنَّ:

أولا: التعبير بالفعل﴿نَزَّلَ﴾ في الموضع السابق، و﴿نَزَلَ﴾ هنا أفاد أن تنزيل القرآن ونزوله كان بواسطة جبريل؛ لكن هذا التنزيل ابتداؤه من رب العالمين، وبإذن الله، وأن جبريل عليه السلام لاينفك في نزوله وتنزله بالقرآن عن أمر الله وإذن الله.

---

(١) ينظر، أ.د عبد الحميد السيد طلب، تهذيب النحو، الناشر، الصدر لخدمات الطباعة – مدينة نصر، القاهرة، ط ٢ (١٩٨٩ م)،١/١١٩، ١٢٠.

– ود. حسني عبد الجليل يوسف، تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري(ت٧٦٩هـ)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١(١٤٢١هـ-٢٠٠١م)،٨٤.

ثانيًا: عبّر في الموضع السابق بالفعل﴿نَزَّلَ﴾ بوزن فَعَّلَ متعديًا بالتضعيف؛ للدلالة على نزول القرآن مُنَجَّمًا إنزالا تدريجيًا مرة بعد مرة، ولكن الفعل في سياقه لا يدل هل جبريل نَزَّلَ القرآنَ على قلب رسول الله ﷺ متلبسًا به أم لا؟ فجاء هنا بالفعل﴿نَزَلَ﴾ بوزن فَعَلَ لازمًا بدون تضعيف، وعلق به الجار والمجرور ﴿بِهِ﴾ فأفادت الباء أن جبريل ﷺ كان متلبسًا بالقرآن وقت نزوله.

ثالثًا: في الموضع السابق ذكر أن القرآن﴿بُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم تذكر النذارة، وهنا ذُكِرَتِ النِّذَارَةُ ضمنًا في تعليل نزول القرآن الكريم في قوله:﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾، ولم يذكر مَنْ وقع عليه الإنذار، ولا ما وقع به الإنذار.

رابعًا: في هذا الموضع ذُكِرَ المصدرُ ﴿تَنزِيلُ﴾ وأُضيفَ إلى المرَكَّبِ الإضافي﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دون الآية السابقة ، وجاءت هذه الصيغة﴿تَنزِيلُ﴾ مؤكدة بـ﴿إِنَّ﴾ و﴿اللام﴾ المزحلقة وهي صيغةُ تكثيرٍ دَلَّتْ على أنَّ نُزُولَ القرآنِ كَانَ نُزُولًا تدريجيًّا في مدة ثلاث وعشرين سنةً، وهو مصدرٌ بمعنى المفعول سُمِّيَ به مبالغة، وفي إضافته إلى﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إعلامٌ بأنَّ تنزيلَ القرآن من أغراضه تربيته تعالى للعالمين ورأفته بهم.

خامسًا: عبَّر في الموضع السابق عن ملَك الوحي باسمه﴿جِبْرِيلَ﴾، وعبَّر عنه هنا بـ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ مَدْحًا له، وإعلامًا بأنَّ جبريلَ روحٌ؛ لكونه سببًا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة، وأمينًا على توصيلِ وحيه تعالى إلى أنبيائه.

سادسًا: تخصيص قلب محمد ﷺ بالتنزيل والنزول في قوله:﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، ولم يقل(عليك)؛ لأنَّ القلبَ محلُّ الوعي والتثبيت[1]، وفيه خصوصيةٌ وتشريفٌ للرسول ﷺ على سائر الرسل فإنَّ كتبَهم منزلةٌ جملة واحدة في الألواح والصحف على صورتهم لا على قلوبهم، وهي رتبةٌ عليَّةٌ، ومَنْزِلَةٌ سَنِيَّةٌ اختُصَّ بها رسولُنا الكريمﷺ من بين سائرِ الرُّسُلِ.

سابعًا: قوله:﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلقٌ بـ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ أبانَ عن حِكْمَةِ نزولِ القرآن، واكتفي هنا بذِكْرِ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ لأنَّ الإنذارَ بدَفْعِ الضَّرَرِ أَصْلٌ مُقَدَّمٌ من بابِ التخليةِ على البشرى التي ذُكِرَتْ في الموضعِ السَّابِقِ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا مِنْ بَابِ التحليةِ بعدَ التخليةِ، قال أبو

(١) ينظر، أبو حيان، البحر المحيط،٧/٣٨.

حيان:"﴿لِتَكُونَ﴾علة في التنزيل أو النزول، اقتصر عليها؛ لأنَّ ذلكَ أزجرُ للسامعِ، وإنْ كَانَ القرآنُ نَزَلَ للإنذارِ والتبشيرِ"(١). كما أنَّ الاكتفاءَ بقوله:﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ يتناسبُ مع سياق الآيات التي وردَتْ قبله حيث تتحدثُ عن رُسُلٍ سابقين مُنْذِرِينَ كهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وأقوام مكذبين لهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، وبعدها تتحدث عن منذرين لأقوام قبل إهلاكهم؛ لتكذيبهم وإجرامهم ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾[الشعراء:٢٠٨، ٢٠٩]. فناسب ذلك الإكتفاء بـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ لأن الحديث عن أقوام مكذبين، كفرة معاندين، منكرين لنِعَمِ الله، مكذبين لرسله، كما يتناسب مع إعراض المشركين من العرب عما يأتيهم من الذِّكْرِ الحكيمِ.

ووردِ متضمنًا صفة(الرَّيْن) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝﴾[المطففين:١٤].

قال ابن فارس:" الراء والياء والنون أصلٌ يدلُّ على غِطَاءٍ وسَتْرٍ. فالرَّيْن، الغِطَاءُ على الشيء. وقد رِينَ عليه، كأنَّه غُشِيَ عليه"(٢). وقال الأصفهاني:"الرَّيْنُ: صَدأٌ يَعْلُو الشَّيءَ الْجَلِيَّ، قال:﴿بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[المطففين:١٤]، أي: صار ذلك كصدأٍ على جِلاءِ قُلُوبِهِم، فعَمِيَ عليهم مَعرفةُ الخيْرِ مِنَ الشَّرِ"(٣). عَدَّ الشيخ العز(الران) على القلوب في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾من مجازِ القرآن،مثل(الطبع عليها والختم) فقال:" والرينُ أَشَدُّ مِنَ الطَّبْعِ، وهذا مِنْ مجازِ تشبيه المعاني بالمعاني"(٤). قال ابنُ قُتَيْبَةَ:" ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ أي غَلَبَ. يُقَالُ: رَانَتِ الْخَمْرُ عَلَى عَقْلِهِ، أي غَلَبَتْ"(٥).

وقال الزمخشري:"﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ للمُعْتَدِي الأثيمِ عن قوله:﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ رَكِبَهَا كَمَا يَرْكَبُ الصَّدأُ، وغَلَبَ عليها: وهو أنْ يُصِرَّ على الكبائرِ، ويُسَوِّفُ التَّوبَةَ حتى يُطْبَعَ على قلبِهِ فلا يَقْبَلُ الخيرَ ولا يَميلُ إليه وعَنِ الْحَسَنِ: الذنب بعد الذنب حتى يسودَّ القلبُ يقال: رانَ عليه الذنبُ، وغانَ عليه، رينًا وغَيْنًا، والغينُ: الغيمُ

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط،٣٨/٧.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الراء،(رين)،٤٧٠/٢.

(٣) الأصفهاني، المفردات، كتاب الراء،(رين)،١/ ٢٧٥.

(٤) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٦٦.

(٥) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٥١٩.

ويُقَالُ: رَانَ فيه النومُ رَسَخَ فيه ورانَتْ به الخمرُ: ذهبَتْ به...﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ عَنِ الْكَسْبِ الرَّائِنِ على قلوبِهم، وكونهم محجوبين عنه: تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم؛ لأنَّه لا يؤذَنُ على الملوكِ إلا للوجهاءِ المكرمينَ لديهم، ولا يُحْجَبُ عنهم إلا الأدنياءُ المهانون عندهم"[1]. والرين أشد من الغين، وذكر الشريف الجرجاني تعريف الران فقال:"الرَّان: هو الحجابُ الحائلُ بينَ القلبِ وعَالَمِ القُدُسِ باستيلاءِ الهيئاتِ النَّفْسَانيَّةِ، ورُسُوخ الظُّلُمَاتِ الجُسْمَانيَّةِ فيه بحيث ينحجبُ عَنْ أنوارِ الرُّبُوبِيَّةِ بالْكُليَّةِ"[2].

وذَكَرَ الفرقَ بينه وبين الغَيْن فقال:" الغَيْن دُون الرَّيْن: هو الصدأ فإنَّ الصدأَ حِجَابٌ رَقيقٌ يَزُولُ بالتَّصْفِية ونور التَّجَلي لبقاء الإيمان معه، والرَّيْن هو الحجابُ الكثيفُ الحائلُ بين القَلْب والإيمان، ولهذا قالوا: الغَيْن هو الاحْتِجَاب عن الشُّهود مع صحة الاعتقاد"[3].

"وَقَالَ أَبُو مُعَاذٍ النَّحْوِيُّ: الرَّيْنُ أَنْ يَسْوَدَّ الْقَلْبُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالطَّبَعُ أَنْ يُطْبَعَ عَلَى الْقَلْبِ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الرَّيْنِ، قَالَ: وَهُوَ الْخَتْمُ، قَالَ: وَالْإِقْفَالُ أَشَدُّ مِنَ الطَّبْعِ، وَهُوَ أَنْ يُقْفَلَ عَلَى الْقَلْبِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: رَانَ بِمَعْنَى غَطَّى عَلَى قُلُوبِهِمْ. يُقَالُ: رَانَ عَلَى قَلْبِهِ الذَّنْبُ إِذَا غُشِيَ عَلَى قَلْبِهِ"[4].

والرَّيْنُ حَدٌّ من تراكم الذنب ورسوخه يتحقق عنده الحجاب وانغلاق باب المغفرة نعوذ بالله منه.

"﴿كَلَّا﴾حرف ردع وزجر للمعتدي عن الكسب الرائن مبني لا محل له من الإعراب،﴿بَلْ﴾للإضراب الانتقاليّ عن قول من قال:﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المطففين:١٣]، وجملة:﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة.، جاء فيها الفعل﴿رَانَ﴾ ماضيًا مسندًا إلى فاعله الاسم الموصول﴿مَا﴾ المبني على السكون في محلّ رفع فأفادَ العمومَ والشمولَ لكُلِ ما كانوا يكسبونه من الذنوب، وجملة:﴿كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ صلة الموصول﴿مَا﴾لا محلّ لها من الإعراب، أفادَ الفعلُ الناسخُ﴿كَان﴾اتصافَ اسمها﴿واو﴾الجماعة بخبره الجملة الفعلية﴿يَكْسِبُونَ﴾ في الماضي، وعبّر بالفعل المضارع﴿يَكْسِبُونَ﴾ مسندًا إلى فاعله﴿واو﴾

---

(١) الزمخشري، الكشاف،٦/٣٣٧.

(٢) الشريف الجرجاني، التعريفات، باب الراء، الراء مع الألف،٩٤.

(٣) المرجع السابق، باب الغين، الغين مع الياء،١٣٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، باب الراء،(رين)، ٥/٣٩٥.

الجماعة دون ذِكْرِ مفعوله ودون التعبير بالماضي كسبوا؛ لاستحضار الصورة وإفادة التجدد والاستمرار لِمَا كانوا يجددون كسْبَهُ مرَّة بعد أخرى مستمرين عليه، والعائد محذوف أي:(يكسبونه).

وأفادَ حَذْفُ المفعولِ الدلالةَ على أنَّ العنايةَ متوفرةٌ على مجرد إثبات الفعل الذي تسبَّبَ في رَيْنِ قلوبِهم لا على أنْ يُعْلَمَ المفعول[1]، و﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿رَانَ﴾ قُدّم على الفاعل للتوكيد والتخصيص للقلوب بوقوع الرين عليها، وأفاد الحرف﴿عَلَىٰ﴾جر الاسم بعده﴿قُلُوبِ﴾ المضاف إلى ضمير الغائبين﴿هِم﴾ جرًّا ظاهرًا، وعلامة جره الكسرة، والربْط المعنوي بإضافة ونقْل معنى الفعل﴿رَانَ﴾إلى الاسم المجرور بعدها﴿قُلُوبِهِم﴾، وكذلك نقْل المعنى الدلالي الأصلي لحرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ وهو الاستعلاء إلى﴿قُلُوبِهِم﴾؛ للدلالة على استقرار الرَّين وتمكّنه ورسوخه وثباته على﴿قُلُوبِهِم﴾.

ويرى الباحثُ أنَّ الرينَ على القلب من أثرِ الذنوبِ حقيقةٌ وليس مجازًا لما رواه الترمذي في الجامع عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "(إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﷻ ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾)"[2].

فالذنبُ يؤثّرُ في القلب(نُكْتَةً سوداء) تزيد بالذنوب إلى أنْ تنتهي إلى علوها القلب، وتغطيته بحجاب كثيف هو الرينُ يغلب عليه ويحيط به ويغطيه تغطيةَ الغيمِ للسماءِ بحِجابٍ كَثِيفٍ.

ووردَ متضمنًا صفةَ(الربْط) في(ثلاثة) مواضعَ:

أولها: قوله تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ١٤﴾[الكهف:١٤]

---

(١) الفخر الرازي، نهاية الإيجاز،٢١٠.

(٢) الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذِيّ(ت٢٧٩هـ)، سُنَنُ الترمذي(الجامع الكبير)، تحقيق، د. بشار عَوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٩٩٦م)، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومِنْ سورة ويلٌ للمطففين، وقال:" هذا حديث حسن صحيح"،المجلد الخامس، حديث رقم(٣٣٣٤)،٣٥٩.

قال ابن فارس:"(رَبَطَ) الراء والباء والطاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وثَباتٍ مِنْ ذلك رَبَطْتُ الشَّيءَ أربِطه رَبْطًا؛ والذي يُشَدُّ به رِباطٌ. ومن الباب الرِّباطُ: مُلازمة ثَغْرِ العدوّ، كأنَّهم قد رُبِطوا هناك فثَبَتوا به ولازموه. ورَجُلٌ رابِطُ الجأْشِ، أي شديد القَلْبِ والنَّفس... وذُكِرَ عن الشَّيبانيّ: ماءٌ مُترَابِطٌ، أي دائمٌ لا يَبْرَحُ"(١).

وقال الأصفهاني:" رَبَطَ الفرسَ: شدَّهُ بالمكان للحفظ،... وسمي المكان الذي يخص بإقامة حفظة فيه: رباطًا، والرباط مصدر ربطت ورابطت، والمرابطة كالمحافظة، قال الله تعالى:﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال:٦٠]،وفلان رابط الجأش: إذا قوي قلبه، وقوله تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف:١٤]، وقوله:﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[القصص:١٠]،﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾[الأنفال:١١]، فذلك إشارة إلى نحو قوله:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح:٤]،﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]، فإنه لم تكن أفئدتهم كما قال:﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[ابراهيم:٤٣]، وبنحو هذا النظر قيل: فلان رابط الجأش"(٢). قال الزَّبِيدي:" ومِنَ المجازِ: رَبَطَ اللهُ تعالى على قلبِهِ، أي: أَلْهَمَهُ الصَّبرَ، وَشَدَّه وقَوَّاه ، ومنه قوله تعالى:﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠]، وكذا قوله تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟﴾ [الكهف:١٤] أي: ألهمناهم الصَّبْرَ "(٣).

وجَعَلَ الشيخُ العز بن عبد السلام(الرَّبْط) من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني في القرآن وذكرَ له مثالين: قوله:﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وقوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال:" شَبَّهَ حِفْظَه لِمَا في القلوب من يقين وإيمان بحِفْظِ مَنْ ربطَ على شيءٍ برباط؛ ليحفظه ويمنعه من الانقلاب، فالرباط ههنا: الصبر، والمربوط عليه:اليقين والإيمان، والرابط: هو الله ﷻ، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني"(٤).

قال ابن قتيبة: " ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾أي: أَلْهَمْنَاهُمُ الصَّبْرَ، وثَبَّتْنَا قُلُوبَهُمْ"(٥).

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الراء،(ربط)، ٢/٤٧٨، ٤٧٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الراء،(ربط)،١/٢٤٧.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، باب الطاء،(ر ب ط)، ١٩/ ٣٠٢.

(٤) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٦٣.

(٥) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٢٦٤.

وقال الزمخشري في الأساس: " رَبَطَ الدَّابَّةَ شَدَّهَا بِالرِّبَاطِ... ومن المجاز رَبَطَ الله على قلبِهِ صَبَّرَهُ ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾"[1]، ولمَّا كان الخوف والقلق يزعج القلوبَ عن مقارِّها ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[الأحزاب:١٠] قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكَّنَ وثبتَ وهو تمثيل شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ "[2].

وقال الزمخشري:"﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: بالتوفيق والتثبيت﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: وقويناها بالصبر على هَجْرِ الأوطان والنعيم، والفرار بالدِّين إلى بعض الغيران، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام ﴿إِذْ قَامُواْ﴾: بين يديّ الجبار وهو دقيانوس، مِنْ غير مبالاة به حين عاتبهم على ترْك عبادة الصنم ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ "[3].

جاءت جملة﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ معطوفة بـ﴿الواو﴾على جملة﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ المعطوفة بـ﴿الواو﴾على جملة ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ التي جاءت في محل رفع صفة لـ﴿فِتْيَةٌ﴾ خبر﴿إِنَّ﴾ في الاستئناف البياني﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ فدلت الواو على الجمع والمشاركة فهؤلاء الفتية لمَّا ثَبُتَ لهم تحقُّقُ الوصف﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ إيمان اعتقاد بربهم واهتداء جَمَعَ الله لهم زيادة الهدى﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ هداية معونة وتوفيق، وتثبيتهم وتقويتهم على التمسك بما في قلوبهم.

وفي جملة﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ،﴿رَبَطْنَا﴾ فعلٌ ماضٍ دلّ على تحقُّقِ الربْطِ في الزمن الماضي مبني على السكون لاتصاله بفاعله ضمير الرفع ﴿نَا﴾ العائد إلى الله، وإسناد الفعل إلى﴿نَا﴾ التعظيمية أفاد الدلالة على عظمة هذا الربْط وأثره﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ...﴾،و﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ جارٌ ومجرورٌ متعلّقٌ بالفعل في﴿رَبَطْنَا﴾، واستعمال حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾مع أنَّ الفعلَ يتعدَّى بنفسِهِ أفادَ استعلاءَ الرَّبْطِ وتمكُّنِهِ،وربطَ بين الفعل﴿رَبَطَ﴾والاسم﴿قُلُوبِهِمْ﴾ ربْطًا مصحوبًا بنقْل المعنى الدلالي الأصلي لحرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ وهو

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السُود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، كتاب الراء،(ربط)،١/٣٣١.

(٢) الألوسي، روح المعاني،١٥/٢١٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف،٣/٥٦٩.

الاستعلاء إلى الاسم المجرور بعده؛ للدلالةِ على قوة الربط وشدته؛ لتثبيت قلوبهم على ما فيها من إيمان وتوحيد، وأفاد قوله:﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ بتعلُّق الظرف﴿إِذْ﴾ بـ ﴿رَبَطْنَا﴾ بيان أثر الربْط على قلوبهم في ثباتهم على قول الحق حين قاموا.

وسواء أكانَ الرَّبْطُ هنا حقيقةً أم مجازًا فإنه يفيد شدة الرَّبْط على قلوبهم فنتجَ عنه قوة قلوبهم وشدة تمسكهم بإيمانهم وثباتهم عليه وصَبْرهم بحفْظِ الله لهم، فثبتوا عليه ولازموه وعزموا على التمسك به في الحال والاستقبال﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾.

وثانيها:﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **[القصص:١٠].**

﴿الواو﴾ استئنافية، و﴿أَصْبَحَ﴾ فعل ماض ناقص ناسخ مبني على الفتح تضمَّن معنى(صار)[١] أفاد التحول من حالة كون قلبها غير فارغ إلى كونه فارغًا، واسمها﴿فُؤَادُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، أضيف إلى﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾ إضافة أكسبته التعريف[٢]، وأفادت﴿أَصْبَحَ﴾ اتصاف اسمها﴿فُؤَادُ﴾ بخبرها﴿فَٰرِغًا﴾ المنصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة صباحًا[٣]، والتعبيرُ هنا بـ﴿أَصْبَحَ﴾ أحسنُ من التعبير بـ(صار)؛ لأنه يدل على تحول قلبها إلى الفراغ كصار، ويزيد عليه بيان زمن هذا التحول وهو الصباح، كما أنَّ التعبيرَ بالوصفِ المشتق اسم الفاعل﴿فَٰرِغًا﴾ أفادَ الدلالةَ على ثبات[٤] الصفة لقلبها.

وتنكير﴿فَٰرِغًا﴾ أفادَ العمومَ والشمولَ لفراغِ قلبِهَا مِنْ كُلِّ شيءٍ إلا مِنْ ذِكْرِ موسى عليه السلام[٥]، بدليل قوله تعالى:﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، وهي جملة استئنافية بيانية بيَّنت معنى﴿فَٰرِغًا﴾، ودلَّت على استثناء محذوف،أي: فارغًا من كل شيء إلا مِنْ ذِكْر موسى عليه السلام، و﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة،

---

(١) ينظر، الأسترابادي، شَرْحُ كافية ابن الحاجب،٢/١٠٣٩.

(٢) ينظر، ابن جَمَاعَة، شَرْحُ كافية ابن الحاجب،١٧٤.

(٣) ينظر، د. جميل أحمد ظفر، النحو القرآني،٢٢٧.

(٤) ينظر، د. محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل عِلْمِ المَعَانِي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥،(١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)،٢٩٦.

(٥) ينظر، "بيان الحق" النيسابوري، باهر البرهان،٢/١٠٦٩.

و﴿كَادَتْ﴾ فعل ماض ناقص ناسخ من أفعال المقاربة، و﴿التاء﴾علامة التأنيث، وأفادت﴿كَادَ﴾ مقاربة اسمها الضمير المستتر(هي)العائد إلى﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لخبرها الجملة الفعلية في محل نصب﴿لَتُبْدِى بِهِ﴾، فجعلت نسبة الخبر للاسم قريبة الحدوث، وإنْ لم تَحْدُثْ فعلا، وأنَّ وصول الاسم إلى معنى الخبر يدنو من التحقق[1].

و﴿اللام﴾ في﴿لَتُبْدِى﴾ فارقة بين(إن)المخففة، و(إن) النافية[2]، ومعنى﴿لَتُبْدِى بِهِ﴾ أي تظهر القول به والضمير لموسى عليه السلام و﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بالفعل المضارع المرفوع بضمة مقدرة؛ للثقل﴿تُبْدِى﴾ ، وفاعله ضمير مستتر جوازًا تقديره(هي) يعود بالإحالة إلى سابق﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾عبّر به اختصارًا؛ لوجود المرجع، وأفادَ الربْط بين أجزاء التركيب، ولم يتعدَّ الفعلُ بنفسِه(تُبديه)، وإنما تعدَّى بحرف الجر﴿الباء﴾ في ﴿لَتُبْدِى بِهِ﴾ إما لتأكيدِ لُصوقِ المفعولِ به بفعلِهِ، أو لتضمين﴿تُبْدِى﴾ معنى(تبوح) على عادة العرب، قال ابن هشام: " قد يُشْرِبون اللفظَ معنى لفظٍ آخر فيعطونه حُكْمَه، وذلك هو المُسَمَّى بالتضمين"[3]، ويرى بعضُ العلماء أنَّ الباءَ زائدةٌ في﴿لَتُبْدِى بِهِ﴾ أي:(تبديه)، وبعضهم كالسيوطي يرى في أحد قوليه تضمين ﴿تُبْدِى﴾ معنى(تبوح) ولذلك عدّي بالباء، وذَكَرَ ابنُ النقيب أنَّ التضمينَ أربعةُ أقسامٍ، وفي الثاني منها ذَكَرَ تضمين الفعل معنى فعل آخر، وفائدة ذلك بقوله: " من التضمين أيضًا، أنْ تُضَمّنَ فِعْلًا معنى فِعْلٍ آخر؛لإفادةِ معنى الفعلين، وتعديه تعديته في بعض المواطن، وهو في القرآن كثيرٌ "[4].

وذَكَرَ الآيةَ وموضعَ التضمينِ فيها، وفائدته فقال:" ضمّن﴿لَتُبْدِى بِهِ﴾ معنى لتخبر به أو لتُعلم؛ ليفيد الإظهار معنى الإخبار؛ لأنَّ الخبر قد يقع سِرًّا غير ظاهر "[5].

---

(١) ينظر، د. محمد عيد، النَّحْو المُصَفَّى،٢٧٢.

(٢) ينظر، ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة(د.ت)،٣١٨/١، ٣١٩.

(٣) ابن هشام، أوضح المسالك،٧٩١/٢.

(٤) ابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب،٥٩.

(٥) المرجع السابق،٦٠.

ويرى الباحثُ أنَّ مَنْ يقولُ بزيادة﴿الباء﴾ في هذا الموضعِ جانبَهُ الصوابُ للأسباب الآتية:

أولا: إذا قيل(تبديه) بتعدية الفعل المضارع﴿تُبْدِى﴾ من(أبدَى) مباشرة إلى مفعوله(الهاء) الضمير العائد إلى موسى عليه السلام فُهِمَ منه أنَّ أم موسى عليه السلام هي التي تُبدِي موسى عليه السلام أي تظهره إظهارًا بيّنًا، وهو ليس معها حتى تُظهره.

ثانيا: ذِكْرُ ﴿الباء﴾ باء السببية في قوله تعالى:﴿لَتُبْـدِى بِـهِۦ﴾؛ لإفادة معنى التعليل؛ فبسبب خوفها عليه كادت لتظهر إظهارًا بينًا، وهو أحسن من(تبوح) وإن تضمن الإبداء معنى البوح، وما تظهره ليس موسى عليه السلام، وإنما تظهر قولا صادرًا منها عنه.

ثالثًا: عدم ذِكْر المفعول به يفيد العموم والشمول لما يُمْكِنُ أنْ تبديه، ويجعل النفس تتصور ما يُمكن أنْ تُبديه عندما رأته يقع في يد فرعون وجنوده؛ فقد يقول قائل: تُبدي بسببه أنه ابنها، ويقول آخر: تُبدي به أنها ألقته في اليم، ويقول ثالث: تُبدي به ما يتعلق به مِن قولٍ... وهكذا. وذِكْر مفعول واحد هنا يخصص ما تُبديه بالمفعول المذكور، وترْك ذِكْرِهِ أحسنُ مِنْ ذِكْرِهِ؛ لجعْلِهِ النَّفْسَ تَذْهَبُ كل مَذْهَبٍ لمدى خوفها وهلعها وفرْط حيرتهاعلى رضيعها واضطرابها الناتج عن خلو فؤادها وفراغه من الصبر والتثبيت والفهم وكل شيء إلا موسى عليه السلام لولا تثبيت الله لها.

وجملة﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ دليلٌ على جواب﴿لَوْلَآ﴾ وهو حرف شرط يفيد امتناع لوجود، أفاد امتناع الإبداء به لوجود الرَّبْط على قلبها، و﴿أَن﴾ مصدرية، و﴿رَّبَطْنَا﴾ فعل ماض مبني على السكون، مسند إلى فاعله﴿نَا﴾ التعظيمية التي دلت على عظمة هذا الرَّبْط؛ لأنه من الله الواحد العظيم، ولم يُعَدَّ الفعلُ بنفْسِهِ (ربطنا قلبَها)، وإنما عُدِّي بحرف الجر﴿عَلَىٰ﴾؛ للدلالةِ على استعلاء[1] هذا الربْط، وتمكُّنه من قلبها تثبيتًا له حتى لا تُبدِي به، والاسم المجرور﴿قَلْـبِ﴾ مضاف إلى﴿هَـا﴾ المفردة الغائبة العائد إلى(أم موسى)، وعبّر بالضمير؛ اختصارًا[2]، والجار والمجرور﴿عَلَىٰ قَلْبِهَـا﴾ متعلقان بـ﴿رَبَطْنَـا﴾، والمصدر المؤول﴿أَن رَّبَطْنَـا﴾ في محل رفع مبتدأ خبره محذوف وجوبًا أي لولا ربْطنا على قلبها حاصل، وجواب﴿لَـوْلَآ﴾

---

(١) ينظر، الرُّمَّاني، معاني الحروف، ١٠٨.

(٢) ينظر، السيوطي، الإتقان،٣٩٩.

محذوف؛ لتقدُّم معناه، أي(لأبَدَتْ به)[1]، وعبّر بالمصدر المؤول﴿أَن رَّبَطْنَا﴾ دون المصدر الصريح (ربْطنا)؛ للدلالة على حدوث الرَّبْطِ في الزمن الماض[2]المستفاد من الفعل الماضي﴿رَبَطَ﴾، وفي قوله:﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ :﴿اللام﴾حرف جر للتعليل أفاد أن ما قبله﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ مترتب عليه ما بعده﴿تَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والفعل المضارع الناقص الناسخ ﴿تَكُونَ﴾ منصوب بـ(أنْ) مضمرة بعد لام التعليل، والمصدر المؤول من(أن) المصدرية المضمرة والفعل ﴿تَكُونَ﴾ في محل جر باللام، وقد أفاد الفعل ﴿تَكُونَ﴾ اتصاف اسمه الضمير المستتر(هي) العائد إلى﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾ عليها السلام بالخبر شبه الجملة ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الحاضر والاستقبال، ولم يقل من المؤمنات تغليبًا للذكور، أي: من المصدقين بما وعدها الله بقوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[القصص:٧].

وثالثها: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾[الأنفال:١١].

جاء قوله تعالى:﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ معطوفا بـ﴿الوَاو﴾التي أفادت الجمْعَ والمشاركةَ بين فِعْلِ الربْطِ وما سبقه من أفعال، و﴿اللام﴾ لام التعليل حرف جر، وليست زائدة، قال ابن الأنباري:"(اللام) لامُ (كَيْ)، وهيَ تنصبُ الفعلَ بتقديرِ(أنْ) عند البصريّين، وهي لامُ الجرّ، وإنما دخلتْ على الفعلِ؛ لأنَّ(أنْ) المُقَدَّرةَ والفعلَ في تقديرِ الاسمِ"[3].أي أنَّ﴿لِيَرْبِطَ﴾ مصدرٌ مؤوّلٌ مكوَّنٌ من(أنْ) مضمرة بعد﴿لام﴾ التعليل، والفعل المضارع ﴿يَرْبِطَ﴾ المنصوب بأنْ المضمرة، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى الله ﷻ، وجملة:﴿يَرْبِطَ...﴾ لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ(أن) المضمرة، والمصدر المؤوّل(أن يربط) في محلّ جرّ باللام متعلّق بـ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ أفاد التعبير به دون الصريح التجدد بحصول الرَّبْط في الماضي بدلالة﴿إِذْ﴾، واستحضار الصورة، ودخول﴿اللام﴾ على الفعل أفاد التأكيد على حصول الربْط بعد التغشية﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾، والجار والمجرور ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ متعلق

---

(١) ينظر، السَّمين الحلبي، الدر المصون،٨/٦٥٣.

(٢) ينظر، سيبويه، الكتاب،١/٣٥.   – والسهيلي، نتائج الفكر في النحو،٩٧.

(٣) ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن،١/٩٨.

بالفعل﴿يَرْبِطَ﴾، وليس معنى أنَّ الفعل﴿يَرْبِطَ﴾ يُمْكِنُ أنْ يتعدَّى بنَفْسِهِ(يربط قلوبكم)، أنَّ يُقال أنَّ﴿عَلَىٰ﴾ زائدة؛ فاستعمال﴿عَلَىٰ﴾ أفاد استعلاء الرَّبْط وتمكُّنه من قلوبهم تقويةً لها وتثبيتًا لهم؛ فهو ربْطٌ مُحْكَمٌ لا يعطيه التعبير(يربط قلوبكم)، فتعدية﴿يَرْبِطَ﴾ بـ﴿عَلَىٰ﴾؛ " للإيذان بأنَّ قوة قلوبهم بلغت في الكمال إلى أنْ صارت مستولية على القلوب حتى صارت كأنها علت عليها، وارتفعت فوقها فتفيد التمكن في القوة"(١).

يُلحظ في هذا الموضع استعمال الأفعال المضارعة﴿يُغَشِّي- وَيُنَزِّلُ - ويُطَهِّرَ- وَيُذْهِبَ - ولِيَرْبِطَ -وَيُثَبِّتَ﴾ مع أنَّ الحديثَ تذكيرٌ لهم بأحداث ماضية بدلالة الظرف﴿إِذْ﴾ الحينية الدالة على الزمن الماضي في أول الآية وهي في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره:(اذكروا)، وهذا الاستعمال للأفعال المضارعة طلبًا لاستحضار الصورة في معرض تعداد الله ﷻ نعمه عليهم في غزوة بدر، ودلالة على تجدد هذه الأفعال، وتكرر حدوثها مرة بعد أخرى.

<u>ويُلحظ في مواضع التعبير عن(الرَّبْط) ما يلي:</u>

١- في الموضع الأول جاء التعبير بالفعل الماضي﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وفي الموضع الثاني جاء التعبير بالمصدر المؤول من (أنْ والفعل الماضي) مع إظهار﴿أَن﴾ في﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، وفي الموضع الثالث جاء التعبير بالمصدر المؤول من(أنْ والفعل المضارع) مع إضمار(أنْ) في﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾.

٢- الفاعل في المواضع الثلاثة ضمير يعود إلى الله ﷻ، في الموضعين الأول والثاني، ضمير بارز متصل﴿نَا﴾ ، وفي الموضع الثالث، ضمير مستتر تقديره:﴿هو﴾.

٣- تعدية الفعل﴿رَبَطَ﴾ و﴿يَرْبِطَ﴾ بحرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ مع أنه يُمْكِنُ أنْ يتعدَّى بنفسه، دلالة على أنَّ استعمالَ الحرف﴿عَلَىٰ﴾ مرادٌ لما له من دورٍ في سياقِ الآيات، وليس زائدًا، وقد أدى الحرف﴿عَلَىٰ﴾ وظيفة الجر للاسم بعده، وأضاف معنى الربْط إلى مجروره مصحوبًا بمعنى﴿عَلَىٰ﴾الاستعلاء؛ لإفادة قوة الرَّبْط

---

(١) الجَمَلُ، حاشيةُ الجَمَلِ على الجلالين،٢/٢٤٢.

وتمكُّنه من قلوب أصحاب الكهف، وقلب أم موسى ﵇، وقلوب صحابة رسول الله ﷺ فقويت قلوبهم، وألهموا الصبر والثبات على محنهم، وحُفِظَ عليهم إيمانهم، وثباتهم على الحق.

٤- إضافة مجرور الحرف﴿عَلَىٰ﴾ إلى ضمير؛ ضمير الغائبين﴿هِمْ﴾ في الموضع الأول، و﴿الهاء﴾ المفردة الغائبة في الموضع الثاني، يتناسب مع مضي زمان أهل الكهف، وأم موسى ﵇، وغيابهما زمنيًّا وحدثيًّا عند نزول الآيات، وضمير المخاطبين﴿كُمْ﴾ العائد إلى مؤمني بدْر من الصحابة في الموضع الثالث يتناسب مع حضورهم حدثيًّا وزمانيًّا؛ فالخطاب معهم في زمان ومكان نزول الآيات.

<u>وورد متضمنًا صفة(الختم) في(ثلاثة) مواضعَ:</u>

أولها: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾[البقرة:٧].

قال الأصفهاني: " الخَتْمُ والطَبْعُ يُقال عَلَى وَجْهَيْن: مَصْدَرُ خَتَمْتُ وطَبَعْتُ، وَهو تَأْثِيرٌ كنقشِ الْخَاتَمِ والطابعِ. وَالثَّانِي: الْأَثَرُ الحاصلُ عَن النقشِ، ويُتَجَوَّزُ بِذَلِكَ تَارَةً فِي الاستيثاقِ مِنَ الشَّيْءِ، والمَنْعِ مَنه اعتبارًا بِمَا يَحْصُلُ مَنَ المَنْعِ بالخَتمِ عَلَى الْكُتُبِ وَالأَبْوَابِ، نَحْو:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[البقرة:٧]، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾[الجاثية:٢٣]، وتَارَةً فِي تحصيلِ أَثَر عَن شَيْءٍ اعتبارًا بالنقشِ الحاصلِ، وتارَةً يُعْتَبَرُ مَنه بُلُوغُ الْآخِرِ، ومَنه قيْل: خَتَمْتُ الْقُرْآنَ، أَي: انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِه، فَقَوْلُه:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[البقرة:٧]، وَقَوْلَه تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾[الأنعام:٤٦]، إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَجْرَى اللهُ بَه الْعَادَةَ أَنَّ الإنسانَ إِذَا تَنَاهَى فِي اعْتِقَادٍ بَاطِلٍ، أَو ارتكابِ محظورٍ- وَلَا يَكُون مَنه تَلَفُّتٌ بِوَجْهٍ إِلَى الْحَقِ- يُورِثُهُ ذَلِك هَيْئَةً تُمَرِّنُهُ عَلَى استحسانِ الْمَعَاصِي، وكأَنمَا يُخْتَمُ بِذَلِك عَلَى قُلبِه، وعَلَى ذَلِك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[النحل:١٠٨]، وعَلَى هَذَا النَحْو اسْتِعَارَةُ الإغفالِ فِي قَوْلِه ﷻ:﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾[الكهف:٢٨]، واسْتِعَارَةُ الْكِنّ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[الأنعام:٢٥]، واسْتِعَارَةُ القساوةِ فِي قَوْله تَعَالَى:﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ﴾ [المَائدة:١٣]، قَال الجبائي(**أبو عَلي الجبائي، شَيْخُ المَعتزلة فِي زمَانه توفِي سَنَة٣٠٣ هـ . انْظُر: ترجمته فِي طَبَقَات المفسرين٢/١٩١**): يَجْعَل اللهُ خَتْمًا عَلَى قُلوبِ الْكُفَّار؛ لَيَكُونَ دَلَالَةً لِلْمَلَائِكَةِ عَلَى كُفْرِهِم فَلَا يَدْعُون لَهم(**وهَذَا أيضا قَوْل القَاضِي عبد الْجُبَار مَن المعتزلة، وقَوْل الْحَسَن الْبَصْرِيّ.انظُر الرَّازِيّ٢/٥١**)، وَلَيْس ذَلِك بشَيْءٍ

فـإنَّ هَـذِه الْكِتَابَـة إنْ كَانَـت محسوسـةً فمِنْ حَقِّهَـا أن يُـدْرِكَهَا أَصْـحَابُ التشـريحِ، وإنْ كَانَـت معقوْلـةً غَيْـرَ محسوسةٍ فالْمَلائكةُ بَاطِّلَاعِهم عَلَى اعْتِقَاداتِهم مستغنيةٌ عَن الاستدلَالِ. وقَال بَعْضُهم: خَتْمُهُ شَهَادَتُهُ تَعَالَى عَليه أَنَّهُ لَا يُؤمِنُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[يس:٦٥]، أَي: نَمنعُهم مِنَ الكلَامِ ، ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، لأَنَّه خَتَمَ النُّبُوَّةَ، أَي: تَمَّمَها بمجيئِهِ . وَقوْلَه ﷻ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾[المطففين:٢٦]، قِيْل: مَا يُخْتَم بِهِ، أَي: يُطْبَعُ، وإنما معَناه: مُنْقَطَعُهُ وَخَاتِمَةُ شُرْبِهِ، أَي: سُؤْرُهُ فِي الطِّيبِ مِسْكٌ، وقَوْلُ مَنْ قَالَ يُخْتَمُ بِالْمِسْكِ(وهَذَا قَوْل قَتَادَة أَخْرَجَه عَنـه عَبد الرَّزَاق قَال: عَاقِبَتُـه مِسْكٌ، قَوْمٌ يُمزَجُ لَهم بالكافور، ويُخْتَمُ لَهم بالمِسْكِ. رَاجِع: الدُّر المَنثور٨/٤٥١) أَي: يُطْبَعُ ، فَلَيْس بشَـيْءٍ؛ لأَنَّ الشَّرَابَ يَجِبُ أَنْ يُطَيَّبَ فِي نَفْسِه، فأَمَّا خَتْمُهُ بالطِّيبِ فَلَيْسَ مِمَّا يُفِيدُه، وَلَا يَنْفَعُه طِيبُ خَاتِمِه مَا لَم يَطِبْ فِي نَفْسِهِ"[1].

وقال صاحبُ تاج العروس:"(خَتَمَه يَخْتِمه خَتْمًا وخِتامًا) بالكسر، وهذه عن اللحياني،أي:(طَبَعَه)... وقيل: الختم:إخفاءُ خَبَرِ الشيء بجمع أطرافِه عليه على وَجْهٍ يَتَحَفَّظُ به. ومِن المجاز: خَتَمَ(عَلَى قَلْبِه) إذا جَعَلَهُ لا يَفْهَم شيئًا، ولا يَخْرُجُ منه شيءٌ، كأنه طُبِعَ، ومنه قوله تعالى:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وهو كقوله:﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ فلا تَعْقِلُ ولا تَعي شيئًا. وقال الزجاج: معنى خَتَمَ وطَبَعَ واحدٌ في اللغةِ، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يَدْخُلَهُ شيءٌ، كما قالﷻ:﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤]"[2].

وقد جمع الشيخ العز بن عبد السلام بين الطبْع على القلوب والختْم عليها، وجعلهما من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني في القرآن الكريم، وذكر لهما أمثلة: قوله تعالى:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[البقرة:٧]، وقوله:﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾[الأنعام:٤٦]، وقوله:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[النحل:١٠٨]، وقوله:﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾[الجاثية:٢٣] فقال:" لَمَّا كان الختمُ والطبعُ على أوعيةِ الأشياءِ مانعَيْنِ من خروج ما في الظروف شبَّه ما يمنع من

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الخاء،(ختم)،١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، تابع باب الميم،(ختم)،٣٢/٤١، ٤٢.

خروج الكفر والضلال من القلوب، وما يمنع من فهْمِ دلالة المسموعات والمبصرات بما يمنع من خروج المحفوظات المخزونات... وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني"(١).

وفي كتابه "فوائد في مشكل القرآن" وَضَّحَ ذلك فقال:" القلوب لما كانت مجوَّفَة أشبهت الأكياس، فاستعير الختم والطبع والأكنة، والبصر ليس مجوفًا فكان الذي يناسبه الغشاوة"(٢).

وقال الشريف الرضي في قوله تعالى:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾: " وهذه استعارةٌ ؛ لأنَّ الختمَ الحقيقي لا يتأتى في القلوب، وإنما المعنى أنه تعالى وَسَمَ قلوبهم بسِمَةٍ تُفرِّقُ بها الملائكةُ بين الكافر والمؤمن والمصرّ والمقلع فيذمون العاصي لمعصيته، ويمدحون الطائع لطاعته..."(٣).

وقد جعلَ ابنُ قُتَيْبَةَ الختْمَ بمنزلة الطبْع فقال: " ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ بمنزلة طَبَعَ عَلَيْهَا. والخَاتَمُ بمنزلةِ الطَّابَع. وإنما أراد: أَقْفَلَ عليها وأَغْلَقَهَا، فليستْ تَعِي خَيْرًا ولا تَسْمَعُهُ. وأَصْلُ هذا: أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَتَمْتَهُ، فَقَدْ سَدَدْتَهُ ورَبَطْتَهُ"(٤).

جاءت جملة:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ...﴾استئنافية لا محل لها من الإعراب، وتعليلية لبيان سبب انتفاء الإيمان عن هؤلاء الكافرين الذين قال الله تعالى فيهم:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة:٦]، فيها ﴿خَتَمَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح أفاد تحقق الختم أسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾؛ للدلالة على تَمَكُّنِ معنى الختم من قلوبهم وأنه لا يُرْجَى زوالُه، وتعدية الفعل﴿خَتَمَ﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أفاد استعلاء هذا الختم حتى بَلَغَ آخر قلوبهم، وتمَكَّنَ منها، واستعلى عليها، واستوثق منها؛ فَسَدَّ منافذها؛ فأثَّر ذلك فيها حصول المنع من خروج ما فيها من نفاق أو دخول ما ليس فيها من إيمان، وأُسند الختم والطبع وغيره من صفات إلى الله؛ لأنها واقعة بقدرته، مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى:﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾[النساء:١٥٥] وقوله:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ

(١) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٦٦.
(٢) العز بن عبد السلام، فوائد في مشكل القرآن،٧٢.
(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٢٨.
(٤) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٤٠.

ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون:٣] فالختم مجازاة لكفرهم والله تعالى قد يسَّر عليهم السبل فلو جاهدوا لوفَّقهم فسقط الاعتراض بأنه إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمْعهم فمنعهم عن الهُدى فكيف يستحقون العقوبة. والجار والمجرور ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿خَتَمَ﴾،﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة أفادت الجمع والمشاركة بين﴿قُلُوبِهِمْ﴾ و﴿سَمْعِهِمْ﴾ في استعلاء الختم عليهما، و﴿عَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ جارّ ومجرور متعلّقٌ بـ ﴿خَتَمَ﴾، على حذف مضاف أي وعلى(مواضع) سَمْعِهِمْ، وتكرير حرف العطف﴿عَلَىٰ﴾ أفاد التوكيد إنْ كان الخَتْمُ واحدًا[١]، وأشْعَرَ بتغاير الخَتمين، فخَتْمُ القلوبِ غير خَتْمِ الأسماع، ودلَّ على شدة الختم في الموضعين، وقد فرَّقَ النحويون بين: مررْتُ بزيدٍ وعمرٍو، وبين: مررتُ بزيدٍ وبعمرٍو، فقالوا: في الأول هو مرورٌ واحدٌ، وفي الثاني هما مروران، وقد وَحَّدَ السمْعَ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾؛ على عادة العرب يفعلون ذلك إذا أمن اللَّبس كما في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا؛ أو لأنَّ السمع مصدر في أصله، والمصادر لا تُجْمَعُ؛ لصلاحيتها للواحد والاثنين والجماعة، فإن قيل: فلِمَ جَمَعَ الأبصارَ والواحد بَصَر وهو كالسمع؟ قلنا: إنه اسم للعين فكان اسمًا لا مصدرًا فجُمِعَ لذلك؛ أو على تقديرِ حَذْفِ مضافٍ أي: وعلى حواس سمْعِهم[٢]، أو على مواضع سمْعِهم.

وجَمَعَ القلوبَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، والأبصار ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ﴾؛ لتنوُّعِ المُدْرَكَاتِ والمرئيات.

وفي تعليل إفراد السمْعِ قال العكبري: " السمْع في الأصل مصدر سمع، وفي تقديره وجهان: أحدهما: أنه استعمل مصدرًا على أصله، وفي الكلام حذْفُ تقديره: على مواضع سَمْعهم؛ لأنَّ نفْس السمْع لا يُختم عليه. والثاني: أنَّ السَّمْعَ هنا استُعمِلَ بمعنى السامعة، وهي الأُذُن، كما قالوا: الغيب بمعنى الغائب، والنَّجْم بمعنى الناجم، واكتُفِيَ بالواحد هنا عن الجمْعِ"[٣].

ومعنى ذلك أنه وَحَّدَ﴿سَمْعِهِمْ﴾؛ لأنه مصدرٌ يقعُ للقليل والكثير، يُقال: سمعْتُ الشيءَ أسمعُهُ سَمْعًا وسَمَاعًا، كما أنَّ إضافة المصدر﴿سَمْع﴾ إلى ضمير جمع الغائبين﴿هِمْ﴾ دلَّ على أنه يُراد بـ﴿سَمْعِهِمْ﴾ أسماع الجماعة. ومن بديع نظْم الآية استعمال﴿خَتَمَ﴾ مع قلوبهم وسمْعهم، و﴿غِشَٰوَةٌ﴾ مع أبصارهم؛ لأنَّ

---

(١) ينظر، أبوحيان، البحر المحيط،١/١٧٦.

(٢) ينظر، الزمخشري، الكشاف،١/١٦٩.

(٣) العُكْبَرِيُّ، التبيان،١/٢٢، ٢٣.

جوارح سمعهم وقلوبهم لما كانت مجوفة كالوعاء يتخيل فيهما معنى الغلق والسد كان استعمال الختم لهما أولى،والأبصار لما كانت بارزة وإدراكها متعلق بظاهرها كانت الغشاوة بها أليق[1]، وتقديم ختْم قلوبهم للإيذان بأنها الأصل فى عدم الإيمان، وللإشعار بأنَّ ختمَها ليس بطريق التبعية بختم سمْعهم، فقلوبهم مختومة بختم على حدة[2]، وتقديم حال السمْعِ على حال إبصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم فى تلك الحال. قالوا السمْع أفضل من البصر؛ لأنه تعالى حيث ذكرهما قدَّمَ السمْعَ على البصر... وذَكَرَ السيوطي عِلَّةَ تقديم السمْعِ على البصر، وتقديم القلوب عليهما بقوله عن السمْع:" وقدَّمَهُ؛ لأنه أشرفُ من البصر، إذ له مَدْخَلٌ عظيمٌ في استكمال العقل بوصول المعارف إليه، والبصر لا مدخلَ له في غير المبصرات؛ ولأنَّ السمْعَ متصرفٌ في الجهات الست، ويقتضي بطلانُهُ بطلانَ النطقِ بخلافِ البصر، كما قدَّمَ القلبَ؛ لأنَّه أشرفُ أعضاءِ الإنسانِ"[3].

ويرى الباحثُ أنَّ تقديمَ القلوبِ ليس لأنها أشرفُ أعضاء الإنسان- وإن كان ذلك صحيحًا-، ولا تقديم السمْعِ؛ لأنه أشرفُ من البصر بدليلِ تقديمِ السمْعِ على القلب في قوله تعالى:﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[الجاثية:٢٣]، فهل معنى هذا أنَّ السَّمْعَ أَشْرَفُ أعضاءِ الإنسان؟! وبدليل أنَّ الإنسانَ قد يَفْقِدُ سمْعَه ونُطْقَهُ، ويكون لبصره المدخل العظيم في استكمال عقْلِهِ بوصول المعارف إليه، وكذلك فإنَّ حرف﴿**الواو**﴾ يفيد الجمع والمشاركة، ولا يفيد- دائمًا- الترتيب في الأفضلية إلا بقرينة، والذي يراه الباحثُ أنَّ السياق والمعنى المراد تأديته لهما دورٌ في تقديم ما يُقَدَّمُ وتأخيرِ ما يُؤَخَّرُ، فهنا تقديم﴿**خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ**﴾ يتناسب مع سبق الآية بقوله تعالى:﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ بتحقق كُفْرهم بالكتاب العزيز الذي بلغهم ولم يؤمنوا، وهذا دليلٌ بيِّنٌ على عدم انتفاعهم بالإنذار ، فأعلمَ اللهُ رسولَه باستواء إنذاره لهم وعدمه؛ لقَطْعِ رجائِهِ في إيمانهم في الحال أو الاستقبال﴿**لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ فكان هذا بمثابة الختم على سمْعِهم، فقدم﴿**خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ**﴾ جزاء على صمَمِهم آذانهم عن الإنذار،

---

(١) ينظر، السيوطي، قَطْفُ الأزهار،١/١٨٣.

(٢) ينظر، تفسير أبي السعود،١/٦٧.

(٣) ينظر، السيوطي، قَطْفُ الأزهار،١/١٨٢.

وبلوغهم في الإصرار واللجاج والإعراض عن الآيات والدلائل إلى غاية لا يُرجى لهم القبول بوجه، وهذه الحالة حصلت لهم في هذا الوقت دون ما قبله، فمن كانت هذه حاله لا يحتاج إلى تقديم ختم سمْعه، وإنما ناسبه عقوبة أخرى تُقدَّم على ما سواها وهي﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، بالتصريح بالفعل﴿خَتَمَ﴾، ولم يعطف بالواو بدون الجار، ويقول:(ختم على قلوبهم وسمْعهم) حتى لا يفهمَ أنَّ ختْمَ قلوبهم وسمْعهم خَتْمٌ واحدٌ، وكرّر الجار﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾للإشعار بأنهم خَتمين شديدين مختلفين، ولم يصرح بالفعل(ختم) مع سمْعهم؛ لأنه مفهوم بقرينة تكرار حرف الجر، واستواء الإنذار عندهم وعدمه.

وتقديم(السمْع) على(القلب) في آية سورة الجاثية يتناسب مع سياقها فقَبْلها قوله تعالى:﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، والهوى وصف القلب فكان اتخاذه إلهه هواه بمثابة عقد قلبه على هواه الصارف له عن الاهتداء فكان ذلك العَقد صَارفًا السمع عن تلقي الآيات فَقُدِّمَ لإفَادةِ أنهم كالمختوم على سمْعهم، ثم عطف عليه﴿وَقَلْبِهِۦ﴾ تكميلًا وتذكيرًا بذلك العقد الصارف للسمْع.. والخلاصة أنَّ المتحدَّث عنهم في آية سورة البقرة هم هؤلاء أنفسهم ولكن الحديث عنهم ابتدىء بتساوي الإنذار وعدمه في جانبهم بقوله:﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٦] فلما أُريد تفصيله قدَّمَ الختم على قلوبهم؛ لأنَّه الأصل كما كان اتخاذ الهوى كالإله أصلًا في وصْف حالهم في آية سورة الجاثية. فحالة القلوب هي الأصل في الانصراف عن التلقي والنظر في الآيتين، ولكن نظْم هذه الآية كان على حسب ما يقتضيه الذِكر من الترتيب، ونظم آية البقرة كان على حسب ما يقتضيه الطبْع، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق مجازًا على القوة الباصرة وعلى العضوين وهو المراد ههنا؛ لأنه أشد مناسبة للتغطية ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ أي: غطاء ولا تَغشية على الحقيقة وإنما المراد بها إحداث حاله تجعل أبصارهم بسبب كفرهم لا تجتلى الآيات المنصوبة فى الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين وتصير كأنها غطي عليها وحِيلَ بينها وبين الإبصار وتنكير﴿غِشَٰوَةٌ﴾؛ للتفخيم والتهويل، أي أنَّ على أبصارهم ضربًا من الغشاوة خارجًا مما يتعارفه الناس وهى غشاوة التعامى عن الآيات. و﴿غِشَٰوَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر خبره المقدم قوله ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾، وإيثار الإسمية؛ للإيذان بدوام مضمونها[1]، ولَمَّا اشتركَ السمْعُ والقلبُ فى الإدراك من

(١) ينظر، تفسير أبي السعود، ٦٧/١.

جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة.

وثانيها: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنعام:٤٦].

قال الزمخشري:"﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ بأنْ يصمكم ويعميكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بأنْ يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾أي يأتيكم بذلك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه ﴿يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عن الآيات بعد ظهورها"(١). وقال الشريف الرضي:" وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾، وهذه استعارة. والمراد بالأخذ ههنا إبطال حواسهم. وإذا بطلت فكأنها قد أُخِذَتْ منهم، وغُيِّبَتْ عنهم"(٢).

جاءت جملة﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ معطوفة بـ﴿الوَاو﴾ على جملة ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ ومع أنَّ الفعلين﴿أَخَذَ﴾ و﴿خَتَمَ﴾ ماضيان إلا أنَّ الأخذ والختم لم يتحققا لوقوعهما في سياق جملة الشرط، وفاعل﴿خَتَمَ﴾ ضمير مستتر تقديره: (هو) يعود إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، وأفاد التعبيرُ بالضمير الرَّبْطَ بين جملة الشرط ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ...﴾ وما عُطِفَ عليها﴿وَخَتَمَ...﴾، والجار والمجرور ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ متعلق بـ﴿خَتَمَ﴾ وأفادت﴿عَلَىٰ﴾ جر ﴿قُلُوبِ﴾، وإضافة معنى الخَتم مصحوبًا بالاستعلاء الذي هو معنى﴿عَلَىٰ﴾ إلى﴿قُلُوبِكُم﴾، وإضافة﴿قُلُوبِ﴾ إلى ضمير المخاطبين﴿كُم﴾ أفاد تعريف هذه القلوب بأنها قلوب المخاطَبين من أهل مكة الذين يُعْرِضُونَ عن آيات الله فلا يؤمنون.

ويُلْحظ في هذه الآية:

١- أنها جَمَعَتْ بين﴿سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ في وقوعِ الفعلِ﴿أَخَذَ﴾عليهما، وبدأت بالسَّمْعِ، وعطفت عليه الأبصار، وأخَّرَتْ﴿قُلُوبِكُم﴾، وأفردتها بوقوع فِعْلٍ آخر عليها﴿خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ مصحوبًا بالاستعلاء.

---

(١) الزمخشري، الكشاف،٢/٣٤٧.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٦١.

٢- إفرادُ السَّمْعِ، وجمْع الأبصار والقلوب كما في الموضع السابق، مع اختلاف في الترتيب والحُكْم الواقع عليها.

٣- الألفاظ الثلاثة مضافة إلى ضمير المخاطبين﴿كُم﴾ في ﴿سَمْعَكُمْ - أَبْصَٰرَكُمْ - قُلُوبِكُم﴾حيث أُمِرَ رسولُ الله ﷺ أنْ يخاطبَهم في حضورهم.

٤- ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أذهبَ سمْعَكم فيحصل الصمم، وأذهب أبصاركم فيحصل العمى.

وثالثها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝﴾[الشورى: ٢٤].

قال الزمخشري:" ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل: أيتمالكون أنْ ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفِرَى وأفحشها﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فإنْ يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذبَ فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم...ومثال هذا: أنْ يَخُونَ بعضُ الأمناءِ فيقولَ لعل اللهَ خذلني لعل الله أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب. وإنما يريدُ استبعاد أنْ يخونَ مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم..."(١).

جاءت جملة:﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فعلية لا محل لها من الإعراب جواب شرط غير مقترنة بالفاء، فعلها مضارع؛ للدلالة على استمرارية نفي الختم فيما مَضَى؛ لانتفاء افترائه ﷺ الكذب فيما مَضَى، وفي الحال والاستقبال، والفاعل ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى الله ﷻ، ورَبَطَتْ أداةُ الشرط(إنْ) حصول جملة جواب الشرط بحصول جملة الشرط، وعبّر بـ﴿إِن﴾ ولم يعبّر بـ(إذا) لعدم تحقق وثبوت مشيئة(الختم) في حق رسول الله ﷺ، ومِن ثم لم يتحقق الختْم على قلبه، وفي أسلوب الشرط(فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) يُلحظ إسناد فعل المشيئة(يَشَإِ) إلى فاعله(ٱللَّهُ)؛ للدلالة على غِنَاهُ عن العَالَمين، ولم يُعَدِّهِ إلى مفعولٍ به في هذا الموضع؛ وهذا مؤداه استبعاد افتراء القرآن كَذِبًا من مثله، والإنكار عليهم قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

(١) الزمخشري، الكشاف،٥/٤٠٧.

﴿كَذِبًا﴾، وبيان أنَّ قولَهم باطلٌ، وأنَّ رسول الله ﷺ على الحق يؤكد ذلك قوله تعالى:- ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ والمعنى: إن افتريته ختم الله على قلبك ولكنك لم تكذب على ربك فلم يختم على قلبك، فالله عليم بذات الصدور وأنه هو الذي نزَّل القرآن على قلبك.

وورَدَ متضمنًا صفة(الطبع) في(تسعة) مواضع:

أولها: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:٩٣].

قال ابن فارس:" الطاء والباء والعين أصلٌ صحيح، وهو مثلٌ على نهايةٍ ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها. يقال طبَعت على الشيء طابَعًا. ثم يُقال على هذا طَبْعُ الإنسان وسجيَّتُه. ومن ذلك طَبَعَ اللهُ على قلْبِ الكافر، كأنه خَتَمَ عليه حتى لا يصل إليه هُدًى ولا نُور، فلا يُوَفَّق لخير "(١).

قال الأصفهاني: "الطَّبْعُ: أَنْ تُصَوِّرَ الشيءَ بِصورةٍ مَا، كطَبْعِ السَّكَّةِ، وطَبْعِ الدَّرَاهِمِ، وهو أَعَمُّ مِنَ الخَتْمِ وأَخَصُّ مِنَ النَّقْشِ، والطَّابَعُ والخَاتَمُ: ما يُطْبَعُ به ويُخْتَمُ "(٢).

جاءت جملة﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾لا محل لها من الإعراب معطوفة بـ﴿الواو﴾ على جملة﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ الاستئنافية التي لا محلّ لها من الإعراب، وهي جملةٌ تعليليةٌ بيَّنَتْ سبب تخصيص السبيل بالمعاتبة والمؤاخذة في كونه على المنافقين الذين يستأذنون في التخلف عن غزوة تبوك، وهم أغنياء، وأسند الفعل الماضي المبني على الفتح﴿طَبَعَ﴾ صراحة إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ للمبالغة والتأكيد على شدة الطبع وقوته أكثر من بنائه للمجهول(٣)، وعُدِّي إلى مفعوله بحرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ في قوله:﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الجارّ والمجرور المتعلّق بـ﴿طَبَعَ﴾؛ لإفادة استعلاء الطبع وتمكُّنه من﴿قُلُوبِهِمْ﴾، و﴿هِمْ﴾ ضمير متّصل في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة:﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾لا محلّ لها معطوفة على

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب العين،(طبع)، ٣/٤٣٨.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الطاء،(طبع)،٢/٣٩٣.

(٣) ينظر، د. السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)،٧٧.

جملة صلة الموصول﴿طَبَعَ ٱللَّهُ﴾، وفيها﴿الفَاء﴾ عاطفة لربْطِ المسبّب بالسبب، و﴿هُمْ﴾ ضمير منفصل مبني على السكون يعود إلى﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾، في محل رفع مبتدأ، و﴿لَا﴾ نافية، و﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون(١)، أُسند إلى فاعله﴿واو﴾ الجماعة العائد إلى(المنافقين السابق ذكرهم). والجملة الفعلية المنفية﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ﴿هُمْ﴾ أفادت استمرارية نفي العِلْمِ عنهم في الحال والاستقبال، بسبب خزلان الله لهم جرّاء أقوالهم وأفعالهم، وحُذف المفعول به للفعل﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنّ القصدَ نفي معنى العِلْم في نفسه فعلاً للمنافقين الذين رَضُوا بأنْ يكونوا مع الخوالف وهم أغنياء دون تعديته إلى مفعولٍ معينٍ، ومن ثَم لم يذكر المفعول به؛ لأن ذِكْره ينقض الغرض، ويغيّر المعنى(٢)، ونُزِّلَ الفعلُ﴿يَعْلَمُ﴾ منزلةَ اللازمِ الذي لا مفعول له(٣)، وفيه مراعاة لفواصل الآي(٤).

وثانيها: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[النحل:١٠٨].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ اسم إشارة يشير إلى الكافرين مبنيّ على الكسر في محلّ رفع مبتدأ، و﴿والكاف﴾ حرف خطاب، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلّ رفع خبر، وجملة﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ مع اتفاقها في ألفاظها مع الموضع السابق إلا أنها اختلفت عنه في أنها جملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب عيَّنت مدلول الاسم الموصول، ووضَّحَتْ معناه، وتتحدَّث الآية هنا عن الكافرين، وفي الموضع السابق عن المنافقين، وذُكِرَ هنا في حق الكافرين أن الله﴿طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾، واكتفي في حق المنافقين بذِكْر أن الله﴿طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فقط، وهنا﴿طَبَعَ﴾ فعل ماض﴿ ٱللَّهُ﴾ لفظ الجلالة فاعل مرفوع، و﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ جارّ ومجرور متعلّق بـ﴿طَبَعَ﴾، و﴿هِمْ﴾ ضمير مضاف إليه﴿الواو﴾عاطفة في المواضع الثلاثة، و﴿سَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ مثل قلوبهم معطوفان عليه بحرفي العطف﴿الواو﴾ فأفاد استعمالها اجتماع قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واشتراكها في وقوع الطبع عليها واستعلائه وتمكُّنه منها، وفي الموضع السابق

---

(١) ينظر، ابن شُقَيْر، المُحَلَّى " وجُوهُ النَّصْب"، ٢٩٩.

(٢) ينظر، الجرجاني، دلائل الإعجاز،١٥٢. – والفخر الرازي، نهاية الإيجاز،٢٠٨.

(٣) ينظر، السيوطي، الإتقان،٥٣٦.

(٤) ينظر، الزركشي، البرهان،١٤٥/٣.

ختمت الآية بقوله تعالى:﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بنفي العِلم عن المنافقين نفيًا مستمرًا، وهنا ختمت بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ جملة اسمية فيها﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، و﴿هُمُ﴾ ضمير فصل مبني لا محل له من الإعراب، و﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ خبر المبتدأ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم،أو﴿هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ جملة اسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ، وفيها﴿هُمُ﴾ ضمير فصل في محل رفع مبتدأ ثان، وخبره﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾، وفي هذا الموضع تكرار اسم الإشارة﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالطَّبْع على قلوبهم وسمْعهم وأبصارهم ثبت لهم الاختصاص بالغفلة، فجعل كل اختصاص من الاختصاصين مميز لهم عن غيرهم، بالمثابة التي لو انفردت، لكانت متميزة على انفرادها، وأعيد العاطف﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.... وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾؛ لاختلاف الخبرين، وأفاد ضمير الفصل﴿هُمُ﴾التأكيد والاختصاص، والتعريض بالكافرين المذكورين؛ ولذلك عُرِّفَ الخبر﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ بـ(أل)؛ لإفادة الحصر والاختصاص[1].

وثالثها: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾[محمد:١٦]

جاءت الجملة الفعلية﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾لا محل لها من الإعراب صلة الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾الذي جاء في محل رفع خبر المبتدأ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وقد أزالت جملة الصلة الإبهام في الاسم الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾، وعيَّنَتْ مدلولَه، ووَضَّحَتْ معناه، و﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿طَبَعَ﴾أفاد الحرف﴿عَلَىٰ﴾استعلاء الطبْع وتمكُّنه من قلوبهم جزاء نفاقهم الذي ظهر في تظاهرهم بالحرص على الاستماع، وفي قولهم بعد خروجهم، و﴿طَبَعَ﴾ فعل ماض دلَّ على تحقُّقِ الطَّبْعِ على قلوب فئة من المنافقين الذين يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ، ويظهرون الاستماع إليه نفاقًا، وهو أشد السَّمْع وأقواه، حتى إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ قالوا مستهزئين ماذا قال آنفًا؟ أي في زمن مضى قريبًا لم يبعد العهد به، وهم المشار إليهم باسم

---

(١) ينظر، السيوطي، قَطْفُ الأزهار،١/١٧٧.

الإشارة للبعيد﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ للدلالة على بُعْدِهم عن الإيمان، وبُعْدِ منزلتهم في فظاعة الحال، وجملة﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ لا محلّ لها معطوفة على جملة صلة الموصول﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالواو التي أفادت اجتماع الطبع على قلوبهم، واتباعهم أهواءهم.

وبالتدبر في هذا الموضع﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وفي الموضع السابق له﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[النحل:١٠٨] نلحظ أن:-

المبتدأ اسم الإشارة﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في الموضعين أُخبرَ عنه باسم الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾، متبوعًا بصلته﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فماذا أفاد الإخبار بالاسم الموصول وصلته؟ ولِمَ لَمْ يُخبر بالجملة الفعلية﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ مباشرة بدون الاسم الموصول؟ يوضح ذلك الجرجاني في دلائله عند حديثه عن مميزات استعمال الاسم الموصول(الذي) وصِلته بقوله:" والقولُ المبينُ في ذلك أنْ يُقَالَ: إنه إنما اجْتُلِبَ حتى إذا كانَ قد عُرِفَ رَجُلٌ بقصةٍ، وأَمْرٍ جَرَى له، فتخصَّصَ بتلك القِصَّةِ، وبذلكَ الأمرِ عندَ السامعِ، ثم أُرِيدَ القَصْدُ إليه ذُكِرَ(الذي). تفسيرُ هذا أنَّكَ لا تَصِلُ(الذي) إلا بجملةٍ مِنَ الكلامِ قد سَبَقَ مِنَ السامعِ عِلْمٌ بها، وأَمْرٌ قد عَرَفَهُ له، نحو أنْ ترى عنده رجُلًا يُنشده شِعْرًا؛ فتقول مِنْ غَدٍ: ما فعَلَ الرجلُ الذي كانَ عندكَ بالأمسِ يُنْشِدُكَ الشَّعْرَ؟"(١).

ورابعها: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝﴾[التوبة:٨٧].

جاءت جملة﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ استئنافية بيانية لا محل لها من الإعراب أفادت التعجب من سوءِ صنيعِ المنافقين أولي الغنى والسعة الذين يستأذنون من رسول الله إذا أنزلت سورة ، وذُكِرَ فيها الجهاد؛ ليتخلفوا عن الجهاد بلا عُذر، و﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ عبّر بالمصدر المؤول؛ للدلالة على استمرارية رضاهم بكونهم في الحال والاستقبال﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ مع النساء اللاتي شأنُهن القعودُ ولزومُ البيوتِ، جمعُ خالفةٍ وقيل: الخالفةُ مَنْ لا خيرَ فيه، وجملة﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾لا محل لها من الإعراب معطوفة بالواو على جملة﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾الاستئنافية، وفيها الفعل﴿طُبِعَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول؛ للعِلم بالفاعل(الله) ﷻ الذي ذُكِرَ في الموضع السابق﴿طَبَعَ ٱللَّهُ

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز،٢١٣.

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ وإشعارًا بأنه لا يتولّى الطبْعَ على قلوبهم غير الله، وأنه متفردٌ به[1]، والجار والمجرور﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ في محل رفع نائب فاعل، وعدم ذِكْرِ الفاعل أدي إلى اختزال البنية، وإبراز المعنى المراد بإسناد الفعل إلى نائب فاعل شبه جملة مكوَّن من حرف جر واسم مجرور﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ لإفادة اتصاف قلوبهم بالطبع مصحوبًا بمعنى حرف الجر﴿عَلَىٰ﴾، ونقْل معنى الطبْع مصحوبًا بمعنى الاستعلاء؛ للدلالة على تمكُّنِ الطبْع من قلوبهم وسيطرته عليها، ويرى السامرائي أن إسناد الطبع إلى الله﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أشد تمكنًا في القلب من بنائه للمجهول﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فما أُسند إليه صراحة أثبت وأقوى مما لم يسند إليه ومِنْ ثَمَّ يسند الطبع إلى الله في مواطن المبالغة والتأكيد، ويبنيه للمجهول فيما هو أقل من ذلك[2]، وخص القلب بالطبع؛ لأنه محل الفهم ولذا قال﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ بعطف جملة﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ على جملة﴿طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لإفادة الترتيب والتعقيب؛ فانتفاء الفقه عنهم مُسَبَّبٌ عن الطبع على قلوبهم، وإسناد الخبر الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع المنفي﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ إلى المبتدأ﴿هُمْ﴾ أفاد استمرارية نفْي الفقه عنهم في الحال والاستقبال في تفضيلهم القعود مع الخوالف على الجهاد، وذكر الفعل المنفي﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ مسندًا إلى فاعله﴿واو﴾ الجماعة العائد إليهم دون تعديته إلى مفعول معين؛ لنفْي الفقه عنهم في في أمر التخلف عن الجهاد، وفي كل أمر دقيق خَفِيّ.

وبالتدبر في الموضع الأول من المواضع التي جاء فيها القلبُ مجرورًا متضمنًا صفة الطبع،

في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

وفي هذا الموضع في قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

---

(١) ينظر،الزركشي، البرهان،٣/١٤٥.

(٢) السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني،٧٧.

يلحظ في الموضعين – وهما في سورة التوبة– ما يلي:–

١– جاء الفعل﴿طَبَعَ﴾ في الموضع الأول مبنيًا للمعلوم على الأصل، وذُكِرَ فاعلُه اسمًا ظاهرًا﴿ٱللَّهُ﴾؛ ليتناسب مع الفعل الذي عُطِفَ عليه﴿رَضُواْ﴾، ولعدم وجود ما يقتضي البناء للمجهول، وهنا جاء الفعل﴿طُبِعَ﴾ مبنيًّا للمجهول، ولم يُذكَر الفاعل للعِلْمِ به؛ وليتناسب مع الفعل﴿أُنزِلَ﴾ في قوله﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ في مطلع الآية(١).

٢– استعمال حرف العطف﴿الواو﴾ في الموضعين، أفاد الجمع والمشاركة بين المعطوف في الموضعين: ﴿ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ و﴿طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾، والمعطوف عليه فيهما:﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ يشعر بوجود عَلاقة بين الطبع والرضا بالكون مع الخوالف.

٣– استعمال حرف العطف﴿الفاء﴾ في الموضعين، وعطفه جملة﴿فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ على جملة﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، وجملة﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾على جملة﴿طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾أفاد الترتيب والتعقيب؛ فحدوث نَفْي العِلْم ونفْي الفقه عنهم أعقب الطَّبْعَ على قلوبهم حدثيًّا وزمنيًّا.

٤– إسناد الخبر الجملة الفعلية المنفية في الموضعين؛﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ و﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾إلى المبتدأ﴿هُمۡ﴾ العائد إلى المنافقين الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أفاد استمرارية نفي العِلْمِ ونفْي الفقه عنهم نتيجة الطبع على قلوبهم.

٥– تنزيل الفعلين المتعديين﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ و﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾ منزلة الفعل اللازم، بترك تعدية كل منهما إلى مفعول أفاد الاهتمام باستمرار نفْي العِلْم والفقه عنهم في كل حال، وبين العِلْم والفقه عموم وخصوص.

وخامسها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾[المنافقون:٣].

جملة﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها معطوفة بـ﴿الفـاء﴾على الجملة التعليلية التي لا محل لها من الإعراب:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ وفيها﴿ذَٰلِكَ﴾اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ يشير إلى سوء عمل المنافقين، و﴿البـاء﴾حرف جر أفاد السببية، والمصدر المؤول من

(١) ينظر، الزركشي، البرهان،٣/١٤٥. – وابن جماعة، كَشْفُ المَعَاني،١٩٧، ١٩٨.

﴿أَنَّ﴾المؤكّدة لتحقق اتصاف اسمها﴿هُمْ﴾ بخبرها وما عطف عليه﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ في محل جر بالباء والجار والمجرور في محل رفع خبر﴿ذَٰلِكَ﴾أي بسبب إيمانهم ثم كفرهم، و﴿الفــاء﴾حرف عطف أفاد الترتيب والتعقيب؛ فكفرهم ترتَّبَ عليه، وأعقبه الطبْع على قلوبهم أي أنَّ الطبْعَ على قلوبهم مُسَبَّبٌ عن كفرهم بعد إيمانهم، كقوله تعالى:﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[النساء:١٥٥]. و﴿طُبِعَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول دلَّ على تحقُّقِ الطبْع، و﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل، وفي قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أفاد العطف بـ﴿الفـاء﴾ الترتيب والتعقيب حدثيًّا وزمنيًّا فعدم فِقْهِهم مُسَبَّبٌ عن الطبْع على قلوبهم مترتب عليه، ويعقبه عقوبة من الله ﷻ بسبب كُفرِهِم.

وسادسها: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝﴾[الأعراف:١٠٠].

قال الشريف الرضي:"وقوله تعالى:﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ وهذه استعارة، وهي كقوله تعالى:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إلا أنَّ في الطبْع زيادة معنى فكأنه أشدُّ تأثيرًا مِنَ الختْم لقولهم طَبَعَ الضارب الدرهم إذا أثَّر فيه النقش مع صلابته، ويقول القائل ختمت الطين أو الشمع إذا أثَّر فيه ذلك مع رخاوته وبين الموضعين فَرْقٌ لطيفٌ"(١).

قال الزمخشري:" فإنْ قلت: هل يجوز أن يكون﴿نَطْبَعُ﴾ بمعنى طَبَعْنا، كما كان﴿لَوْ نَشَآءُ﴾ بمعنى لو شِئنا، ويعطف على﴿أَصَبْنَـٰهُم﴾؟ قلتُ:لا يساعد هذا المعنى؛ لأنَّ القومَ كانوا مطبوعًا على قلوبهم، موصوفين بصفةِ مَنْ قبلهم، مِن اقترافِ الذنوبِ، والإصابة بها، وهذا التفسير يؤدي إلى خلوّهم من هذه الصفة، وأنَّ الله لو شاءَ لاتصفوا بها"(٢).

وعقَّبَ أبو حيَّان على قول الزمخشري بقوله:- " وهذا الرد ظاهره الصحة، وملخصه أنَّ المعطوف على الجواب جوابٌ سواء تأوَّلنا المعطوف عليه أم المعطوف، وجواب" لو" لم يقع بعدُ، سواءً كانت حرفًا لِمَا كان سيقع لوقوع غيره أم بمعنى"إن" الشرطية، والإصابة لم تقع، والطبع على القلوب واقع فلا يصح أنْ

---

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٧٥.

(٢) الزمخشري، الكشاف،٤٨١/٢.

تَعْطِفَ على الجواب. فإنْ تُؤَوِّل﴿وَنَطْبَعُ﴾ على معنى: ونستمر على الطبع على قلوبهم أمكن التعاطف؛ لأنَّ الاستمرار لم يقع بَعْدُ، وإنْ كان الطبعُ قد وقع " قلت: هذا الوجه الأول ممتنع لما ذَكَرَه الزمخشري.
الوجه الثاني: أن يكون﴿وَنَطْبَعُ﴾ مستأنفًا ومنقطعًا عما قبله، فهو في نية خبرِ مبتدأ محذوف أي: ونحن نطبع. وهذا اختيار أبي إسحاق الزجاج والزمخشري وجماعة"[1].

جاءت جملة:﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة، ولا يجوز أن تكون﴿الواو﴾ قبل الفعل عاطفة جملة﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾على جملة جواب﴿لَوْ﴾الشرطية﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ لأنّه جواب في حيّزِ النفي ممتنع الحصول لامتناع حصول جملة الشرط، و﴿نَطْبَعُ﴾ في حيّز الإثبات إذ المراد إثباته، ولهذا كانت﴿الواو﴾استئنافيّة والجملة بعدها مستأنفة، وفيها الفعل﴿نَطْبَعُ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة أفاد الدلالة على استمرار الطبع في الحال والاستقبال، وفاعله ضمير مستتر تقديره: (نحن)عائد إلى الله ﷻ ، وعبّر به دون(أطبع)؛ للتعظيم، والجار والمجرور﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾متعلق بالفعل﴿نَطْبَعُ﴾أفاد حرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ تعدية الفعل﴿نَطْبَعُ﴾ إلى مفعوله﴿قُلُوبِهِمْ﴾، والربط المعنوي بينهما بنقل معنى الفعل ﴿نَطْبَعُ﴾ مصحوبًا بمعنى﴿عَلَىٰ﴾؛ للدلالة على استعلاء الطبع وثباته وتمكّنه من﴿قُلُوبِهِمْ﴾، وهو أشد من الختم،﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ جملة اسمية لا محل لها؛لأنها معطوفة على جملة﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، واستعمال (الفاء) هنا إيذانًا بتعقيب عدم سماعهم على أثر الطبع على قلوبهم، و﴿هُمْ﴾ ضمير الغائبين المنفصل في محل رفع مبتدأ، وخبره الجملة الفعلية المنفية﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ الدالة على استمرار نفي السماع عنهم في الحال والاستقبال، وحُذِفَ المفعولُ به اقتصارًا؛ لأنَّ الغرضَ نفي وقوع السمع عن فاعله﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ لو يشاء الله، فاقتصر على الفعل والفاعل، ونُزِّلَ الفعل منزلة اللازم الذي لا مفعول له؛ لأنَّ الغرض ليس تعيين مَنْ أوقع عليه الفعل[2].
وسابعها: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾[يونس:٧٤].

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط،٤/٣٥٢.
(٢) ينظر، السيوطي، معترك الأقران،١/٢٣٤.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يفيد التراخي،﴿بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾أي من بعد نوح عليه السلام ﴿رُسُلًا﴾، ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ جارّ ومجرور متعلّق بـ﴿ بَعَثْنَا ﴾، وإضافة﴿قَوْمِ﴾ إلى ضمير جمع الغائبين﴿هِمْ﴾ العائد إلى رُسلهم أفاد أن كل رسول بعث إلى قومه خاصة، وأفاد التعبير بـ﴿قَوْمِ﴾ دون أقوامهم اشتراك الموصوفين بصفات قومية واحدة تجمعهم تتضمن الجحد والإنكار الشديد للبينات، وثبات صفة الاعتداء لهم حتى عُرِفُوا به، والطبع العظيم المتمكن من قلوبهم عقوبة لهم، ولمن اتصف بصفتهم،﴿فَجَآءُوهُم﴾ أى جاء كل رسول قومه المخصوصين به﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾حذف الموصوف بـ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ ليشمل كل ما جاءوا به من معجزات وآيات ودلائل وشرائع مثبتة لدعواهم، فكان من أقوامهم الجحد والإنكار والتكذيب﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾، و﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة أفادت العموم والشمول لكل ما جاءت به رسلهم، واستمرار تكذيبهم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع على قلوب من كذبوا من أقوام الرسل السابقين المنتفى عنهم الايمان كذلك ﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين باختيار الإصرار على الكفر الآتين بعدهم﴿الكاف﴾ في محل نصب صفة لمصدر محذوف أي مِثل ذلك الطبع المُحكم الممتنع زواله﴿نَطْبَعُ﴾، والفاعل مستتر تقديره﴿نحن﴾ يعود إلى الله،عبّر به للتعظيم، و﴿عَلَىٰ قُلُوبِ﴾جارّ ومجرور متعلّق بـ﴿نَطْبَعُ﴾، وأُضيف الاسم المجرور ﴿قُلُوبِ﴾ إلى﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المضاف إليه المجرور وعلامة جره الياء؛ فاكتسب منه التعريف ، وأفاد استمرارية الطبع على قلوب المتصفين بالاعتداء في الحال والاستقبال مثلما طبع على قلوب المعتدين من الأمم السابقة.

وثامنها: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾[الأعراف:١٠١].

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعنى قرى الأمم السابق ذِكرهم فاللام للعهد، وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم شعيب، ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾،﴿مِنْ﴾ للتبعيض أى بعض أخبارها التى فيها عظة وتذكير؛ تسلية لك وتثبيتًا لفؤادك، وتأييدًا لصدقك فى دعوتك، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ﴿الباء﴾ متعلقة إما بالفعل المذكور على أنها للتعدية وإما بمحذوف وقع حالا من فاعله أى ملتبسين بالبينات أي بالدلائل الدالة على صِدْقهم، فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات من رسلهم بما كانوا قد كذبوا به قبل رؤيتها منهم،﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ

﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ﴿الكاف﴾ حرف جرّ، أو اسم بمعنى(مِثل) فتكون الكاف مع مدخولها في محل نصب صفة لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع العجيب على قلوب أهل القرى المنتفى عنهم الإيمان كذلك يطبع الله على قلوب الكفرة الآتين بعدهم، وجاء الفعل﴿يَطْبَعُ﴾ مضارعًا للدلالة على الطبع في الحال والاستقبال لقلوب الكافرين، ومرفوعًا، وعلامة رفعه الضمة؛ لتجرده مِن الناصب أو الجازم؛ ومسندًا إلى فاعله الاسم الظاهر لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ دون إضماره؛ للتنبيه على أنه طبْعٌ رهيبٌ لا يغادِر للهُدَى منفذًا إلى قلوبهم، ولهذا اختير له الفعل المضارع الدال على استمرار الطبع وتجدده، و﴿عَلَىٰ قُلُوبِ﴾ جارّ ومجرور متعلّق بالفعل﴿يَطْبَعُ﴾، وعُدِّيَ الفعل بحرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ مع إمكانية تعديته بنفْسِهِ؛ للدلالةِ على استعلاء الطبع، وتمكُّنه من﴿قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، واكتسب المضاف﴿قُلُوبِ﴾ من إضافته إلى ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ التعريف، ولم يعبّر بالضمير(هم) العائد على أهل القرى السابق ذكرهم، فيقول:(قلوبهم) كما في قوله تعالى في نفس الآية:﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ حتى لا يخصص الطبْع بقلوب مَنْ ذُكِرَ دون غيرهم، فـ(أل) التعريف في﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(أل) تعريف الجنس؛ لإفادةِ الاستغراق لجنس الكافرين، أي: جميع الكافرين ممن ذُكِرَ وغيرهم في الحال والاستقبال.

وتاسعها: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[الروم:٥٩].

جاءت جملة: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ متفقة مع الموضع السابق﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الكافرين﴾ في أنها تتحدَّثُ عن الكافرين، وفي إثبات طبْع فظيع بصيغة المضارع المسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، وبعده الجار﴿عَلَىٰ﴾الذي أفاد استعلاء الطبْع وتمكُّنه من الاسم المجرور ﴿قُلُوبِ﴾، المضاف إلى معرف بـ(أل) في الموضع السابق﴿قُلُوبِ الكافرين﴾، وإلى الاسم الموصول وصلته﴿قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾-هنا-، وأكسبت الإضافة في الموضعين المضاف﴿قُلُوبِ﴾ التعريف، وعبّر هنا بالاسم الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾، وبعده صلته الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع المنفي المتعدي دون ذِكْر أي مفعول له؛ لأنَّ القصدَ نفْيُ معنى العِلْم في نفْسه فعلاً للكافرين، والتعبير بالفعل المضارع المنفي ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ للدلالة على استمرارية نفْي العِلْم عنهم في الحال والاستقبال، ولم يضف﴿قُلُوبِ﴾ إلى

الضمير(هم)، ويقول(قلوبهم) مع تقدُّم التصريح بهم في الآية السابقة﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾؛ ذمًّا لهم بما في حيّز الصلة﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وإشعارًا بعِلة الطبع على قلوبهم، أي بلَغوا من التكذيب والإصرار على الكفر إلى أنهم﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ لا يكتفون بكفرهم بها بل يقولون:﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ وزعمهم هذا رتبةٌ من الكفر لا غاية وراءها،استحقوا أن يوضع الموصول وصلته موضع الضمير؛ لزيادة وصْفهم بانتفاء العِلم عنهم بعد أنْ وصفوا: بالمجرمين، والذين ظلموا، والذين كفروا، كما لم يعبر عنهم بدون الموصول وصلته، ويقول(قلوب الجاهلين) حتى لا يثبت لهم صفة الجهل، وحتى لا يثبت لهم عذر بجهلهم، فالتعبير بالاسم الموصول﴿الَّذِينَ﴾، وصِلته التي لا محل لها من الإعراب﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾،التي أزالت إبهام الموصول، وعيَّنت المقصود منه أفاد معرفة السامعين من المؤمنين لهؤلاء الكافرين الموصوفين بالذين لايعلمون؛ لسبْق وصفهم بصفات عُرفوا بها، فقولهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾أبان عن قساوة قلوبهم، وفرْط عنادهم، وسبب الطبْع على قلوبهم؛ أنهم الذين كفروا باختيارهم، وأنهم الذين لا يعلمون عِلْمًا يحصل لهم به إيمان وهداية مع كثرة الأمثال والآيات التي جاءتهم.

وورد متضمنًا صفة(الأكنة) المانعة من الفقه في(ثلاثة) مواضع:

أولها: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾[الأنعام:٢٥]

جاءت جملة﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾لا محلّ لها استئنافية﴿الواو﴾استئنافية﴿مِنْ﴾حرف جر؛ للتبعيض و﴿هُم﴾ ضمير يعود إلى الذين أشركوا، في محلّ جر متعلق بمحذوف خبر مقدم، ويجوز أن يكون نعتا لمبتدأ محذوف، والتقدير: بعضٌ منهم مَن يستمع... وحينئذ يصبح الاسم الموصول خبرًا، و﴿مَن﴾ اسم موصول مبني في محلّ رفع مبتدأ﴿يَسْتَمِعُ﴾ مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: (هو) عائد إلى لفظ﴿مَن﴾ دون معناه، روي أن مَنْ يستمع كان أبو سفيانَ والوليدُ والنضْرُ وعُتبةُ وشيبةُ وأبو جهلٍ وأضرابُهم يستمعون تلاوةَ رسول اللهﷺ، فيقول النضر:" أساطير الأولين مثلَ ما حدثتُكم من القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني لأراه حقًا، وماتوا كُلُّهُمْ على الشرك، عدا أبا سفيان لعله أسلم ببركة

قوله:"إني لأراه حقًّا"(١)، و﴿إِلَيْ﴾ حرف جر ﴿الكاف﴾ ضمير المخاطَب العائد إلى رسول الله ﷺ في محلّ جر متعلق بـ ﴿يَسْتَمِعُ﴾.

وجملة﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لا محلّ لها معطوفة على جملة﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الاستئنافيّة، ويجوز أنْ تكون الجملة منصوبة على الحال بتقدير:(قد)، أي ومنهم من يستمع إليك وقد جعلنا على قلوبهم أكنةً، قال السيوطي:"﴿وَجَعَلْنَا﴾ قيل: هي حالية، وقيل: عطف على الجملة الاسمية"(٢). وقال الزمخشري:"﴿جَعَلَ﴾ يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ إذا كان بمعنى أَحْدَثَ وأَنْشَأَ كقوله:﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[الأنعام:١]، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صَيَّرَ كقوله:﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[الزخرف:١٩]، والفرْق بين الخَلْق والجَعْل: أنَّ الخلْق فيه معنى التقدير وفي الجعْل معنى التضمين والتصيير كإنشاء شيءٍ من شيءٍ أو تصيير شيء شيئًا أو نقله من مكان إلى مكان"(٣).

وقال ابنُ عاشور في الفرق بين﴿جَعَلَ﴾ و﴿خَلَقَ﴾:" فإنَّ الزوجَ وهو الأنثى مراعى في إيجاده أنْ يكون تكملة لخَلْقِ الذَّكَرِ ولذلك عقّبه بقوله:﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الأعراف: ١٨٩] والخَلْقُ أعمّ في الإطلاق ولذلك قال تعالى في آية أخرى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء:١]؛ لأنَّ كلَّ تكوينٍ لا يخلو مِنْ تقديرٍ ونظامٍ"(٤)، وقال: "إنّ لكلّ كلمة مع صاحبتها مقامًا،... ففعل﴿خَلَقَ﴾أليق بإيجاد الذوات، وفعل﴿جَعَلَ﴾ أليق بإيجاد أعراض الذوات وأحوالها ونظامها"(٥).

ويرجح الباحثُ أن﴿جَعَلْنَا﴾ هنا بمعنى أحدثْنا وأنشأنا وصيَّرْنا، عقوبة لهم على تركهم الإيمان مع رؤية الآيات، ومجادلتهم رسول الله ﷺ ، واستمرارهم على تكذيب القرآن كما حكى الله ﷻ عنهم: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، وعبَرَ بالفعل الماضي﴿جَعَلْنَا﴾؛ للدلالة على التحقق والثبوت، وهو

---

(١) ينظر، الزمخشري، الكشاف،٣٣٣/٢. - و الفخر الرازي، التفسير الكبير،١٩٥/١٢، ١٩٦.

(٢) السيوطي، قَطْفُ الأزهارِ،٨٦٣/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف،٣٢٠/٢.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير،١٢٧/٧.

(٥) المرجع السابق،١٢٧/٧.

فعل ماض مبني على السكون؛ لإسناده إلى فاعله الضمير ﴿نَا﴾ العائد إلى الله ﷻ، وعبر به للتعظيم، قال الزمخشري: "والأكنة على القلوب والوقر في الآذان: مَثَلٌ في نبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله:﴿جَعَلْنَا﴾؛ للدلالة على أنه أمرٌ ثابتٌ فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه. أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم"(١).

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ من الجَعْل بمعنى الإنشاء والتصيير، وكلا من قوله:﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وقوله: ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ يتعلّق بِ ﴿جَعَلْنَا﴾، وقدّم كلّ منهما على مفْعول﴿جَعَلْنَا﴾؛ للتنبيه على تعلّق الجعل بقلوبهم من أول الأمر، وتخصيص قلوبهم بهذا الجعل، واستعمال﴿عَلَىٰ﴾أفاد استعلاء الأكنة على قلوبهم، وتمكُّنها منها، ورد على من زعموا أنَّ قلوبَهم في أكنةٍ تمنعهم من الإيمان:﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾[فصلت:٥]، وربطت﴿عَلَىٰ﴾ معنى جملة(جَعَلْنَا أَكِنَّةً) بمجرورها﴿قُلُوبِهِمْ﴾ مصحوبًا بمعنى ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ متعلقٌ بالفعل﴿جَعَلَ﴾على أنه مفعوله الثاني، إذا اعتبرنا جعلنا للتصيير، وأما إذا كانت بمعنى خَلَقْنَا فتتعدَّى لواحد وهو﴿أَكِنَّةً﴾، والجار والمجرور﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال منه، لأنهما لو تأخرا لوقعا صفة له، والضمير﴿هِمْ﴾ في﴿قُلُوبِهِمْ﴾ راجعٌ إلى معنى الاسم الموصول﴿مَن﴾ دون لفظه؛ و﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كِنان وهو ما يُستر به الشيءُ، وتنوينُها للتفخيم، فهي أغطيةٌ كثيرةٌ لا يُقادَرُ قدرُها خارجةً عما يتعارفه الناس، والمصدر المؤول﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ في محل نصب مفعول لأجله على حذف مضاف، أي: كراهية أن يفقهوه، وهو مسببٌ عن جعل الأكنة على قلوبهم،عقوبة لهم. وفيه﴿أَن﴾حرف مصدري ونصب﴿يَفْقَهُوهُ﴾ فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، و﴿واو﴾الجماعة ضمير مبني في محل رفع فاعل و﴿هاء﴾ المفرد الغائب عائد للقرآن الكريم؛ لدلالة الحال عليه، أو له في قوله:﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾[الأنعام:١٩]، وهو ضمير مبني في محل نصب مفعول به، وأفاد التعبير بالمصدر المؤول دون الصريح النفي المستمر لحدوث الفقه منهم.

---

(١) الزمخشري، الكشاف،٢/٣٣٣، ٣٣٤.

وثانيها: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ۝﴾[الإسراء:٤٦].

قال الشريف الرضي: " وقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ وهذه استعارة ؛ لأنه ليس هناك على الحقيقة كِنان على قلب ولا وَقر في سمع، وإنما المراد به أنهم لاستثقالهم سماع القرآن عند أمر الله تعالى نبيه ﷺ بتلاوته على أسماعهم، وإفراغه في آذانهم كالذين على قلوبهم أكنَّة دون عِلمهم، وفي آذانهم وقر دون فهمهم، وإن كانوا من قبل نفوسهم أتوا، وبسوء اختيارهم أُخذوا، ولو لم يكن الأمر كذلك لما ذموا على إطراحه، ولعذروا بالإضراب عن استماعه"(١).

جاءت جملة﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ﴾ متفقة في ألفاظها مع الموضع السابق، ولا محل لها من الإعراب حيث عُطفت بـ﴿الواو﴾على جملة جواب الشرط غير الجازم التي لا محل لها من الإعراب في قوله تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[الإسراء:٤٥]، وتكرار فِعْل الجعْل﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾،﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ يؤذن بأن هذا جعْل آخر فيرجّح أنْ يكون جعل الحجاب المستور؛ منعًا للإضرار، ويكون هذا جعل عدم التدبر في القرآن منعًا لفقه القرآن، والمصدر المؤوّل﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ في محلّ نصب مفعول لأجله بحذف مضاف، تقديره: "خشية أو كراهة" أنْ يفقهوه، وهذا التقدير عند البصريين، وتقديره:"لئلا" يفقهوه عند الكوفيين ولا يرضاه البصريون لقلة حذف(لا) بالنسبة إلى حذف المضاف، والمعنيان واحدٌ كما يقول الزجّاج: " ومعنى﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أنْ يفقهوه، وقيل معناه ألَّا يفقهوه، والمعنيان واحدٌ، غير أنَّ "كراهة" أجودُ في العربية"(٢).

وثالثها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ۝﴾[الكهف:٥٧].

---

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان، ١٥٠، ١٥١.

(٢) الزجَاجُ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي،(ت٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق،عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط١(١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م)،٢٤٣/٣.

جاءت الجملة الاسمية المنسوخة﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾لا محلّ لها تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوعٌ على قلوبهم، مؤكَّدة بالحرف الناسخ المشبَّه بالفعل﴿إِنَّ﴾؛ للتوكيد على نسبة مضمون الخبر﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ إلى اسمها الضمير المبني في محل نصب﴿نَا﴾التعظيمية العائد إلى الله ﷻ، وجملة:﴿جَعَلْنَا﴾ في محلّ رفع خبر﴿إِنَّ﴾، والقائل:﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ في الكهف هو الله ﷻ، والسياق فى الكهف للعظمة فيناسبه حرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾،﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أغطية جمع كنان وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يقفوا على كُنْهِ الآيات وتوحيد الضمير باعتبار القرآن وفيه إشارة إلى أنَّ أهل اللغو والهذيان لا يصيخون إلى القرآن.

<u>وورد متضمنًا صفة(الشَّدّ) في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ <u>وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ</u> فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾[يونس:٨٨]

قال ابن فارس:"(شَدَّ) الشين والدال أَصْلٌ واحدٌ يدلُّ على قُوةٍ في الشَّيءِ، وفروعُه تَرْجِعُ إليه. مِن ذلك شَدَدْتُ العقدَ شَدًّا أَشُدُّهُ. والشَّدَّةُ: المرَّةُ الواحدة"(١). وقال الأصفهاني:"الشَّدُّ: العَقْدُ القَوِيُّ. يقال: شددتُ الشيءَ: قَوَّيْتُ عَقْدَهُ، قال الله:﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾[الإنسان:٢٨]،﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾[محمد:٤]. والشِّدَّةُ تُسْتَعْمَلُ في العَقْدِ، وفي البَدَنِ، وفي قُوَى النَّفْسِ، وفي العذابِ، قال:﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[فاطر:٤٤]،﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[النجم:٥]، يعني: جبريل عليه السلام، وقال تعالى:﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[التحريم:٦]، وقال:﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾[الحشر:١٤]"(٢). وجعل الشيخ العز(الشد) من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني في القرآن، وجعله نظير(الربط)، وقال:"ومثاله في قوله:﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: واشدد على كُفْرِ قلوبهم حتى لا يخرج منها، كما يشد على الأوعية بالأوكية؛ حِفْظًا لما فيها؛ شبَّه القلوبَ بالأوعية،

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الشين،(شَدَّ)،١٧٩/٣.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الشين،(شَدَّ)،٣٣٨/١.

وشبَّه ما خَلَقَهُ فيها من موانع الإيمان بالشدِ على وعاءٍ جُعِلَ فيه شيءٌ، وهو من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني"(١).

قال ابن قتيبة:"﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: قَسِّهَا.وفي تفسير الطبري:" فإنه يعني واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالإيمان"(٢).

وقال الشريف الرضي:" وقوله تعالى:﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ استعارة أخرى إما أنْ يكون المراد بها الختم والطبع؛ لأنَّ معنى الشد يرجع إلى ذلك أو يكون المراد بها تثقيل العقاب على القلوب بالإيلام لها، ومضاعفة الغم والكرب عليها، ويكون ذلك على معنى قول النبي– صلى الله عليه وآله–:"(اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ) أي اغلظ عليهم عقابك، وضاعف عليهم لأواءك"(٣).

جاءت جملة﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ الفعلية لا محل لها من الإعراب معطوفة بالواو على جملة ﴿ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ التي لا محلَ لها جواب النداء الثالث﴿رَبَّنَا﴾، وافتتح موسى﷤ الدعاءَ بالنداء﴿رَبَّنَا﴾، وكرره ثلاث مرات بدون(ياء) النداء؛ للتأكيد على قُرْبِ الله مِنَ الداعي؛ ودعا الله بلفظ﴿رَبَّنَا﴾؛ لمناسبته لمقام الدعاء بوصف الربوبية؛ لإظهار العبودية وللتأكيد على التذلل والتعرض للإجابة ولإظهار التبرؤ من قَصد الاعتراض، وفيه﴿رَبَّ﴾ منادى مضاف منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة أضيف إلى ضمير﴿نَا﴾ التعظيمية العائد إلى الله ﷻ فأفادَتِ الإضافةُ التشريفَ، و﴿ٱشۡدُدۡ﴾ فعل أمر دعائيّ، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) يعود إلى﴿رَبَّنَا﴾، و﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾جارّ ومجرور متعلّق بـ ﴿ٱشۡدُدۡ﴾ وهو فعل أمر من الثلاثي المضعَّف(شدَّ) مبني على السكون، وهو يتعدى بنَفْسِهِ، كَاشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، واستعمال حرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ جعل المفعول في المعنى اسمًا مجرورًا بعلى، وعلامة جره الكسرة، وأضاف معنى الفعل﴿ٱشۡدُدۡ﴾ إلى﴿قُلُوبِهِمۡ﴾ مصحوبًا بمعنى الحرف﴿عَلَىٰ﴾ الاستعلاء؛ للدلالةِ على قوة الشدِ، وتمكُّنه من قلوبهم، و﴿هِمۡ﴾ ضمير الغائبين عائد إلى فرعون وملئه في محل جر مضاف إليه.

---

(١) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٦٣.

(٢) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،١٩٨.

(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،١٠٠.

وورد متضمنا صفة(الأقفال) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد:٢٤].

قال الأصفهاني: " القُفْلُ جَمْعُهُ: أَقْفَالٌ. يُقالُ: أَقْفَلْتُ البابَ، وقد جُعِلَ ذلكَ مَثَلا لكُلِّ مَانِعٍ للإنسانِ مِنْ تَعَاطِي فِعْلٍ، فيُقالُ: فلانٌ مُقْفَلٌ عن كَذَا. قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤] وقيل للبخيلِ: مُقْفَلُ اليدينِ، كما يقال: مَغْلُولُ اليدينِ"[١].

وقد جعل الشيخ العز قوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ من مجاز تشبيه المعاني بالأجرام؛ فقال: " قال مجاهد: وهو أشدها، وصَدَقَ– رحمه الله–؛ فإنَّ جميعَ ما تقدَّمَ ذِكْرُهُ سهلُ الإزالةِ بخلاف الأقفال؛ لأنَّ تعسر خروج ما تحت الأقفال أشد من تعسر خروج ما تحت الطبع والختم والرين؛ شبَّه قلوبهم بالخزائن ، وشبَّه موانع خروجها من القلوب بأقفال على خزائن تمنع من إخراج ما فيها، وهذا تصريح بأنْ الله هو الذي يمنعهم من الإيمان بما خَلَقَ في قلوبهم من موانعه وأضداده، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالأجرام"[٢].

وقال الشريف الرضي: " وقوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ وهذه استعارة والمراد أم قلوبهم كالأبواب المقفلة لا تنفتح لوعظ واعظ، ولا يلج فيها عذل عاذل، وفي لغة العرب يقول القائل إذا وصفَ نفْسه بضيق الصدر، وتشعب الفكر قلبي مقفل، وصدري ضيّق، وإذا وصف غيره بضد هذه الصفات قال انفتح قلبُه، وانفسح صدرُه، وقد يجوز أنْ يكون المعنى أنَّ أسماعَهم لا تعي قولًا، ولا تسمع عذلًا، وإنما شبهت الأسماع بالأقفال على القلوب؛ لأنها أبواب عليها، وطرق فهمها، فإذا عرضت على الأسماع كانت كالأقفال الموثقة، والأبواب المغلقة"[٣]، وقال الشوكاني:"﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أم هي المنقطعة أي: بل أَعلى قلوبٍ أقفالُها؟ فهم لا يفهمون ولا يعقلون... والأقفال استعارة لانغلاق القلب عن

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب القاف،(قفل)،٢/٥٢٩.

(٢) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٦٧، ١٦٨.

(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٢٨٦.

معرفة الحق، وإضافة الأقفال إلى القلوب للتنبيه على أنَّ المراد بها: ما هو للقلب بمنزلة الأقفال للأبواب"(١).

جاءت جملة:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ استفهامية؛ توبيخًا للمنافقين المذكورين على تركهم تدبُّر القرآن، وفيها﴿الهمزة﴾للاستفهام التوبيخيّ، و﴿الفاء﴾إما عاطفة على استئناف مقدّر أي: أغفلوا فلا يتدبّرون أو استئنافيّة، وفي الحالتين جملة:﴿ لَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾لا محلّ لها معطوفة أو استئنافيّة، وفيها ﴿لَا﴾ نافية نفت التدبر في الحال والاستقبال الذي دل عليه الفعل المضارع المرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾ ؛لأنه من الأفعال الخمسة، وبعدها جملة:﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾لا محلّ لهااستئنافيّة.

وقال الألوسي:"﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ تمثيل لعدم وصول الذِّكرِ إليها وانكشاف الأمر لها فكأنه قيل: أفلا يتدبرون القرآن إذ وصل إلى قلوبهم أم لم يصل إليها؟ فتكون﴿أَمْ﴾ متصلة على مذهب سيبويه، وظاهر كلام بعض اختياره. وذهب أبو حيان وجماعة إلى أنها منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بترك التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفك(٢)، والجار والمجرور﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ متعلّق بخبر مقدّم وجوبًا للمبتدأ ﴿أَقْفَالُهَآ﴾أفادت﴿عَلَىٰ﴾استعلاء أقفال هذه القلوب وتمكّنها منها فلا يدخلها ما ليس فيها مِنْ إيمانٍ، ولا يخرج منها ما ليس فيها مِنْ نفاقٍ وكفرٍ، وتنكير﴿قُلُوبٍ﴾ إما لتهويل حالها، وتفظيع شأنها بإبهام أمرها فى الفساد والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها فى القسوة، وإما لأنَّ المرادَ قلوب بعض منهم وهم المنافقون(٣)، و﴿أَقْفَالُهَآ﴾ مركّب إضافي أُضيفَ المبتدأ﴿أَقْفَالُ﴾إلى ضمير المفردة الغائبة﴿هَآ﴾ العائد إلى﴿قُلُوبٍ﴾، وأفادت إضافة الأقفال إليها الدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها ملازمة لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة(٤) التى من الحديد إذ هى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح. قال القاسمي:" وتنكير(القُلُوبِ)؛ للإشعار بفرْط جهالتها ونكرها،

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فَنَّيَ الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق، يوسف الغُوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٤(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)،١٣٧٧.

(٢) ينظر، الألوسي، روح المعاني،٧٤/٢٦.

(٣) ينظر، تفسير أبي السعود،١٤٨/٥.

(٤) ينظر، الألوسي، روح المعاني،٧٤/٢٦.

كأنها مبهمةٌ منكورةٌ. و(الأقفال) مجاز عما يمنع الوصول. وإضافتها إلى القلوب؛ لإفادة الاختصاص المميز لها عما عداها؛ وللإشارة إلى أنها لا تشبه الأقفال المعروفة، إذ لا يمكن فتحها أبدًا"(١).

ويرى الباحثُ أنَّ كثرةَ تغاير أوصاف القلوب، توصف بالختم في مواضع، وبالرين في مواضع، وبالطبع في مواضع، وبأنَّ عليها أقفالها، وغير ذلك من أوصاف يُرَجِّحُ كونها أوصاف حقيقية تتناسب مع القلوب، وأنها من آيات الله في أنفسنا، التي وعد الله أنه سيريها لنا، فلا ينبغي الإسراع إلى إنكار حقيقة هذه الأوصاف، ونقلها إلى المجاز لعدم توصل العِلْم إلى حقيقتها حتى الآن، وسواء أكانت هذه الأوصاف حقيقةً أم مجازًا فإنَّ المسبَّبَ عنها واحدٌ هو استمرار انغلاقهاعلى ما فيها من نفاق وكُفر، وامتناعها عن قبول ما ليس فيها من هدى وإيمان.

النمط الثالث: [حرف جر"عن" + اسم مجرور]:

(عن): حرف جر يجر الاسم الظاهر والمضمر، و(عن) أعم من(علَى)؛ لأنَّ معنى(علَى) من حيث الاستخدام الاستعلاء في اتجاه واحدٍ من أعلى إلى أسفل، أما(عن) فهي تُستخدَم في الجهات الست.

***الوظيفة النحوية والدلالية لحرف الجر(عن):**

١- جر آخر الاسم الذي يليها، جرا ظاهرا أو مقدرا أو محليا.

٢- تعدية عامله اللازم إلى مفعول به في الحُكم أو في المعنى، ومفعولها في المعنى هو الاسم المجرور بها.

٣- الربْط المعنوي(٢) فهي توصل معنى عاملها الذي قبلها(الفعل) أو شبهه إلى الاسم المجرور بعدها.

٤- نقْل وإضافة معنى(عن) الدلالي الأصلي وهو المجاوزة، وما يصحبه من معان تُستفاد من خصوصية كل سياق ترد فيه إلى الاسم المجرور بها.

معنى(عن) الجارة الأصلي المجاوزة وهو أصل معانيها عند النحاة، بحيث لا يكون لها معنى آخر إلا وفيه أثر من معنى المجاوزة؛ ولهذا اقتصر عليه البصريون فلم يذكُرُوا لـ(عن) معنى آخر غير المجاوزة.

---

(١) القاسمي، عَلّامة الشام، محمد جمال الدين القاسمي(ت ١٣٣٢هـ)، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١(١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م)،١٥/٥٣٨٧.

(٢) ينظر، الملك الصالح إسماعيل الأيوبي، الكناش،٢/٧٠.

ومعناه: البُعد، أي: بُعْدُ شيءٍ عن المجرور بها، ويكون حقيقة في الأجسام، نحو:" رميت السهم عن القوس".أي باعدْتُ السهم عن القوس بسبب الرمي، ومجازًا في المعاني، نحو:" أخَذْتُ العِلْمَ عن زيدٍ"(١)، وهو يقتضي مجاوزةِ ما أُضِيفَ إليه نحو غيره. وذَكَرَ كثيرٌ من النحاة أنَّ(عن) تتناوب مع حروف جر أخرى. ويرى الباحثُ أنَّ التشابهَ في المعاني لا يعني التناوب في الاستخدام، فلكُلِّ حرفٍ معناه الأصلي الذي يميزه عن غيره من الحروف.

*أبرز المعاني التي ذكرها النحاة لحرف الجر(عن):

١- الاستعانة والإلصاق:

(عن) بمعنى باء الاستعانة، إذا كان ما بعدها آلة لما قبلها، نحو: رميتُ عن القوس. أي: بالقوس. ويرى المُطَرِّزِي أن(عن) هنا على أصلها، البُعْد والمجاوزة(٢)، أما رميت بالقوس فتدل على الاهتمام بالآلة التي استعان بها على الرمي، وكذلك الجرجاني جعل(عن) في المثال السابق للمجاوزة وقد سَمَّاها التعدِّي حيث قال:"و(عن) ومعناه التعدِّي كقولك: رَمَيْتُ عَنِ الْقَوْسِ"(٣).

٢- البدلية(٤): إذا صلحت كلمة(بدل) موضع(عن)، نحو قوله تعالى:﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨]، أي: بدل نفس، وكقوله ﷺ :" فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ"(٥)، أي: بدلها.

٣- البَعْدِيَّة: إذا صلحت كلمة(بَعْدَ) موضعها، نحو قوله تعالى:﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[الانشقاق:١٩]، وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[النساء:٤٦]، أي: من بعد مواضعه، و" نحو قولك: " أطعمته عن جوعٍ، وأمنته عن خوفٍ، أي: بعد جوعٍ، وبعد خوفٍ"(٦).

---

(١) ينظر، الخطيب الشربيني، الإمام العلامة الفقيه الوليّ شمس الدين محمد بن أحمد الخَطيب الشربيني(ت٩٧٧هـ)، نُورُ السَّجِيَّةِ فِي حَلِّ أَلْفَاظِ الأَجْرُومِيَّةِ، عُنِيَ به الشيخ سيد بن شلتوت الشافعي، دار المنهاج، جدة- السعودية، ط١(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)،٦٨. - والفاضل الهندي، شرح العوامل في النحو،٢٨.

(٢) ينظر، المُطَرِّزِيّ، المِصْبَاحُ فِي عِلْمِ النَّحْوِ،٨٤.

(٣) الجرجاني، الجُمل،٢٦.

(٤) ينظر، السيوطي، معترك الأقران،٢/٦٢٤.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت، رقم(١٥٦)، المجلد الأول،٥١٠.

(٦) المَالَقِيّ، رَصْفُ المباني،٤٣٠.

٤- التعليلية والسببية:

إذا كانت (عن) بمعنى(لام) التعليل أو السببية؛ فيكون ما بعدها سببًا وعلّة لما قبلها، كقوله تعالى:﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾[هود:٥٣]، أي: بسببه وقوله ﷻ:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[النجم:٣] أي بالهوى.

٥- الابتدائية:(١)

إذا جاءت(عن) بمعنى(مِن) الدالة أصلًا على ابتداء الغاية، نحو:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[الشورى:٢٥]، أي: منهم. وحمل السيوطي الآية على التضمين فقال:" ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾. عُدِّيَتْ بـ﴿عَنْ﴾؛ لتضمينها معنى العفو والصفح"(٢)، وذَكَرَ البيضاوي أن قبول التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه، والقبول يُعَدَّى إلى مفعولٍ ثانٍ بمِنْ وعَنْ؛ لتضمنه معنى الأخذ والإبانة(٣)؛ فالفعل قَبِلَ يُعدَّى بمِنْ فيُقال: قَبِلْتُهُ منه أي أخذته، ولتضمنه معنى الإبانة يُعَدَّى بعَنْ فيُقَال: قَبِلْتُهُ عنه أي أزلته وأبنته عنه.

والذي يراه الباحثُ أن﴿عَنْ﴾لا تكون بمعنى حرف من حروف الجر الأخرى من كل وجه، فـ﴿عَنْ﴾ في الموضع الأخير إذا كانت تعطي معنى(مِن)الجارة التي هي لابتداء الغاية إلا أن﴿عَنْ﴾ تعطي في الآية معنى لا تعطيه(مِنْ)، وهو أن الله يقبل التوبة من عباده متجاوزًا عنهم، كما أنه إذا عبر بـ "يقبل التوبة من عباده" قد يظن ظانٌّ أنَّ ابتداء التوبة منهم، وهذا غير صحيح بدليل قوله:﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[التوبة:١١٨]، والتعبير بـ﴿عَنْ﴾ هنا منع هذا الفهم الخاطيء، ودلَّ على أنَّ بدء التوبة من الله ﷻ .

ورد هذا النمط متضمنا صفة(الفزع) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[سبأ:٢٣].

(١) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،١٦٩/١.

(٢) السيوطي، معترك الأقران،١٩٨/١.

(٣) ينظر، البيضاوي، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل،٢٣٨/٣.

قال الأصفهاني:" الفَزَعُ: انْقِبَاضٌ ونِفَارٌ يَعْتَرِي الإنسانَ مِنَ الشَّيءِ المُخِيفِ، وهُوَ مِنْ جِنْسِ الْجَزَعِ، وَلَا يُقَالُ: فَزِعْتُ مِنَ اللهِ، كَمَا يُقَالُ: خِفْتُ مِنْهُ. وقولُهُ تَعَالَى:﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[الأنبياء:١٠٣]، فَهُوَ الْفَزَعُ مِنْ دَخُولِ النَّارِ. ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[النمل:٨٧]،﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[النمل:٨٩]، وقولُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[سبأ:٢٣]، أي: أُزِيلَ عَنْهَا الْفَزَعُ، ويُقَالُ: فَزِعَ إِلَيْهِ: إِذَا اسْتَغَاثَ بِهِ عِنْدَ الْفَزَعِ، وفَزِعَ لَهُ: أَغَاثَهُ"(١).

قال الزبيدي:" وفي اللسان: الفَزَعُ: الفَرَقُ والذُّعْرُ مِن الشيءِ، وهو في الأصلِ مَصْدَرُ فَزِعَ منه. وقال شيخُنا: الفَرَقُ والذُّعْرُ بمعنًى، فأحدهما كان كافيًا... وقال المبرد في الكامل: أَصْلُ الفَزَعِ: الخوفُ، ثُمَّ كُنِيَ به عن خُروجِ الناسِ بسرعةٍ؛ لِدَفْعِ عدوٍّ ونحوِهِ إذا جاءَهم بَغْتَةً، وصار حقيقةً فيهِ... وفُزِّعَ عَنهُ، بالضَّمِّ، تَفْزِيعًا، أي كُشِفَ عنه الفَزَعُ، أي الخَوفُ، قال: ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي كُشِفَ عنها الفَزَعُ "(٢)، وقال الشريف الرضي: " وقوله تعالى:﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وهذه استعارة... أي أُزيلَ الفزعُ عن قلوبهم كما تقول قذَّيْتُ عينَه أي أزلت القذى عنها"(٣)، و﴿فُزِّعَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول على وزن(فُعِّلَ) مضعَّف العين؛ للدلالة على السَّلْبِ والإزالةِ أي أُذْهِبَ الفَزَعُ وأُزِيلَ وكُشِفَ عنها(٤).

قال الزمخشري:" ﴿فُزِّعَ﴾: أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا بذلك"(٥).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف غاية لما أفهمه قوله:﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، والغاية لمحذوف يفهم من سياق الكلام كأنه قيل يتربصون، ويتوقفون حائرين مشدوهين وجلين تتفارسهم المخاوف، وتتقاذفهم

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الفاء،(فزع)،٢/٤٩٠.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، باب العين،(فزع)،٢١/٥٠٠،٤٩٩.

(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٢٤٧.

(٤) ينظر، ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الأسدي الموصلي(ت٦٤٣هـ)، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق، د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب- سوريا، ط١(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)،٧٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف،٥/١٢٠. - وأبو حيان، البحر المحيط،٧/٢٦٦.

الشكوك أيؤذن لهم أم لا حتى إذا فزّعَ، و﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان مُضَمَّن معنى الشرط أُضيفَ إلى جملة﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، و﴿فُزِّعَ﴾ فعل ماض لفظًا دال على المستقبل (يوم القيامة) بدلالة﴿إِذَا﴾، وأفاد بناء الفعل﴿فُـزِّعَ﴾ للمجهول، اختزال الفاعل؛ للعِلم به، والاهتمام بكشف الفزع عن قلوبهم، والجار والمجرور﴿عَـن قُلُـوبِهِمْ﴾ في محل رفع نائب فاعل أي: فَزَّعَ اللهُ الفزعَ عن قلوبهم، والتفزيع إزالةُ الفزعِ، وترك ذِكْر الفَزَعِ؛ مبالغةً في تكثيره[1]، وأسند الفعل إلى الجارِّ والجرور ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾،أفاد الحرف﴿عَـن﴾ ربْط الفعل﴿فُزِّعَ﴾ والاسم﴿قُلُوبِهِمْ﴾ بعده ربْطًا لفظيًّا ودلاليًّا؛ بجر الاسم﴿قُلُوبِ﴾ جرًّا لفظيًّا ظاهرًا، وعَلامة جرّه الكسرة الظاهرة، وإضافة معنى إزالة الفزع عن﴿قُلُوبِهِمْ﴾ مصحوبًا بمعنى الحرف﴿عَن﴾البُعْد والمجاوزة ؛ للدلالة على كَشْفِ الفزع، ومجاوزته قلوب الشافعين والمشفوعين من المؤمنين، والضمير﴿هِمْ﴾ العائد إلى الشافعين والمشفوع لهم من المؤمنين في محل جر بالإضافة.

<u>النمط الرابع:[حرف جر " في" + اسم مجرور]:</u>

(في): حرف جر يجر الاسم الظاهر والمضمر، و"أصل معنى(في) الوعاء والتضمن، نحو: زيدٌ في الدار"[2]. ويؤدي عددًا من الدلالات المعنوية التي تُفْهَمُ من خلال السياق.

<u>*من معاني(في):</u>

<u>١- الظرفية حقيقةً:</u> وهي أصل معانيها التي تفيدها(في) بحيث لا يكون لها معنى آخر، إلا وفيه أثر من معنى الظرفية، والظرفية تعني احتواء مجرورهاعلى شيءٍ، وهذه الدلالة الظرفية قد تكون حقيقة زمانا، نحو: سعيتُ في النهارِ، ونِمْتُ في الليل، أو مكانا، نحو: فلان في البيت، والماء في الكأس، والقرآن الكريم استعمل(في) للظرفية الحقيقية بنوعيها الظرفية المكانية والزمانية في مواضع كثيرة، وجَمَعَ بين النوعين في آيات منها قوله تعالى:﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ... ۝﴾[الروم:٢-٤].

---

(١) ينظر،الشَّلَوبِينِيُّ، التوطئة في النحو،٢٤٤.

(٢) الجرجاني، الجُمَل،٢٥.

٢ – الظرفية مجازًا:

وتدل(في) في سياق الدلالة على الظرفية المجازية على احتواء جِرْم على معنى، نحو: في فلانٍ دهاءٌ، أو معنى على معنى، نحو: النجاة في الصدق؛ فقد جعل كل من(الدهاء) و(الصدق) ظرفًا للدهاء والنجاة على سبيل المجاز.

ومذهب سيبويه ومتقدمي نحاة البصرة أنّ(في) لا تكون إلا للظرفية حقيقةً أو مجازًا، وما أوهمَ خلافَ ذلك ردوه بالتأويل إلى الظرفية التي سماها سيبويه الوعاء؛ فقال:"وأما(في) فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب ، وفي الكيس، وهو في بطن أُمِّه، وكذلك: هو في الغُلِ؛ لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له. وكذلك: هو في القُبَّة، وفي الدار. وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا، وإنما تكون كالمثل يُجاءُ به يقارِبُ الشيءَ وليس مِثْلَهُ"(١).

وذكر البَيْتُوشِيُّ معاني(في) الجارة، وذكر في منظومته، أنَّ سيبويه ردَّ جميع معانيها، إلى معنى الظرفية، وعبَّر عن ذلك بقوله:

"وَسِيبَوَيْهِ رَدَّ بِالْكُلِّيَّةْ أَقْسَامَ مَعْنَى(فِي) إِلَى الظَّرْفِيَّةْ".

قال المحقق:" لم أقف على نَصٍ لسيبويه بهذا الصددِ، إلا أنَّ السيوطي نَسَبَ ذلك القولَ إلى البصريينَ عامة، فقال:"والبصريون قالوا:لا تكون(في) إلا للظرفية؛ وما لا تظهر فيه حقيقة، فهي مجازية"(٢).

والحقيقة أن النص الذي ذكرناه آنفا لسيبويه يشهد للبَيْتُوشِيّ، فهو يدل أن سيبويه يرى أن الأصل أنّ(في) للظرفية التي سمَّاها الوعاء حقيقة أو مجازًا، والأمثلة التي ساقها سيبويه تدل على ذلك، وتبعه في ذلك

---

(١) سيبويه، الكتاب،٤/٢٢٦.

(٢) البَيْتُوشِيُّ، كفاية المُعاني في حروف المَعاني،١٠١، ١٠٢. – والسيوطي، همع الهوامع،٢/٣٦٢.

الصَّيْمَرِي حيث قال:" ومعنى(في) الوعاء كقولك: زيدٌ في الدارِ، أي: صارت الدارُ وعاءً لزيدٍ، هذا أَصْلُه، وقد يُقال على المجاز: في يَدِ زيدٍ ضَيْعَةٌ، أي: احتوى مِلْكُه على الضَّيْعَةِ كاحتواءِ الوعاءِ على مافيه"(١).

وقد يوجدُ بعضُ التشابه الدلالي أو التقارب في المعنى بين(في) وحروف جر أخرى مما جَعَلَ البعض يقول بالتناوب بين الحروف حقيقة؛ فيقولون(في) بمعنى(على) أو(في) بمعنى(إلى) أو بمعنى(باء) السببية أو غير ذلك، ويرى الباحث أن لكل حرف في القرآن استعمالا دقيقًا في موضعه لا يؤدي غيره المعنى الذي يؤديه من كل وجه وإن اشتركا في جزء من المعنى فلا تناوب تام بين حروف الجر، فليس معنى تعاقب حروف الجر في التعبير عن معنى ما أنها تتناوب دون اختلاف بينها في المعنى.

وفيما يلي بعض المعاني التي ذكرها النحاة لـ(في) ويُمْكِنُ بالتأويل رَدَّهَا إلى معنى الظرفية المجازية:

٣- السببية والتعليل:

وذكر النحاة أن(في) تكون للسببية أو التعليل إذا كانت بمعنى الباء أو اللام؛ فيكون ما بعدها سببًا أو عِلَّةً فيما قبله، قال ابن هشام:" وفي الحديث:" أنَّ امرأةً دَخَلَتِ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا"(٢). أي بسببها، ويرى الباحث أنَّ(الباء) لو وضعت محل(في)؛ لتغيَّرَ المعنَى، وفُهِمَ أنَّ المرأةَ دَخَلَتِ النَّارَ بمصاحبة الهِرَّة، وأنَّ الهِرَّةَ دخلتْ معها ملتصقة بها، وليس معنى اشتراكها مع(الباء) في معنى السببية أنها بمعنى(الباء)، ولكنها بمعنى السببية والتعليل في هذا الموضع الذي لا يصلح استعمال(الباء) فيه.

٤- انتهاء الغاية:

وتكون(في) بمعنى(إلى)، كقوله تعالى:﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾[إبراهيم:٩] أي إلى أفواههم، مستدلين بأنَّ الفعل(رَدَّ) يتعدَّى أيضًا بـ(إلى)، وردَّ السخاوي على مَن زَعَمَ أنَّ﴿فِيٓ﴾ بمعنى(على) في هذا الموضع بقوله:

---

(١) الصَّيْمَرِيّ، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصَّيْمَرِيّ من نحاة القرن الرابع، التبصرة والتذكرة، تحقيق، د. فتحي أحمد مصطفى على الدين، جامعة أم القرى- السعودية مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي من التراث الإسلامي الكتاب السادس عشر، ط١(١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، دار الفكر- دمشق،١/٢٨٦.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب،١/١٩١.

" وإنما هو بمعنى الوعاء جعلوا أيديهم في أفواههم يعضونها غيظًا لو وضعوها في أفواه الأنبياء لمنع الكلام"(١).

وبالتدبر نجد أن﴿فِيٓ﴾هنا تتضمن معنى انتهاء الغاية مضافًا إليها معنى الظرفية؛ فالأفواه ظروف في المعنى، وغاية لردهم أيديهم، وهذا المعنى لا تعطيه(إلى) في هذا الموضع.

٥- الاستعلاء :

وتكون(في) بمعنى(على) كقوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١] أي عليها(٢)، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾[يونس:٢٢] أي عليها، وهو معنى لا يخلو من الظرفية.

وأَوْرَدَ ابنُ الحاجب عِلَّةَ جعْل ابن يعيش(في) بمعنى(على) في بعض المواضع، وما تشترك فيه(في) و(على)، وما يميز كُلا منهما فقال:"وقالَ: إنَّها بمَعْنَى(عَلَى) في قوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١]، وإنما حُكِمَ بأنَّها بمَعْنَى"عَلَى" لِمَا في الكلامِ مِنْ مَعْنَى الاستعلاءِ، والمَوْضِعُ صَالِحٌ لَهُمَا عَلَى حَسَبِ مَا يَقْصِدُهُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ مَعْنَى الظَّرْفِيَّةِ والاستعلاءِ، وكذلك ما كان مِثْلُهُ،... ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾[يونس:٢٢]، وقال تعالى:﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[المؤمنون:٢٨]، وأمَّا نَحْوُ"جَلَسْتُ في الدَّارِ" فهذا مَوْضِعُ "في" دون"على"، والذي يُمَيِّزُ بينَ مَوْقِعَيْهِمَا أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ فيه مِنْ مَعْنَى الاحتواءِ أو ما نُزِّلَ مَنزلته فهو مَوْضِعُ "في"، وكُلُّ ما كانَ فيه مَعْنَى الاستعلاءِ دونَ الظَّرْفِيَّةِ فهو مَوْضِعُ"عَلَى"، وكُلُّ مَا كَانَ فيه مَعْنَى الاستقرارِ ومَعْنَى الاستعلاءِ فهو صَالِحٌ لِكُلِّ واحدٍ منهما، فلذلك حَمَلَ صاحبُ الكِتَابِ-أي الزمخشري- قوله تعالى:﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ على بابِها في الظَّرْفِيَّةِ، ولم يَعْتَدَّ بقولِ مَنْ قالَ: إنها بمعنى" على"[يعني جَعَلَ المجازَ راجحًا على الاشتراك]، وقد تبيَّنَ وجه القولين[جميعًا]"(٣).

---

(١) السخاوي، المُفضَّل،٦١.

(٢) السيوطي، همع الهوامع،٣٦١/٢.

(٣) ابن الحاجب،الإيضَاحُ في شَرْحِ المُفَصَّلِ ،١٣٩/٢، ١٤٠.

فما أجملَ كلامَ ابنِ الحاجب! وما أحسنَهُ!، والذي يجب أنْ يكونَ نبراسًا في التعامل مع استعمال حروف الجر في القرآن الكريم وفْقَ الحقائق التالية:

أولا: الأصل في كل حرف أن يكون على بابه، ومستعملا في موضعه.

ثانيًا: اشتراك حرفين في صلاحية التعبير بأي منهما في موضع ما ليس معناه التناوب بينهما، وأنهما بمعنى واحد، وإنما معناه التضمين للحرف المستعمل معنى حرف آخر؛ ليعطي معنى الحرفين معًا، ومع ذلك يظل الحرف المستعمل على بابه بحسب المعنى المراد التعبير عنه، فإذا قيل:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾[الكهف:٧١] فلا أقول أنَّ﴿فِي﴾ بمعنى(على)، ولكن أتدبر في سبب استعمال﴿فِي﴾ في هذا الموضع، وهل إذا استعملت(على) تُعطي نفْس المعنى، عندئذ سيتضح دقة النظم القرآني في استعمال ﴿فِي﴾ في سياقها من خلال حوار موسى عليه السلام مع العبد الصالح من خلال تعقيبه على حَدَثِ خرْق السفينة، وأنه سيترتب عليه غرَقُ أهلها، فالخرْق لم يحدث عقب استعلائهما السفينة، ولم يحدث في أعلى السفينة، فيناسبه استعمال(على)، وإنما كان بعد ركوبهما في داخل السفينة واحتوائهاعليهما احتواء الظرف للمظروف، فكان الخرْق مترتبًا حدثيًّا وزمنيًّاعلى الركوب فيها وليس عليها، فكان التعبير بـ﴿فِي﴾ أحسن وأدق، ومناسبًا للواقع.

ثالثًا: التحديد الدقيق لأصل استعمال كل حرف من حروف الجر يؤدي إلى معرفة سر النظم القرآني في التعبير بحرف دون حرف آخر ظن كثيرٌ من النحاة، ومنْ تبعهم أنَّ الحرف المستعمل بمعنى الحرف الآخر؛ فيقولون(في) بمعنى(على)، و(عن) بمعنى(مِن)... وكأن معناهما واحدٌ، وليس الأمر كما زعموا.

<u>ورد هذا النمط في(أربعين) موضعًا:</u>

<u>منها(أحدَ عشرَ) موضعًا الجار والمجرور شبه جملة متعلق بالفعل في جملته:</u>

ومعنى كون الجار والمجرور متعلقًا أنه لا يؤدي معنى كاملا في الجملة، ولكن المعنى الذي يؤديه يكون مُتَمِّمًا للمعنى الذي يؤديه الفعل، أو شبهه، وهذا يعني أن الجار والمجرور يرتبط بمعنى الفعل، أي يتعلق به. نحو:﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾. فالجار والمجرور تعلق بالفعل﴿كَتَبَ﴾، أي أن شبه الجملة قد ارتبط بالحَدَثِ الذي دلَّ عليه الفعلُ؛ لأنَّ قولنا: كتبَ الإيمانَ. معنى أدّته الجملة تأدية كاملة؛ للدلالة على

الحدَثِ والزمن في آن واحد، ولكن استعمال شبه الجملة﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ معنى متمم ومكمل لمعنى الجملة السابقة لا يستغنى عنه في أداء المعنى المراد من الجملة، وهذا المعنى الذي حدد المكان الذي كان ظرفًا ووعاءً للحدَثِ، ارتبط مع ما سبقه في الحدث الذي يدل عليه الفعل وكذلك المكان، أو الحيز الذي أفاده الاسم المجرور. ومن هنا نقول﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾جار ومجرور متعلق بالفعل﴿كَتَبَ﴾، أو شبه الجملة متعلق بالفعل﴿كَتَبَ﴾، وأدَّى إلى ربْطِ الجملة وتقويتها، وكذلك كل موضع من المواضع التي استعمل فيها الجار والمجرور متعلقًا أو غير متعلق، فللجار والمجرور دورٌ وظيفيٌ نحويًا ودلاليًا في السياق الذي وردَ فيه، وفيما يلي المواضع التي ورد فيها الجار والمجرور متعلقًا في جملته:

<u>ورد متضمنًا صفة(كتابة الإيمان) في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ...﴾ **[المجادلة:٢٢]**

قال الشريف الرضي: " وقوله سبحانه:﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾وفي هذا الكلام استعارتان إحداهما قوله تعالى:﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ ومعناه أنه ثبَّتَهُ في قلوبهم، وقرَّرَه في ضمائرهم، فصار كالكتابة الباقية، والرقوم الثابتة،...وذلك كقول القائل هو أبقى من النقش في الحجر"[١].

جاءت جملة﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ...﴾الاسمية استئنافية بيانية لا محلّ لها من الإعراب، فيها:﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾اسم إشارة للبعيد مبني في محل رفع مبتدأ يشير إلى علو مكانة الموصوفين، بقوله:﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾، ورفعة درجتهم في الفضل، والجملة الفعلية﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ في محل رفع خبر، عبّر فيها بالفعل الماضي﴿كَتَبَ﴾؛لإفادة حصول الإيمان وتحققه لهم، وفاعله ضمير مستتر تقديره: (هو) يعود إلى لفظ الجلالة ﴿الله﴾، وضُمِّنَ الفعل﴿كَتَبَ﴾ معنى(أثبت)، والجار والمجرور﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ متعلّق بـ

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٣١٠.

﴿كَتَبَ﴾ ربطَ الحرف﴿فِي﴾ربطًا لفظيًا دلاليًا بين الفعل﴿كَتَبَ﴾، والاسم﴿قُلُوبِهِمُ﴾، فلا يجوز أن يُذْكَرا متتاليين بدونه، وأضاف معنى(الكتابة) إلى﴿قُلُوبِهِمُ﴾ مصحوبًا بمعنى الحرف﴿فِي﴾ الظرفية، فالقلوب وعاء لكتابة الإيمان فيها، وعُدِّيَ الفعل﴿كَتَبَ﴾إلى مفعوله الذي وَقَعَ عليه الكتابة في قلوبهم، وهو ﴿ٱلْإِيمَـٰنَ﴾، والتعبير بـ﴿كَتَبَ﴾ أقوى من التعبير بأثبتَ، فهو إيمان تحقَّقَ وتقَرَّرَ في قلوبهم، وبقيَ ثابتًا كبقاء الكتابة. قال الألوسي:" قوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾ أي أثبته الله تعالى فيها ولمَّا كان الشيء يراد أولاً ثم يقال ثم يكتب عبّر عن المبدأ بالمنتهى؛ للتأكيد والمبالغة"(١)، وتقديم الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾على المفعول به﴿ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ أفاد التوكيد والتخصيص والاهتمام بالمتقدِّمِ﴿قُلُوبِهِمُ﴾ فالقلب هو العضو المنوط به ثبات الإيمان، والمختص بأهمية تَحَقُّقِ الإيمان فيه، ولا عِبرة لغيره من الجوارح إذا لم يتحقق الإيمان، ويثبت فيه.

<u>وورد متضمنًا صفة(التزيين) في موضعين:</u>

أحدهما:﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا <u>وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ</u> وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾[الفتح:١٢].

قال الأصفهاني:" الزينة الحقيقية: ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا، ولا في الآخرة، فأما ما يزينه في حالة دون حالة فهو مِن وجهٍ شين، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية كالعِلم، والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية، كالقوة وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه. فقوله:﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:٧]، فهو من الزينة النفسية،... وتزيين الله للأشياء قد يكون بإبداعها مزينة، وإيجادها كذلك"(٢).

جاءت الجملة الفعلية:﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ لا محلّ لها من الإعراب معطوفة بـ﴿الواو﴾على جملة﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ الاستئنافيّة التي لا محلّ لها. فأفادت الجمْعَ والمشاركة بين حصول الظن بعدم رجوع الرسول ﷺ والمؤمنون إلى أهلهم، وتزيين حصوله في قلوبهم،

(١) الألوسي، روح المعاني،٢٨/٣٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الزاي،(زين)،١/٢٨٨، ٢٨٩.

والفعل﴿زُيِّــنَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، مبني على الفتح، و﴿ذَٰلِــكَ﴾ اسم إشارة للبعيد مبني على السكون، واللام للبُعد، والكاف للخطاب، وهو نائب فاعل، حلَّ محل الفاعل في الجملة، ورجَّح بعضُهم أن يكون الفاعل﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾اللعين كقوله تعالى:﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[الأنفال:٤٨]، وأرى أنه إنْ كان ذلك كذلك فإنَّ في عدم ذِكْرِ الفاعل احتقارًا له، وعدم تخصيص الفاعل بالشيطان أولى حتى يشمل كل مَنْ زيَّنَ ذلك الظن في قلوبهم، كما أنَّ ترْك ذِكْر الفاعل أفادَ اختزالَ البنية، والاسترسال في المعنى بالتركيز على حَدَثِ التزيين دون فاعله؛ للتنبيه على بُعْدِ ذلك الحدَث عن الصواب، وخطورته، والجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ متعلق بالفعل﴿زُيِّنَ﴾، نَقَلَ حرفُ الجر﴿فِي﴾ معنى تزيين عدم انقلاب الرسول ﷺ والمؤمنين إلى أهليهم أبدًا مصحوبًا بمعنى الظرفية إلى الاسم المجرور﴿قُلُوبِكُمۡ﴾الذي أُضيف إلى ضمير المخاطبين﴿كُمۡ﴾ إضافة تعريف.

والآخر:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۞﴾[الحجرات:٧]

في هذا الموضع جاءت جملة:﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ في محلّ رفع معطوفة على جملة﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ الفعلية في محل رفع خبر﴿لَٰكِنَّ﴾، والفعل في﴿زَيَّنَه﴾ فعل ماض مبنى للمعلوم، فاعله ضمير مستتر تقديره:(هو) يعود إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهَ﴾، وعُدِّيَ بالتضعيف إلى مفعوله ضمير المفرد الغائب ﴿الهَاء﴾ العائد إلى﴿ٱلۡإِيمَٰنَ﴾، والجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ متعلّق بـ﴿زَيَّنَه﴾ أفاد الحرف﴿فِي﴾ إضافة معنى الفعل﴿زَيَّنَ﴾ قبله إلى الاسم﴿قُلُوبِكُمۡ﴾ بعده مصحوبًا بمعناها الوعاء والظرفية، وجر الاسم بعده ﴿قُلُوبِكُمۡ﴾ المضاف إلى ضمير المخاطبين﴿كُمۡ﴾ إضافة أكسبته التعريف.

وبالتدبر في الموضعين السابقين يلحظ أنّ:

أولا: جاء الفعل﴿زُيِّنَ﴾ في الموضع الأول مبني للمجهول، وأُبهم الفاعلُ؛ اهتمامًا بالحدَثِ دون فاعله، وفي الموضع الثاني جاء الفعل﴿زَيَّنَ﴾ مبنيًا للمعلوم، ففاعله الضمير العائد إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهَ﴾؛ اهتمامًا بنسبة الحدَث إلى فاعله دون اشتراك؛ فتحبيب الإيمان إلي القلوب، وتزيينه فيها من فعل الله ﷻ.

ثانيًا: استعمال حرف الجر﴿فِي﴾ في الموضعين مع الفعل﴿زُيِّنَ﴾، ومع الفعل﴿زَيَّنَ﴾ دون حرف الجر (إلى).

ثالثًا: لم يُعَدَّ الفعلُ﴿زَيَّنَ﴾ بحرف الجر(إلى) مثل:﴿حَبَّبَ إِلَيكم﴾ قبله، و﴿وَكَرَّهَ إِلَيكُم﴾ بعده، وفي تعليل ذلك يقول الشيخ ابن عاشور:" وعدّي فِعْلا﴿حَبَّبَ﴾ و﴿كَرَّهَ﴾ بحرف﴿إِلَى﴾؛ لتضمينهما معنى (بَلَّغَ)، أي بَلَّغَ إليكم حُبَّ الإيمانِ وكُرَّهَ الكفرَ. ولم يعدّ فعل﴿وَزَيَّنَه﴾ بحرف (إلى) مثل فعلي﴿حَبَّبَ﴾ و﴿كَرَّهَ﴾؛ للإيماء إلى أنه لما رغّبهم في الإيمان، وكرههم الكفر امتثلوا فأحبّوا الإيمان وزان في قلوبهم"[1].

وورد متضمنًا صفة(السلوك) في موضعين:

أحدهما:﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾[الشعراء:٢٠٠].

قال ابن فارس:"(سَلَكَ) السِّينُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نُفُوذِ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ. يُقَالُ سَلَكْتُ الطَّرِيقَ أَسْلُكُهُ. وَسَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ: أَنْفَذْتَهُ. وَالطَّعْنَةُ السُّلْكَى، إِذَا طَعَنَهُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ. وَالْمُسْلَكَةُ : طُرَّةٌ تُشَقُّ مِنْ نَاحِيَةِ الثَّوْبِ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِامْتِدَادِهَا. وَهِيَ كَالسِّكَّكِ"[2].

وقال ابن منظور:" سَلَكْتُ الشَّيْءَ في الشَّيْءِ فَانْسَلَكَ، أي أَدْخَلْتُهُ فيهِ فدَخَلَ.... ويُقالُ: سَلَكْتُ الْخَيْطَ في الْمَخيطِ، أي أَدْخَلْتُهُ فِيه، وسَلَكَ يَدَهُ في الْجَيْبِ والسِّقاءِ ونحوهما يَسْلُكُهَا، وأَسْلَكَهَا: أدخلَها فيهما" [3].

وجعل الشيخ العز الآية مِنْ وصف المعاني بالإدخال فقال: " والسلك في كلام العرب الإدخال"[4].

ومع أنَّ سلطان العلماء ذَكَرَ أنَّ السلك في كلام العرب الإدخال، ولم يُفَرِّقْ بينهما، وكذلك ابن منظور إلا أنني أرى أنَّ استعمال﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أدق مِنْ (أدخلناه) وإن كانا مشتركين في جزء من المعنى، حيث إنَّ بين اللفظين: **تغاير بالعموم والخصوص**: فإذا قيل:(أدخَلْناه في قلوب المجرمين) فإن الفعل(أدخَلَ) يدل على مطلق الدخول دون تحديد نوعه، أما استعمال﴿سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فيخصِّص العموم في (أدخَلَ) ويبيِّن أنه نوع مخصوص مِن الإدخال؛ لأنَّ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ من (سَلَكَ) الشيء في الشيء أي أنفذَه فيه كما قال ابن فارس، وكما قال الراغب الأصفهاني: "السلوكُ: النفاذُ في الطريقِ"[5].

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٣٧/٢٦.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب السين،(سلك)،٩٧/٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، باب السين،(سلك)،٣٣٧/٦.

(٤) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،٢٢٩.

(٥)الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب السين،(سلك)،٣١٥/١.

ومِنْ ثَمَّ أرى أنَّ﴿سَلَك﴾ أخصّ من(دَخَلَ) من حيث سرعة إدخال القرآن، وإنفاذه في القلب بعد الإدخال، واستعمال﴿سَلَكْنَهُ﴾ يدل على دخول القرآن في قلوبهم، وتأثيره فيها مع ضيقهم عنه، ورفضهم الإيمان به﴿حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ كحال الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم؛ فكل لفظة استُعْمِلَتْ في القرآن الكريم هي أبلغ في موضعها من غيرها، و﴿سَلَك﴾ في موضعها أبلَغ من(أَدْخَلَ) ومن كل لفظة غيرها؛ لأنها تُعَبِّرُ عن إدخال مخصوص للقرآن الكريم في قلوبهم مع امتناعهم عن الإيمان به حتى يروا العذاب الأليم.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، ﴿الكاف﴾ نعت لمفعول مطلق محذوف مقدم أي مثل ذلك السلك البديع وهو إشارة الى مصدر قوله﴿سَلَكْنَٰهُ﴾أى أدخلنا القرآن﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أى فى قلوب مشركى قريش فعرفوا معانيه وإعجازه، والجملة الفعلية﴿سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ لا محل لها استئنافية، فيها ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ فعل ماض مبني على السكون؛ لاتصاله بضمير الرفع المتحرك﴿نَا﴾التعظيمية الدالة على الواحد سبحانه؛ للدلالة على عَظَمَةِ هذا السَّلْكِ للقرآن في قلوبهم، و﴿الهاء﴾ ضمير المفرد الغائب العائد إلى القرآن في محل نصب مفعول به، و﴿فِى قُلُوبِ﴾ والجار والمجرور متعلق بالفعل﴿سَلَك﴾؛ للدلالة على وقوع سلك القرآن العجيب في﴿قُلُوبِ﴾ عرفت بالإضافة إلى﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الذين﴿لا يؤمنون به حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ .

والآخر:﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ⑪ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ⑫﴾ **[الحجر:١٢]**.

قال الأصفهاني:" أَصْلُ الجَرْمِ: قَطْعُ الثَّمَرَةِ عَنِ الشَّجَرِ،... وأَجْرَمَ: صَارَ ذا جَرْمٍ، نحو: أَثْمَرَ وأَلْبَنَ، واسْتُعِيرَ ذلكَ لِكُلِّ اكْتِسَابٍ مَكْرُوهٍ، وَلَا يَكَادُ يُقَالُ في عَامَّةِ كَلامِهِمْ لِلْكَيِّسِ الْمَحْمُودِ"(١).

قال الشريف الرضي: " وقوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وهذه استعارة وأصل السلك إدخال الشيء في الشيء باستكراه على الدخول فيه أو إدخال أحد الشيئين في الآخر وفي أحدهما ضِيقٌ عن صاحبه... والمراد بالآية إنَّا نوصِّل القول إلى قلوب المجرمين بإسماعهم إياه، وحوشهم إليه،

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الجيم،(جرم)،١١٨/١.

وقلوبهم له كارهة، وصدورهم به ضائقة ليس أن هناك على الحقيقة إدخال شيء في شيء، وإنما المراد أنَّ أسماعهم تؤديه إلى قلوبهم على كُرْهٍ منهم فكأنه سلك فيها بغير مرادهم ولا اختيارهم"(١).

جاءت جملة:﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾-هنا- متفقة في ألفاظها وإعرابها مع جملة ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في الموضع السابق، ومختلفة عنها في:

أولا: وَرَدَ الفعل﴿سَلَكْ﴾ بصيغة الماضي في حق مشركي قريش؛ للدلالة علىٰ تحقق الفعل، ووَرَدَ الفعل﴿نَسْلُكُ﴾ مضارعًا مرفوعًا، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في حق المشركين، وهو أعم من مشركي قريش، والتعبير بصيغة المضارع﴿نَسْلُكُ﴾؛ للدلالة على أن المقصود إسلاك في زمن الحال والاستقبال، أي زمن نزول القرآن؛ وليعلم أن المقصود بيان تلقي المشركين للقرآن، فلا يتوهم أن المراد بالمجرمين شيع الأوَّلين مع ما يفيده المضارع من الدلالة على تجدد نفاذ القرآن في قلوب المشركين على استكراهٍ منهم، وضيق به.

ثانيًا: إضافة﴿قُلُوبِ﴾ في الموضعين إلى﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ اسم الفاعل من غير الثلاثي(أَجْرَمَ) دون(الكافرين) الذي صار لهم كاللقب، يشعر بالتعليل لنفاذ القرآن بهذه الصورة إلى قلوبهم؛ عقوبة لهم على إجرامهم، وتلقِّيهم القرآن بالسخرية، وعدم التدبر، فيدخل في قلوبهم، ولا يؤمنون به.

<u>وورد متضمنًا صفة(قذف الرعب) في موضعين:</u>

أحدهما:﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ <u>وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ</u> فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾[الأحزاب:٢٦]

قال ابن فارس:"(قَذَفَ) القاف والذال والفاء أصلٌ يَدُلُّ على الرَّمْي والطَّرْحِ، يقال: قَذَفَ الشَّيءَ يَقْذِفُهُ قَذْفًا، إذَا رَمَى به. وبَلْدَةٌ قَذُوفٌ، أيْ طَرُوحٌ لِبُعْدِهَا تَتَرَامَى بالسَّفَرِ. ومَنْزِلٌ قَذَفٌ وقَذِيفٌ، أي بَعِيدٌ. ونَاقَةٌ

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان،١٣٥، ١٣٦.

مَقْذُوفَةٌ باللَّحْمِ، كأنَّها رُمِيَتْ به. والقِذَافُ: سُرْعَةُ السَّيْرِ. وفَرَسٌ[متقاذفٌ] سَرِيعُ العَدْوِ، كأنَّهُ يَتَرَامَى في عَدْوِهِ. ومِنَ الْبَابِ أقذافُ الْجَبَلِ: نواحِيه، الواحدُ قَذَف، والقَذيفةُ: الشيءُ يُرْمَى بِهِ"(١).

قال الأصفهاني:" القَذْفُ: الرمي البعيد، ولاعتبار البُعد فيه قيل: منزل قَذَفٌ وقَذيفٌ، وبلدة قَذُوفٌ: بعيدة، وقوله:﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾[طه:٣٩]، أي: اطرحيه فيه، وقال:﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾[الأحزاب:٢٦] ،...، واستعير القذف للشتم والعيب كما استعير الرمي"(٢).

قال الشريف الرضي: "وقوله تعالى:﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾، وهذه استعارة، والمراد بها أنه تعالى ألقى الرعب في قلوبهم من أثقل جهاته، وعلى أفظع بغتاته تشبيهًا بقذفة الحجر إذا صكت الإنسان على غفلة منه فإن ذلك يكون املأ لقلبه، وأشد لروعه"(٣).

وقال الألوسي:" ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ أي الخوف الشديد من رعبت الحوض إذا ملأته؛ لأنه يتصور فيه أنه ملأ القلب، وأصل القذف الرمي بقوة أو من بعيد، والمراد به هنا للغرف إثبات ذلك وركزه في قلوبهم"(٤).

جاءت جملة:﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ لا محلّ لها معطوفة على جملة﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ المعطوفة على الجملة الاستئنافية، وفيها﴿قَذَفَ﴾ فعل ماض متعدي مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، و﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ متعلق بالفعل﴿قَذَفَ﴾أبان مكان قذْف الخوف الشديد، وهو قلوبهم، وحرف الجر﴿فِي﴾ نقل معنى قذْف الرعب مصحوبًا بالظرفية إلى قلوبهم، والمضاف إليه ضمير جمع الغائبين﴿هُم﴾ يعود إلى يهود بني قريظة الذين عاونوا الأحزاب المردودة؛ فعاقبهم الله بإنزالهم من حصونهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وتقديمُ الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ على المفعول به﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ أفادَ التوكيدَ، وتخصيص قلوبهم بقَذْفِ الرعب، وأفادَ التعبيرُ بـ ﴿قَذَفَ﴾ الدلالةَ على

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب القاف،(قذف)،٥/٦٨، ٦٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب القاف،(قذف)،٢/٥١٤.

(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٢٤٤.

(٤) الألوسي، روح المعاني،٢١/١٧٥.

سرعة إلقاء الرعب في قلوبهم بغتة على غفلة منهم، فملأ قلوبهم، وثبت فيها وركز؛ فاشتد روعهم؛ نصرة لرسول الله ﷺ والمؤمنين.

والآخر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾[الحشر:٢].

جاءت جملة: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ متفقة في ألفاظها مع الموضع السابق لا محلّ لها؛ لعطْفِها على جملة﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ المعطوفة على جملة صلة الموصول﴿أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وتعرب إعرابها، إلا أنَّ الضمير﴿هُمْ﴾ -هنا- يعود إلى يهود بني النضير الذين وقع عليهم الإخراج وقذف الرعب في قلوبهم دفعة دون سابق تأمل ولا حصول سبب للرعب؛ جزاءً لغدرهم.

ووردَ متضمنًا صفة(إنزال السكينة) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾[الفتح:٤].

قال ابن فارس:"(سكن) السين والكاف والنون أَصْلٌ واحدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ على خِلافِ الاضطرابِ والحركةِ. يقال: سَكَنَ الشَّيءُ يَسْكُنُ سكونًا فهو ساكنٌ"(١).

قال الأصفهاني:" السكونُ: ثُبُوتُ الشيءِ بَعْدَ تَحَرُّكٍ،... وقوله تعالى:﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٤]، فقد قيل: هو مَلَكٌ يُسَكِّنُ قَلْبَ المؤمنِ ويؤمِّنُهُ(ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن أبي العالية قال: قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فينظر فإذا صبابة أو سحابة قد غشيته، فذكر للنبي ﷺ قال:(اقرأ فلان، فإنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ). وفي رواية:(تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأتَ لأصبحت يراها النَّاسُ ما تستتر منهم).(انظر:الدر المنثور٥/٣٥٤؛ وتفسير القرطبي،٣/٢٤٩؛ وفتح الباري،٩/٥٧)،... وقيل: هو العقل، وقيل له سكينة إذا سَكَنَ عن الميل إلى الشهوات، وعلى ذلك دل قوله تعالى:﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:٢٨].

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب السين،(سكن)،٣/٨٨.

وقيل: السكينة والسكن واحد، وهو زوال الرُّغبِ، وعلى هذا قوله تعالى:﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة:٢٤٨]"(١).

والمعنى اللغوي يدل على أن نزول السكينة يؤدي إلى زوال الرعب عن القلب؛ فيسكن عن الميل إلى الشهوات؛ فيزداد قلب المؤمن إيمانًا.

قال ابن قتيبة:" ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: السكون والطمأنينة"(٢).

جملة:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾لا محلّ لها استئنافيّة، فيها المبتدأ معرفة ضمير الرفع المنفصل﴿هُوَ﴾العائد إلى الله ﷻ، والخبر معرفة الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، وجملة ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا محل لها صلة الموصول، أزالت إبهام الاسم الموصول، وعيَّنت الموصول، وتعريف ركني الجملة الاسمية بالضمير والاسم الموصول أفاد قصر صفة إنزال السكينة في قلوب المؤمنين عليه سبحانه وتعالى، وجملة﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ تعليلية لجملة القصر أبانت سبب إنزال الله ﷻ السكينة في قلوب الذين آمنوا، وفي جملة الصلة جاء الفعل﴿أَنزَلَ﴾ متعدّيًا بالهمزة إلى مفعوله﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ دالا على إنزال السكينة إنزالا دَفْعِيًّا مرة واحدة، والجار والمجرور ﴿فِى قُلُوبِ﴾ متعلق بالفعل﴿أَنزَلَ﴾ الذي يدل على علو شأنها، أفاد الحرف﴿فِى﴾ربط الفعل﴿أَنزَلَ﴾ قبله والاسم﴿قُلُوبِ﴾المضاف إلى﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إضافة تعريف وتشريف ربطًا لفظيًّا ودلاليًا؛ بجر الاسم﴿قُلُوبِ﴾ جرًّا لفظيًّا ظاهرًا، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وإضافة معنى(إنزال السكينة) إلى﴿قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مصحوبًا بمعنى الحرف﴿فِى﴾ الظرفية والوعاء؛ للدلالة على ثبات السكينة، وتمكُّنها في قلوب المؤمنين، وأرى أنه لا مبرر لجعْل﴿أَنزَلَ﴾ بمعنى أَوْجَدَ أو خَلَقَ، أو جعْل السكينة بمعنى العقل، حتى لا نبطل حقيقة الألفاظ، فقد شهدت السنة المطهرة بوجود السكينة، وبنزولها عندما كان رجل يقرأ سورة الكهف، وقوله ﷺ للرجل:" تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ"(٣).

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب السين،(سكن)،١/٣١١، ٣١٢.

(٢) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،٤١٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، حديث(٧٩٥)،٣٥٨.

ووردَ متضمنًا صفة(إشراب العجل) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩٣].

قال الأصفهاني: " وقوله تعالى:﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[البقرة:٩٣]، قيل: هو من قولهم: أشربْتُ البعيرَ أي: شَدَدْتُ حَبْلا في عُنُقِهِ... فكأنما شُدَّ في قلوبِهم العِجْلُ لشَغَفِهم به، وقال بعضهم(هو الفرّاء في معاني القرآن،٦١/١): معناه: أُشْرِبَ في قلوبِهم حُبُّ العِجْلِ، وذلك أنَّ مِنْ عادتِهم إذا أرادوا العبارةَ عن مُخَامَرَةِ حُبٍّ، أو بُغْضٍ، استعاروا له اسمَ الشَّرَابِ، إذ هو أبلغُ إنْجَاعٍ في البدنِ... ولو قيل: حُبُّ العِجْلِ لم يَكُنْ له المبالغةُ؛ فإنْ في ذِكْرِ العِجْلِ تنبيهًا أنَّ لِفَرْطِ شَغَفِهم به صارت صورةُ العِجْلِ في قلوبِهم لا تَنْمَحِي"[1].

قال الشيخ ابن عبد السلام:" قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ تقديره: وأُشربوا في قلوبهم حب العجل؛ شبَّه انصباغ قلوبهم به بثوبٍ أُشرِبَ لونًا غير لونه"[2].

وقال الشريف الرضي:" وهذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العِجْل فكأنها تشرَّبَتْ حُبَّه فمازجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ، وحذف حبّ العِجْلِ؛ لدلالة الكلام عليه؛ لأنَّ القلوبَ لا يصح وصْفُها بتشرُّبِ العِجْلِ على الحقيقة"[3].

وقال السمين الحلبي:" قوله تعالى:﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا على قولِهِ:﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾، ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ فَاعِلِ﴿قَالُوا۟﴾، أي: قالوا ذلك وقد أُشْرِبُوا ولا بُدَّ من إضمار" قد " لِيَقْرُبَ الماضي إلى الحَالِ خِلافًا للكوفيين، حَيْثُ قالوا: لا يُحْتَاجُ إليها. ويجوزُ أنْ يكونَ مُستأنفًا لمجردِ الإخبارِ بذلك، واستضعَفَه أبو البقاء، قال: " لأنَّه قد قالَ بعدَ ذلك:﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم﴾، فهو جوابُ قولِهم: "﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، فالأَوْلَى ألّا يكونَ بينهما أجنبيٌّ ". والواوُ في﴿أُشْرِبُوا۟﴾ هي المفعولُ الأولُ قامَتْ مقامَ الفاعلِ،

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الشين،(شرب)،٣٣٩/١.

(٢) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،٢٠٣.

(٣) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٣٤.

والثاني هو﴿ٱلْعِجْلَ﴾؛لأنَّ" شَرِبَ " يتعدَّى بنفْسِهِ فَأَكْسَبَتْه الهمزةُ مفعولًا آخَرَ، ولا بُدَّ مِنْ حَذْفِ مُضَافَيْنِ قبلَ﴿ٱلْعِجْلَ﴾، والتقديرُ: وأُشْرِبوا حُبَّ عِبَادَةِ الْعِجْلِ. وحَسَّنَ حَذْفَ هذينِ المضافينِ المبالغَةُ في ذلك، حتى كأنَّه تُصُوِّرِ إشرابُ ذاتِ العِجْلِ. والإشرابُ: مُخَالَطَةُ المائعِ بالجامِدِ، ثم اتُّسِعَ فيه حتى قيل في الألوان، نحو: أُشْرِبَ بياضُه حُمْرَةً. والمعنى: أنهم داخَلَهم حُبُّ عبادتِه، كما داخَلَ الصبغُ الثوبَ. ومنه:

إذا ما القلبُ أُشْرِبَ حُبَّ شَيءٍ   فلا تأْمَلْ له الدَّهْرَ انْصِرَافًا.

وعَبَّرَ بالشُّرْبِ دونَ الأكلِ، لأنَّ الشُّرْبَ يتغلْغَل في باطنِ الشيءِ بخِلافِ الأكلِ، فإنَّه مجاوزٌ، ومنه في المعنى:

جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي في مَفَاصِلي   ....(١).

وقال بعضُهم:

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ في فؤادي   فَبَادِيهِ مَعَ الخَافي يَسِيرُ.
تَغَلْغَلَ حَيْثُ لم يَبْلُغْ شَـرَابٌ   ولا حُزْنٌ ولم يَبْلُغْ سُرُورُ.(٢)
أَكَادُ إذَا ذَكَـرْتُ العَهْدَ منها   أطيرُ لو أَنَّ إنسانًا يَطيرُ.

وقيل: الإشرابُ هنا حقيقةٌ؛ لأنه يُروى أنَّ موسى عليه السلام بَرَدَ العِجْلَ بالمِبْرَدِ ثم جعل تلك البُرادَةَ في مَاءٍ وأَمَرَهُمْ بشُرْبِهِ، فَمَنْ كانَ يُحِبُّ العجلَ ظَهَرَتِ البُرادَةُ على شَفَتَيْه، وهذا وإنْ كان قال به السُّدِّي وابن جريج وغيرُهما فَيَرُدُّه قولُه:﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾، وقوله:﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ فيه وجهان، أظهرُهما: أنَّها للسببيةِ مُتَعَلِّقَةٌ بـ﴿أُشْرِبُواْ﴾، أي:

---

(١) الشاهد صدر بيت من(بحر الطويل) تمامه:جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي في مَفَاصِلي فأَصْبَحَ لي عَن كلِّ شُغلٍ بها شُغُلُ. ينظر، المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي(ت٣٥٤هـ)، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ط(١٤٠٣- ١٩٨٣م)، من قصيدة:(حلم الفتى في غير موضعه جهل)،٤٤.

(٢) الأبيات من (بحر الوافر) الأول والثاني منها رواهما الحُصْري، ونسبهما إلى عبيد الله المسعودي، وكان عبيد الله أَحَدَ الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علمُ المدينة، ينظر، الحُصْري ، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي الحُصْري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح، د. زكي مبارك، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٤(د.ت)،٢١٢/١.

أُشْربوا بسببِ كُفْرِهم السابِق. والثاني: أنها بمعنى(معَ)، يَعْنُون بذلك أنَّها للحالِ، وصاحبُها في الحقيقةِ ذلك المضافُ المحذوفُ أي: أُشْرِبوا حُبَّ عبادةِ العجلِ مختلطًا بكُفْرِهم"[1].

وسواء أكان الإشرابُ حقيقةً أم مجازًا ، فإنَّ جملة﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ في محل نصب حال بتقدير: (قد) أفادت بيان حال مَنْ عَبَدَ العِجْلَ، ودخل في زمرة من قالوا سمعنا وعصينا، والفعل في﴿أُشْرِبُواْ﴾ ماض مبني للمجهول أفاد تحقق الإشراب عقوبة لهم بعد قولهم: سمعنا وعصينا، أسند إلى نائب فاعله ﴿واو﴾الجماعة؛ فبُنيَ على الضم، وتعدَّى إلى مفعوله الثاني الذي وَقَعَ عليه الإشراب حقيقة أو مجازًا﴿ٱلْعِجْلَ﴾ بالهمزة، وتقديم الجار والمجرور﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾، وتعلقه بالفعل أفاد التوكيد على هذا الإشراب، وتخصيص قلوبهم به، وتعدية الفعل إلى ﴿ٱلْعِجْلَ﴾ مباشرة دون ذِكْر مضاف من مثل:(حُب) أو(عبادة)أو(تأليه)أفاد شِدَّةَ تَمَكُّنِ حُبِّ العجل من قلوبهم، ورسوخ صورته فيها؛ لفرْط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، ورَبَطَ حرف الجر﴿فِى﴾الفعل ﴿أُشْرِبُواْ﴾ المسند إلى﴿واو﴾الجماعة؛ للدلالة على حصول إشراب يعمُّ كل مَنْ عَبَدَ العِجْلَ بمجروره﴿قُلُوبِهِمُ﴾ ربْطًا لفظيًّا دلاليًّا، وتخصيص ﴿قُلُوبِهِمُ﴾ بالذِّكْرِ بعد العموم في﴿أُشْرِبُواْ﴾ أبانَ عن محل وقوع الإشراب﴿قُلُوبِهِمُ﴾؛ وتغلغله فيها، قال الطيبي:" وهو من المبالغات، بأنَّ المقام يقتضي مزيد التقرير"[2]، فالتعبير بـ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أفاد المبالغةَ في حُبِّهِمُ العِجْلَ مبالغة دالة على حُدوثِ إشرابٍ في قلوبهم لا اختيار لهم فيه كأنَّ غيرَهم أشربَهم إياه كقولهم أُولِعَ بكذا وشُغِفَ." و﴿ٱلْعِجْلَ﴾ مفعول﴿أُشْرِبُواْ﴾على حَذْفِ مضاف مشهور في أمثاله من تعليق الأحكام وإسنادها إلى الذوات مثل:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[المائدة:٣] أي أكْل لحْمِها. وإنما شغفوا به استحسانًا واعتقادًا أنَّهُ إلههم، وأنَّ فيه نفعَهم؛ لأنَّهم لَمَّا رأوه مِنْ ذَهَبٍ قَدَّسُوهُ مِنْ فَرْطِ حُبِّهِم الذَّهَب"[3]، وشبه الجملة﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ متعلق بالفعل﴿أُشْرِبُواْ﴾ أفادت الباءالسببية، فإشراب قلوبهم العِجل بسبب كفرهم السابق.

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون،٢/٥، ٦.

(٢) السيوطي، قَطْفُ الأزهار،١/٢٩٠، ٢٩١.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير،١/٦١١.

وورد متضمنًا صفة(إلقاء الرعب) في موضعين:

أحدهما:﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾[آل عمران:١٥١]

قال الأصفهاني:" والإلقاء: طَرْحُ الشيءِ حيثُ تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التعارف اسمًا لكل طرْحٍ... ويقال: ألقيت إليك قولا، وسلامًا، وكلامًا، ومودةً. قال تعالى:﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾[النحل:٨٦]، ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾[النحل:٨٧]"(١).

جاءت جملة﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾لا محلّ لها استئنافيّة بيانية لما قبلها. وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُدٍ حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة. والرُّعْب خوفٌ يملأُ القلبَ، والفعل المضارع في﴿سَنُلْقِي﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء؛ للثقل، وسُبق بالسين فخصصت معنى الإلقاء بالمستقبل القريب بعد أنْ كان صالحًا للحال والاستقبال؛ بُشرى لرسول الله ﷺ؛ وتثبيتًا للمؤمنين، والفاعل ضمير مستتر تقديره:(نحن) يعود إلى الله ﷻ، وعبّر بنون التعظيم التفاتًا؛ من الغيبة إلى التكلم؛ لإثارة الاهتمام؛ ولتنبيه الأذهان إلى هول الرعب الذي سيلقيه الله تعالى في قلوبهم، والجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِ﴾ متعلق بـ﴿نُلْقِي﴾، أفادت﴿فِي﴾ نقْل وإضافة معنى الفعل﴿سَنُلْقِي﴾ مصحوبًا بمعنى الظرفية إلى مجرورها ﴿قُلُوبِ﴾الذي اكتسبَ التعريفَ من إضافته إلى﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم أُحُدٍ فانهزمُوا إلى مكة من غير سببٍ، ولهم القوة والغلبة، وجملة كفروا لا محل لها صلة الموصول، أزالت إبهامه، وعيَّنَتِ الموصول، وتقديم الجار والمجرور، وما أضيف إليه وصلته﴿فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على المفعول به﴿ٱلرُّعْبَ﴾ أفاد تخصيص هذه القلوب بإلقاء الرعب فيها، والاهتمام بهذا الإلقاء؛ نصرةً لرسول الله ﷺ كما جاء "في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"(نُصِرْتُ بالرُّعْبِ على العدو)، وأخرج أحمد وغيره من حديث أبي أمامة(نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ يُقْذَفُ في قُلُوبِ أَعْدَائِي)"(٢).

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب اللام،(لقى)،٢/٥٨٤، ٥٨٥.

(٢) الألوسي، روح المعاني،٤/٨٨.

﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ أفادت﴿الباء﴾ السببية أي أنَّ إلقاء الرعب مُسَبَّبٌ عن إشراكهم بالله بدون حجة وبدون برهان أو دليل.

والآخر:﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾[الأنفال:١٢].

جاءت جملة﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾لا محلّ لها استئنافيّة تعليلة؛ لإفادة التثبيت؛ لأنه مصدقه ومبينه لإعانته إياهم على التثبيت، أو اعتراض بين متعاطفين أو تفسيرية لقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، كأنه قيل: أنِّي معكم في إعانتهم بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم، واتفقت هذه الجملة مع الموضع السابق إلا في قوله:﴿سَأُلۡقِي﴾، بإسناد إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا إلى نفسه وحده، ولم يقل﴿سَنُلۡقِي﴾ كما في الموضع السابق؛ لئلا يتوهم أنَّ للملائكة المخاطبين سببًا في إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا كما علمتَ آنفًا، فهم في هذا الموضع ملائكة نصْرٍ وتأييدٍ، ولم يطلبْ منهم إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا.

<u>وورد متضمنًا صفة توقع(دخول الإيمان) في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[الحجرات:١٤].

استشهد سلطان العلماء بالآية الكريمة على وصْف دخول المعاني في الأجرام فقال:"الدخول الحقيقي انتقال جِرْم من خارج الشيء إلى داخله، ولا يتصور في الإيمان انتقالٌ من خارج القلوب إلى داخلها، ولا خروج منها إلى ظاهرها، بل شبَّه حصوله في القلوب بعد أن لم يكن فيها بجِرْم دخل إلى حيِّز بعد أنْ لم يكن فيه"(١).

جاءت جملة:﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ في محلّ نصب حال من﴿واو﴾الجماعة في﴿قُولُوٓاْ﴾ العائد إلى﴿ٱلۡأَعۡرَابُ﴾المعرَّف بأل تعريف عهد،لا تعريف جنس؛ فهو لا يشمل جميع سكان البادية من

---

(١) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،٢٢٦.

العرب، وإنما أعرابًا معينين، وهم بنو أسد الذين جاءوا يَمُنُّونَ على رسول الله ﷺ إسلامهم،﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ فيما مضي وحتى الآن،﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾استدراك لتصحيح فهمهم للإيمان، فهو ليس قولا باللسان دون تصديق بالجنان، و﴿لَمَّا﴾حرف نفي وجزم وقلب زمن المضارع للماضي مع توقُّع انتهاء النفي فيما بعد،﴿يَدْخُلِ﴾ فعل مضارع مجزوم بلمَّا، وعلامة جزمه السكون، وحرك بالكسر؛ منعًا لالتقاء ساكنين، أُسند إلى فاعله الذي اتصف به﴿ٱلْإِيمَٰنُ﴾، والجار والمجرور﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾ متعلق بالفعل﴿يَدْخُلِ﴾ربطت ﴿فِى﴾ بين نفي دخول الإيمان مصحوبًا بالظرفية ومجرورها﴿قُلُوبِكُمْ﴾ مع توقُّع دُخول الإيمان في قلوبهم، قال الزمخشري:" وما في﴿لَمَّا﴾من معنى التوقع: دال على أنَّ هؤلاء قد آمنوا فيما بَعْدُ"(١)، وَرَدَّ أبو حيان عليه فقال:" ولا أدري من أي وجه يكون ما نفي بلَمَّا يقع بعد ولمَّا، إنما تنفي ما كان متصلًا بزمان الإخبار، ولا تدل على ما ذَكَرَ، وهي جواب لقد فَعَلَ، وهبْ أنْ قد تدل على توقُّع الفعل. فإذا نفي ما دلَّ على التوقع، فكيف يتوهم أنه يقع بَعْدُ"(٢).

<u>وَرَدَ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة "ما" في(ستة) مواضع:</u>

<u>ورد متضمنًا صفة(الإشهاد على عموم ما في القلب) في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا <u>وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ</u> وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ **[البقرة:٢٠٤]**.

جاءت الآية لبيان صِنْفٍ مِنَ المنافقين يحلف بأنَّ الله يَعْلَمُ أنَّ ما في قلبه كقول لسانه، ففي قوله:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أفادت﴿مِنَ﴾ التبعيض أي بعض الناس، وجملة﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة على جملة صلة الموصول﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾، وفيها الفعل﴿يُشْهِدُ﴾ فعل مضارع من(أشهد) تعدَّى بالهمزة، ونصب مفعوله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهَ﴾، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقدير: (هو) يعود إلى لفظ﴿مَن﴾، والجار والمجرور﴿عَلَىٰ مَا﴾ متعلّق بـ ﴿يُشْهِدُ﴾، ﴿عَلَىٰ﴾حرف جرّ أفاد الاستعلاء، وربط بين إشهاد الله وما هو كائن في قلبه، وأنه موافق لقوله–وهو كاذب– و﴿مَا﴾ اسم موصول مبهم

(١) الزمخشري، الكشاف،٥/٥٨٨.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط،٢/١١٦.

مبنيّ على السكون في محلّ جرّ بـ﴿عَلَىٰ﴾ أفاد العموم والشمول لكل ما هو كائن في قلبه، والجار والمجرور﴿فِى قَلْبِهِۦ﴾ متعلّق بمحذوف صلة ما، بتقدير ما هو كائن في قلبه، أزالت الصلة إبهام الاسم الموصول، وعيَّنته، وجاءت الجملة الاسمية الحالية فأبانت هيئة المُدَّعِي، وكَذِبَ ادعائه فهو يتصف بشدة الخصومة، والمبتدأ﴿هُوَ﴾ معرفة ضمير الفصل، والخبر﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ معرفة مُرَكَّب إضافي فيه﴿أَلَدُّ﴾ صفة مشبهة أفادت ثبات صفة اللدد وهو شدة الجدال، وهو مضافٌ اكتسبَ التعريفَ من إضافته إلى﴿ٱلْخِصَامِ﴾ مصدر خَاصَمَ أفاد تعريف الطرفين تخصيصه بثبات هذه الصفة فيه.

ووورد متضمنًا صفة(تمحيص ما في القلب) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[آل عمران:١٥٤].

أشار ابن فارس إلى أصل مادة(محص)، وأنها تأتي بتخفيف الخاء(مَحَصَ) وبتشديدها(مَحَّصَ) فقال: "الميم والحاء والصاد أصلٌ واحدٌ صحيح يدل على تخليص شيء وتنقيته. ومَحَصَهُ مَحْصًا: خَلَّصَهُ مِنْ كل عيبٍ، ومَحَصَ اللهُ العبدَ مِنَ الذَّنب: طَهَّرَهُ منه ونقَّاه، ومَحَّصَهُ. قال الله تعالى:﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾" (١).

وقال الأصفهاني: " أَصْلُ المَحْصِ: تخليصُ الشيءِ ممَّا فيه مِنْ عيبٍ كالفحصِ، لكنَّ الفَحْصَ يُقالُ في إبرازِ شيءٍ مِنْ أَثناءِ مَا يَخْتَلِطُ به، وهو مُنْفَصِلٌ عنه، والمحصُ يقال في إبرازِهِ عمَّا هو مُتَّصِلٌ به، يقال: مَحَصْتُ الذَّهَبَ ومَحَّصْتُهُ: إذا أَزِلْتُ عنه ما يَشُوبُهُ مِنْ خَبَثٍ. قال تعالى:﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران:١٤١]، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾[آل عمران:١٥٤]، فَالتَّمحِيصُ ههنا كالتزكيةِ والتطهيرِ ونحو

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الميم،(محص)،٥/٣٠٠.

ذلك مِنَ الألفاظِ. ويقال في الدعاء: (اللهمَّ مَحِّصْ عَنَّا ذُنُوبَنَا)(انظر:البصائر٤/٤٨٦) أي: أزل ما علق بنا من الذنوب"[١].

جاءت الآية خطابًا للمؤمنين، وجملة﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ جملة فعلية في محل جر معطوفة بـ﴿الواو﴾ على جملة﴿لِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ التي جاءت معطوفة على جملة: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[آل عمران:١٥٣]؛ فأفادت الجمعَ والمشاركة بين الابتلاء والتمحيص، و﴿اللام﴾ في﴿لِيُمَحِّصَ﴾ تعليلية ، و﴿يُمَحِّصَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ(أنْ) مضمرة بعد اللام، والمصدر المؤوّل من(أن) المضمرة والفعل المضارع﴿يُمَحِّصَ﴾ في محلّ جرّ باللام، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره:(هو) يعود إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، و﴿مَا﴾ اسم موصول مبهم مبنيّ على السكون في محلّ نصب مفعول به يفيد وقوع التمحيص على كل ما في قلوبهم، و﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة﴿مَا﴾أزالت إبهامها ، وبيَّنَتِ المقصود منها، و﴿كُمْ﴾ضمير مضاف إليه، وجملتا﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ و﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ تعليليتان بينتا سبب ما فعله اللهُ بأُخذ بالمسلمين؛ ليقضي أمره، وليبتلي ما في صدورهم، وليمحِّصَ ما في قلوبهم.

<u>وورد متضمنًا صفة(علم ما في القلب) في(ثلاثة) مواضع:</u>

أولها:﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ <u>فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ</u> فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[الفتح:١٨].

قال الأصفهاني:" العِلْمُ: إدراكُ الشَّيءِ بِحقيقتِهِ؛ وذلكَ ضَرْبانِ:أَحَدُهُمَا: إِدْرَاكُ ذَاتِ الشَّيءِ.والثاني: الحُكْمُ عَلَى الشَّيءِ بوجودِ شَيءٍ هُوَ مَوجودٌ لَهُ، أَوْ نَفْيُ شَيءٍ هُوَ مَنْفِيٌّ عَنْهُ. فالأول: هُوَ المُتَعَدِّي إلى مفعولٍ وَاحِدٍ نحو: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال:٦٠]. والثاني: المتعدي إلى مفعولين، نحو قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾[الممتحنة:١٠]"[٢].

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الميم،(محص)،٢/٥٩٩.

(٢) المرجع السابق، كتاب العين،(علم)،٢/٤٤٦.

جاءت جملة﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في محل جر معطوفة بـ﴿الفاء﴾على الجملة الفعلية﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ المضافة إلى ظرف الزمان الدال على الماضي﴿إِذْ﴾ بمعنى حين، ودل السياق على أنَّ الفعل﴿يُبَايِعُ﴾ مضارع لفظًا ماض معنى، وعبّر بـ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ دون(إذ بايعوك)؛ لإفادة التجدد والاستمرار واستحضار صورة المبايعة، وهي تعليليةٌ بيَّنَتْ سببَ رضا الله ﷻ عنهم في هذه الحالة، والفاء في قوله:﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ليست للتعقيب؛ لأنَّ عِلْمَ الله بما في قلوبهم ليس عقب رضاه عنهم ولا عقب وقوع بيعتهم، ويرجح كون الفاء–هنا– بمعنى(الواو)، وهذا ما يطلق عليه ابن مالك عطْف لمجرد المشاركة في الحُكْمِ[1]، ولا يلزم كون مضمون العطف﴿عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ واقعا بعد زمان مضمون المعطوف عليه﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾، وجاء الفعل﴿عَلِمَ﴾ماضيًا مبنيًّا على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره:(هو) يعود إلى لفظ الجلالة﴿اللَّهُ﴾،وهو–هنا– متعد لمفعول واحد الاسم الموصول المشترك المبهم﴿مَا﴾، وبعده صلة الموصول شبه جملة﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بلا عائد ويشترط النحاة في شبه جملة الصلة بنوعيها أن تكون تامة، أي: أنْ يكون للوصل بها فائدة. نحو: أكرمت الذي في بيتك، وأحسنت إلى الذي عندك. فالعامل في شبه الجملة في المثالين السابقين أفعال محذوفة وجوبًا تقديرها: استقرَّ، ويلحظ أنَّ النحاة عندما يأتي بعد الموصول شبه جملة كما في هذا الموضع، ومواضع كثيرة في القرآن الكريم يُعَلِّقُون شبه الجملة بمحذوف يُقدِّرونَه فِعْلا أو اسمًا، فمثلا في هذا الموضع يُقَدِّرون جملة الصلة،(استقرَّ– اعْتَمَلَ– كانَ– مستقرًا– كائنًا) حتى يجعلون الصلة جملة، ويرى الباحث أنَّ المعنى في قوله تعالى:﴿عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ تامٌّ مفهوم، يدل على عموم ما في قلوبهم، وتخصيصه بِفِعْلٍ دون فِعْلٍ، أو باسم ما ينقض الغرض، ويغيّرُ المعنى، فهو سبحانه أخبر أنه عَلِمَ ما في قلوبهم سواء استقر هذا المعلوم أم لم يستقر، فشبه الجملة﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾خصّصَ الإبهام في الموصول﴿مَا﴾، وتَمَّمَ معناه، وربطت﴿فِي﴾ بين﴿عَلِمَ مَا﴾ مصحوبًا بمعنى الظرفية والوعاء و﴿قُلُوبِهِمْ﴾، وترْك معنى﴿عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾على عمومه، وجعْل القلب ظرفا له أوضح وأبين مِنْ تخصيصه بمعنى فعل واحد أو اسم ما، وتخصيص العموم والشمول بمقدَّرٍ دون سواه.

---

(١) ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك،٣٧٣.

ويرى الباحثُ أنه يجب أنْ يكون الاستعمال القرآني واللغوي السابق على التقعيد هو الأصل في التقعيد النحوي، لا أنْ يكونَ التقعيدُ النحويُّ أصلًا يؤولُ النص العربي الصحيح؛ ليوافق القاعدة؛ فيقل عندئذ تقدير محذوفات تحيد بالمعنى عن مدلوله، وتحميله ما هو في غنى عنه.

وثانيها:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴿٦٣﴾﴾ [النساء:٦٣].

جاءت الجملة الاسمية﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في وصف المنافقين جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة لزيادة التنبيه على نفاقهم،﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ.. والكاف للخطاب، وأفادت الإشارة إلى المنافقين تمييزهم للسامعين أكمل تمييز ؛ لأنّهم قد حصل مِنْ ذِكْرِ صفاتهم مَا جعلهم كالمشاهدين، وما في﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من معنى البُعد للتنبيه على بُعد منزلتِهم في النفاقِ، وخبرُه﴿ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾،﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر، و﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع متعدٍّ لمفعول، أُسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ فدلَّ على عظمة هذا العِلْم، وأفاد التعبير بالمضارع الدلالة على استمرارية العِلْم، و﴿مَا﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به يفيد العموم والشمول، و﴿فِي قُلُوبِ﴾ جار ومجرور شبه جملة خصصت الموصول، و﴿هِمْ﴾ ضمير مضاف إليه، وجملة﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لا محل لها صلة الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهو كلام منتظم حسن الاتساق لا حاجةَ فيه إلى تقدير شيءٍ من حذفٍ وإضمارٍ.

وثالثها:﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥١].

جملة﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ﴾ استئنافيةٌ بيانيةٌ لا محل لها من الإعراب، المبتدأ لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، أسند إليه خبره الجملة الفعلية﴿يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ﴾ الذي جاء فعلها مضارعًا، فأفاد الدلالة على استمرارية العِلْم، وجملة الصلة في محل نصب مفعول به لـ﴿يَعْلَمُ﴾، ويفيد سياق جملة﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ﴾ الوعيدَ والتحذيرَ لمن لم ترضَ من زوجات رسول الله ﷺ بما دبَّرَ اللهُ تعالى في حقهنَّ من

تفويض الأمر إليهﷺ، والخطاب في قوله﴿قُلُوبُكُمَا﴾ لرسول الله ﷺ ولأزواجه المطهّرات على سبيل التغليب. والمراد بالموصول﴿مَا﴾العموم والشمول لكل ما احتوته قلوبهن.

ورد متضمنًا صفة(الإنباء بما في القلب) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴿٦٤﴾﴾[التوبة:٦٤].

قال الأصفهاني:"[النَّبَأُ: خَبَرٌ ذُو فَائِدَةٍ عَظِيمَةٍ يَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ غَلَبَةُ ظَنٍّ، ولا يُقَالُ لِلْخَبَرِ فِي الْأَصْلِ نَبَأٌ حَتَّى يَتَضَمَّنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ، وحَقُّ الْخَبَرِ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ نَبَأٌ أَنْ يَتَعَرَّى عَنِ الْكَذِبِ، كَالتَّوَاتُرِ، وخَبَرِ اللهِ تَعَالَى، وخَبَرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ولِتَضَمُّنِ النَّبَأِ مَعْنَى الْخَبَرِ يُقَالُ: أَنْبَأْتُهُ بكذا كقولك:أَخْبَرْتُهُ بكذا،ولِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْعِلْمِ قِيلَ: أَنْبَأْتُهُ كذا، كقولك:أَعْلَمْتُهُ كذا...يقال: نَبَّأْتُهُ وأَنْبَأْتُهُ... ونَبَّأْتُهُ أَبْلَغُ مِنْ أَنْبَأْتُهُ،...ويدلُّ على ذلكَ قوله:﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣] ولم يَقُلْ: أَنْبَأَنِي، بَلْ عَدَلَ إلى﴿نَبَّأَ﴾الذي هو أبلغ تنبيهًا على تحقيقِهِ وكَوْنِهِ مِنْ قِبَلِ اللهِ"[١].

قال الشريف الرضي:" وقوله سبحانه:﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ وهذه استعارة ؛ لأنَّ السورةَ نُطْقُهَا مِنْ جِهَةِ الْبُرْهَانِ لا مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ، فكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أنّ الناس يعلمون بهذه السورةِ النازلةِ فى المنافقين بواطنَ نفوسهم، وعقائدَ قلوبهم"[٢].

جملة: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة. بيانية تبين حَذَرَ المنافقين من أنْ تنزلَ عليهم سورة تخبرهم بما تحتوي عليه قلوبهم من النفاق، وفيها﴿يَحْذَرُ﴾ فعل مضارع مرفوع دلَّ على استمرار حذرهم، أسند إلى فاعله﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، وتعدّى إلى مفعوله المصدر المؤول﴿أَن تُنَزَّلَ﴾الذي عبّر به دون الصريح؛ فأفادَ تجددَ حذرِهم، واستمراره، واستحضار صورته،و﴿تُنَزَّلَ﴾ مضارع مبني للمجهول؛ للعِلْمِ بالفاعل، تعلق به الجار والمجرور﴿عَلَيْهِمْ﴾، وأسند إلى نائب الفاعل

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب النون،(نبأ)،٢/٦٢٢، ٦٢٣.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٨٩.

﴿سُورَةٌ﴾الذي جاءَ نكرةً مخصصةً بالوصفِ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، و﴿تُنَبِّئُهُم﴾ فعل مضارع مرفوع من(أنبأَ) ينصب مفعولين، فاعله مستتر تقديره(هي) يعود إلى﴿سُورَةٌ﴾، وعبّر بـ(تُنَبِّئُ) دون تُعْلِم أو تُخْبِرُ؛ للدلالة على أهمية هذا الإنباء، وفائدته العظيمة للمؤمنين، وتعدَّى الفعلُ إلى مفعوله الأول الضمير ﴿هُم﴾العائد إلى المنافقين بنفسه، وإلى مفعوله الثاني الاسم الموصول وصلته﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بواسطة حرف الجر﴿الباء﴾.

ووورد متضمنًا صفة(النفاق) في موضعين:

ورد الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلقان بمحذوف خبر(ليس):

أولهما:﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[آل عمران:١٦٧].

قال الأصفهاني:"وكُلُّ مَوْضِعٍ عَلَّقَ اللهُ تَعَالَى حُكْمَ الْقَوْلِ بِالْفَمِ فَإِشَارَةٌ إِلَى الْكَذِبِ، وتَنْبِيهٌ أَنَّ الاعتقادَ لا يُطَابِقُهُ. نحو:﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾[الأحزاب:٤]، وقوله:﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[الكهف:٥]، ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾[التوبة:٨]، ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[إبراهيم:٩]، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[المائدة:٤١]، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[آل عمران:١٦٧]"(١).

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جملةٌ فعلية لا محلّ لها استئنافيّة مقرّرةٌ لمضمون ما قبلها وذِكْرُ الأفواهِ والقلوبِ تصويرٌ لنفاقهم وتوضيحٌ لمخالفة ظاهرِهم لباطنهم، وهم ابنُ أُبَيّ ومَن انخزل معه يوم أُحُد، وفيها﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة،عبر به للدلالة على استمرار نفاق فاعل﴿يَقُولُونَ﴾ وهو﴿واو﴾ الجماعة العائد إلى منافقي يوم أُحُد.

وقيد الفعل بالجار والمجرور﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾؛ الذي تقدَّمَ على مقول القول؛ للتأكيد على أنّ قولهم بأفواههم، دون اعتقاد نفسي أو قلبي مطابق للقول، وتخصيص أفواههم بصدور القول بها أخرج احتمالية القول

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الفاء،(فوه)،٢/٥٠٢.

النفسي[1] كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾[المجادلة:٨]، أو غيره كالكتابة، والاهتمام بالمتقدّم﴿أَفۡوَٰهِهِم﴾ تنبيهًا للمؤمنين منهم ومِنْ حالهم حيث يبالغون في إظهار القول، الواقع على مفعوله﴿مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾، أفادت﴿مَا﴾ الموصولة المبهمة العموم والشمول لكل ما يقوله المنافقون بأفواههم، وعيَّنَتْ جملةُ صلة الموصول﴿لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ مدلول﴿مَا﴾، وأزالت إبهامه، وفيها﴿لَيۡسَ﴾ فعل ماض ناقص ناسخ جامد من أخوات(كان)أفاد نفي أنَّ ما يقولونه بأفواههم في قلوبهم، واسمه ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى لفظ﴿مَا﴾ دون معناه، وخبره الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ في محل نصب، أفادت جملة الصلة﴿لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ انتفاء احتواء قلوبهم على اعتقاد ما يقولونه بأفواههم؛ لنفاقهم.

والآخر:﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١١﴾[الفتح:١١].

بالتدبر في هذا الموضع، وفي الموضع السابق يُلحظ أنَّ:

أولا: جاءت جملة﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ متشابهة في ألفاظها مع الموضع السابق ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ ما عدا المجرور بالباء،﴿أَفۡوَٰهِهِم﴾، وهنا﴿أَلۡسِنَتِهِم﴾، والتعبير في الموضع السابق بـ ﴿أَفۡوَٰهِهِم﴾ دلَّ على أنَّ نفاق ابن أُبَيّ ومن معه يوم أُحُد أشد من نِفاق الأعراب الذين تخلفوا عن الانضمام إلى جيش النبي ﷺ حين الخروج إلى عُمْرَةِ الحديبية، وحرصهم على إظهار ضده أقوى؛ ولذلك وصفهم الله ﷻ بقوله ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾، وقوله:﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾.

ثانيًا: وفي الموضعين استخدم حرف الجر﴿الباء﴾؛ لنقل معنى الفعل﴿يَقُولُونَ﴾ مصحوبًا بمعنى﴿الباء﴾ الإلصاق إلى مجرورها أي: اتصالُ قولهم المخالف ما في قلوبهم بأفواههم وبألسنتهم حقيقةً.

ثالثًا: في الموضع السابق﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ...﴾ ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾، وقوله تعالى:﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ حكاية قولهم الذي صَدَرَ منهم، ولم يقل:(قالوا بأفواههم) حتى لا يظن أن

---

(١) ينظر، "بيان الحق" النيسابوري، باهر البرهان،١/٣٣٦، ٣٣٧.

قولهم المخالِف لِمَا في قلوبهم خاص بهذه الواقعة حَدَثَ وانتهى، وإنما التعبير بـ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾؛لإفادة تجدد قولهم، واستمرارهم على نِفاقهم، واستحضار صورة حالتهم هذه؛ للحذر مِنهم ومِنْ صنيعهم، وفي هذا الموضع قوله تعالى:﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ليس حكاية قول صَدَرَ فيما مضى، ولا في الحال، وإنما حكاية قولهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾، وهو قول سيقع في المستقبل القريب إعجازًا قرآنيًا، بدلالة﴿السين﴾ في ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾، وليس في هذا القول مِن النفاق ما في القول الأول، ولذلك لم تصفهم الآية صراحة بلفظ النفاق؛ فلم تقل:(سيقول لك المنافقون من الأعراب)، فهم أقل نفاقًا ممن ثبت لهم النفاق﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾.

رابعًا: مِنَ النحاة مَنْ يعلق الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بمحذوف خبر ليس أي(كائنًا أو مستقرًا)، ومنهم من يجعل الجار والمجرور في محل نصب خبر﴿لَيْسَ﴾، على اعتبار أنَّ المعنى واضحٌ مفهومٌ بدون تقدير.

<u>ورد الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مسبوقًا باسم موصول مختص:</u>

<u>جاء فيه الجار والمجرور ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم في(أحدَ عشرَ) موضعًا:</u>

يُلْحَظُ أَنَّ جميعَ المواضعِ جاء الاسم الموصول مختصًا بالمفرد المذكَّر مرة واحدة﴿ٱلَّذِى﴾، ومختصًا بجمْع المذكَّرِ عشر مراتٍ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وفي جميع المواضع تبع الاسمَ الموصولَ جملةٌ اسميةٌ تقدم فيها شبه الجملة الجار والمجرور متصلا به الضمير الرابط العائد إلى الاسم الموصول﴿الهاء﴾ في الموضع الأول ﴿فِي قَلْبِهِۦ﴾، و﴿هم﴾ في بقية المواضع﴿فِي قُلُوبِهِم﴾ تقدم وجوبًا على المبتدأ النكرة﴿مَرَضٌ﴾ في عشرة مواضع، و﴿زَيْغٌ﴾ في الموضع الحادي عشر، وهذه المواضع العشر:

أولها:﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[الأحزاب:٣٢]، **وثانيها**:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[التوبة:١٢٥]، **وثالثها**:﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[محمد:٢٠]، **ورابعها**:﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾[المائدة:٥٢]، **وخامسها**:﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال:٤٩]،

وسادسها:﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]، وسابعها:﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[الأحزاب:٦٠]، وثامنها:﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾[محمد:٢٩]، وتاسعها:﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ﴾[المدثر:٣١]، وعاشرها:﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج:٥٣]، والحادي عشر:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾[آل عمران:٧].

وفي مثل هذا يرى النحاة أن شبه الجملة﴿فِى قَلْبِهِۦ﴾ و﴿فِى قُلُوبِهِم﴾ متعلق بمحذوفٍ مُقدَّرٍ، يقول أحد المعربين في إعراب الموضع الأخير:

"﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ﴿فِى قُلُوبِ﴾ جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، و﴿هِمْ﴾ ضمير الغائبين مبني على السكون في محل جر مضاف إليه﴿زَيْغٌ﴾ مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة، وصلة الموصول محذوفة بتقدير: " استقرَّ في قلوبهم زيغ" أي ميل عن الحق"(١).

ويقول في كتابه بلاغة القرآن:"﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾:جار ومجرور متعلق بخبر مقدم، و﴿هِمْ﴾ ضمير متصل- ضمير الغائبين مبني على السكون في محل جر بالإضافة.﴿زَيْغٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة المنوَّنة، والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره:(استقرَّ)، والجملة الفعلية(استقرَّ في قلوبهم) صلة الموصول لا محل لها بمعنى: أشربت قلوبهم الضلالة أي في قلوبهم ميل عن الحق إلى الباطل"(٢).

ويرى الباحثُ أنَّ جملة صلة الموصول﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إما اسمية أو فعلية، وإذا قدرنا المحذوف (استقرَّ) وجعلنا جملة الصلة فعلية، أي: استقر في قلوبهم زيغ. وعلقنا﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ باستقرَّ، فكيف نجعل﴿زَيْغٌ﴾ مبتدأ؟! فـ﴿زَيْغٌ﴾عندئذ فاعل، وإذا جعلنا جملة الصلة اسمية، و﴿زَيْغٌ﴾مبتدأ مؤخر، فلا يستقيم جَعْل﴿ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ(استقرَّ)، والجملة الفعلية(استقرَّ في قلوبهم) في محل رفع خبر مقدم.

---

(١) بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٣م)،٩/٢.

(٢) بهجت عبد الواحد، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، مكتبة دنديس، عمان- الأردن، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)،١١/٢.

وإذا قدرنا المحذوف(مستقرٌ)أو(كائنٌ) فتكون الجملة: الذين مستقرٌ(كائنٌ) في قلوبهم زيغٌ. فهل تعطي هذه الجملة مدلول﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الواضحة المعنى والدلالة دون تقدير لمحذوفات تغيّر مدلول الجملة، وهذا مما دفعَ ابن مضاء القرطبي، ومَنْ سار على دربه إلى الاعتراض، والرد على النحاة، يقول ابن مضاء:" ومما يجري هذا المجرى من المضمرات التي لا يجوز إظهارها، ما يدعونه في المجرورات التي هي أخبار أو صلات أو صفات أو أحوال، مثل:(زيد في الدار، ورأيت الذي في الدار، ومررت برجل من قريش، ورأى زيدٌ في الدارِ الهلالَ في السماء). فيزعم النحويون أنَّ قولنا:(في الدار) متعلقٌ بمحذوف تقديره: (زيدٌ مستقرٌ في الدار)، والداعي لهم إلى ذلك ما وضعوه من أنَّ المجرورات إذا لم تكن حروف الجر الداخلة عليها زائدة فلابد لها من عامل يعمل فيها؛ إن لم يكن ظاهرًا كقولنا:(زيد قائمٌ في الدار) كان مضمرًا كقولنا:(زيدٌ في الدار)، ولا شك أن هذا كله كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة، وتلك النسبة دلت عليها(في)، ولا حاجة بنا إلى غير ذلك، وكذلك يقولون في(رأيت الذي في الدار) تقديره:(رأيت الذي استقرَّ في الدار)، وكذلك(مررت برجلٍ من قريش)، تقديره:(كائنٍ من قريش)، وكذلك(رأيت في الدارِ الهلالَ في السماء)، تقديره:(كائنًا في السماء)، وهذا كله كلام تام، لا يفتقر السامع له إلى زيادة(كائن)، ولا (مستقر)، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعي هذا الإضمار"(١).

وخلاصة قول ابن مضاء أنه لا حاجة للتكلف والإضمار إذا ما كان التركيب بيّنًا واضحًا، والمعنى تامًّا والإفادة حاصلة، ولا شبهة في مقصود القول، فليس هنالك ما يدعو إلى تقدير محذوف بكائن أو استقرَّ وما إلى ذلك من تقديرات للمحذوفات.

ويرى الباحثُ أنه إذا كان لا بد مِنَ التقدير لمحذوف فيجب أن يكون في أضيق الحدود، شريطة ألا يُغَيِّرَ التقديرُ معنى التركيب الأصلي، فإذا غيَّرَ معنى التركيب الأصلي، جعلنا الجار والمجرور هو الخبر كما في التراكيب التي ورد فيها﴿الَّذِى فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، و﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، و﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، وما أشبهها، وأتفقُ مع ابن مضاء القرطبي في جَعْلِ الجار والمجرور الذي وضحَ معناه غير

(١) ابن مَضاء، الرد على النحاة،٨٧.

متعلق، فنجعل الجار والمجرور في محل رفع خبر في جملة: "زيدٌ في الدَّارِ"، وفي محل رفع نعت في جملة:"مررْتُ برجلٍ مِنْ قريشٍ"، وفي محل نصب حال في جملة:" رأيْتُ الهلالَ في السماءِ".

وردَ متضمنًا صفة(مرض القلب) في(عشرة) مواضع:

أولها: قوله تعالى:﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[الأحزاب:٣٢].

قال الأصفهاني:" المرضُ: الخروجُ عن الاعتدالِ الخاصّ بالإنسانِ، وذلك ضربان:

الأول: مرضٌ جسميٌّ، وهو المذكور في قوله تعالى:﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[النور:٦١]،﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾[التوبة:٩١]. والثاني: عبارةٌ عن الرذائلِ كالجَهْلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والنِّفَاقِ، وغيرها من الرذائلِ الخُلُقِيَّةِ. نحو قوله:﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة:١٠]،﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾[النور:٥٠]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[التوبة:١٢٥]. وذلك نحو قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾[المائدة:٦٤] ويُشَبَّهُ النِّفَاقَ والكُفْرَ ونحوَهُمَا مِنَ الرذائلِ بالمرضِ؛ إما لكونِها مانعةً عن إدراكِ الفضائل كالمرضِ المانعِ للبدنِ عن التصرفِ الكاملِ؛ وإما لكونها مانعة عن تحصيلِ الحياةِ الأُخْرَوِيَّةِ المذكورةِ في قوله:﴿إِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:٦٤]؛ وإمّا لميلِ النَّفْسِ بها إلى الاعتقاداتِ الرديئةِ مَيْلَ البدنِ المريضِ إلى الأشياءِ المُضِرَّةِ، ولكون هذه الأشياء مُتَصَوَّرَةً بصورةِ المرضِ قيل: دَوِيَ صَدْرُ فُلانٌ، ونَغِلَ قَلْبُهُ "[1].

جاءت جملة﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ(أن) المضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بنهي أمهات المؤمنين عن الخضوع بالقول﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾حتى لا يتسبب عنه طمع الذي في قلبه مرض، والفعل﴿يَطْمَعَ﴾ منصوب في جواب النهي بعد الفاء؛ لأنَّ المنهي عنه (الخضوع)إنْ حدَثَ فسيكون سببًا[2] في حصول الطمع، وحذف متعلق﴿فَيَطْمَعَ﴾ تنزيهًا وتعظيمًا لشأن نساء النبيﷺ، اللاتي اكتسبن التشريف من إضافتهن إلى النبيﷺ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ فاختصهن الله ﷻ

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الميم،(مرض)،٢/٦٠٢، ٦٠٣.

(٢) ابن النحاس، التعليقة على المُقرِّب،٤٣٥.

بالرفعة﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، واستمرارية إذهاب الرجس والتطهير في القول ومنه﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ، وفي العمل ومنه﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾، وهن رضوان ربي عليهن متقيات لا يخضعن بالقول يطلب منهن الاستمرار على ترك الخضوع بالقول في الحال والاستقبال، وهو كقوله لسيد المتقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؛ طلبًا للاستمرار والمداومة على التقوى مع تحققها فيهﷺ، وأسند الفعل المضارع ﴿يَطْمَعَ﴾ المنصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة بعد فاء السببية إلى فاعله﴿ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ الذي جاء اسمًا موصولا مختصًا مُفْرَدًا خلافا للمواضع التالية التي جاء الحديث فيها عمن في قلبه مرض بالاسم الموصول المختص جمْعًا﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ تنبيهًاعلى عفتهن وعلو مكانتهن، واستبعاد أنْ يحصل طمَعٌ مِنْ أحدٍ فيهن في الحال والاستقبال حتى وإنْ كان في قلبه مرض؛ لأنه لن يجد إلا مطهرات عفيفات شريفات- رضي الله عنهن-.

وعَرَضَ ابنُ الأنباري خلافَ النحاة في مسألة عامل النصب في الفعل المضارع بعد فاء السببية: إلى ثلاثة مذاهب(١):

أولها: ذهب الكوفيون إلى أنّ الفعل المضارع الواقع بعد الفاء في جواب الستة الأشياء التي هي:(الأمر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعَرْض) ينتصب بالخلاف.

وثانيها: ذهب البصريون إلى أنّه ينتصب بإضمار(أنْ).

وثالثها: ذهب أبو عَمرو الجَرْميّ إلى أنه ينتصب بالفاء نفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف وإليه ذهب بعض الكوفيين، وردَّ ابنُ الأنباري ما ذهب إليه الكوفيون، وما ذهب إليه الجَرْمِيّ، ورجَّحَ ما ذهبَ إليه البصريون، وذكر صاحب التفاحة(الفاء) من الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة، فقال:" باب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة، وهي: أنْ ولن...و(الفاء) في ستة أشياء: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والجحد والدعاء"(٢).

---

(١) ينظر، ابن الأنباري، الإنصاف،٤٤٥.

(٢) أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المُرَادِي، أبو جعفر النحاس النحوي، المصري (ت٣٣٨هـ)، كتاب التُّفَّاحَةِ في النَّحْوِ، تحقيق، كوركيس عوَّاد، مطبعة العاني، بغداد(١٣٨٥هـ-١٩٦٥م)،١٩.

وأعقبه ببابٍ خاصٍ بالنصب بالفاء في جواب الستة الأشياءالسابقة، ذَكَرَ أمثلةً لها، وعَقَّبَ على كل مثال جاعلا سبب النصب الفاء، فقال:" باب الجواب بالفاء... تقول في الأمر والنهي، زُرْني فَأُحْسِنَ إليكَ، ولا تهجرْني فأُسِيءَ إليكَ. نَصَبْتَ أُحْسِنَ وأُسِيءَ؛ لأنهما جوابا الأمر والنهي بالفاء..."(١).

وكذلك في بقية الأمثلة يذكر أنَّ الجواب منصوب بالفاء، وأرى أنَّ معرفتنا بأنَّ المضارع بعد فاء السببية منصوبٌ، وأنه يخالف الأشياء التي قبْله، دون حاجةٍ إلى التطرق إلى عامل النصب هل هو أنِ المُضمرة أم الفاء؟ يُغني عن معرفة عامل النصب.

وجملة صلة الموصول﴿فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أزالت إبهام الموصول﴿ٱلَّذِى﴾، وعيَّنته، وهي جملة اسمية لا محل لها من الإعراب تقدَّم فيها الخبر﴿فِى قَلْبِهِۦ﴾ على المبتدأ﴿مَرَضٌ﴾ الذي جاء نكرة؛ فأفاد العموم لكل ما يطلق عليه مرض، وربطَتْ﴿فِى﴾ الطمعَ بالذي في قلبه مرض، وتخصيص﴿مَرَضٌ﴾ بالشك أو النفاق أو الريبة أو الغِلّ أو الحسد أو الظلمة أو غير ذلك من الرذائل الخُلُقيَّة خلاف الأولى، فهو مرض عام لا نخصصه إلا بدليل، مثل قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد:٢٩]، فذِكْر﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾ خصص﴿مَرَضٌ﴾ في الآية بأنه أضغان أي أحقاد، أما في هذا الموضع والمواضع التالية ما لم توجد قرينة لتخصيص العموم في﴿مَرَضٌ﴾، فتركه على عمومه أحسن وأبين للمعنى، فعندما يريد الله ﷻ تخصيص عموم﴿مَرَضٌ﴾ يخصصه، ويحدد نوع هذا المرض، مثل قوله تعالى:﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾[آل عمران:٧]، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾[التوبة:٧٧]، ﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة/١١٠]، ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[الفتح:٢٦]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾[الحشر:١٠]، خصص المرض القلبي بالرذيلة الخلقية في الآيات السابقة، وهي على الترتيب: ﴿زَيْغٌ- نِفَاقًا - رِيبَةً- حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ- غِلًّا﴾.

ويرى الباحثُ أنه: إذا أُطلق﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ دون تخصيص أنه يشملُ المرضَ الجسميَّ، والرذائل الخُلُقيَّة، ما لم توجدْ قرينةٌ تُبَيِّنُ أنه يراد به أحدهما، بل الأصل فيه معنى المرض الحقيقي، فلا

(١) أبو جعفر النحاس، التفاحة،١٩، ٢٠.

نخصصه بالمعنى الخُلُقِي المجازي إلا بدليل إذ إنه كما قال "بيان الحق" النيسابوري:" ولو أُجْرِيَ المَرَضُ على ظاهرِهِ لكانَ أيضًا قريبًا، فإنَّ القلبَ جارحةٌ مِنَ الجوارحِ يكونُ سليمًا وسقيمًا، وسويًّا وناقصًا، وإنَّمَا داؤه الجهلُ والفسادُ، ودواؤه التعليمُ والإرشادُ، وأطباؤُهُ الأنبياءُ، ومِنْ بعدِهِمُ العلماءُ"(١).

وثانيها: قوله تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٥].

جاءت الجملة الشرطية ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ معطوفة بالواو على﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤]، وفيها﴿أَمَّا﴾ حرف شرط وتفصيل، بيَّنَت الجملتان الشرطيتان أثَرَ نزول سورة من القرآن على﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وعلى ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وجملة: ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ لا محلّ لها معطوفة على الجملة الاستئنافية﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جاء الاسم الموصول المختص﴿ٱلَّذِينَ﴾ جمْعًا مبنيًّا على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة:﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾ أزالت إبهامه، وعيَّنَته، و﴿فِي قُلُوبِهِم﴾خبر شبه جملة مقدم وجوبا، و﴿مَرَضٌ﴾ مبتدأ نكرة مؤخر، والجملة الفعلية ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ جواب الشرط ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فيها ﴿الفَاء﴾ رابطة واقعة في جواب ﴿أَمَّا﴾، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾، وزادتهم فعل ماض مبني على الفتح دل على تحقق زيادة الرجس مترتبًا على ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، والتاء علامة التأنيث، والضمير المستتر(هي) العائد إلى﴿سُورَةٌ﴾، في محل رفع فاعل مستتر، والضمير﴿هم﴾ العائد إلى﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ في محل نصب مفعول به، و﴿رِجْسًا﴾ مفعول به ثان أو تمييز، و﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ جار ومجرور في محل نصب صفة أي مضمومًا إلى رجسهم، وجملة﴿وَمَاتُواْ﴾ معطوفة بالواو على جملة﴿زَادَتْهُمْ﴾ أسند فيها الفعل الماضي﴿مَاتَ﴾إلى فاعله﴿واو﴾ الجماعة العائد إلى﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، والتعبير بالفعل الماضي﴿مَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾؛لإفادة تحقُّق وثبوت اتصافهم بالموت على هيئة الكفر، وجملة﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ في محل نصب حال من﴿واو﴾ الجماعة في﴿مَاتُواْ﴾ وختمت الآية بالجملة الحالية:﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ من﴿واو﴾ الجماعة في﴿مَاتُواْ﴾؛ لبيان حال مَنْ

---

(١) "بيان الحق" النيسابوري، باهر البرهان،١/٣١.

في قلوبهم مرض عندما﴿مَاتُواْ﴾، وفيها﴿الواو﴾حالية، و﴿هُمْ﴾ ضمير الغائبين العائد إلى(المنافقين) مبتدأ، وبعده خبره﴿كَٰفِرُونَ﴾، وعبّر بالاسم﴿كَٰفِرُونَ﴾ دون الفعل(يكفرون)؛ لقصد التأكيد أنَّ الكفرَ من سجاياهم، ومما ثبت لهم؛ لأنَّ الاسم يقتضي ثبوت الصفة واستمرارها، وحصولها مِنْ غير أنْ يكونَ هناك مزاولة فِعْل، ومعنى يَحْدُثُ شيئًا فشيئًا بخلاف الفعل الذي يقتضي تجدُّد المعنى المثبت شيئًا بعد شيءٍ[1].

وثالثها: قوله تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠﴾[محمد:٢٠].

جاءت جملة﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، أداته﴿إِذَا﴾ التي ربطت تحقُّق مضمون جملة الجواب﴿رَأَيْتَ﴾ بتحقق مضمون جملة الشرط﴿أُنزِلَتْ﴾ التي جاءت في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجعلتها مترتبة عليها حدثيًا وزمنيًا؛ فرؤية الذين في قلوبهم مرض على هيئة من ينظرون إلى رسول الله ﷺ نَظَرَ المغشِيّ عليه من الموت تحدث بعد حدوث جملة الشرط وما عُطف عليها﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾، والفعل في﴿رَأَيْتَ﴾فعل ماض مبني على السكون؛ لاتصاله بضمير الرفع المتحرك فاعله﴿تاء﴾ الفاعل العائد إلى رسول الله ﷺ تعدّى إلى مفعوله﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ﴾اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية:﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾لا محلّ لها صلة الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾أزالت إبهام الموصول وخصّصته، وبيَّنَتِ الجملة الفعلية:﴿يَنظُرُونَ﴾ حال الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾، وربطت﴿فِى﴾ بين المبتدأ الاسم المتأخر لفظًا المتقدم رتبة ﴿مَرَضٌ﴾، ومجرورها﴿قُلُوبِهِم﴾، ونقلت معنى المبتدأ مصحوبًا بمعنى الظرفية إلى مجرورها﴿قُلُوبِهِم﴾.

ورابعها: قوله تعالى:﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾[المائدة:٥٢]

﴿الفَاء﴾ عاطفة أو استئنافية، وجملة﴿تَرَى ٱلَّذِينَ...﴾: لا محلّ لها معطوفة على جملة﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة:٥١] أو استئنافية مسوقة لبيان كيفية ولائهم وسببه، و﴿تَرَى﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة، أُسند إلى فاعله الضمير المستتر(أنت) العائد إلى رسول الله ﷺ،

---

(١) ينظر، الجرجاني، دلائل الإعجاز،١٦٤. – والسيوطي، معترك الأقران،٣/٤٩٤، ٤٩٥.

وتعدّى إلى مفعوله الاسم الموصول المبني على الفتح في محل نصب﴿ٱلَّذِينَ﴾، والجملة الاسمية﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾:لا محلّ لها صلة الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾أزالَتْ إبهامَ معنى الموصول، وخصصته، وجملة ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: في محلّ نصب حال من الاسم الموصول، أفادت بيان هيئة﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وبيَّنَتْ تسابقهم في الإسراع في موالاة الكافرين.

وخامسها: قوله تعالى:﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٤٩﴾[الأنفال:٤٩].

جملة:﴿يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ...﴾ في محلّ جرّ بإضافة ظرف الزمان للماضي﴿إِذۡ﴾ إليها، الذي نَقَلَ دلالةَ الفعل المضارع الدال على الحال والاستقبال إلى المضي، وعبّر بالمضارع﴿يَقُولُ﴾ دون الماضي(قال)؛ لاستحضار صورة المنافقين وهم يقولون﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾ في الذهن حتى كأن صورتهم مشاهدة، وأسند الفعل﴿يَقُولُ﴾ إلى فاعله﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ وما عطف عليه بالواو﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وأفاد العطف بالواو اجتماع المنافقين ومرضى القلب واشتراكهم في القول، قال السيوطي:" ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ مِنْ عطف الصفات، وهي لموصوفٍ واحدٍ، وُصِفُوا بالنِّفَاقِ وبالمَرَضِ. وقيل: المراد بهم قومٌ أسلموا بمكة، ومُنِعُوا مِنَ الهجرة، وأُخْرِجُوا كَرْهًا، فلمَّا نظروا إلى قِلَّةِ المسلمين، ارتابوا، وقالوا ذلك، والإشارة بهؤلاء للتحقير"(١).

ويرى الباحثُ أنَّ القائلين ليسوا موصوفًا واحدًا، وُصِفوا بالنفاق وبالمرض، وإلا لَمَا كان لواو العطف فائدة، ولَقِيلَ:(يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض) فكان الموصوفُ واحدًا اتصف بالنفاق ومرض في قلبه، ويُرجِّح الباحث ما ذهب إليه الشيخ ابن عاشور من أنهما طائفتان من المنافقين اشتركتا في القول؛ الطائفة الأولى: يقولون بألسنتهم، والطائفة الثانية: يقولون في أنفسهم لما في قلوبهم من مرضٍ وشكٍّ في وعد رسول الله ﷺ ، ويجوز أنْ يتحدثوا به بين جماعتهم(٢).

---

(١) السيوطي، قَطْفُ الأزهار،١١١٧/٢.

(٢) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير،٣٨/١٠.

وسادسها: قوله تعالى:﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢].

جاء قوله تعالى:﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ متفقًا مع الموضع السابق في ألفاظه، ومختلفًا معه في:

أولا: ﴿إِذْ﴾ في الموضع السابق غير معطوفة على ما سبقها، وفي هذا الموضع سبقت بواو العطف ﴿وَإِذْ﴾ فعطفت الظرف﴿إِذْ﴾ على﴿إِذْ زَاغَتِ الأبصارُ﴾[الأحزاب:١٠].

ثانيًا: قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض في الموضع السابق كان في غزوة بدر، وفي هذا الموضع في غزوة الأحزاب.

ثالثًا: مقول القول في الموضع السابق الجملة الفعلية﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ أشار المنافقون والذين في قلوبهم مرض بهؤلاء إلى المسلمين الذين خرجوا إلى بدر، ومقول القول-هنا- الجملة الفعلية ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ جاء هذا القول في غزوة الأحزاب، وهو مؤكد بالنفي﴿مَا﴾ ، والاستثناء﴿إِلَّا﴾؛ لتوكيد المنافقين على صِدْقِ مقولتهم، وهم كاذبون.

وسابعها: قوله تعالى:﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب:٦٠]

جاء قوله:﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ متفقًا مع الموضعين السابقين في الألفاظ، ومختلفًا في:

أولا: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فيما سبق فاعل الفعل المضارع المثبت﴿يَقُولُ﴾ المسبوق بـ﴿إِذْ﴾ الظرفية الحينية التي نَقَلَتْ زمن المضارع من الحال والاستقبال إلى المضي، وهنا﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فاعل الفعل المضارع المنفي المجزوم ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾، ومع أن﴿لَّمْ﴾ تقلب زمن المضارع بعدها إلى الماضي إلا أنَّ سبقها بحرف الشرط(إنْ) نَقَلَ زمن الفعل المضارع المنفي﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ من المضي إلى الحال والاستقبال.

ثانيًا: ذُكر مقول قول المنافقين في الموضعين السابقين﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، و﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾، واكتفي هنا بذِكْرِ صفاتهم، وتهديدهم بإغراء رسول الله ﷺ بهم، وحرمانهم من جواره ﷺ.

ثالثًا: زيادة صنف جديد من المنافقين وهم ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ من اليهود المجاورين لها عمّا هم عليه من نشر أخبار السوء الكاذبة عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملفقة المستتبعة للأذيّة.

رابعًا: ذَهَبَ الألوسي إلى أنّ التغاير بين المتعاطفات تغاير بالذات وهو الذي يقتضيه ظاهر العطف(1) ، وهو ما يرجحه الباحث فـ ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، و﴿ٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ ذوات متغايرة متعاطفات يجمعها النِّفاق، وليست ذات واحدة متصفة بالنفاق والمرض والإرجاف.

وثامنها: قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ۝٢٩﴾[محمد:٢٩].

جاءت﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى بل والهمزة؛ للإضراب الانتقالي من التهديد والوعيد في الآيات السابقة إلى الإنذار بأنّ الله مُطّلِعٌ رسوله ﷺ على ما يُضمره المنافقون من أحقاد وعداوة، والاستفهام المقدر بعد ﴿أَمْ﴾ للإنكار، وجملة:﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ جملة فعلية لا محلّ لها استئنافيّة، فيها الفعل﴿حَسِبَ﴾ فعل ماض ينصب مفعولين أفاد رجحان ظنهم، أُسنِدَ إلى فاعله الاسم الموصول المختص بجمع المذكر المبهم ﴿ٱلَّذِينَ﴾، الذي أزالت صلته الجملة الاسمية التي لا محلّ لها﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إبهامه، وعيَّنَتْهُ، و﴿أَن﴾ المخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف، والتقدير: أنه أي أنّ الشأن، وخبرها الجملة الفعلية﴿لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ المنفية بحرف النفي والنصب والاستقبال﴿لَن﴾؛ للدلالة على أنهم حسبوا انتفاء إخراج أضغانهم في المستقبل، كما انتفى ذلك فيما مضى، والمصدر المؤوّل﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي﴿حَسِبَ﴾.

وتاسعها: قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١﴾[المدثر:٣١].

جاءت جملة﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ معطوفة بـ﴿الواو﴾ على جملة﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ...﴾، وكلاهما تعليلية لِجَعْلِ أصحاب النار ملائكة عدتهم قليلة

---

(١) ينظر، الألوسي، روح المعاني،٢٢/٩٠.

تسعة عشر؛ وفيها اللام للتعليل، و﴿يَقُولَ﴾ فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، أُسند إلى فاعله الاسم الموصول المختص المبهم﴿ٱلَّذِينَ﴾، وأبانَتْ صلتُهُ الجملة الاسمية التي لا محل لها﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وما عطف عليها﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المقصودَ من الموصول، وأزالت إبهامه.

وعاشرها: قوله تعالى:﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[الحج:٥٣].

جاءت جملة﴿لِّيَجْعَلَ...﴾ متعلقة بـ﴿ يُحْكِمُ﴾ أي: يُحْكِمَ الله آياته ليجعلَ، وهي جملة تعليلية فيها(اللام) للتعليل، و﴿يَجْعَلَ﴾ فعل مضارع ينصب مفعولين منصوب بعد لام التعليل، وفاعله ضمير مستتر(هو) يعود إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ و﴿مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الاسم الموصول﴿مَا﴾ في محل نصب مفعول به أول، وجملة صلة الموصول﴿يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لا محل لها من الإعراب، لكنها بينت المقصود من الاسم الموصول، وأزالت إبهامه، و﴿فِتْنَةً﴾ مفعول به ثانٍ خصص بالوصف بعده﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

الحادي عشر: ورد متضمنًا صفة(الزيغ) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[آل عمران:٧].

قال ابن قتيبة: "﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: جَوْر. يقال: قد زُغْتُ عَنِ الْحَقِّ. ومنه قوله:﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[ص:٦٣] أي: عَدَلَتْ ومَالَتْ"[١].

قال الزجاج:" الزيغ: الجور والميل عن القصد، ويقال زاغ يزيغ إذا جَارَ"[٢].

جاءت جملة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب، فيها﴿الفَاء﴾ استئنافيّة مسوقة لتفصيل موقف الناس مِنْ آيات القرآن المحكمات والمتشابهات، و﴿أَمَّا﴾ حرف شرط وتفصيل، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبنيّ على الفتح في محلّ رفع مبتدأ، والجملة الاسمية:﴿فِي

---

(١) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن،١٠١.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه،٣٧٧/١.

﴿قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿فِى قُلُوبِ﴾ جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف، من النحاة من يقدره بـ(استقرّ)، والجملة الفعلية " استقر في قلوبهم" صلة الموصول لا محل لها.

ويرى الباحثُ أنّ هذا تأويلٌ بعيدٌ عن الصواب؛ لأنّ الجملةَ اسميةٌ، وليست فعليةً، والجار والمجرور ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ في محل رفع خبر مقدّم و﴿هِمْ﴾ ضمير الغائبين متّصل مبني على السكون في محلّ جرّ مضاف إليه، و﴿زَيْغٌ﴾ مبتدأ مؤخّر مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو مصدر سماعيّ للفعل زاغَ؛ للدلالة على الميل عن الحق إلى الباطل، و﴿الفَاء﴾ رابطة لجواب الشرط﴿يَتَّبِعُونَ﴾ مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون، و﴿واو﴾ الجماعة في محل رفع فاعل، و﴿مَا﴾ اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به، و﴿تَشَٰبَهَ﴾ فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره:(هو)، و﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿تَشَٰبَهَ﴾، و﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ مفعول لأجله منصوب، و﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ مضاف إليه مجرور، و﴿الواو﴾ عاطفة، و﴿ٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ مثل ابتغاء الفتنة، ومعطوف عليه منصوب مثله، والمفعول لأجله والمعطوف﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أبانا سبب اتباع مَنْ في قلوبهم زيغ متشابه القرآن.

وجملة:﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في محلّ رفع خبر المبتدأ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهي جواب﴿أَمَّا﴾. وجملة:﴿تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول﴿مَا﴾.

<u>وورد الجار والمجرور﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ مسبوقا بفعل متعد لمفعولين في(أربعة) مواضع:</u>

<u>أولها: ورد متضمنًا صفة(الخيرية)، في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾[الأنفال: ٧٠].

جاءت جملة النداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ...﴾لا محلّ لها استئنافيّة، نداء تشريف وتكريم لرسول اللهﷺ، وبعدها جملة جواب النداء: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ لا محلّ لها، نزلت في جميع أسارى بدر الذين أُخِذَ منهم الفداء؛ لفك أسرهم، والجملة الشرطية ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ وما بعدها في محل نصب مقول القول﴿إن﴾ شرطية ربطت جملة جواب الشرط بجملة الشرط وعلقت حصولها على حصول جملة الشرط، وأفادت ترغيب الأسرى المذكورين في الإسلام في المستقبل، و﴿يَعْلَمِ﴾ فعل الشرط مضارع

مجزوم، وعلامة جزمه السكون حُرِّكَ بالكسر؛ منعًا لالتقاء ساكنين، أُسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، وتعدَّى إلى مفعوله﴿خَيْرًا﴾، الذي تقدَّم عليه الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ لإفادة التوكيد والتخصيص للقلوب بأنها وعاءُ الخيريَّةِ، وجملة:﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ لا محلّ لها جواب الشرط غير مقترنة بالفاء.

<u>وثانيها: متضمنًا صفة(الحمية)، في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿إِذْ <u>جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ</u> حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴿٢٦﴾﴾[الفتح:٢٦]

قال الأصفهاني:" الحَمْيُ: الْحَرَارَةُ الْمُتَوَلِّدَةُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَحْمِيَّةِ، كَالنَّارِ والشَّمْسِ، ومِنَ الْقُوَّةِ الْحَارَّةِ فِي الْبَدَنِ، قَالَ تعالى:﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[الكهف:٨٦]، أي:حَارَّةٍ،...وعَبَّرَ عَنِ القُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ إذا ثَارَتْ وكَثُرَتْ بِالْحَمِيَّةِ، فقيل: حَمِيتُ عَلَى فُلَانٍ، أي: غَضَبْتُ عَلَيهِ، قال تعالى:﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[الفتح:٢٦]"[١].

جاءت جملة﴿جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ في محل جر بإضافة﴿إِذْ﴾ إليها، و﴿إِذْ﴾إما اسم مبني على السكون في محل نصب على المفعولية لفعل محذوف تقديره:(اذكرْ)، أو ظرف زمان مبني على السكون بمعنى(حينَ) متعلق بـ ﴿عَذَّبْنَا﴾، في قوله تعالى:﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفتح:٢٥]، وهي تبيِّنُ حالَ كفارِ مكة عند كتابة كتاب صلح الحديبية، في مقابل حال رسول الله ﷺ والمؤمنين، وأسند الفعل﴿جَعَلَ﴾ إلى فاعله الاسم الموصول المختص المبهم﴿ٱلَّذِينَ﴾ الذي أزيل إبهامه بجملة الصلة الفعلية ذات الفعل الماضي﴿كَفَرُواْ﴾، وعبر بالموصولِ وصلته في﴿جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بدلا من ضميرِهم(جعلوا)؛ ذمًّا لهم بما في حيِّزِ الصلةِ، وإشعارًا بعلَّةِ الحُكْمِ[٢]، فهم وضعوا حميَّةَ الجاهلية في قلوبهم، وصدوا المسلمين المسالمين عن المسجد الحرام بسبب كفرهم. والجار والمجرور﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ متعلق بالفعل﴿جَعَلَ﴾، وحرف الجر﴿فِى﴾أفاد أنهم جعلوا﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾ مفعول﴿جَعَلَ﴾ ثابتةً راسخةً في

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الحاء،(حمى)،١/١٧٥.

(٢) ينظر، تفسير أبي السعود،٤/١٦٤.

قلوبهم، وأفاد تكرار الحميَّة بصورة المركَّب الإضافي﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ التقرير والتوكيد، وإضافة البدل المنصوب﴿حَمِيَّةَ﴾ إلى المضاف إليه المعرف﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ أفاد الذم لهذه الحمية والتحقير لها.

وثالثها: ورد متضمنًا صفة(الرأفة والرحمة) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[الحديد:٢٧].

جملة ﴿وَجَعَلْنَا﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة بـ﴿الواو﴾ على جملة﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾، وفيها ﴿جَعَلَ﴾ فعل ماض مبني على السكون؛ لاتصاله بضمير الرفع ﴿نَا﴾ فاعله العائد إلى الله ﷻ، وأفاد التعبير به التعظيم، والدلالة على أن الرأفة والرحمة أمرٌ ثابتٌ في قلوب الذين اتبعوا عيسى عليه السلام من الحواريين وغيرهم لا يزول عنها، وللتنبيه على تعلق الجعل بقلوبهم من أول الأمر، واستعمال حرف الجر ﴿فِي﴾ رَبَطَ معنى جملة﴿جَعَلْنَا رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ بمجرورها﴿قُلُوبِ﴾ المضاف الذي اكتسبَ التعريفَ من المضاف إليه الاسم الموصول وصلته﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، والفعل﴿جَعَلَ﴾ إما بمعنى(خَلَقَ) فيتعدَّى لمفعولٍ واحدٍ، وهو﴿رَأْفَةً﴾، والجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِ﴾ متعلقان بمحذوف حال منه؛ لأنهما لو تأخَّرَا لوقعَا صفة له، وإما بمعنى(صير) فيتعدى لمفعولين، أولهما﴿رَأْفَةً﴾، والجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِ﴾ في محل نصب المفعول الثاني.

ورابعها: ورد متضمنًا الدعاء بعدم صفة(الغل) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾[الحشر:١٠].

قال الأصفهاني:" الغِلُّ: العَدَاوَةُ. قال تعالى:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[الأعراف:٤٣]،﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]. وغَلَّ يَغِلُّ: إذا صَارَ ذا غِلٍّ، أي: ضِغْنٍ"(١).

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الغين،(غل)،٢/٤٧٠.

جاءت الجملة الفعلية الدعائية ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفةً بـ﴿الواو﴾ على جملة جواب النداء﴿ٱغْفِرْ لَنَا﴾، وهي من قول الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، والفعل المضارع﴿تَجْعَلْ﴾ مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية التي أفادت الدعاء، وعلامة جزمة السكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره:(أنت)، وتقدّم الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِنَا﴾على مفعول ﴿تَجْعَلْ﴾ الذي جاء نكرة﴿غِلًّا﴾؛ لإفادة التوكيد والتخصيص للقلوب بطلب كفّها عن الغل﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ لأنها موطن الأضغان والعداوة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل﴿تَجْعَلْ﴾ أفادت(في) الظرفية والوعاء.

ورد الجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ صفة أو متعلقا بمحذوف صفة مسبوقًا بموصوف نكرة: في(ثلاثة) مواضعَ:

أولها: ورد متضمنًا صفةَ(الحسرة) في موضعٍ واحدٍ، وهو:

قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾[آل عمران:١٥٦].

قال الأصفهاني:" الحَسْرَةُ: الغمّ عَلَى مَا فَاتَهُ والنَّدَمُ عَلَيهِ، كَأَنَّهُ انْحَسَرَ عَنْهُ الْجَهْلُ الذي حَمَلَهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَهُ، أو انْحَسَرَ قُوَاهُ مِنْ فَرْطِ غَمٍّ، أو أَدْرَكَهُ إعياءٌ عَنْ تَدَارُكِ مَا فَرَطَ منه، قال تعالى:﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ "(١).

جاءت جملة ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ تعليلية؛ لبيان مآل وعاقبة قول الكافرين ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، وفيها﴿اللام﴾ لام العاقبة أو الصيرورة أي قالوا ذلك فصار مآل قولهم وعقباه ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾، و﴿يَجْعَلَ﴾ فعل مضارع متعد لمفعولين منصوب بعد لام التعليل، وعلامة نصبه الفتحة، أُسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، ومفعوله الأول ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى بُعْدِ قولهم الذي اعتقدوه عن الصواب، و﴿حَسْرَةً﴾ وهي شدة الحزن مفعوله الثاني، والجار والمجرور﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في محل نصب صفة

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الحاء،(حسر)،١/١٥٥.

أبانت الوعاء الذي وقعت فيه الحسرة، وهي قلوب أصحاب القول من الكافرين، وربطت﴿فِي﴾ بين الاسم﴿حَسْرَةً﴾ قبله ومجرورها الاسم﴿قُلُوبِهِمْ﴾ بعده ربْطًا لفظيًا ودلاليًا؛ بجر الاسم﴿قُلُوبِ﴾جرًّا لفظيًّا ظاهرًا، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وإضافة معنى﴿حَسْرَةً﴾ من قولهم الذي قالوه واعتقدوه إلى﴿قُلُوبِهِمْ﴾ مصحوبًا بمعنى الحرف﴿فِي﴾ الظرفية والوعاء، "وذكر القلوب مع أنَّ الحسرة لا تكون إلا فيها لإرادة التمكن والإيذان بعدم الزوال" (١).

***اللام في﴿لِيَجْعَلَ﴾:**

هي مثل (اللام) في قوله تعالى:﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص:٨].

ذهبَ ابنُ شقير إلى أن"اللام" في﴿لِيَكُونَ﴾ في معنى"الفاء" واستشهد على ذلك بقولهم:" أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ لِيَكْفُرَ نِعْمَتَكَ"،أي: فَكَفَرَ نِعْمَتَكَ"(٢). وهذه "اللام" تُسَمَّى لام العاقبة عند الكوفيين، ولام الصيرورة عند البصريين(٣)؛ لأنَّ الكافرين لم يقولوا﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾؛ ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ بل لضده، وقد أفادت هذه "اللام" جهْل الكافرين لعاقبة قولهم﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾. والتحقيق أنَّ هذه "اللام" التي جعلوها للعاقبة هي في الحقيقة لام التعليل(٤).

قال الفخر الرازي: " التحقيق ما ذَكَرَهُ صاحبُ الكشافِ وهي أنَّ هذه "اللام" هي لام التعليل على سبيل المجاز، وذلك لأنَّ مقصودَ الشيء وغرضه يؤول إليه أمره ، فاستعملوا هذه "اللام" فيما يؤول إليه الشيء على سبيل التشبيه، كإطلاق لفظ الأسد على الشجاع "(٥).

---

(١) الألوسي، روح المعاني،٤/١٠٢.

(٢) ابن شُقَيْر، المُحَلَّى" وجُوهُ النَّصْبِ "،٢٣٤.

(٣) ينظر،ابن فارس، الصاحبي،٧٦، ٧٧. – والمُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،٩٨.

– والزركشي، البرهان،٤/٣٤٧.

(٤) ينظر، أبو حيان، تذكرة النحاة، تحقيق، د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)،٨٤.

(٥) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب،٢٤/٢٢٨.

وقال الزركشي: " ما جعلوه للعاقبة هو راجعٌ للتعليل؛ فإنَّ التقاطهم أفضى إلى عداوته، وذلك يُوجِبُ صِدْقَ الإخبارِ بكون الالتقاط للعداوة؛ لأنَّ ما أفضَى إلى الشيءِ يكونُ عِلَّةً "[1].

وكذلك الأمر ههنا فإن قول الكافرين لمَّا أفضى إلى وقوع الحسرة في قلوبهم؛ كان كالعلة للحسرة.

وثانيها: ورد متضمنًا صفة(النفاق) في موضع واحد، وهو:

قوله تعالى:﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴿٧٧﴾﴾ **[التوبة:٧٧]**.

قال الأصفهاني:" النِّفَاقُ وهو الدُّخولُ في الشَّرْعِ مِنْ بابٍ، والخروجُ عنه مِنْ بابٍ"[2].

وقال الزبيدي:" النِّفَاقُ(ككِتاب: فِعْلُ المنافقِ) وهو الدُّخولُ في الإسلامِ مِنْ وجهٍ، والخروجُ عنه مِن آخر، وقد نَافَقَ مُنافقةً ونِفاقًا،...، وهو اسمٌ إسلاميٌ لم تعرفْه العربُ بالمعنى المخصوصِ به، وهو الذي يَسْتُرُ كُفْرَهُ، ويُظْهِرُ إيمانَهُ، وإنْ كان أصلُه في اللغة معروفًا صَرَّحَ بذلكَ ابن فارس وابن الأثير...ونقلَ الصاغانيّ عن ابن الأنباريّ- في الاعتلالِ لتسميةِ المنافقِ منافقًا- ثلاثةَ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ سُمِّيَ به؛ لأنَّه يَستُرُ كُفرَه ويُغَيِّبَه، فشُبِّهَ بالذي يَدخلُ النَّفَقَ، وهو السَّربُ، يَسْتَتِرُ فيه.

والثاني: أنه نافقَ كاليربوع، فَشُبِّهَ به؛ لأنه يَخْرُجُ مِن الإيمانِ مِن غيرِ الوجهِ الذي دَخَلَ فيه.

والثالث: أنه سُمِّيَ به؛ لإظهارِهِ غيرَ ما يُضْمِرُ، تَشْبيهًا باليَرْبوعِ، فكذلكَ المنافقُ ظاهِرُهُ إيمانٌ، وباطِنُهُ كُفْر"[3].

جملة:﴿فَأَعْقَبَهُمْ...﴾لا محلّ لها معطوفة على جملة ﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ أو﴿تَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عطف المسبَّب على السبب، و(الفاء) أفادَتِ الترتيبَ والتعقيبَ، فحصول﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لطائفة من الكافرين والمنافقين الذين وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴿٧٥﴾فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴿٧٦﴾﴾[التوبة:٧٥، ٧٦] ترَتَّبَ زمنيًّا وحدثيًّا على

---

(١) الزركشي، البرهان،٤/٣٤٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب النون،(نفق)،٢/٦٥٠.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، باب القاف،(نفق)،٢٦/٤٣١، ٤٣٢.

تحقُّق بُخْلِهم وتولِّيهم وهم معرضون بعدما آتاهم الله ﷻ من فَضْلِهِ، فالله أعقبهم نفاقًا في قلوبهم إثْر ذلك بسبب نقْضهم ماعاهدوا الله عليه، والفعل في﴿أَعْقَبَهُمْ﴾ فعل ماض متعدٍّ لمفعولين، فاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره:(هو) يعود إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهَ﴾، وضمير الغائبين﴿هُمْ﴾ العائد إلى الطائفة الموصوفة بما وُصِفَت به من الكافرين والمنافقين في محل نصب مفعول به أول، و﴿نِفَاقًا﴾ مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، والجار والمجرور، وما أُضيف إليه﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ في محل نصب صفة للمصدر السماعي﴿نِفَاقًا﴾، والحرف﴿فِى﴾أدّى وظيفة الجر للاسم بعده،﴿قُلُوبِ﴾، والربط والصلة بين الاسم المصدر ﴿نِفَاقًا﴾ قبله والاسم﴿قُلُوبِهِم﴾ بعده، وأضاف معنى(النفاق) إلى﴿قُلُوبِهِمْ﴾مصحوبًا بمعنى الحرف﴿فِى﴾ الظرفية في الاسم بعده حيث دلّ على كونه﴿نِفَاقًا﴾مُتَمَكِّنًا راسخًا ثابتًا في قلوبهم.﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿الباء﴾ حرف جر أفادَ السببيةَ في الموضعين، أي: بسبب تحقُّق إخلافهم كل ما وعدوا الله، وبسبب تحقُّق استمرارية كذبهم، وعبّر عن كذبهم بصيغة﴿كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ دون(كذبوا)؛ لأن كذبهم لم يحدث مرة، وبنتهِ؛ ولدلالة﴿كَانَ﴾على اتصاف اسمها﴿واو﴾الجماعة بالخبر الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع المرفوع بثبوت النون﴿يَكْذِبُونَ﴾ الذي دلّ على تجدد كذبهم في الماضي[1]، واستمرار وقوعه منهم؛ لأنه كائنٌ فيهم، ومتمكِّنٌ منهم.

<u>وثالثها: ورد متضمنًا صفة(الريبة) في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ **[التوبة:١١٠]**.

قال الزبيدي: " الرَّيبُ: الظِّنَّةُ والشَّكُّ والتُّهمةُ، كالرِّيبةِ بالكسر، والرَّيبُ: ما رَابَكَ مِنْ أَمْرٍ "[2].

جملة:﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ...﴾لا محلّ لها استئنافيّة لبيان عقوبة مَنْ بنوا مسجد الضرار الذي نهى الله ﷻ رسولَه ﷺ عن الصلاة فيه، وأمرَه بهدمه، أفاد الفعل المضارع الناقص الناسخ﴿لَا يَزَالُ﴾ استمرارية

---

(١) ينظر، د. محمد عيد، النَّحْو المُصَفَّى،٢٣٧. – ود. حسني عبد الجليل، تسهيل شرح ابن عقيل، ١٢٠.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، كتاب الباء،(ريب)،٢/٥٤٧.

اتصاف اسمه﴿بُنْيَٰنُهُمُ﴾، الموصوف بقوله:﴿ٱلَّذِى بَنَوْاْ﴾ بخبره﴿رِيبَةً﴾، و﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ الجار والمجرور في محل نصب صفة لـ﴿رِيبَةً﴾ أضاف الحرف﴿فِى﴾ معنى الريبة مصحوبا بمعنى الظرفية إلى﴿قُلُوبِهِمْ﴾؛ للدلالة على تمكُّنِ هذه الريبة وثباتها داخل قلوبهم، وقوله:﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أفاد كونها ريبة باقية في قلوبهم في كل الأوقات والأحوال يمتنع زوالها عن قلوبهم إلا وقت تقطع قلوبهم بالموت.

وورد الجار والمجرور﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ خبرًا مقدمًا:

ورد خبرًا مقدمًا متضمنا صفة(المرض) في موضعين:

أولهما: قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ۝١٠﴾[البقرة:١٠].

قال الزبيدي:"المَرَضُ: إظلامُ الطبيعةِ واضطرابُها بعدَ صفائِها واعتدالِها كما في العُبَابِ، وهو قول ابن الأعرابي. وقال ابن دُرَيْدٍ: المَرَضُ:السُّقْمُ وهو نقيضُ الصِّحَّةِ، يكونُ للإنسانِ والبعيرِ، وهو اسمٌ للجنسِ. قال سِيبَوَيْهِ: المَرَضُ مِن المصادرِ المجموعةِ كالشُّغْلِ والعَقْلِ، قالوا: أمراضٌ وأشغالٌ وعقولٌ... قال أبو إسحاق: يقال: المَرَضُ والسُّقْمُ في البَدَنِ والدِّينِ جميعًا، كما يقال: الصِّحَّةُ في البَدَنِ والدِّينِ جميعًا. والمرضُ في القلبِ يَصْلُحُ لِكُلِّ ما خَرَجَ به الإنسانُ عنِ الصحةِ في الدِّينِ، وبالتحريكِ أو كلاهما: الشَّكُّ والنِّفاقُ، وضَعْفُ اليقينِ، وبه فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[البقرة:١٠] أيْ شَكٌّ ونِفاقٌ. وقال أبو عبيدةَ: أي شَكٌّ. ويُقال: قَلْبٌ مَرِيضٌ مِنَ العداوةِ، وهو النِّفَاقُ... والمَرَضُ: الفُتُورُ. قال ابن عرفةَ: المَرَضُ في القلبِ فُتُورٌ عن الحقِّ، وفي الأبدَانِ: فُتُورُ الأعضاءِ، وفي العَيْنِ: فُتُورُ النَّظَرِ... والمَرَضُ: الظُّلْمَةُ، عن ابنِ الأعرابيّ، وبه فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[الأحزاب:٣٢] أي: ظُلْمَةٌ، وقيل: فُتُورٌ عمَّا أُمِرَ به، ونُهِيَ عنه، ويقال: حُبُّ الزِّنَا... وقال ابنُ الأعرابي: أَصْلُ المَرَضِ(النُّقْصَانِ)، يقال: بَدَنٌ مَرِيضٌ، أي نَاقِصُ القُوَّةِ . وَقَلْبٌ مَرِيضٌ، أي نَاقِصُ الدِّينِ"[١].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، باب الضاد،(مرض)،١٩/٥٣، ٥٤، ٥٥.

جعل الشيخ العز بن عبد السلام(المرض) من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني؛ فقال:" وهو من مجاز التشبيه؛ لأنَّ المرضَ فسادٌ في الأجسام مُفْضٍ إلى الهلاك، وكذلك الكفر والنفاق، وشهوة الزنا أسبابٌ مفسدة للقلب، مُفْضيةٌ إلى الهلاك؛ إلا أنْ يشفي الله من هذا المرض بالإيمان والعفاف كما يشفي من أمراض الأجسام"[1].

وقال الشريف الرضي:". وقوله تعالى:﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ فالمرضُ في الأجسامِ حقيقة، وفي القلوب استعارة؛ لأنَّه فسادٌ في القلوب كما أنه فساد في الجسوم، وإن اختلفت جهتا الفساد في الموضعين. وقد قيل أيضًا إنما سُمِّيَ ما في قلوبهم من اعتقاد الكفر مرضًا لخروجهم عن صحة الدِّين كما أنَّ المرضَ يخرج الأجسام عن حال صحتها وينقلها عن سلامة تركيبها وبنيتها"[2].

قال ابن قتيبة:"﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق. ومنه يقال: فلان يُمَرِّضُ في الوعد وفي القول؛ إذا كان لا يصححه، ولا يؤكده"[3]، وذكر السيوطي في الدُّرِّ: "عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى:﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ؟ قال: النِّفَاقُ، قال: وهل تَعْرِفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أَمَا سمعْتَ قولَ الشاعرِ: أُجَامِلُ أقوامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى صُدُورَهُمْ تَغْلِي عَلَيَّ مِرَاضُهَا "[4].

الجملة الاسمية:﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾لا محلّ لها استئنافية بيانية مقرّرة لمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ أو تعليليّة لسبب انتفاء الإيمان عنهم، تقدَّم فيها الخبر الجار والمجرور شبه الجملة﴿فِى قُلُوبِهِم﴾ وجوبًا على المبتدأ النكرة﴿مَرَضٌ﴾ الذي أفاد تنكيرُه العمومَ والشمولَ لكل ما يُقال له مرض حقيقةً

(١) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن، ١٧١.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان، ٢٩.

(٣) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ٤١.

(٤) السيوطي، جلال الدين، الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة- مصر، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)،١/١٦٠، ١٦١.

- والبيت من(بحر الطويل) في الفخر للشاعر المخضرم الشماخ بن ضرار(ت٣٠أو٣٢هـ)، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق، صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة- مصر،(١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)،٢١٥.

أو مَجَازًا، وجملة: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا...﴾ لا محل لها معطوفة بالفاء على جملة﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فأفادت الدلالة على ترتب مضمون جملة﴿زَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ على مضمون جملة﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وتكرار﴿مَرَض﴾، وتنكيره أفَادَ التأكيدَ على أنَّ مرضَ قلوبِهم ليس مرضًا واحدًا، فالنكرةُ إذا تَكَرَّرَتْ تَعَدَّدَتْ؛ ولهذا قال ابنُ عباس رضي الله عنهما:" لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"[1]. كما أنَّ تنكيرَ﴿مَرَضٌ﴾ أفادَ الدلالةَ على كونه نوعًا مبهمًا غير ما يتعارفه الناسُ من الأمراض.

والآخر: قوله تعالى:﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[النور: ٥٠].

جملة:﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾لا محلّ لها استئنافيّة، متفقة مع الموضع السابق في ألفاظها، وإعرابها والتعبير بالجملة الاسمية في الموضعين؛لإفادة إسناد المرض إلى قلوبهم دون زمانه[2]؛ وللدلالة على ثبات هذا المرض وتمكُّنه في قلوبهم بحيث صار مانعًا من دخول الإيمان فيها، ومختلفة معها في:

١- في الموضع السابق جملة﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾جملة خبرية، وهنا﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾جملة استفهامية أفاد دخول الهمزة الإنكار والمبالغة في ذم هذه الطائفة من المنافقين.

٢- الموسومون بـ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾ في الموضع السابق فريق من المنافقين يزعمون الإيمان بالله وباليوم الآخر، وما هم بمؤمنين، وهنا فريق من المنافقين أظهروا عدم الرضى بحُكْمِ رسول الله ﷺ.

٣- الاستفهام المكرر ثلاث مراتٍ بالهمزة وبعدها﴿أَمْ﴾ العاطفة مكررة مرتين في قوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ﴾، وبعدها جملتا﴿ٱرْتَابُوٓاْ﴾، و﴿يَخَافُونَ...﴾؛ للتنبيه على أنَّ مرضَ قلوبهم وارتيابهم وخوفهم الحيف صفاتٌ متحققةٌ فيهم، فـ﴿أَمْ﴾ هنا ليست لطلب التعيين لكنها بمعنى(بل) والهمزة، والتقدير: بل أرتابوا بل أيخافون[3]؛ للإضراب الانتقالي بعدِ صفاتهم الذميمة التي يتصفون بها؛ تحذيرًا منها ومنهم، والتعبير بالفعل الماضي﴿ٱرْتَابُوٓاْ﴾ دل على حصول الارتياب،

---

(١) ينظر، أبو بكر الرازي، غرائب آي التنزيل،٤٦٧.

(٢) ينظر، الفخر الرازي، نهاية الإيجاز،٧٩.

(٣) ينظر، حاشية الجَمَلِ على الجلالين،٢٤٩/٣.

وبالمضارع﴿يَخَافُونَ﴾؛ للدلالة على خوفهم في الحال من حصول الحيف في الاستقبال بدلالة حرف الاستقبال﴿أَن﴾ الذي دخل على الفعل﴿يَحِيفَ﴾ في قوله: ﴿أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾، والمصدر المؤول دل على تجدد خوفهم من الحيف أي الظلم والجور في الحُكم واستمراره. و﴿بَلْ﴾ للإضراب الانتقالي من الاستفهام التنبيهي إلى خبر آخر. ولم يؤت في هذا الإضراب بـ﴿أَمْ﴾؛لأن﴿أَمْ﴾لا بد معها من معنى الاستفهام، وليس المراد عطف كونهم ظالمين على الاستفهام المستعمل في التنبيه بل المراد به إفادة اتصافهم بالظلم دون غيرهم؛ لأنه قد اتضح حالهم فلا داعي لإيراده بصيغة استفهام التنبيه. وليست﴿بَلْ﴾هنا للإبطال، ولكن للانتقال؛لأنه لا يستقيم إبطال جميع الأقسام المتقدمة فإن منها مرض قلوبهم وهو ثابت، ولا دليل على قصد إبطال القسم الأخير خاصة، ولا على إبطال القسمين الآخرين.

وجملة:﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًا؛ وعبر بالجملة الاسمية؛ للتأكيد على ثبات اتصافهم بالظلم واختصاصهم به، فلما كانوا أهل ظلم ظنوا بمن هو أهل الإنصاف أنه ظالم.

<u>النمط الخامس: [حرف جر" اللام" + اسم مجرور]:</u>

*<u>اللام الجارة:</u> حرف جر يجر الاسم الظاهر والمضمر، وللتفريق بينهما تكسر مع الاسم الظاهر، نحو:﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾[الأحزاب:٥٣] ، وتفتح مع الضمير، نحو:﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾[البقرة:١٣٤] إلا مع ياء المتكلم فتكسر[1]، نحو: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ...﴾[نوح:٢٨]، وتقع أصلية وزائدة في اصطلاح النحاة، وتؤدي عددا من المعاني تفهم من السياق منها:

١- <u>الاختصاص:</u> الأصل في(لام الجر) أنها لإضافة شيء إلى شيء آخر، نحو:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، فاللام أفادت الاختصاص، ولم يَذْكُرِ الزَّمَخْشَرِي غيره[2]، وقيل: هو أصل معانيها، وهو لا يفارقها، وقد يصحبه معانٍ أُخَر[3].

---

(١) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،٢٣٢/١، ٢٣٣.

(٢) ينظر، الزمخشري، المُفَصَّل،٢٨٦.

(٣) ينظر، المُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،١٠٩.

وقد اعتبرَ ابنُ يعيش(لام الجر)"أصل حروف الإضافة؛ لأنَّ أخلص الإضافات وأصحها إضافة الملك إلى المالك، وسائرُ الإضافات تُضارع إضافة الملك"[1]، والأصل في(لام الجر) إضافة شيء إلى شيء آخر، ومن هذه الإضافة إضافة الملك إلى المالك، نحو: المالُ لِزيدٍ ، ومنها ما ضارع(أشبه) الملك، نحو: اللجام للدابة، والرأي لزيد، والبياض للثلج، وجميع معاني(لام الجر) تفصيلات لهذه الدلالة الأصلية،

٢- الملك: وهو أصل معاني الإضافة التي تدل عليها اللام، ومعناها أن مجرور اللام يملك الشيء المشار إليه حقيقة، أو أن الشيء بيمينه ويتصرف فيه ، كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾[الأعراف:١٢٨]، وذكر سيبويه معنى(لام الجر) بقوله: " ولام الإضافة ومعناها المِلك واستحقاق الشيء"[2]، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:٢٨٤].

٣- شبه الملك أو الاختصاص:

وهو يعني أن مجرور اللام يملك الشيء مجازا لا حقيقة، أي أن ملكه له على سبيل التمليك، كقوله تعالى:﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾[مريم:٥٠]، أو على سبيل الاختصاص، كقوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ...﴾[التوبة:٦٠]، فهنا نوعٌ من الملك. ويدخل في ذلك الآيات المتعلقة بجزاء المؤمنين في الجنة؛ لأن فيها شبه ملك.

٤- التوكيد:

وذلك عندما تكون(لام الجر) زائدة في اصطلاح النحاة على سبيل الجواز في مواضع معينة، أي يمكن الاستغناء عن وظيفتها النحوية، مع وجود وظيفة معنوية لها، وهي التقوية والتوكيد، ولذلك سماها بعض النحاة (لام التقوية) وهي المزيدة[3]؛ لتقوية عامل، إما بتأخره، كقوله تعالى:﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[يوسف:٤٣]، أي: تعبرون الرؤيا، أو بكونه فرعا في العمل، كقوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[هود:١٠٧] أي: فعَّالٌ ما يُريد.

---

(١) ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،٤/٤٨٠.

(٢) سيبويه، الكتاب،٤/٢١٧.

(٣) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب،٢/٢٤٢.

ورد هذا النمط متضمنا صفة(الطهارة) في موضع واحد:

قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٥٣].

قال ابن فارس:"الطاء والهاء والراء أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُ على نقاءٍ وزوالِ دَنَسٍ، ومِن ذلكَ الطُّهْرُ خلاف الدَّنسِ. والتَّطَهُّرُ: التنَزُّهُ عنِ الذَّمِ وكُلِّ قبيحٍ، وفلانٌ طاهِرُ الثِّيابِ إذا لم يُدَنَّسْ"(١).

وقال الأصفهاني:" والطهارةُ ضربَانِ: طَهَارَةُ جِسْمٍ، وطَهَارَةُ نَفْسٍ، وحُمِلَ عليهما عَامَّةُ الآياتِ"(٢).

أفادَ اسمُ الإشارةِ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الإشارةَ إلى ما ذُكِرَ من عدمِ دخولِ بيوت النبي ﷺ بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع المقيد بكونه من وراء حجاب بأنه أبعد في المنزلة، وفي أنه أكثر طهارة لقلوب السائلين، ومن يسألوهن، واسم الإشارة﴿ذَٰلِكُمۡ﴾مبتدأ، أُسند إليه خبره ﴿أَطۡهَرُ﴾الاسم المرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة جاء على وزن(أفعل)؛ للدلالة على ثبوت صفة الطهارة وزيادتها لمن اتصف بما أشيرَ إليه بـ ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾،و﴿لِقُلُوبِكُمۡ﴾ جار ومجرور متعلق بأطهر، أفادت اللام الجارة الاختصاص والاستحقاق(٣).

ومع أنَّ النحاة ذكروا لها معاني كثيرة إلا أن سيبويه جعل للام الجر معنى واحد وهو المِلْك واستحقاق الشيء(٤). وجملة﴿أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ تعليلية لقوله:﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الطاء،(طهر)،٣/٤٢٨.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الطاء،(طهر)،٢/٤٠٠.

(٣) ينظر، البَيْتُوشِيُّ، كِفَايَةُ المُعاني،٦١.

(٤) ينظر، سيبويه، الكتاب،٤/٢١٧.

النمط السادس: [حرف جر"مِنْ" + اسم مجرور]:

(مِنْ): حرف جر يجر الاسم الظاهر والمضمر، وفي معناها الأصلي قال الجرجاني:"و(مِنْ) وأصله ابتداء الغاية، نحو: خرجْتُ مِنَ البصرة"[1].

القيمة الوظيفية النحوية والدلالية لحرف الجر(مِنْ):

١- جر الاسم أو الضمير بعدها.

٢- الصلة والربط للفعل قبلها بالاسم أو المضمر بعدها، والدلالة على معانٍ أُخَر في سياقاتها المختلفة، **وأبرز معانيها:**

١- ابتداء الغاية:

ابتداء الغاية الحقيقية المكانية هو أصل معاني(مِنْ) بحيث لا يكون لها معنى آخر، إلا وفيه أثر من معنى الابتداء، نحو قوله تعالى:﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا**﴾ **[الإسراء:١]**، وهي بذلكَ تُقابِلُ(إلَى) في دلالتها على انتهاء الغاية. قال سيبويه:" وأمَّا(مِنْ) فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: مِنْ مكانٍ كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا. وتقول إذا كتبْتَ كِتابًا: مِنْ فلانٍ إلى فلانٍ. فهذه الأسماءُ سِوَى الأماكنِ بِمنزلتِها"[2].

ولكن القرآن الكريم استعمل(مِنْ) لابتداء الغاية المكانية حقيقةً، نحو قوله تعالى:﴿**فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً**﴾ **[الحجر:٢٢]**. ومجازًا، نحو قوله تعالى:﴿**فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ**﴾[آل عمران:١٨٨]، والمفازة والعذاب من المعاني، واستعملها لابتداء الغاية الزمانية[3]، نحو قوله تعالى:﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ**﴾**[التوبة:١٠٨]**.

---

(١) الجرجاني، الجُمل،٢٥.

(٢) سيبويه، الكتاب،٤/٢٢٤.

(٣) ينظر، ابن جَمَاعَة، شرح كافية ابن الحاجب،٣٢٦.

وهذا المعنى وتفريعاته هو الغالب على معنى(مِنْ) في القرآن الكريم، ويمكن بالتأويل إرجاع جميع المعاني الأخرى لها إليه.

٢- التبعيض:

وهو أَخْذُ بعض شيء مِنْ كُلِّهِ، وتُعْرَفُ(مِن) التبعيضية بأنْ يَصِحَّ مَوْضِعَهَا(بَعْض)[١]، كقوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾[التوبة:١٠٣] أي خذ بعض أموالهم. ومعنى الابتداء واضح في ذلك؛ لأنَّ مبدأ الأخذ هو من أموالهم، ومنه قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[البقرة:٨]، قال سيبويه:" وتكون أيضًا للتبعيض، تقول: هذا مِن الثوبِ... كأنكَ قُلْتَ: بَعْضُهُ"[٢].

٣- بيان الجنس:

ويراد ببيان الجنس تبيين ما أُبْهِمَ قبْلَ(مِنْ) أو في سياقها، "وتَعْرِفُهَا بأنْ تَكُونَ كالصِّفَةِ لِمَا قَبْلَهَا، كقولِهِ تعالى:﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[الحج:٣٠]، أي: الذي هو الوَثَنُ"[٣]، وقوله تعالى:﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[فاطر:٣٣]، فقد بيَّنَتْ﴿مِنْ﴾جنس(الأساور)، وأزالت الإبهام في كلمة ﴿أَسَاوِرَ﴾.

*الوظيفة النحوية والدلالية لـ(مِن) الزائدة[٤] في اصطلاح النحاة:

١- جر آخر الاسم الذي يليها لفظًا لا محلًا، فمجرورها اللفظي له محل من الإعراب بحسب العوامل السابقة لـ(مِن) الزائدة؛ ففي قوله تعالى:﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾[الأنبياء:٢] كلمة﴿ذِكْرٍ﴾ فاعل مرفوع محلًا ، مجرور لفظًا، وفي قوله:﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[الملك:٣] كلمة﴿فُطُورٍ﴾ مفعول به منصوب محلًا، مجرور لفظًا.

٢- إفادة معنى التوكيد[٥]، وتقوية المعنى، نحو:﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾[الشعراء:٢٠٨].

---

(١) ينظر، ابن الحاجب، الإيضاح،١٣٥/٢.

(٢) سيبويه، الكتاب،٢٢٥/٤.

(٣) ابن الحاجب، الإيضاحُ في شَرْحِ المُفَصَّلِ، القسم الثالث:الحروف،١٣٥/٢.

(٤) ينظر، ابن النحاس، التعليقة على المُقَرِّبِ،٢٩٤.

(٥) ينظر، سيبويه، الكتاب،٢٢٥/٤.

٣- (مِن)الزائدة في اصطلاح النحاة لا تعني أنَّ المعنى بها وبدونها متساويًا؛ فلا يتساوى قولك:(ما جاءني مِنْ رجلٍ) مع قولك:(ما جاءني رجلٌ) مع أنَّ إسقاطها من الجملة لم يفسد المعنى إلا أن وجودها يؤثر في المعنى، فقول:(ما جاءني رجلٌ) تفيد نفي مجيء رجل واحد من هذا النوع، أما(ما جاءني من رجلٍ) فتفيد استغراق عموم جنس الرجال، وتقوية معنى العموم فيه وتوكيده.

ويرى الباحثُ أنْ يُطلقَ على(مِنْ) الجارة وأخواتها في القرآن الكريم(حروف الصلة التوكيدية)؛ تأدبًا مع الله ﷻ حتى لا يُقال إنَّ بالقرآن زيادة.

وذَكَرَ سيبويه أمثلةً لزيادة(مِنْ) يُلحظ فيها أنَّ مدخولَها نكرة، يراد بها استغراق الجنس، سُبقتْ بنفْي ممَّا جعل ابن يعيش يذكر هذه الشروط الثلاثة، وعزا اشتراطها إلى سيبويه(١):

أحدها: أن تدخل على نكرة.

الثاني: أن تكون النكرة يُرادُ بها استغراق الجنس.

الثالث: أن تكون بعد غير الواجب.

وسيبويه لم يصرح بهذه الشروط لزيادة(مِنْ)، وإنما ذَكَرَ أمثلة لزيادة(مِنْ) متوفرة فيها هذه الشرط التي ذكرها ابن يعيش حيث قال: " وذلك قولك: ما أتاني مِنْ أحدٍ إلا زيدٌ"(٢)، وقال:" ما أتاني مِنْ رَجُلٍ، وما رأيت مِنْ أحدٍ"(٣)، ولكن قد يسبقها استفهام فيه معنى النفي والإنكار، كقوله تعالى:﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾[فاطر:٣].

قال أبو السعود:" خالق مبتدأ محذوفُ الخبرِ زيدَتْ عليه كلمة﴿مِنْ﴾؛ لتأكيدِ العُمُومِ"(٤).

---

(١) ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّل،٤/٤٦٠.

(٢) سيبويه، الكتاب،٢/٣١٥.

(٣) المرجع السابق،٤/٢٢٥.

(٤) أبو السعود، تفسير أبي السعود،٤/٤٧١.

وقال ابن عاشور:" والاستفهام إنكاري في معنى النفي ولذلك اقترَن ما بعده بـ﴿مِنْ﴾التي تُزادُ لتأكيدِ النفي"[١]، وردَّ ابن الحاجب على أنَّ(مِنْ)لا تُزاد إلا في النفي بقوله: " ليس بمستقيمٍ؛ لأنَّها تُزادُ في قولِكَ: هَلْ جَاءَكَ مِنْ أَحَدٍ؟ بِاتِّفَاقٍ"[٢].

ورد هذا النمط متضمنا نفي صفة(وجود قلبين في جوف رجل) في موضع واحد:

قوله تعالى:﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[الأحزاب:٤].

جاء قوله تعالى:﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ كلامًا مستأنفًا؛ للرد على مزاعم المشركين بأنَّ لبعضهم قلبين فهو أعقل من محمدﷺ، وفيه﴿مَّا﴾ نافية لا عمل لها، و﴿جَعَلَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح أسند إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾ فأفاد نفي تحقُّق جعْل قلبين لرجل في جوفه، و﴿لِرَجُلٍ﴾ جار ومجرور متعلق بجعل بتضمينه معنى خَلَقَ، وتنكير﴿رَجُلٍ﴾ في سياق النفي﴿مَّا﴾أفاد العموم والشمول لكل الرجال؛ وتقديم الجار والمجرور﴿لِرَجُلٍ﴾ على مفعول جعل﴿قَلْبَيْنِ﴾ أفاد التوكيد والتخصيص، و﴿مِن﴾ حرف جر زائد نحويًّا؛ ودخول﴿مِن﴾ أفاد توكيد نفْي[٣] جعْل قلبين في جوف رجل الذي جاء نكرة لاستغراق جنس الرجال[٤]؛ لإفادة التأكيد والتعميم، و﴿قَلْبَيْنِ﴾ مفعول به منصوب محلا للفعل﴿جَعَلَ﴾ مجرور بـ﴿مِن﴾ الزائدة لفظًا، وعلامة الجر أو النصب الياء؛ لأنَّه مثنى، والنون المكسورة عوض من تنوين المفرد وحركته، و﴿فِى جَوْفِهِۦ﴾ جار ومجرور صفة لقلبين أفادت﴿فِى﴾الظرفية المكانية، ودلت على نفْي وجود قلبين في جوف أي رجل، وذِكْر﴿فِى جَوْفِهِۦ﴾ أفاد زيادة التوكيد، كما في قوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦] بوصف القلوب بأنها﴿ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾، وينبغي ألا نقول أن معنى﴿فِى جَوْفِهِۦ﴾أي في صدره؛ لأنَّ الصدر غير الجوف في اللغة فذكر صاحب اللسان أن

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٢/٢٥٤.

(٢) ابن الحاجب، الإِيضَاحُ فِي شَرْحِ المُفَصَّلِ،٢/١٣٥.

(٣) ينظر، القرشي الأشبيلي، البَسِيطُ فِي شَرْحِ جُمَلِ الزَّجَّاجِيّ،٢/٨٤٢.

(٤) ابن النحاس، التعليقة على المُقَرِّب،٢٩٤.

جوف الإنسان بطنه، وذكر صاحب الصحاح أن جوف الإنسان باطن بطنه، وكذلك بقية المعاجم، ولم يذكر أحد منهم أن بطن الإنسان صدره، فجوف الإنسان بطنه، فمن الممكن أن تكون الآية من آيات النَّفْس، التي وعد الله بأنْ يريها في الأنفس؛ ليتبين بها أنَّ القرآن حق﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فصلت:٥٣]، ومن ثم ينبغي التمهل وترْك العجلة في تأويل لفظ بمعنى لفظ ليس بمعناه، فعطاء القرآن لكل زمان ومكان، وما جهلناه نَكِلُ عِلمه لله ﷻ.

ثانيا: تراكيب ذِكْرِ القلب مجرورًا بالإضافة:

الإضافة لغة: تأتي بمعنى"الإسناد والإمالة، وجَعْلُ الشيء مُتصلا بغيرِهِ"[١]. وفي اصطلاح النحاة "إسناد اسم إلى غيره على تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه، أو ما يقوم مقام تنوينه"[٢].

والعَلاقةُ واضحةٌ بينَ المعنى اللغوي والاصطلاحي، فالتركيب الإضافي يحدث بإضافة المضاف إلى المضاف إليه، فيصير المضاف إليه مِنْ تمام المضاف، ويصيران معًا كالاسم الواحد المتصل، ولذلك يُحْذَفُ التنوين من المضاف[٣]، وما يقوم مقامه كنون المثنى وجمع المذكر السالم حتى يحدث الاتصال بينهما.

وأشار ابن يعيش إلى قوة الارتبط بين المتضايفين بقوله:" اعلمْ أن إضافة الاسم إلى الاسم إيصاله إليه من غيرِ فَصْلٍ، وجَعْلُ الثاني من تَمَامِ الأوّلِ يَتَنَزَّل منه منزلةَ التنوين"[٤]، وهذا يعنّي أنّ المضاف والمضاف إليه متلازمان ولا يفترقان، وأشار المبرّد إلى هذه الملازمة بقوله: "فإذا أَضَفْتَ اسمًا مُفْرَدًا إلى اسمِ مِثْلِهِ مُفْرَدٍ أو مُضَافٍ صَارَ الثاني مِنْ تَمَامِ الأوَّلِ وصَارَا جميعًا اسْمًا واحدًا، وانْجَرَّ الآخرُ بإضافةِ الأوَّلِ إليه، وذلكَ قولكَ: هذا عبدُ اللهِ، وهذا غلامُ زيْدٍ، وصاحِبُ عَمْرٍو"[٥]. ويقول ابن جني عن قباحة

(١) ابن النحاس، التعليقة على المُقَرِّب،٣٠٨.

(٢) القرشي الأشبيلي، البَسِيطُ فِي شَرْحِ جُمَلِ الزَّجَّاجِيّ،السفر الثاني،٨٤٠. - والخطيب الشربيني، نور السجيَّة،٢٦٩.

(٣) ينظر، ابن النحاس، التعليقة على المُقَرِّب،٣٠٨.

(٤) ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،١٢٦/٢.

(٥) المُبَرِّدُ، المُقْتَضَب،١٤٣/٤.

الفَصْلِ بين المتضايفين:" وعلى الجملة كلّما ازداد الجزءان اتصالًا قوى قُبْحُ الفَصْلِ بينهما"[١]، ويسمى الاسم الأول(المضاف) ويُعرب على حسب موقعه في الجملة، ويسمى الثاني(المضاف إليه)، نحو:**غلامُ زيدٍ، وخاتمُ فضةٍ**. حُذِفَ التنوينُ من(**غلامٌ**) و(**خاتمٌ**) للإضافة، وإذا كان المضاف مثنى أو جمع مذكر سالما حُذِفَ ما يقوم مقام التنوين وهو نون التثنية المكسورة أو نون جمع المذكر المفتوحة وما يلحق به للإضافة، وحُكْمُ المضاف إليه الجر – دائما– لفْظًا ومحلا في الإضافة المعنوية، ولفظًا فقط في الإضافة اللفظية، وتحذف(أل) التعريف من المضاف إضافة معنوية، وتدخل على المضاف إليه فقط لئلا يلزم اجتماع مُعَرِّفَيْنِ على شيءٍ واحدٍ[٢](المضاف)، وهما التعريف بأل والتعريف بالإضافة.

ويجوز دخول(أل) التعريف على المضاف إضافة لفظية إذا كان المضاف صفة، والمضاف إليه معمولًا لتلك الصفة في المواضع الخمسة التالية:

١- إذا كان(المضاف) مثنى، نحو: جاء الضاربا زيدٍ، ونحو قول الشاعر من(بحر البسيط):

إنْ يَغْنَيَا عَنِّي الْمُسْتَوْطِنَا عَدَنٍ   فَإِنِّي لَسْتُ يَوْمًا عنهما بِغَنِي[٣].

٢- إذا كان(المضاف) جمع مذكر سالما، نحو: جاء الضاربو زيدٍ، ونحو قول الشاعر من(البسيط):

لَيْسَ الأَخِلَّاءُ بِالْمُصْغِي مَسَامِعِهِم   إِلَى الْوُشَاةِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ[٤].

٣- إذا كان(المضاف إليه) معرفا بأل ، نحو: الضارب الرجلِ، الناصر المظلومِ.

٤- إذا كان(المضاف إليه) مضافا إلى ما فيه أل ، نحو: زيدٌ الضاربُ رأسِ الجاني.

---

(١) ابن جني، الخصائص،٢/٣٩٠.

(٢) ينظر، محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري(ت٧٦٩هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية– القاهرة، ط١(١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م)،٢/١٠،٩.

(٣) الشاهد فيه: دخول(أل) على الوصفِ المضاف(الْمُسْتَوْطِنَا)، وذلك لكونه وصفًا دالًا على المثنى، والبيت بلا نسبة في أوضح المسالك،٣/٩٦.

(٤) الشاهد فيه: دخول(أل) على الوصفِ المضاف(المُصْغِي)، وذلك لكونه جمع مذكر سالما، والشاهد في أوضح المسالك برقم(٣٢٣)، قال المحقق محيي الدين عبد الحميد:(لم أقف لهذا الشاهد على قائل معين)، أوضح المسالك،٣/٩٧، ٩٨.

بإضافة(الضارب) إلى(رأس) المضاف إلى(الجاني) المقترن بأل.

٥- إذا كان المضاف إليه مضافًا إلى ضمير عائد إلى ما فيه أل،

نحو قول الشاعر من(بحر الكامل):

الوُدُّ أَنْتِ الْمُسْتَحِقَّةُ صَفْوِهِ مِنِّي وَإِنْ لَمْ أَرْجُ مِنْكِ نَوَالَا[١].

بإضافة(المُسْتَحِقَّةُ) إلى(صفوه) المضاف إلى(الهاء) العائدة إلى ما فيه أل، وهو(الوُدُّ).

وأشار ابن مالك إلى أن اتصال أل بالمضاف في الإضافة اللفظية مغتفر بقوله:

ووَصْلُ "أَلْ" بِذَا الْمُضَافِ مُغْتَفَرْ إِنْ وُصِلَتْ بِالثَّانِ كَـ " الْجَعْدِ الشَّعَرْ.

أَوْ بِالَّـذِي لَهُ أُضِيـفَ الثَّانِي كَـ "زَيْـدٌ الضَّارِبُ رَأْسِ الْجَـانِي[٢].

وذلك أن الإضافة اللفظية على نية الانفصال، ولا تفيد المضاف تعريفًا ولا تخصيصًا، وإنما تفيده إفادة لفظية وهي تخفيف اللفظ بحذف التنوين.

أنواع الإضافة:

١- الإضافة اللفظية: وهي إضافة الأسماء العاملة؛ كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة إلى معمولاتها، نحو: عمرو ضاربُ زيدٍ، وعظيمُ الحظِّ، وحَسَنُ الوجهِ، وأصله: ضاربٌ زيدًا، وعظيمٌ حظُّهُ، وحَسَنٌ وجهُهُ، والمعنى في الإضافة اللفظية على ما كان عليه لو لم يضف[٣]؛ ولذلك سميت بـ(اللفظية)؛

---

(١) الشاهد فيه: قوله:(المُسْتَحِقَّةُ صَفْوِهِ) حيث أضاف الاسم المقترن بأل، وهو قوله:(المُسْتَحِقَّةُ)؛ لكونه وصفًا مع كون المضاف إليه(صَفْوِهِ) مضافًا إلى ضمير يعود إلى ما فيه أل وهو(الوُدُّ)،البيت من(بحر الكامل) بلا نسبة في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، باب الإضافة، الشاهد رقم(٣٢١)،٣/٩٦.

(٢) ينظر، محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل،٢/٩.

(٣) ينظر، الملك الصالح إسماعيل الأيوبي، الكناش،١/١٥١.

لأن الغرض منها لفظيٌ وهو تخفيف لفظ المضاف بحذف التنوين منه، أو بحذف النون، نحو: الضاربا زيدٍ، والضاربو زيدٍ[1]، وتسمى(الإضافة غير المحضة)؛ لأنها في تقدير الانفصال.

٢- الإضافة المعنوية: وهي إضافة الأسماء غير العاملة، وهي تفيد معنى يكتسبه المضاف من المضاف إليه، وسميت بـ(المعنوية)[2]؛ لأن الغرض منها معنويٌ وهو تعريف المضاف إذا كان المضاف إليه معرفة، نحو: هذا غلامُ زيدٍ، أو تخصيص[3]المضاف أي: تقليل الاشتراك في النكرة، إذا كان المضاف إليه نكرة، نحو: هذا غلامُ امرأةٍ، وقد يكتسب المضاف من المضاف إليه معاني أخرى منها التذكير أو التأنيث، أو الجمع بشرط أن يكون المضاف صالحًا للحذف والاستغناء عنه بالمضاف إليه، ويُفْهَمُ منه ذلك المعنى[4]؛ اكتساب المضاف التذكير نحو قول الشاعر من(بحر البسيط):

إنارةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوًى وَعَقْلُ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرَا[5].

أُضيف المبتدأ المؤنث(إنارة) إلى المضاف إليه المذكر(الْعَقْلِ)؛ فاكتسب منه معنى التذكير؛ ولذا أُخبر عنه بالخبر المذكر(مكسوفٌ)، ويمكن أن يكون منه قوله تعالى:﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] بالإخبار عن اسم "إن"المضاف﴿رَحْمَتَ﴾المؤنث بخبر﴿إِنَّ﴾ المذكر﴿قَرِيبٌ﴾[6]، واكتساب المضاف التأنيث نحو: قُطِعَتْ بعضُ أصابِعِهِ، حيث ألحقت بالفعل(قطع)(تاء) التأنيث، مع أنه أُسنِد إلى نائب الفاعل(بعض) الذي اكتسب التأنيث من إضافته إلى مؤنث(أصابع)؛ لصحة الاستغناء بأصابع عنه فتقول: قطعت أصابعُه، ونحو قول مجنون ليلى من(بحر الوافر):

---

(١) ينظر، سيبويه، الكتاب،١/١٨٧.

(٢) ابن قاسم المالكي، شرح حدود النحو،١٠٩. - وابن النحاس، التعليقة على المُقَرّب،٣٢٤.

(٣) ينظر، ابن النحاس، التعليقة على المُقَرّب،٣٠٨.

(٤) ينظر، محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل،٢/٨.

(٥) الشاهدُ فيه: (إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ)؛ المضاف (إِنَارَةُ) مؤنث أضيف إلى مذكر(العقل)، فاستفادت كلمة إنارة، التذكير من كلمة (الْعَقْلِ) بدليل الإخبار عنها بقوله (مَكْسُوفٌ)، والشاهد في أوضح المسالك،٣/١٠٥.

(٦) ينظر، ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك،٢٧٧.

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا[1].

المضاف(حُبُّ) مذكر، وهو مبتدأ أضيف إلى مؤنث(الديارِ) فاكتسب منه التأنيث، فجاز الإخبار عنه وهو مذكر بجملة فعلية فعلها ماض أسند إلى نون النسوة أي بجملة فعلية تدل على مؤنث؛ لصحة الاستغناء بالمضاف إليه عنه فنقول: الديار شغفن قلبي.

واكتساب المضاف الجمْع كما في قول جميل السابق(وما حبُّ الديارِ شَغَفْنَ قلبي)، حيث أخبرَ عن المبتدأ المفرد(حبُّ) بما فيه معنى الجمْع(شَغَفْنَ) على اعتبار أنه اكتسب معنى الجمْع مما أُضيفَ إليه وهو (الديارِ). ونلحظ توفر شرط صحة الاستغناء بالمضاف إليه عن المضاف.

والإضافة المعنوية هي الإضافة الحقيقية، وتُسَمَّى(الإضافة المحضة)؛ لأنَّها خَالِصَةٌ مِنْ نِيَّةِ الانْفِصَالِ؛لأنَّ بينَ طرفيها قوةَ اتصالٍ وارتباطٍ، نحو: غُلَامُ عَلِيٍّ مثلك، ليس في تقدير: غُلَامٌ لِعَلِيٍّ مثلٌ لك[2].

عامل جر المضاف إليه:

*** للنحاة في عامل جر المضاف إليه ثلاثة مذاهب[3]:**

أولها: أن المضاف إليه مجرور بحرف جر مقدَّر،

ذهب إلى ذلك ابن الصائغ وابن الباذِش والزجاج والزمخشري وابن مالك[4].

---

(١) البيت لقيس بن الملوح(ت٦٨هـ) من شعراء العصر الأموي، من بني عامر عشق ليلى العامرية، وهام بها فلقب بمجنون ليلى،وشهرها لكثرة شعره فيها، فصارت مثلا لكل متشوق حتى قيل:" كلٌّ يُغنِّي على ليلاه"، ديوان مجنون ليلى، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، الناشر، مكتبة مصر(١٩٧٩م)،١٣١.

(٢) ينظر، محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل،٨/٢.

(٣) ينظر، الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت٧٩٠هـ)،المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق، أ.د محمد إبراهيم البنا ، ود. عبد المجيد قطامش، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط١(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)،١٢/٤.

(٤) ينظر، الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب،القسم الأول،٨٧٤.

والثاني: أن المضاف إليه مجرور بمعنى الإضافة،

فالعامل هنا على هذا الرأي معنوي لا لفظي، وهذا رأي السهيلي وأبو جعفر النحاس، قال النحاس:" وإذا أَضَفْتَ اسمًا إلى اسمٍ، فالثاني مخفوضٌ بالإضافة، تقول: غُلَامُ زَيْدٍ، وفَرَسُ عَمْرٍو، ودَارُ أخيكَ، وثوبُ أبيكَ. خَفَضْتَ الثاني في كُلِّ ذلكَ بإضافةِ الأولِ إليه"[١].

والثالث: أن المضاف إليه مجرور بالمضاف،

وهذا مذهب سيبويه وأبو حيان[٢]، وإلى هذا الرأي ذَهَبَ الأكثر من أنَّ الجارَ هو المضاف نفسه[٣]، قال ابن عقيل:" وقيل: هو مجرور بالمضاف، وهو الصحيح من هذه الأقوال"[٤] بدليل اتصال الضمير به، والضمير لا يتصل إلا بعامله[٥].

واختلف من ذهب إلى جر المضاف إليه بحرف جر مقدر كالآتي:

- منهم من ذهب إلى تقدير الإضافة على معنى(اللام) فقط كأبي إسحاق الزجاج وابن الصائغ.

- ومنهم من ذهب إلى تقدير الإضافة على معنى(اللام) و(مِن) كالزمخشري[٦]، وابن أجروم[٧]، والصَّيْمَرِي[٨].

---

(١) أبو جعفر النحاس، التفاحة في النحو،١٨.

(٢) ينظر، سيبويه، الكتاب،٤١٩/١.

- والأستراباذي، شرح كافيةِ ابن الحاجب،٨٧٦/١.

(٣) ينظر، الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية،١٢/٤.

(٤) محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل،٦/٢.

(٥) ينظر، تعليق محمد عبد العزيز النجار على صحة هذا الرأي في، التوضيح،٦/٢.

- والفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو،٢٧٧.

(٦)الزمخشري، الأنموذج في النحو، تحقيق، سامي بن حمد المنصور، ط١(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)،١٩.

(٧) ينظر، التحفة السنية،١٧٧، ١٧٨.

(٨) الصَّيْمَرِيّ، التبصرة والتذكرة،٢٩٥/١.

- ومنهم من ذهب إلى تقدير الإضافة على معنى(اللام) و(مِنْ) و(في) كابن مالك[١]، وأبو الفداء في كُنَّاشِهِ[٢]، وذكر صاحب الكُنَّاشِ أقسام حروف الجر المقدرة، وشرط تقدير كل منها في الإضافة المعنوية بقوله:" ذِكْر الإضافة المعنوية وهي أنْ يكون المضاف غيرَ صفة مضافة إلى معمولها.

وهو على ثلاثة أضرب:

أحدها: بمعنى"مِنْ"، وشرطها أن يكون المضاف نوع المضاف إليه، نحو:"خاتمُ فِضَّةٍ" و" بَابُ سَاجٍ".

وثانيها: بمعنى"في"، وشرطها أن يكون المضاف اسمًا مضافًا إلى ظرفه، نحو:" ضَرْبُ اليومِ" و﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾[سبأ:٣٣]، وهو قليل.

وثالثها: بمعنى"اللام"، وهو ما عدا هذين القسمين؛ نحو: "غُلَامُ زيدٍ" و"غُلَامُهُ"، والفرق بين الإضافة بمعنى اللام ومعنى"مِنْ" أن التي بمعنى "اللام" لا يصح الإخبار بأحد الاسمين عن الآخر، ولا يكون المضاف نوع من المضاف إليه، ولا يجوز أنْ ينتصب المضاف إليه على التمييز من المضاف، والتي بمعنى" مِنْ" على العكس من ذلك كله"[٣].

ويميل الباحث إلى ما ذهب إليه سيبويه وأبو حيان من أن المضاف إليه مجرور بالمضاف، وإلى ما ذهب إليه أبو حيان من أنَّ الإضافة لا تكون على معنى حرف أصلا[٤]، قال في الارتشاف: " والذي أَذْهَبُ إليه أنَّ الإضافةَ تُفِيدُ الاختصاصَ، وأنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى تَقْديرِ حَرْفٍ مِمَّا ذَكَرُوهُ، ولا عَلَى نِيَّتِهِ، وإنَّ جِهَاتِ الاخْتِصَاصِ مُتعَدِّدَةٌ، يُبَيِّنُ كُلًّا منهما الاستعمالُ، فإذَا قُلْتَ:غُلامُ زَيْدٍ، ودَارُ عَمْرٍو، كانت الإضافةُ لِلْمِلْكِ، وإذَا قُلْتَ: سَرْجُ الدَّارِ، وحَصِيرُ المَسْجِدِ، كانت للاسْتِحْقَاقِ، وإذَا قُلْتَ: هَذَا شَيخُ أَخيكَ، وتِلْميذُ زَيْدٍ، كانت لمُطْلَقِ الاختصاصِ"[٥].

---

(١) ينظر، محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل،٢/٥-٧.

(٢) ينظر، الملك الصالح إسماعيل الأيوبي، الكناش،١/١٥٠ .

(٣) المرجع السابق،١/١٤٩، ١٥٠.

(٤) ينظر، الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب،١/٨٧٤.

(٥) أبو حيان، ارتشاف الضرب،٤/١٨٠١.

ويرى الباحثُ أنَّ تركيبَ المجرورِ بالإضافةِ تركيبٌ يختلفُ عن تركيبِ المجرورِ بالحرف، ولكلٍّ خصائصه ودلالته التي ينفرد بها حتى وإنِ اشتركا في ملمحٍ دلالي أو أكثر، فقولنا: "هذا غُلامُ زيدٍ" لا يُمْكِنُ أن يكون بمعنى" هذا غُلَامٌ لزيدٍ" فزيد الأولى معرفة أكسبت إضافة"غُلَام" إلى "زيد" التعريف، وحُذِفَ التنوينُ من"غُلام"؛ للإضافة، فهو غُلامٌ معروف للمتكلم والسامع، ودخول اللام على"زيد" الثانية في"لزيدٍ" جعل الجار والمجرور(لزيد) نكرة في محل رفع صفة لغلام أفادت التخصيص؛ فهو غلام من غلمان زيد لكنه ليس معروفًا للمستمع، فمعنى غلام لزيد واحد من غلمانه غيرُ معين[1]. والتعبير الأول يهتم بتعريف غُلام بأنه غُلامُ زيدٍ، والتعبير الثاني يهتم بتخصيص زيد بملكية هذا الغلام أو الاختصاص به فهذا "غلامٌ لزيدٍ" لا لغيره. وكذلك:﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾ يختلف عن "مَكْرٌ في الليلِ" فالتعبير الثاني يدل على حدوث مكْر ظرفه الليل، وأنه نكرة في جزء من الليل، أما التعبير الأول فإضافة﴿مَكْرُ﴾ إلى﴿ٱلَّيْلِ﴾ لم تفد حدوث المكر في الليل فقط وإنما أفادت المبالغة والتهويل في وصف هذا المكر بإسناده إلى الليل مجازا حتى كأن الليل مشترك في المكر، وفاعلٌ له، وامتداد هذا المكر؛ ليشمل الليل كله.

كما أن﴿مَكْرُ﴾ في التعبير الأول اكتسبت التعريف من إضافتها إلى﴿ٱلَّيْلِ﴾، في حين ظلت﴿مَكْرُ﴾ في التعبير الثاني نكرة. أفادت أنَّ مكرًا ما كائن في الليل.

القيمة الوظيفية النحوية والدلالية للإضافة[2]:

١- جر المضاف إليه بالإضافة[3]، نحو: مررت بدار زيدٍ. جر(زيد) بإضافة(دار) إليه[4].

٢- تعريف المضاف أو تخصيصه[5] في الإضافة المعنوية أو التخفيف اللفظي في الإضافة اللفظية "بحذف نون تلي الإعراب أو التنوين"[6].

---

(١) الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب،١/٨٨٢.

(٢) ينظر، السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو،٢/١١٥. - والفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو،٢٨٠.

(٣) ينظر، ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك،٢٧٢.

(٤) ابن شقير، المُحَلَّى "وجوه النَّصْب"،١٤٨.

(٥) ينظر، ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك،٢٧٤.

(٦) الخطيب الشربيني، نور السجية،٢٧١.

جاء القلب مجرورا بالإضافة في(سبعة) مواضعَ تم تصنيفها إلى الأنماط الأربعة الآتية:

النمط الأول:[الظرف "بين" + مركّب إضافي]:

ورد هذا النمط الذي يتضمن صفة(التألُّف) في(ثلاثة) مواضع:

أولها:﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝﴾[آل عمران:١٠٣].

قال الأصفهاني:" الإلْفُ: اجتماعٌ مَعَ التئامٍ، يقال: ألَّفْتُ بينَهم،... قال تعالى:﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾[آل عمران:١٠٣]، وقال:﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾[الأنفال:٦٣].

والمُؤَلَّف:مَا جُمِعَ مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، ورُتِّبَ تَرتيبًا قُدِّمَ فيه مَا حَقُّهُ أَنْ يُقَدَّمَ، وأُخِّرَ فيه مَا حَقُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ"(١).

وجعل الشيخ العز بن عبد السلام الآية من تشبيه المعنى المنتسب إلى شيئين بالجِرْمِ المنتسب إلى جِرمين بلفظ﴿بَيۡنَ﴾ وقال في الآية: " لما كانت المودة والمحبة منسوبتين إلى المتحابين أشبهت الجِرْمِ الواقع بين جِرْمَينِ؛ لأن حقيقة التأليف ضَمُّ جِرْمٍ إلى جِرْمٍ؛ فشبَّه به انضمام بعض القلوب إلى بعض بالود والمحبة اللذين هما خلاف النفرة والشتات في مثل قوله:﴿وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾[الحشر:١٤]"(٢).

جاءت جملة﴿فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾جملة فعلية فعلها ماض في محل جر بالعطف بالفاء على جملة ﴿كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾المجرورة بإضافة ظرف الزمان الماضي المبني على السكون﴿إِذۡ﴾إليها، وأفادت﴿الفاء﴾ الترتيب والتعقيب، فحدوث مضمون جملة﴿أَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ يقع عقب حدوث مضمون جملة﴿كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ ويدل على عظمة هذا التألُّف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تحقُّقِ العداوة بينهم لزمن طويل، والفعل﴿أَلَّفَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح يدل على حدوث التألف قبل زمن التكلم، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره(هو) يعود إلى الله ﷻ، و﴿بَيۡنَ﴾ ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الألف،(ألف)،١/٢٥.

(٢) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٩١.

متعلق بالفعل﴿أَلَّفَ﴾، وهو مضاف أُضِيفَ إلى﴿قُلُوبِ﴾ المعرف بإضافته إلى ضمير المخاطبين﴿كُمْ﴾ الذي أفاد بيان أهمية تألُّفِ افتراق القلوب في إنهاء العداوة، وفي سرعة تحقُّقِ الأخوة بسبب هذا التألُّفِ بتوفيقكم للإسلام﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾.

وثانيها:﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ ... ﴿٦٣﴾﴾[الأنفال:٦٣].

جاءت جملة﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ متفقة مع ألفاظ الموضع السابق مع الاختلاف في حرف العطف الذي جاء في هذا الموضع﴿الواو﴾التي أفادت الجمع والمشاركة بين الجملة المعطوفة التي لا محل لها من الإعراب ﴿أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، والجملة المعطوف عليها﴿ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾التي لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جملة صلة الموصول﴿ٱلَّذِىٓ﴾ في معرض ذِكْر نِعَمِ الله ﷻ على حبيبهﷺ.

وثالثها: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦٣].

جاءت جملة﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الفعلية لا محل لها من الإعراب؛ جواب شرط غير جازم،﴿مَّآ﴾ نافية نفت تأليف الرسولﷺ بين الأوس والخزرج حتى لو أنفقَ ما في الأرض جميعًا، وتبعه الاستدراك ﴿لَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾؛ للتأكيد على قدرة الله وعظمة هذا التألف، ولم يقل(بينها) بعود الضمير إلى ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، وإنما أضاف﴿بَيْنَ﴾ إلى ضمير الغائبين﴿هُمْ﴾ العائد إلى أصحاب القلوب؛ للدلالة على أن الله ألَّفَ بينهم قلبًا وقالبًا بقدرته وغلبته التي لا يستعصي عليها شيء؛ لعِزته وحِكمته.

وبالتدبر في المواضع الثلاثة التي أتتْ مُعَبِّرَةً عن النمط(ظرف"بين"+تركيب إضافي) نجدها وردت كالآتي": ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾،﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ ونلحظ فيها:

أولا: اتفقت التراكيب في استعمال الفعل الماضي﴿أَلَّفَ﴾، وبعده المضاف﴿بَيْنَ﴾، والمضاف إليه﴿قُلُوبِ﴾، دون تعدية الفعل مباشرة إلى﴿قُلُوبِ﴾، فماذا أفاد استعمال﴿بَيْنَ﴾ في المواضع الثلاثة؟

ثانيا: الموضع الأول استعمل فيه حرف العطف﴿الفـاء﴾، والموضع الثاني استعمل فيه حرف العطف ﴿الواو﴾، فلماذا؟

ثالثا: المضاف إليه في الموضع الأول ضمير المخاطبين﴿كُمْ﴾ في﴿قُلُوبِكُمْ﴾، وفي الموضعين الثاني والثالث ضمير الغائبين﴿هِمْ﴾ في﴿قُلُوبِهِمْ﴾، فما سبب ذلك التغاير في استعمال الضمير؟

رابعا: فاعل﴿أَلَّفَ﴾ ضمير مستتر تقديره(هو) يعود إلى الله ﷻ في الموضعين الأول والثاني﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، وضمير بارز متصل﴿تاء﴾ المخاطَب العائد إلى رسول الله ﷺ في قوله ﷻ: ﴿مَآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ فما وجه التغاير في استعمال الضمير؟

أما الجواب عن السؤال الأول فإنه إذا عدي الفعل﴿أَلَّفَ﴾ بالتضعيف إلى(قلوب) مباشرة، فإنه سيدل على وقوع التألف على القلوب دون أن يبين التركيب هل سبق التألف عداوة وافتراق أما لا، أما ذكر﴿بَيْنَ﴾ وتعلقه بالفعل﴿أَلَّفَ﴾ فقد أفاد التركيب معنى جديدا يستفاد من معنى﴿بَيْنَ﴾، وفي القاموس:" البَيْن: يكونُ فُرْقَةً ووَصْلًا، واسْمًا، وظَرْفًا مُتَمَكِّنًا... وجَلَس بَيْنَ القَوْمِ: وَسْطَهُمْ"[1]، وقال ابن منظور:"البَيْنُ في كلام العرب جاء على وَجْهَين: يكونُ البَيْنُ الفُرْقَةَ، ويكونُ الوَصْلَ، بانَ يَبِينُ بَيْنًا وبَيْنُونةً، وهو مِنَ الأَضداد، وشاهدُ البَيْنِ الوَصْلَ قول الشاعر:

لقد فَرَّقَ الواشِينَ بيني وبينُها فقَرَّتْ بِذاكَ الوَصْلِ عيني وعينُها[2].

وقال قيسُ بن ذَريح:

لَعَمْرُكَ لولا البَيْنُ لا يُقْطَعُ الهَوَى ولولا الْهَوَى مَا حَنَّ لِلبَيْنِ آلِفُ[3].

فالبَيْنُ هنا الوَصْلُ..... وفي التنزيل العزيز:﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾"[4].

وفائدة ذِكْر(البين) الذي هو من الأضداد الدلالة على المعنيين الافتراق والوصل؛ فالبين بمعنى الافتراق أي أَلَّفَ بين قلوبكم التي كانت مفترقة وهو يتسق مع قوله﴿كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ فهذه العداوة الممتدة قبل

---

(١) الفَيْرُوزآبادي، القاموس المحيط، حرف الباء،(بين)،١٧٩.

(٢) البيت من(بحر الطويل) بدون نسبة شاهدًا على أن(البين) بمعنى الوصل، ابن منظور،(لسان العرب)،(بين).

(٣) البيت من (بحر الطويل) لقيس بن ذريح(ت٦١هـ)، شاعر أموي شهر بمجنون لبنى، ديوان قيس بن ذريح(قيس لُبنى)، تحقيق، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)،٩٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب،باب الباء،(بين)،١/٥٥٩.

الإسلام، وما تبعها من اقتتال وقتْل تسببت في افتراق القلوب، وذِكر ﴿بَيۡنَ﴾ أفاد مزيد توكيد(1) لحدوث التألف والالتئام والمحبة والمودة بعد العداوة والافتراق، وهذه الألفة صيرتهم إخوانًا بسبب نِعمة الإسلام، وهذه الألفة مستمرة معهم حال اتصالهم وحال افتراقهم بعد انتهاء العداوة ومع الأخوة الإيمانية.

والخلاصة أنَّ الله ألَّفَ قلوبهم تألفًا مستمرًا في حالتي الافتراق والاجتماع قبل وبعد الإسلام.

أما السؤال الثاني فإنَّ أستعمال﴿الفاء﴾العاطفة دون(الواو) في الموضع الأول أفاد سرعة حدوث التألف عقب العداوة الطويلة فيما مضى من الزمن﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾، التي لا ينهيها إنفاق ما في الأرض جميعًا؛ لثبات وتمكُّن هذه العداوة من قلوبهم قبل إسلامهم، وهذه السرعة في إنهاء هذه العداوة وفي التألف نعمة تتناسب مع عظمة هذه النعمة الإلهية التي أُمِرُوا بدوام ذِكْرِها﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾، واستعمال﴿الواو﴾ في الموضع الثاني يتناسب مع سياق ذِكْرِ فضْل اللهِ على رسوله وتعدد نِعَمِهِ عليه، فاستعمل حرف العطف﴿الواو﴾؛ لإفادة الجمْع والمشاركة بين هذه النِّعَمِ التي أنعم الله بها علي الرسول الكريم ﷺ تأييدًا له﴿أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾.

أما السؤال الثالث فإنَّ سبب التغاير في استعمال المضاف إليه ضمير المخاطبين﴿كُمۡ﴾ في﴿قُلُوبِكُمۡ﴾ في الموضع الأول؛ مناسبة السياق الذي ذكر فيه أمر الله لهم بالاعتصام بحبل الله ونهيه لهم عن التفرق، وأمرهم كذلك بذِكْرِ نعمته عليهم، فالخطاب لهم بأمريه ونهيه تشريفا لهم، وسياق الموضعين الآخرين اقتضى استعمال ضمير الغائبين﴿هِمۡ﴾؛ لأن المعنِيَّ بخطاب الآية رسول الله ﷺ ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وعبّر بضمير الغائبين﴿هِمۡ﴾ في﴿قُلُوبِهِمۡ﴾؛ اختصارًا ؛ لوجود المَرْجِعِ الذي يعود عليه الضمير﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

أما السؤال الرابع فإنَّ فاعل﴿أَلَّفَ﴾ ضمير مستتر جوازا تقديره(هو) يعود إلى الله ﷻ عبّر به في قوله تعالى:﴿فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ وقوله:﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾؛ عبّرَ بالضمير اختصارًا لسبقه بالتعبير بالاسم

---

(1) ينظر،"النظّام الأعرج"النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بالنظّام الأعرج(ت٨٥٠هـ)، تفسير النيسابوري"غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، تحقيق، الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط١،(١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م)،١٦/٤٤٥، ٤٤٦.

الظاهر ﴿ٱللَّهَ﴾ في الموضعين، وفي قوله تعالى:﴿مَآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾عبّر بالضمير البارز المتصل﴿تاء﴾ المخاطب العائد إلى رسول الله ﷺ بدلالة الخطاب﴿أَلَّفۡتَ﴾، وفي هذا الموضع نفي التألف بين قلوبهم فعلا لرسول الله ﷺ المُعبّر عنه بتاء المخاطب بعد إثباته فِعْلًا لله، وقوله:﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أفادتْ أنَّ اللهَ ألَّفَ قوالبهم وقلوبهم.

النمط الثاني: [اسم نكرة + مضاف إليه " معرف بـ (أل)"]: ورد هذا النمط في موضعين:

أحدهما: يتضمن نفي صفتي(الفظاظة والغلظة) عن قلب رسول الله ﷺ، وهو:

قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[آل عمران:١٥٩].

قال الأصفهاني:" الفَظُّ: الْكَرِيهُ الْخُلُقِ، مُسْتَعَارٌ مِنَ الْفَظِّ، أي: مَاء الْكَرِشِ، وذلكَ مَكْرُوهٌ شُرْبُهُ لا يُتَنَاوَلُ إلا في أَشَدِّ ضَرورَةٍ. قال تعالى:﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾"[١].

وقال الزبيدي:" ورَجُلٌ غَلِيظٌ أَي فَظٌّ ذُو قَساوَةٍ. ورَجُلٌ غَلِيظُ القَلْبِ أَي سَيِّئُ الخُلُقِ. وأَمْرٌ غَلِيظٌ: شَدِيدٌ صَعْبٌ. وماءُ غَلِيظٌ: مُرٌّ. وكُلُّ ذلِكَ مَجَازٌ "[٢]، وقال الأصفهاني:"الغِلْظَةُ ضِدُّ الرِّقَّةِ، ويقالُ: غِلْظَةٌ وغُلْظَةٌ، وأصلُهُ أنْ يُستعملَ في الأجسامِ لكنْ قدْ يُسْتَعَارُ للمعاني كالكَبيرِ والكَثيرِ. قال تعالى: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾[التوبة:١٢٣]، أي: خُشونَةً. وقال:﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾[هود:٥٨]"[٣].

وقد جعل الشيخ ابن عبد السلام(الغلظة) من المجاز؛ فقال:" عَبَّرَ بذلك عن عدم التأتي؛ لأنَّ الجِرْمَ الغليظَ لا يتأتى لما يُراد منه كالشجرة الغليظة الساق ، فإنها لا تنقاد إلى ما يُراد منها؛ بخلاف الأغصان والقضبانِ الدِّقَاقِ"[٤].

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الفاء،(فظ)،٢/٤٩٤.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، فصل الغين مع الظاء،(غلظ)،٢٠/٢٤٥.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الغين،(غلظ)،٢/٤٧١.

(٤) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن،١٧٠.

وليست﴿مَا﴾ نكرة تامة بمعنى شيء كما ذهب إلى ذلك بعض النحاة، وليست استفهامية مفادها التعجب كما نوّه به الفخر الرازي[1]، وليست زيادتها في القرآن الكريم موضع انتقاص لبلاغة القرآن وبراءة كلام الله من اللغو، ذلك أن زيادة الحرف في العربية ليست اعتباطية وإنما لها أغراض وفوائد، بعضها يدق عن التصور وبعضها لا يحتاج إلى إيضاح. و﴿مَا﴾ في هذه الآية وردت زائدة في الإعراب وليست زائدة أو فارغة من المعنى. فهي تفيد التوكيد وتزيد المعنى وضوحًا وتقريرًا... وردَّ ابن الأثير على من قال في قوله تعالى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ معناه فبرحمةٍ من الله بزيادة ﴿مَا﴾ في الكلام لغير فائدة، فقال: " وهذا خطأٌ... فإن لفظة﴿مَا﴾ ها هنا غير خالية من المعنى؛ لأنها تعطي من الفخامة والفصاحة والجزالة ما لا تُعطي الآية عند فقْدِها"[2]، فهو ينكر على الرازي أن تكون﴿مَا﴾ زائدة لا معنى لها بقوله: "وهذا القول لا أراه صوابًا"[3]، وإنما يرى أنَّ﴿مَا﴾ وردَتْ تفخيمًا وتعظيمًا لأمر هذه الرحمة فهي نِعْمَةٌ عظيمة أسدَاها اللهُ لرسولِه ﷺ فَلَانَ بسببها لهم.وما أحسن ما قاله ابن الأثير فيمن يزعم بوجود زيادة في القرآن الكريم بدون فائدة حيث قال: " ومَن ذهبَ أن في القرآنِ لفظًا زائدًا لا معنى له فإما أنْ يكونَ جاهلًا بهذا القول. وإما أنْ يكونَ مُتسمِّحًا في دِينِهِ واعتقادِهِ. وقول النحاة إنَّ﴿مَا﴾ في هذه الآية زائدةٌ. فإنما يَعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل...ألا ترى أنها لم تمنع﴿الباء﴾عن العمل في خفْضِ(الرحمة)"[4]، ويذكر ابن هشام أن﴿مَا﴾ الزائدة تُسمَّى هي وغيرُها مِن الحروفِ الزائدةِ(صِلَةً وتوكيدًا)، نحو:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩]، و﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[المؤمنون:٤٠]، أيْ: فَبرحمةٍ، وعن قليلٍ[5].

فقد أثبتَ ابنُ هشام الحروفَ الزائدةَ وذَكَرَ لها اسما آخر يدل على أنَّ لها فائدة جليلة فهي حروف(صلة وتوكيد) ومع ذلك يرى وجوبَ اجتنابِ هذه اللفظةِ في التنزيل فيجب ألا نقول في حرف من كتاب الله أنه

---

(١) ينظر، ابن هشام، الإعراب في قواعد الإعراب،١٠٨.

(٢) ابن الأثير، المثل السائر،٢١١/٤،٢١٠.

(٣) المرجع السابق،٩٣/٢.

(٤) نفسه،٩٤/٢.

(٥) ينظر، ابن هشام الإعراب في قواعد الإعراب،١٠١.

زائدٌ، وعلل لذلك بقوله:" لأنه يَسْبِقُ إلى الأذهانِ أنَّ الزائدَ هو الذي لا مَعْنَى له، وكَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ"(١).

جاء أسلوب الشرط﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ باستعمال حرف الشرط غير الجازم﴿لَوْ﴾؛ للدلالة على امتناع انفضاضهم من حول رسول الله ﷺ لامتناع كونه فَظًّا غليظ القلب.

وجملة الشرط﴿كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ معطوفة على جملة﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ المستأنفة، وفيها﴿كُنتَ﴾فعل ماض ناسخ ناقص مبني على السكون؛ لاتصاله باسمها ضمير الرفع المتحرك المبني على الفتح في محل رفع﴿تاء﴾ المخاطَب العائد إلى رسول الله ﷺ، و﴿فَظًّا﴾ صفة مشبهة خبر أول لـ ﴿كُن﴾ منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، و﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ خبر ثان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، وهو مشتق صفة مشبهة أضيف إلى معموله﴿ٱلْقَلْبِ﴾ إضافة لفظية لم تكسبه التعريف وإنما تخفيف اللفظ بحذْف تنوينه؛ بدليل جواز إعراب﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ نعتًا للنكرة﴿فَظًّا﴾، وأفادت﴿لَوْ﴾ امتناع ثبات اتصاف﴿تاء﴾ المخاطب العائد إلى رسول الله ﷺ اسم﴿كُن﴾ بخبريهاالصفتين المشبهتين﴿فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ في الزمن الماضي؛ لاتصافه بـ ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ بسبب رحمة عظيمة من الله، و﴿فَظًّا﴾أي جافيا من الفظاظة: وهي الجفوة في المعاشرة قولا أو فعلا، و﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي قاسيه غير رقيق من الغلظة: ضد الرقة. ويُقال: غلِظ وغلُظ بالكسر والضم، وفي الفرق بين﴿فَظًّا﴾ و﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ قال الفخر الرازي:"الْفَظُّ الَّذِي يَكُونُ سَيِّءَ الْخُلُقِ، وَغَلِيظُ الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي لَا يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَدْ لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ سَيِّءَ الْخُلُقِ وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَكِنَّهُ لَا يَرِقُّ لَهُمْ وَلَا يَرْحَمُهُمْ"(٢).

وعن الغلظة تنشأ الفظاظة، وقُدِّمَتِ الفظاظةُ لسرٍّ وهو تقديم ما هو ظاهر للحسّ على ما هو خافٍ في القلب، و﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ جملة فعلية جواب الشرط لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم:﴿اللام﴾ واقعة في جواب﴿لَوْ﴾، و﴿ٱنفَضُّواْ﴾ فعل ماضٍ مبني على الضم؛ لاتصاله بواو الجماعة

---

(١) ابن هشام الإعراب في قواعد الإعراب،١٠٨.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،٦٥/٩، ٦٦.

فاعله، و﴿مِنْ حَوْلِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بانفضوا، و﴿الكاف﴾ ضمير المخاطب العائد إلى رسول الله ﷺ مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه.

والآخر: يتضمن صفة(التقوى)، وهو:

قوله تعالى:-﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢].

قال الأصفهاني:" الوقايةُ: حِفْظُ الشَّيءِ ممَّا يُؤذِيه ويَضُرُّهُ. يُقالُ: وَقَيتُ الشيءَ أَقيهِ وِقَايَةً وَوِقَاءً. قال تعالى:﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾[الإنسان:١١]،﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[الدخان:٥٦]،...والتقوى جَعْلُ النَّفْسِ في وِقَايَةٍ مِمَّا يُخَافُ. هَذَا تَحْقيقُهُ، ثم يُسَمَّى الخَوفُ تارةً تَقْوى، والتَّقْوى خَوفًا حَسْبَ تَسْمِيَةِ مُقْتَضى الشَّيءِ بِمُقْتَضيهِ والمُقْتَضِي بِمُقْتَضَاهُ، وصَارَ التَّقْوى في تَعَارُفِ الشَّرْعِ حِفْظُ النَّفْسِ عَمَّا يُؤْثِمُ، وذلكَ بِتَرْكِ المَحْظُورِ، ويتمُّ ذلكَ بِتَرْكِ بَعْضِ المُبَاحَاتِ"(١).

جاءت جملة﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ مسبوقة بـ﴿الوَاو﴾ الاستئنافية، و"﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾جمع شعيرة، وهي كل شيء فيه لله تعالى شِعَارٌ، ومنه شِعار القوم في الحرب، وهو علامتهم التي يتعارفون بها، شعائر الله أعلام دينه، ومنها شعائر الحج وأفعاله(٢). و﴿مَـن﴾ اسم شرط جازم للعاقل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملتا الشرط والجزاء بعده في محل رفع خبر﴿مَن﴾، و﴿يُعَظِّمْ﴾ فعل الشرط مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون، أفاد الدلالة على تعظيم شعائر الله في الحال والاستقبال، وفاعله مستتر يعود إلى ﴿مَن﴾ عُدِّيَ بالتضعيف إلى مفعوله﴿شَعَٰٓئِرَ﴾ الذي أضيف إلى﴿ٱللَّهِ﴾ فاكتسب المضاف التعريف والتعظيم ، وجملة ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وفيها ﴿إِنَّ﴾حرف توكيد ونصب مشبه بالفعل أفاد توكيد نسبة خبرها إلى اسمها﴿الهَـاء﴾ الضمير المتصل المبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ العائد إلى﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ و﴿مِن تَقْوَى﴾ ﴿مِـن﴾ حرف جر أفاد ابتداء الغاية، و﴿تَقْـوَى﴾ اسم مقصور مجرور بكسرة مقدرة؛ للتعذر، أضيف إلى﴿ٱلْقُلُـوبِ﴾، وخُصصت ﴿ٱلْقُلُـوبِ﴾ بالإضافة؛ لأنها

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الواو،(وقى)،٦٨٨/٢.

(٢) ينظر، الشوكاني، فتح القدير،٩٦٣.

محل التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكّنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿إنَّ﴾، و﴿الفاء﴾ رابطة. وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر ﴿مِن﴾.

حذف أكثر من كلمة:

ذهب الزمخشريُّ إلى أن قولَه تعالى:﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢] فيه حَذْفُ أكثر مِنْ مُضَافٍ حيثُ قال في تفسير الآية:" أي: فَإِنَّ تَعظيمَها مِنْ أفعال ذوي تقوَى القلوب. فحذفت هذه المضافاتُ، ولا يستقيمُ المعنى إلاّ بتقديرِها؛ لأنّه لابدَّ مِنْ راجعٍ من الجزاءِ إلى﴿مَن﴾ ليرتبطَ به"[1]. وبهذا قال كلٌّ من البيضاويّ، وابنِ هشام، والسيوطيّ، والشوكانيّ[2].

ولا ريبَ في أنَّ عبارةَ الزمخشريّ:"ولا يستقيمُ المعنى إلاّ بتقديرِها"غيرُ مقبولةٍ من مثلِه، فألفاظُ كتابِ الله منساقةٌ لدلالاتِه، ودلالاتُه منساقةٌ لألفاظِه، وكلُّ شيءٍ في القرآنِ: نظمِه ومعناه جاء لحِكْمَةٍ وبقدْرٍ لدلالةٍ مقصودةٍ، ومعانٍ إيحائيةٍ، دونَ سواها. فقولُ الزمخشريّ هذا يُفهَمُ بصورةٍ تُحيلُ النصَّ إلى غير وجهتِه. وحجتُه بأنَّ الجزاءَ لابدَّ فيه من راجعٍ إلى﴿مَن﴾، وهو اسمُ الشرطِ، ليرتبطَ به، غيرُ ملزِمةٍ فليس في كلِّ جزاءٍ من عائدٍ على الشرطِ بـ﴿مَن﴾، كما في قولِه تعالى:﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ...﴾[المائدة:٥٤]، فليس في الجزاءِ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ...﴾ من عائدٍ على اسمِ الشرط ﴿مَن﴾؛ لأنَّ إتيانَ اللهِ تعالى بهؤلاءِ القومِ غيرُ مشروطٍ بوقوعِ ارتدادِ المخاطَبين عنِ الدِّين، بل هو وعْدٌ إلهيٌّ تطمئنُّ به قلوبُ المؤمنين والمستضعفين، واللهُ أعلم.

ويرى الباحث أن معنى الآية يستقيم بدون تقدير ما قَدَّرَهُ الزمخشري: "فإنَّ تعظيمَها من أفعال ذوي تقوى القلوب"؛لأن تقديره خَصَّصَ قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ بأفعال ذوي تقوى القلوب، ومنطوق الآية لا يعطي هذا المعنى دون سواه، وإذا فتح باب تأويل مضافات محذوفة قد يأتي آخر، ويُقَدِّر"فإنَّ تعظيمَها مِن اعتقاد ذوي تقوَى القلوب"، وقد يأتي ثالث، ويقدر"فإنَّ تعظيمَها من

---

(١) الزمخشري، الكشاف،١٩٤/٤، ١٩٥.

(٢) ينظر، البيضاوي، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل،٤٤٧/٢.

- وابن هشام، مغني اللبيب،٧١٧/٢. - والسيوطي،الإتقان،٥٤٧.

- والشوكاني، فتح القدير،٩٦٣.

أقوال ذوي تقوى القلوب"، وإذا تأملنا في مرجع الضمير ﴿هَاء﴾المفردة الغائبة في﴿فَإِنَّهَا﴾ هل هو ﴿يُعَظِّمْ﴾ أم ﴿شَعَٰٓئِرَ﴾؟ سنجد المعنى يستقيم بدون تقدير محذوفات﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فظاهر النص يفهم منه: ومن يعظم شعائر الله فإن شعائر الله من تقوى القلوب، وعبر بالضمير﴿هَا﴾؛ لوجود المرجع الاسم الظاهر﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ والمعنى مستقيم؛ فالآية تحث على تعظيم شعائر الله، وتبين أن ابتداء هذا التعظيم اعتقادًا أو قولا أو فعلا منشأه كائن من وجود تقوى القلوب.

وفي رَدّ ما ذهب إليه الزمخشري يقول الشيخ ابن عاشور:"وقولُه:﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾جوابُ الشرطِ، والرَّابِطُ بين الشرط وجوابه هو العمومُ في قولِه:﴿ٱلْقُلُوبِ﴾، فإنَّ مِنْ جُمْلَةِ القلوبِ قلوبَ الذين يُعظّمون شعائرَ اللهِ"[١]. وهذا الترابطُ ينقضُ مذهبَ الزمخشريِّ الذي أوجبَ في ضوئِه هذا التقديرَ. وقد اكتُفِيَ بذِكْرِ﴿ٱلْقُلُوبِ﴾؛لأنَّ القلوبَ هي "منشأُ التقوى والفجور، أو الآمرةُ بهما"[٢]. فالمعنى هو: " أنَّ التعظيمَ بابٌ من التقوى، ومن أعظمِ أبوابِها، لا أنَّ التعظيمَ صادرٌ من ذي تقوى، واللهُ أعلم"[٣].

النمط الثالث:[اسم نكرة + مضاف إليه" معرف بالإضافة"]:

ورد هذا النمط في موضع واحد يتضمن صفة(الغيظ) هو:

قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[التوبة:١٥].

قال ابن فارس:" الغين والياء والظاء... يدُلُّ على كَرْبٍ يَلْحَقُ الإنسانَ مِن غيره"[٤].

وقال الأصفهاني:"الْغَيْظُ: أَشَدُّ غَضَبٍ، وهو الحرارةُ التي يَجِدُهَا الإنسانُ مِنْ فَوَرَانِ دَمِ قَلْبِهِ، قال:﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾[آل عمران:١١٩]، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[الفتح:٢٩]، وقد دَعَا اللهُ النَّاسَ إلى إمساكِ النَّفْسِ عندَ اعتراءِ الْغَيْظِ. قال:﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[آل عمران:١٣٤]. قال: وإذا وُصِفَ اللهُ سبحانَهُ به فإنَّهُ يُرَادُ به

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،١٧/٢٥٧.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، وأسرار التأويل،٢/٤٤٧.

(٣) الألوسي، روح المعاني،١٧/١٥١.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الغين،(غيظ)،٤/٤٠٥.

الانتقامُ. قالَ:﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾[الشعراء:٥٥]، أي: دَاعُونَ بِفِعْلِهِمْ إلى الانتقامِ منهم، والتَّغَيُّظُ: هو إظهارُ الغيظِ، وقد يكونُ ذلك مع صَوتٍ مَسْمُوعٍ كما قال:﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[الفرقان:١٢]"[1].

جاءت جملة﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ طلبية فيها﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ فعل الطلب فعل أمر مبني على حذف حرف النون؛ لاتصاله بفاعله﴿واو﴾الجماعة، جاء على وزن(فاعِل)؛ للدلالة على المفاعلة فالفعل ﴿قَٰتل﴾ لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر، وقد تعدى إلى مفعول به الضمير﴿هُمْ﴾، و﴿يُعَذِّبْهُمُ﴾ فعل مضارع مجزوم في جواب الطلب، ويلحظ أنَّ بعده أربعة أفعال مضارعة مجزومة بالعطف على﴿يُعَذِّبْهُمُ﴾ منها اثنان مجزومان، وعلامة جزمهما حذف حرف العلة،وهما:﴿يُخْزِ﴾ و﴿يَشْفِ﴾، واثنان مجزومان، وعلامة جزمهما السكون، وهما:﴿يَنصُرْ﴾ و﴿يُذْهِبْ﴾.

واستعمل في العطف حرف﴿الـوَاو﴾ فقط؛ للدلالة على الجمع والمشاركة بين هذه الأفعال وفِعْل جواب الطلب المجزوم﴿يُعَـذِّبْهُمُ﴾ في الحُكْمِ والإعراب؛ فجميع هذه الأفعال مترتبة على حدوث فِعْل الطلب ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ وجزاء لهذا الطلب، وتعقبه حدثيًا وزمنيًا،﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ...﴾ يوضح ذلك إتيان الفعل المضارع ﴿يَتُوبُ﴾ مرفوعا بعد هذه الأفعال دون عطفه عليها في قوله تعالى:﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ حيث إنَّ ﴿الوَاو﴾ استئنافية و﴿يَتُوبُ﴾ مضارع مرفوع والجملة مستأنفة ولم يجزم كالأفعال السابقة بالعطف على جواب الطلب ﴿يُعَذِّبْهُمُ﴾؛ لأنَّ توبة الله على مَنْ يشاء ليست جزاء على قِتال الكفار.

وجاءت جملة﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ الفعلية معطوفة على جملة جواب الطلب﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ بالواو التي أفادت الجمع والمشاركة، وأنَّ تحقق جواب الطلب وما عطف عليه مترتبٌ على تحقق فِعْل الطلب﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾، وفيها الفعل﴿يُذْهِبْ﴾ مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون من الثلاثي

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الغين،(غيظ)،٢/٤٧٧.

المزيد بالهمزة(أَذْهَبَ)التي عدَّته إلى المفعول به الذي يقع عليه الإذهاب المركب الإضافي﴿غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره:(هو) يعود إلى لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾.

وعبّر بالضمير لسبقه بالمرجع الذي يعود إليه؛ الاسم الظاهر﴿ٱللَّهُ﴾، وأفاد الضمير الربط بين جملة ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، وجملة﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾، وأضيف﴿غَيْظَ﴾ إلى﴿قُلُوبِهِمْ﴾؛ لأن القلوب هي محل الغيظ، وحذف من المضاف﴿غَيْظَ﴾ التنوين.

النمط الرابع:[اسم نكرة "كل" + مضاف إليه " نكرة مخصصة"]:

ورد هذا النمط في موضع واحد يتضمن صفة(الطبع) هو:

قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾[غافر:٣٥].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف اسم مبني على الفتح بمعنى(مِثْل) في محل رفع مبتدأ بتقدير: مثل هذا الطبع يطبع الله ... و﴿ذا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، و﴿اللام﴾ للبُعد، و﴿الكاف﴾ حرف خطاب. ﴿يَطْبَعُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة؛ لتجرده من الناصب أو الجازم أفاد الطبع في الحال والاستقبال لِمَنْ كان قلبه متكبرا جبارا، وأسند الفعل﴿يَطْبَعُ﴾إلى فاعله لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾؛ للدلالة على عظمة هذا الطبع، وجملة﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ...﴾ في محل رفع خبر المبتدأ(**الكاف**)، ولم يعدَّ الفعل إلى مفعوله مباشرة، وعُدِّيَ بحرف الجر﴿عَلَىٰ﴾؛ للدلالة على استعلاء الطبع وتمكّنه من كل قلب متكبر جبار، و﴿عَلَىٰ﴾حرف جر مبني على السكون، و﴿كُلِّ﴾ اسم مجرور لعموم الطبع وشموله جميع القلب لا لعموم جميع القلوب خصص بإضافته إلى نكرة مخصصة بالإضافة والوصف﴿قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ والجار والمجرور متعلق بـ ﴿يَطْبَعُ﴾، و﴿قَلْبِ﴾مضاف إليه مجرور بالإضافة، وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، و﴿مُتَكَبِّرٖ﴾ مضاف إليه مجرور بالإضافة،وعلامة جره الكسرة، و﴿جَبَّارٖ﴾ صفة لمتكبر أفادت التخصيص مجرورة مثلها.

قال الراغب:" أَصْلُ الْجَبْرِ: إِصْلَاحُ الشَّيءِ بِضَرْبٍ مِنَ الْقَهْرِ، يُقَالُ: جَبَرْتُهُ فَانْجَبَرَ وَاجْتَبَرَ، وقَدْ قِيلَ: جَبَرْتُهُ فَجَبَرَ،... والإجبارُ في الأَصْلِ: حَمْلُ الْغَيْرِ عَلَى أَنْ يَجْبُرَ الآخَرَ لَكِنْ تُعُورِفَ في الإكراهِ الْمُجَرَّدِ،

فقيلَ: أَجْبَرْتُهُ عَلَى كذا، كقولك: أَكْرَهْتُهُ... والْجَبَّارُ في صِفَةِ الإنسانِ يُقَالُ لِمَنْ يَجْبُرُ نَقِيصَتَهُ بِادِّعَاءِ مَنْزِلَةٍ مِنَ التَّعَالِي لا يَسْتَحِقُّهَا، وهذا لا يُقَالُ إلا عَلَى طريقِ الذَّمِّ، كقوله ﷻ:﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[ابراهيم:١٥] ، وقوله تعالى:﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢]، وقوله ﷻ:﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[المائدة:٢٢]، وقوله ﷻ:﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر:٣٥]، أي: مُتَعَالٍ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ: والإيمانِ لَهُ"[١].

وأسند الطَّبْع إلى الله وهو طبع حقيقي؛ لعدم وجود قرينة تنقله إلى المجاز، والمطبوع هو﴿كُلِّ قَلْبِ﴾ موصوف بأنه لـ﴿مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ بسبب الطبْع، وحكمه أنْ لا يخرج من القلب المطبوع ما فيه من كفر ونفاق وزيغ وضلال، ولا يدخل فيه ما في الخارج من الإيمان والإخلاص والسداد والهدى وهو أعظم عقوبة من الله على كل متكبر جبار جزاء التكبر والجبارية.

ثالثا: تراكيب ذِكْرالقلب مجرورًا بالتبعية:

التوابع:

التوابع جمع تابع: و"هو الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقًا"[٢] وهي خمسة أنواع: النعت والتوكيد والعطف بنوعيه: النسق والبيان والبدل، وقد ورد القلب مجرورا بالعطف بالواو دون بقية التوابع

وعطف النسق:

هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف[٣]، وهذه الحروف عند سيبويه وأكثر النحاة عشرة حروف هي:(الواو، والفاء، وثمَّ، وحتى، وأو، وأم، وإما المكسورة المكررة، وبل، ولكن، ولا)[٤] وهذه الحروف تنقسم على قسمين: الأول : قسم يشرك المعطوف مع المعطوفِ عليه مطلقًا وهي: (الواو، والفاء، وثمّ، وحتى، وأو، وأم).

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الجيم،(جبر)،١/١١١، ١١٢.

(٢) محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل،١٦٤/٢.

(٣) ينظر، ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، .٣٧.

(٤) ينظر، ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،٣/٥.

- والقرشي الأشبيلي، البَسِيطُ فِي شَرْحِ جُمَلِ الزَّجَّاجِيّ،٣٣١/١.

الثاني: يشرك المعطوف مع المعطوف عليه لفظًا فقط وهي:(بل، ولكن، ولا)[١].

العطف من عبارات البصريين ويقابلها عند الكوفيين(النسق)[٢]، وسأقتصر على ما جاء منها في تراكيب ذِكْرِ القلب مجرورا وهو(الواو): وقال الصَّيْمَرِيّ:" واعلمْ أن هذه الحروفَ تُشْرِكُ الثانيَ فيما دَخَلَ فيه الأوَّلُ مِن الإعرابِ، وتختلف معانيها"[٣]. وقال أبو جعفر النحاس:" تعطف بهذه الحروف الثاني على الأول فتصيّره في مثل حاله من الإعراب في الرفع والنصب والخفض والجزم"[٤].

* **العطف بالواو:**

تعد الواو أصل حروف العطف، وأمّ بابه، لكثرة استعمالها ودورها فيه[٥] فإنها تُوجِبُ الاشتراكَ بينَ شيئين فقط في حُكْمٍ واحدٍ وسائرُ حروفِ العطفِ تُوجِبُ زيادةَ حُكْمٍ على مَا تُوجِبُهُ الواوُ[٦].

والنحاة يجعلون(الواو) أصل حروف العطف؛ لأنها تدل على معنى واحدٍ[٧] ثابتٍ لها هو الجمع بين المتعاطفين، وإذا أُضيف له معنى آخر فإنه يُفهم من خلال العَلاقة بين المتعاطفين في السياق الذي وردت فيه، أما غيرها من حروف العطف فإنه يدل على معنى آخر غير معنى الاجتماع.

وتدل الواو على مطلق الاشتراك أو الجمع بين المتعاطفين في المعنى والإعراب[٨]، وفي إفادة(الواو) الترتيب قال الشعراني:"ولا توجب الترتيب على الأصح، تقول:(جاءني عمرو وزيد و...)، ألا ترى أن الواو جمع بينهما في المجيء"[٩].

---

(١) محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل،٢/١٩٨.

(٢) ينظر، ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،٥/٣.

(٣) الصَّيْمَرِيّ، التبصرة والتذكرة،١/١٣١.

(٤) أبو جعفر النحاس، التفاحة،٢٢.

(٥)المَالَقِيّ، رَصْفُ المباني،٤١٠. – والمُرَادِيُّ، الجَنَى الدَّانِي،١٥٨.

(٦) ينظر، ابن يعيش، شَرْحُ المُفَصَّلِ،٥/٦.

(٧) ابن الأنباري، أسرار العربية،٣٠٢.

(٨) ينظر، ابن عصفور، المُقَرِّبُ،١/٢٢٩.

(٩) الشعراني، لُبَابُ الإعراب،٢٧٠.

والواو تعطف المفرد على المفرد والجملة على الجملة. فإذا عطفت(الواو) مفردا على مفردٍ فإنها تفيد الجمع والمشاركة بينهما في اللفظ والمعنى؛ فهي تتوسط بين المعطوف عليه والمعطوف، وتجعل المعطوف يتبع المعطوف عليه من حيث اللفظ يتبعه في اسميته أو فعليته، وفي حالته الإعرابية رفعًا أو نصبًا أو جرًّا أو جزمًا، ومن حيث المعنى يتبعه في إثبات الفعل أو نفيه.

وإذا عطفت(الواو) جملةً على جملةٍ فلا يلزم أنْ تفيد المشاركة في اللفظ ولا في المعنى، ولكن في الكلام عامة؛ لإفادة أنَّ الجملتين أو الجُمل المتعاطفة بالواو تقع في زمان واحد أو في قصْد واحد؛ ولهذا أجاز كثيرٌ من النحاة عطف جملة خبرية بالواو على مثلها أو على جملة طلبية وبالعكس(١).

***دلالات (الواو) العاطفة:**

١- **الجمع أو المشاركة بين المتعاطفين**، وهو أصل معناها، وقد يصحبه معنى من المعاني الآتية:

٢- **الترتيب**، أي أن المذكور أولا(المعطوف عليه) يسبق الثاني(المعطوف) في الحُكْمِ زمنيًّا وحدثيًّا، وذهب إلى ذلك الكسائي والفراء وهشام وثعلب من الكوفيين، وقطرب من البصريين، وذهب البصريون وأكثر الكوفيين إلى أن(الواو) لا تفيد الترتيب.

وذَكَرَ الصَّيْمَرِي معنى(الواو)، وبيَّنَ أنها لا تفيد الترتيب، وأحسن التعليل لعدم إفادتها الترتيب على مذهب البصريين بقوله:" فالواو: مَعْنَاهَا الجمْع بينَ الشيئينِ في الأسماءِ المختلفةِ مِنْ غيرِ ترتيبٍ، وإنما كانت كذلك؛ لأنها في الأسماء المختلفة بمنزلة التثنية في الأسماء المتفقة كقولك: قامَ زيدٌ وعمرٌو، فلو اتفقا لم تحتج إلى الواو وكنتَ تقول: قامَ الزيدان، وذهبَ العَمْرانِ، ولا تقول: قامَ زيدٌ وزيدٌ، ولا ذهبَ عَمْرٌو وعَمْرٌو، فلَمَّا كانت التثنيةُ لا تُرَتِّبُ، وكانت الواو تجري مجراها فيما ذَكَرْنا، وجبَ ألا تُرَتِّبَ أيضًا قال الله ﷻ في قصة واحدة في "البقرة":﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾[البقرة:٥٨]، وقال في "الأعراف":﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾[الأعراف:١٦١]، وهذا يدل على أنها لا تُرَتِّب"(٢).

---

(١) ينظر، محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٦م) مؤسسة الرسالة-بيروت،١١٤٧/٣.

(٢) الصَّيْمَرِيّ، التبصرة والتذكرة،١٣١/١.

ويرى الباحثُ أنَّ الاستعمال القرآني أتي بالواو لمطلق الجَمْع والمشاركة بين المتعاطفين، وأنَّ معنى الترتيب يصحبه في مواضع، كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران:٣٣] فالواو هنا أفادَتِ اجتماعَ المعطوفاتِ وما عُطِفَتْ عليه واشتراكها في الحدث(الاصطفاء)، وأفادت الترتيب الزمني فاصطفاء آدم عليه السلام يسبق اصطفاء نوح عليه السلام الذي يسبق اصطفاء آل إبراهيم عليه السلام الذي يسبق اصطفاء آل عمران، فهنا عطفت(الواو) متأخرًا في الحُكْم على متقدِّمٍ فيه، فأفادت الترتيب وهو كثيرٌ، وكذلك أتت(الواو) في الاستعمال القرآني ولا يصحبها الترتيب، كقوله تعالى:﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾[الأحزاب:٧](الواو) أفادت اشتراك النبيين ومحمد ﷺ ونوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام في أخذ الله ميثاقهم لكنها لم تفد الترتيب الزمني حيث ذكرت(كاف) المخاطَب العائد إلى رسول الله ﷺ أولا مع أنه خاتم النبيين، وذكرت بعده نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وكل منهما يسبقه زمنيًا مما يدل على أنه ليس في المتعاطفات بها إرادة ترتيب، ومن ثم فالسياق وعَلاقة المتعاطفين فيه هي التي تحدد إفادتها الترتيب مع الجمع والمشاركة من عدمه.

٣- <u>المصاحبة بين المتعاطفين</u>، كقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾[العنكبوت:١٥] عطفت﴿الواو﴾ ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾على ضمير الغائب﴿الهاء﴾العائد إلى نوح عليه السلام ، وأفادت الجمع والمشاركة في الإنجاء مع المصاحبة؛ فالإنجاء حادث لنوح عليه السلام وأصحاب السفينة معًا في زمن واحد. وجعلت﴿الواو﴾ المعطوف﴿أَصۡحَٰبَ﴾المضاف إلى﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ إضافة أكسبته التعريف يتبع المعطوف عليه من حيث اللفظ؛ فكل منهما من أنواع الأسماء المعرفة المنصوبة؛ أولهما﴿الهاء﴾ ضمير بارز متصل في محل نصب مفعول به للفعل﴿أَنجَيۡنَا﴾، والثاني منصوب بالعطف على الضمير معرف بالإضافة، ومن حيث المعنى يتبعه في إثبات فعل الإنجاء لكل منهما.

وسائر المعاني الأخرى التي ذكرها النحاة للواو تفهم من خلال العَلاقة بين المتعاطفين في السياق.

<u>جاء القلب مجرورا بالتبعية في(ثلاثة) مواضع تم تصنيفها إلى النمطين الآتيين:</u>

<u>النمط الأول:[معطوف عليه معرف بـ "أل" + "الواو+ معطوف معرف بـ "الإضافة"]:</u>

<u>ورد هذا النمط في موضع واحد يتضمن صفة(الحيلولة) هو:</u>

قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنفال:٢٤].

قال الأصفهاني:" أصلُ الحَوْلِ تَغَيُّرُ الشيءِ وانفصالُهُ عن غيرِهِ، وباعتبارِ التَّغَيُّرِ قيل: حالَ الشيءُ يَحُولُ حُؤولًا، واستحالَ: تَهَيَّأ لأنْ يَحُولَ، وباعتبارِ الانفصالِ قيل: حالَ بيني وبينك كذا، وقوله تعالى:﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[الأنفال:٢٤]، فإشارةٌ إلى ما قِيلَ في وَصْفِهِ:(يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ والأبصارِ) الحديث عن أنس قال: كانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ.(أخرجه أحمد ١١٢/٣)، وهو أنْ يُلْقِيَ في قَلْبِ الإنسانِ ما يَصْرِفُهُ عن مُرَادِهِ لِحِكْمَةٍ تَقْتَضِي ذلكَ، وقيل: على ذلك: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[سبأ:٥٤]"(١).

وقال الشريف الرضي:" وقوله تعالى:﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ وهذه استعارة على بعض التأويلات المذكورة في هذه الآية، والمعنى أنَّ الله تعالى أقرب للعبد من قلبه فكأنه حائل بينه وبينه من هذا الوجه، أو يكون المعنى أنه تعالى قادرٌ على تبديل قلب المرء من حالٍ إلى حالٍ إذ كان سبحانه موصوفًا بأنه مُقَلِّبُ القلوبِ، والمعنى أنه ينقلها من حال الأمن إلى حال الخوف، ومن حال الخوف إلى حال الأمن، ومن حال المساءة إلى حال السرور، ومن حال المحبوب إلى حال المكروه"(٢).

وذهب الدرويش إلى أنَّ الآية مجاز فقال:" المجاز في قوله تعالى:﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾.

فأَصْلُ الحولِ تغيُّرُ الشيءِ وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حالَ الشيءُ يَحُولُ، وباعتبارِ الانفصالِ قيل: حالَ بينهما فحقيقة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يَفْصِلُ بينهما، فهو مجازٌ مرسلٌ عن غاية القرب من العبد؛ لأنَّ مَنْ فَصَلَ بين شيئين كان أقرب إلى كُلٍّ منهما من الآخر لاتصاله بهما، فالعَلاقة المحلية أو السببية. ويجوز أنْ يكون الكلام استعارة تمثيلية لغاية قُربه من العبد، واطلاعه على مكنونات القلوب وسرائر النفوس"(٣). وقال النيسابوري:"﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾أي: بالوفاة ونحوها من

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الحاء،(حول)،١/١٨١.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان،٨١، ٨٢.

(٣) الدرويش، محيي الدين،إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، دار الإرشاد، حمص- سورية، ط٣(١٤١٢هـ-١٩٩٢م)،٥٥٤/٤.

الآفات، فلا يمكنه الإيفاء بما فات، أو هو حوله- تعالى- بين القلب وما يعزم عليه أو يتمناه. وفي الحديث:(إنه ما يحول به بين المؤمن والمعاصي)"[1].

ويرى الباحثُ أنه لا دليلَ على تخصيصِ الآية بمعنى من المعاني السابقة فهي تعمها كلها، ومن الأولى تركها على عمومها، وهو ما ذهب إليه الطبري- رحمه الله- بقوله:" غير أنه ينبغي أن يُقال: إن الله عَمَّ بقوله:﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾، الخبرَ عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئًا دون شيء، والكلام محتمل كل هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له"[2]. وفي قوله تعالى:﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ جملة ﴿يَحُولُ﴾ في محل رفع خبر﴿أَنَّ﴾ ، وأفاد التعبير بالجملة الفعلية الدلالة على التجدد والاستمرار في الحال والاستقبال[3]، و﴿بَيْنَ﴾ ظرف متعلق بـ ﴿يَحُولُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمَرْءِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة، و﴿الواو﴾ حرف عطف عطف﴿قَلْبِهِۦ﴾ المعرف بالإضافة على﴿ٱلْمَرْءِ﴾المعرف بـ(أل) فأفاد الجمع والمشاركة بين الاثنين﴿ٱلْمَرْءِ﴾ و﴿قَلْبِهِۦ﴾ في إثبات الفعل ﴿يَحُولُ﴾ لهما، والمشاركة في الإعراب؛ فكل منهما مجرور.

<u>النمط الثاني:[معطوف عليه معرف "بالإضافة "+"الواو+ معطوف معرف "بالإضافة"]:</u>

<u>ورد هذا النمط في(موضعين): أحدهما: يتضمن صفة(الطهارة) وهو:</u>

قوله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ <u>أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ</u> وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب:٥٣].

---

(١) "بيان الحق" النيسابوري، إيجاز البيان،١/٣٦٠. - والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب التفسير، بلفظ:" يحول بين الكافر وبين الإيمان، ويحول بين المؤمن وبين المعاصي". وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،الحاكم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق، مقبل الوادعي، دار الحرمين،القاهرة، ط١(١٤٢٧هـ-١٩٩٧م)،٢/٣٨٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(٣١٠هـ)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق، محمود محمد شاكر، طبعة دار المعارف بمصر- (١٣٧٤هـ)،١٣/٤٧٢.

(٣) ينظر، الفخر الرازي، نهاية الإيجاز،٧٩.

اسم الإشارة﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ مبتدأ، أُسند إليه خبره﴿أَطۡهَرُ﴾اسم جاء على وزن(أفعل)؛ للدلالة على ثبوت صفة الطهارة وزيادتها لمن اتصف بما أشيرَ إليه بـ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾،و﴿لِقُلُوبِكُمۡ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَطۡهَرُ﴾ و﴿قُلُوبِهِنَّ﴾ عطف على﴿قُلُوبِكُمۡ﴾ بـ﴿الواو﴾ فأفادَتْ حصولَ زيادة الطهارة لقلوب الفريقين لا حصول أصل الطهارة؛ فقلوب أمهات المؤمنين طاهرة بالتقوى وتعظيم حرمات الله وحرمة النبي ﷺ.

وهي طهارةٌ تختلفُ عن طهارةِ قلوبِ السائلين حسب اختلاف أحوالهم التي وَصَفَهَا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ بقوله:" يَا رَسُولَ اللهِ يَدخُلُ عليكَ البَرُّ والفَاجِرُ فلو أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ بالحِجَابِ، فأَنْزَلَ اللهُ آيةَ الحِجَابِ"(١)، وأفادت﴿الواو﴾الجمع والمشاركة حَدَثيًا، والجر للمعطوف﴿قُلُوبِهِنَّ﴾ تبعًا للمعطوف عليه﴿قُلُوبِكُمۡ﴾.

<u>والآخر: ورد متضمنًا صفة(الختم) في موضع واحد، وهو:</u>

قوله تعالى:﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ <u>وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ</u> وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الجاثية:٢٣].

﴿وَخَتَمَ﴾:﴿الواو﴾ عاطفة، و﴿خَتَمَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح دل على حدوث الفعل قبل زمن التكلم معطوف على﴿ٱتَّخَذَ﴾، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره "هو" يعود إلى لفظ الجلالة﴿ٱللَّهُ﴾، و﴿عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿خَتَمَ﴾، و﴿الهاء﴾ ضمير متصل في محل جر مضاف إليه، بمعنى وأغلقَ سمعَه عن السمع،﴿وَقَلۡبِهِۦ﴾ معطوفة بالواو على﴿سَمۡعِهِۦ﴾ و﴿الهاء﴾ ضمير متصل في محل جر بالإضافة، أي وأغلقَ قلبَه عن الفهم، وأفادت﴿الواو﴾ العاطفة الجمع والمشاركة بين﴿سَمۡعِهِۦ﴾و﴿قَلۡبِهِۦ﴾ في حصول الختم على سمع وبصر كل مَن اتخذَ إلههُ هواه؛ وأفادت﴿عَلَىٰ﴾ الدلالةَ على استعلاءِ الْخَتْمِ وتمكُّنه واستحكامه، وَالْخَتْمُ: الِاسْتِيثَاقُ مِنَ الشَّيْءِ حَتَّى لَا يَخْرُجَ مِنْهُ دَاخِلٌ فِيهِ وَلَا يَدْخُلَ فِيهِ خَارِجٌ عَنْهُ(٢).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾، حديث رقم (٤٤٨٣)،٨٤٨.

(٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد للنشر، طبعة مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط١(١٤٢٦هـ)،٥٨/١.

ويُلحظ في هذه الآية بالتأمل فيها وفي آية سورة البقرة:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾[البقرة:٧] ما يلي:

أولا: كُلٌّ من الآيتين تتحدثُ عن الختم على القلب والسمع للذين كفروا في سورة البقرة، ولمن اتخذ إلهه هواه في سورة الجاثية.

ثانيًا: التعبيرُ بضمير الجمع﴿همۡ﴾ في آية البقرة في قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ- وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ- وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ وهو يعود إلى﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والتعبير بضمير المفرد﴿الهاء﴾ في آية الجاثية في قوله:﴿ سَمۡعِهِۦ- قَلۡبِهِۦ- بَصَرِهِۦ﴾؛ لعوده على لفظ ﴿مَنِ﴾ الموصولة في قوله:﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ دون المعنى.

ثالثًا: تقديم(القلب) على(السمع) في آية سورة البقرة،﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾، وتقديم(السمع) على(القلب) في آية الجاثية؛ وفي تعليل ذلك يقول الشيخ ابن عاشور:" وَقُدِّمَ السَّمْعُ عَلَى الْقَلْبِ هُنَا بِخِلَافِ آيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾؛لِأَنَّ الْمُخْبَرَ عَنْهُمْ هُنَا لَمَّا أُخْبِرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمْ، فَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُمْ عَقَدُوا قُلُوبَهُمْ عَلَى الْهَوَى فَكَانَ ذَلِكَ الْعَقْدُ صَارِفًا السَّمْعَ عَنْ تَلَقِّي الْآيَاتِ فَقُدِّمَ لِإِفَادَةِ أَنَّهُمْ كَالْمَخْتُومِ عَلَى سَمْعِهِمْ، ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ وَ" قَلْبِهِ " تَكْمِيلًا وَتَذْكِيرًا بِذَلِكَ الْعَقْدِ الصَّارِفِ لِلسَّمْعِ ثُمَّ ذُكِرَ مَا(عَلَى بَصَرِهِ) مِنْ شِبْهِ الْغِشَاوَةِ لِأَنَّ مَا عُقِدَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ بَصَّرَهُ عَنِ النَّظَرِ فِي أَدِلَّةِ الْكَائِنَاتِ. وَأَمَّا آيَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ الْمُتَحَدَّثَ عَنْهُمْ هُمْ هَؤُلَاءِ أَنْفُسُهُمْ وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ عَنْهُمُ ابْتُدِئَ بِتَسَاوِي الْإِنْذَارِ وَعَدَمِهِ فِي جَانِبِهِمْ بِقَوْلِهِ:﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ فَلَمَّا أُرِيدَ تَفْصِيلُهُ قُدِّمَ الْخَتْمُ عَلَى قُلُوبِهِمْ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ كَمَا كَانَ اتِّخَاذُ الْهَوَى كَالْإِلَهِ أَصْلًا فِي وَصْفِ حَالِهِمْ فِي آيَةِ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ. فَحَالَةُ الْقُلُوبِ هِيَ الْأَصْلُ فِي الِانْصِرَافِ عَنِ التَّلَقِّي وَالنَّظَرِ فِي الْآيَتَيْنِ وَلَكِنَّ نَظْمَ هَذِهِ الْآيَةِ كَانَ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الذِّكْرُ مِنَ التَّرْتِيبِ، وَنَظْمُ آيَةِ الْبَقَرَةِ كَانَ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الطَّبْعُ"(١).

رابعًا: جاءت جملة﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ في آية البقرة بعد قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ سببية بيانية لسبب تركهم الإيمان، قال السيوطي:"﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بيان لسبب تَرْكِهِم الإيمان، وفي الختم استعارة شَبَّهَ حُكْمَهُ

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٥/ ٣٦٠.

عليها بالكفر والشقاوة، فلا تعي الخير ، ولا تقبله بضرْب الخاتم على الشيء كتمًا له، وتغطية، لئلا يتوصل إليه، وخص به القلوب؛ لأنها محل العقل والعِلْم والفهْم"[1].

وفي آية الجاثية جاءت جملة﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ معطوفة على جملة صلة الموصول﴿مَنِ﴾ وهي﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

خامسًا: إفراد(السمْع) في الجاثية، وإضافته إلى ضمير المفرد الغائب(**الهاء**) يتسق مع نظْم آيتها حيثُ أفرد في﴿سَمْعِهِۦ- قَلْبِهِۦ- بَصَرِهِۦ﴾؛ لعودها على لفظ﴿مَنِ﴾ الموصولة دون معناها، وإفراد﴿سَمْعِ﴾ في البقرة ، وإضافته إلى ضمير الغائبين﴿هِمْ﴾ بخلاف ما سبقه﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وما لحقه﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾، وفي تعليل ذلك قال السيوطي:" ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ أفرده بخلاف القلوب والأبصار؛ لأنه مصدر والمصادر أصلها ألا تُجْمَعَ، وقيل لوقوعه بين جَمْعَينِ"[2].

سادسًا: تقديم السمْع على البصر في آيتي البقرة والجاثية؛ لاشتراك كل من السمع والقلب في حالة الختم بخلاف البصر؛ ولأن السمع شرط النبوة؛ ولذلك ما بعثَ اللهُ رسولًا أَصَم[3]، وقال السيوطي: " لأنَّه أشرفَ مِنَ البصر، إذ له مدخل عظيم في استكمال العقل بوصول المعارف إليه، والبصر لا مدخل له في غير المبصرات؛ ولأنَّ السمْع متصرف في الجهات الست، ويقتضي بطلانه بطلان النطق بخلافه "[4].

سابعًا: تكرار حرف الجر﴿عَلَىٰ﴾ في آية البقرة﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ دون آية الجاثية ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾؛ ليفيد التأكيد أو ليشعر ذلك بتغاير الختمين، وهو أن ختم القلوب غير ختم الأسماع[5]، أو ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين: فإنه لو لم يتكرر لكان انتظامًا للقلوب والسمْع في تعدية واحدة [6].

---

(١) السيوطي، قَطْفُ الأَزْهَارِ،١/١٨٢.

(٢) المرجع السابق،١/١٨٢.

(٣) ينظر، تفسير أبي السعود،١/٦٧.

(٤) السيوطي، قَطْفُ الأَزْهَارِ،١/١٨٣.

(٥) ينظر، السمين الحلبي، الدر المصون،١/١١١.

(٦) ينظر،السيوطي، قَطْفُ الأَزْهَارِ،١/١٨٣.

الْخَاتِمَةُ وَنَتَائِجُ الْبَحْثِ

الخاتمة ونتائج البحث:

توصلت الدراسة لتراكيب ذِكْرِ القلب وصفاته في القرآن الكريم إلى نتائج نحوية دلالية تناولتها الدراسة في مواضعها ، وأكدتها في مواطنها، من أبرز هذه النتائج:

١- ورد(القلب) في القرآن الكريم في(١٣٢) موضعا، في(٤٣) سورة؛ للدلالة على أهمية هذا العضو في صلاح أو فساد صاحبه، ورد بالإفراد في(١٩) موضعا؛ للحديث عن قلب مخصوص، كالحديث عن قلب سيدنا رسول الله ﷺ في ثلاثةِ مواضعَ، منها تخصيصه بنزول القرآن على قلبِهِ تشريفًا وتعظيمًا له دون سواه في قوله تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٤]، ومنها تشريفُ اللهِ وعنايته بإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾[الصافات:٨٤]، وورد بالتثنية في (موضع) واحد في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب:٤]، وورد بالجمع في أكثر المواضع(١١٢) موضعا؛ للدلالة على اشتراك قلوب كثيرة في صفة أو أكثر، وكثرة تحقق الصفات ووقوعها بحق من وصِفُوا بها في مواضعها.

٢- لم يحدد موضع القلب في الجسم إلا في موضعين:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب:٤].

والآخر: قوله تعالى:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦].

٣- جاء القلب مرفوعا في الجملة الاسمية في(١٣) موضعا في(١١) موضعا مبتدأ معرفا أسندت إليه الصفة خبرا له أو مبتدأ نكرة مخصصة بالوصف، وفي موضعين جاء اسما لـ(كان) واسما لـ (تكون) في قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦]، وأفاد التعبير بالجملة الاسمية الدلالة على دوام وثبات صفة القلب المذكورة فيها، وتمكُّنها ممن وُصِف بها حتى صارت لهم سجية وطبعا كقوله تعالى: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾[النحل:٢٢] في حق المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، وكقوله تعالى:﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤] في حق اليهود؛ للدلالة على دوام تفرق قلوبهم، وأنهم لا أُلفة بينهم وإن تجمعت أجسادهم، وكقوله تعالى:﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل:١٠٦] في حق من أُكره على قول كلمة الكفر بلسانه مثل: عمار بن ياسر رضي الله عنه ؛ للدلالة على دوام اتصاف قلبه بالإيمان، وثباته عليه، وعدم تغَيُّرِهِ بالإكراه.

٤- جاءَ القلبُ مرفوعًا في الجملة الفعلية، وفي المشتقات العاملة عمل الفعل في(٣٢) موضعا، في(٢٧) موضعًا منها جاء فاعًلا أسند إليه الفعلُ متضمنًا صفة القلب المتحدَّث عنها؛ للدلالةِ على التجدد والحدوث، فإذا كان الفعل ماضيًا فالمراد بالتجدد في الماضي الحصول، وأكثر صفة وردت مع القلب في صورة الماضي صفة القسوة في(ثلاثة) مواضع منها قوله تعالى: ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾[البقرة:٧٤] في حق اليهود، وإذا كان الفعل مضارعًا فالمراد بالتجدد في المضارع أنَّ مِن شأنه أنْ يتكرَّرَ ويقع مَرَّةً بعد أخرى وأكثر صفة وردت مع القلب في صورة المضارع صفة الطمأنينة في(ستة) مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾[الأنفال:١٠] في حق المؤمنين، وفي(٥) مواضعَ جاء القلبُ مرفوعًا للمشتق العامل عمل الفعل؛ في(أربعة) مواضع جاء فاعلًا لاسم الفاعل منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣]، وفي موضع منها جاء نائبُ فاعل لاسم المفعول في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[التوبة:٦٠]، كما أنَّ صيغَ الأفعالِ والمشتقاتِ تُصَوِّرُ المشاهِد، وتستحضِرُ الأحداثَ كأنما تراها العين، وتسمعها الأذن.

٥- العدول عن التعبير بالفعل الماضي﴿قَسَتْ﴾ إلى اسم الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٢٢]؛ للدلالةِ على الإثباتِ المطلقِ لقسوةِ قلوبِهم دون قصْدِ التطرقِ لزمانِ تلكَ القسوة، فهذه القسوة لم تَحْدُثُ وتنتهِ في الماضي، وإنما حَدَثَتْ ولم تنته فصفتها الثبات والاستقرار، والدوام والاستمرار، ومثلها قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٣]، وقوله تعالى: ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣].

٦- جاءَ القلبُ منصوبًا في الجملة الفعلية في(٨) مواضع، الفاعل فيها جميعًا(الله)؛ للدلالةِ على انفراده بالتصرف في القلوب جاء اسمًا ظاهرًا ﴿ٱللَّهُ﴾ في(٣) مواضعَ، وضميرًا بارزًا دالًا على التعظيم في موضعين﴿نا﴾، وضميرا مستترا تقديره:(هو) في موضعين، وتقديره:(أنتَ) في موضع، وفي المواضع الثمانية جاءت لفظة القلب مفعولا به؛ للدلالةِ على العناية والاهتمام بوقوع هذه الصفات(صَرَفَ- ٱمْتَحَنَ- أَزَاغَ- أَغْفَلْنَا- يَهْدِ- أَن يُطَهِّرَ- لَا تُزِغْ- قَٰسِيَةً) على القلب.

٧- جاء(القلبُ) مجرورًا في(٧٩) موضعًا، مجرورًا بالإضافة في(٧) مواضعَ، ومجرورًا بالتبعية في(٣) مواضعَ، ومجرورًا بالحرف في أكثر مواضع القرآن الكريم في(٦٩) موضعًا؛ للدلالةِ على أهمية حروف الجر في التراكيب، وَرَدَ من حروفِ الجر(ستة) أحرفٍ هي:(الباء- على- عن- في- اللام- مِن) أكثر

حروف الجر التي ورد معها(القلب) حرف الجر(في) جاء في(٤٠) موضعًا؛ للدلالةِ على أنَّ القلبَ وعاءٌ وظرفٌ للصفةِ المتحدَّثِ عنها، وأكثر صفة ذكرت معه صفة المرض في اثني عشر موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠]، وتبعه الحرف(على) في(٢٣) موضعًا؛ للدلالةِ على استقرار الصفة، وتمكُّنها من القلب، وأكثر صفة ذكرت معه صفة الطبع في تسعةِ مواضعَ، منها قوله تعالى: ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [محمد:١٦].

٨- جاء القلبُ مجرورًا بحرف"الباء في(٣) مواضعَ؛ للدلالةِ على الإلصاقِ والمصاحبةِ، وجاء القلبُ مجرورًا بالحرف(عن) في موضعٍ واحدٍ؛ للدلالةِ على بُعْدِ الفزعِ وكَشْفِهِ، عن قلوب الشافعين والمشفوعين من المؤمنين يوم القيامة، وجاءَ مجرورًا بحرف(اللام) في موضعٍ واحدٍ؛ للدلالةِ على الاختصاص في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، ومجرورًا بالحرف(مِن) لفظًا في موضعٍ واحدٍ؛ للتأكيدِ على استغراقِ الجنسِ في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾ [الأحزاب:٤].

٩- أكثر سورة ذُكِرَ فيها(القلب) هي سورة التوبة جاء في ثلاثةَ عَشَرَ موضعًا؛ لكثرة حديثها عن صفات قلوب المنافقين منها قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:٦٤].

١٠- أول سورة ذُكِرَ فيها(القلب) سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[البقرة:٧] في حق الكافرين، وآخر سورة سورة المطففين في قوله تعالى:﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين:١٤] في حق كل معتد أثيم يُكَذِّبُ بيوم الدين، وفي كل منهما جاءَ القلبُ جَمْعًا مُعَرَّفًا بالإضافةِ مجرورًا بالحرف(على)؛ للدلالة على ثبات واستقرار صفة الختم والران وتمكنها من قلوب الكافرين المعتدين المكذبين.

١١- جاء القلبُ مُعَرَّفًا في(١٢٥) موضعًا؛ للدلالةِ على أصحاب هذه القلوب والتعريف بصفاتهم، جاء مُعَرَّفًا بأل في(٧) مواضعَ منها قوله تعالى:﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] ، ومُعَرَّفًا بالإضافة إلى الاسم الظاهر في(٩) مواضعَ منها قوله تعالى:﴿ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الأعراف:١٠١]، و مُعَرَّفًا بالإضافة إلى الضمير في(١٠٩) مواضعَ منها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧]، وقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقوله:﴿ رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠]، ومنها قوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠]، وقوله:﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال:٦٣]، وقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

[التحريم:٤]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾ [البقرة:٨٨]، وقوله: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]، وقوله:﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

١٢- جاء القلبُ نكرةً في(٧) مواضعَ، في خمسةِ مواضعَ جاء نكرةً مخصصةً بالوصْفِ كقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] أو مخصصةً بالإضافةِ كقوله تعالى:- ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[غافر:٣٥]، وفي موضعين جاء نكرةً غير مخصصة كقوله تعالى:-﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]؛ لإفادة العموم والشمول، وفيه تعريضٌ بالمشركين بجَعْلهم كمَن ليس له قَلْبٌ، ومن ثَمَّ لم تحصل لهم الذِّكْرَى.

١٣- ضرورة جعْل الاستعمال القرآني واللغوي السابق على التقعيد هو الأصل في التقعيد النحوي، لا أن يكون التقعيد النحوي أصل يؤول النص العربي الصحيح؛ ليوافق القاعدة؛ فيَقِلّ عندئذ تقدير محذوفات تحيد بالمعنى عن مدلوله، وتحميله ما هو في غنى عنه، فكل ما كان توصيف النحاة له مخالفًا الاستعمال القرآني يجب إعادة توصيفه التوصيف الدقيق.

١٤- كل مفردة في سياقها القرآني الذي وردت فيه هي الأبلغ والأنسب للسياق العام لها لا يحل غيرها محلها ، وتعطي معناها من كل وجه، ويجب علينا ألا ننظر إليها مفردة بمعزل عن سياقها.

١٥- ما تركه اللهُ ﷻ على عمومه لا نخصصه إلا بقرينة بيّنة، فلفظ(قلب) في قوله تعالى:-"﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾على حقيقته لا نُخصّصه بعقل أو لُبّ أو روح أو نفس.

١٦- دخول(لا) على الفعل المضارع نفي للحال والاستقبال والمُضي ولا يخصص النفي بها لأحد الأزمنة إلا بقرينة، لأنه يتفق مع الاستعمال القرآني في دخول(لا) على المضارع دون قصره على الاستقبال فقط مع مراعاة أنّ الغالب على حرف(لا) تخليصه المضارع للاستقبال، عند وجود قرينة دالة على ذلك.

١٧- يَحْسُنُ التعبير بالمصدر المؤول في المواضع التي يراد منها الدلالة على الحَدَثِ والزمن واستحضار الصورة، ويَحْسُنُ التعبير بالمصدر الصريح عند الدلالة على ثبوت الحدث دون التطرق لزمانه.

١٨- الأصل في كل حرف أن يكون على بابه، ومستعمَلا في موضعه.

١٩- اشتراك حرفين في صلاحية التعبير بأي منهما في موضع ما ليس معناه التناوب بينهما، وأنهما بمعنى واحد، وإنما معناه التضمين للحرف المستعمل معنى حرف آخر؛ ليعطي معنى الحرفين معًا، ومع ذلك يظل الحرف المستعمل على بابه بحسب المعنى المراد التعبير عنه، وهو من أسرار النظم القرآني.

٢٠- القول بالتضمين أصوب، وأدق من القول بتناوب الحروف، أو بتعاقبها الذي يقول به كثير من النحاة في كتبهم، ويجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، فكل حرف استعمل في القرآن لا يتناوب معه غيره، وإن اشترك معه في جزء من المعنى، وهو من أسرار النظم القرآني.

٢١- تعدية الفعل بحرف الجر مع أنه يُمْكِنُ أنْ يتعدَّى بنفسه، دلالة على أنَّ استعمالَ الحرف مرادٌ لما له من دورٍ في سياقِ الآيات، وليس زائدًا، نحو:﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، و﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، أدى الحرف﴿عَلَىٰ﴾ وظيفة الجر للاسم بعده، وأضاف معنى الربْط إلى مجروره مصحوبًا بمعنى﴿عَلَىٰ﴾الاستعلاء؛ لإفادة قوة الرَّبْط وتمكُّنه من قلوب أصحاب الكهف، وقلب أم موسى عليه السلام.

٢٢- إذا كان لا بد من التقدير لمحذوف فيجب أن يكون في أضيق الحدود، شريطة ألا يُغَيِّرَ التقدير معنى التركيب الأصلي.

٢٣- إذا أُطْلِقَ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ دون تخصيص فإنه يشمل المرض الجسمي، والرذائل الخُلُقيَّة، ما لم توجدْ قرينةٌ تُبَيِّنُ أنه يراد به أحدهما، بل الأصل فيه معنى المرض الحقيقي، فلا نخصصه بالمعنى الخُلُقِي المجازي إلا بدليل إذ إنه كما قال النيسابوري:" ولو أُجْرِيَ المرضُ على ظاهرِهِ لكانَ أيضًا قريبًا، فإنَّ القلبَ جارحةٌ مِنَ الجوارحِ يكونُ سليمًا وسقيمًا، وسويًّا وناقصًا، وإنَّمَا داؤُه الجهلُ والفسادُ، ودواؤُه التعليمُ والإرشادُ، وأطباؤُهُ الأنبياءُ، ومِنْ بعدِهِمُ العلماءُ"(١).

٢٤- تركيب المجرور بالإضافة تركيب يختلف عن تركيب المجرور بالحرف، ولكلٍّ خصائصه ودلالته التي ينفرد بها حتى وإنِ اشْتركا في ملمحٍ دلالي أو أكثر، فقولنا: "هذا غلامُ زيدٍ" لا يمكن أن يكون بمعنى "هذا غلامٌ لزيدٍ".

---

(١) "بيان الحق" النيسابوري، باهر البرهان،١/٣١.

التَّوْصِيَات

***تُوصِي الدراسةُ في مجال بحث تراكيب القرآن الكريم بالتوصيات الآتية:**

أولا: استعمال مصطلح(مُتممات أو مُكملات) بدلا من(فضلات) التي يعبر بها عن كل ما زاد عن طرفي الإسناد (المبتدأ والخبر) في الجملة الاسمية، و(الفعل والفاعل) في الجملة الفعلية لما لها من دور وظيفي في تأدية المعنى لا يليق به وصفها بـ(فضلات).

ثانيا: إعادة دراسة مسائل النحو الخلافية كما فعل ابن الأنباري، ومحاولة تضييق هذا الخلاف، وجعل ما يشهد له القرآن الكريم والسنة النبوية ونصوص العربية الصحيحة الفصيحة هو الصواب، وعدم الاعتداد بما يخالف ذلك.

ثالثا: تجنب القول بحروف جر زائدة أو لغو وما يشبه ذلك على ما يوجد من هذه الحروف في القرآن الكريم؛ تأدبًا مع الله ﷻ حتى لا يقال إنَّ بالقرآن زيادة، وإن كان معنى الزيادة في اصطلاح النحاة لا يعني زيادة لَغْوٍ، ولا يعني شيئًا لا فائدة في ذِكْرِهِ، وإطلاق مصطلح حروف الجر الصلة أو التوكيدية.

رابعا: تقليل الاعتماد على مفهوم دراسة القواعد النَّحْوية دراسة نظرية جافة منفصلة عن الدلالة يجد فيها الدارسون مِن الصعوبة والعناء والمشقة ما يجدون، وإنَّما تُوصِي الدراسةُ بالاهتمام بالدراسة الدلالية النحوية التي تهتم بـ "معاني النحو"، والجانب التطبيقي، ومحاولة الوقوف على روائع الأساليب والتراكيب النَّحْوية الدلالية في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث العربي.

خامسا: عِلْمُ النَّحْو وغيره من العلوم العربية نتجت عن كتاب الله، ومِنْ ثَمَّ تُوصِي الدراسة أنْ يكونَ القرآن الكريم هو المرجع الفَصْل لقواعد النحو، وإعادة صياغة ما يوجد من قواعد نحوية يشهد النصُّ القرآني بخلافها، وأنْ يكونَ الاستعمال هو المرجع في إعادة بناء الكثير من القواعد النحوية دون تأويل للنص؛ ليوافق القاعدة، وإنَّما يجب تغيير القاعدة؛ لتوافق النص القرآني.

وبَعْدُ: فإنِّي أَحْمَدُ الله حَمْدًا كَثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، وأسألُهُ بأسمائِهِ الحُسْنَى، وصفاتِهِ العُلَى أَنْ يُنَقِّيَ قُلوبَنَا مِنَ الخطايَا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ مِنَ الدَّنَسِ، وأنْ يَكتبَ لهذا العملِ القبولَ والإخلاصَ، ويعفو عَمَّا به مِنْ زَلَلٍ ونُقصانٍ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين

الفهارس الفنية

١- فهرس شواهد القرآن الكريم

٢- فهرس شواهد الحديث الشريف

٣- فهرس الأشعار

٤- فهرس الأعلام

٥- المصادر والمراجع

٦- فهرس المحتويات

١- فهرس شواهد القرآن الكريم

آيات تراكيب ذِكر القلب وصفاته في القرآن الكريم	السورة / الآية	الصفحة
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	الفاتحة/٢	٢٢٩
﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾	الفاتحة/٥	٨٣
﴿ ... غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	الفاتحة/٧	٢، ١٥٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	البقرة/٦	١٥٢
﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾	البقرة/٧	١٥٠
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾	البقرة/٨	٢٣٣
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾	البقرة/١٠	٢٢٦
﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾	البقرة/١٧	١٢٤
﴿ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ ﴾	البقرة/٢٠	١٢٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾	البقرة/٢٦	١٠١
﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾	البقرة/٤٨	١٧٧
﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾	البقرة/٥٨	٢٥٨
﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾	البقرة/٧١	١٢٥
﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم ﴾	البقرة/٧٤	٧٤
﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾	البقرة/٨٨	٢٣
﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾	البقرة/٩٣	١٩٤
﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾	البقرة/٩٧	١٣٢
﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	البقرة/١١٧	١١٨
﴿...كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾	البقرة/١١٨	٥٣

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾	البقرة/١٢٥	٣٤
﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾	البقرة/١٣٤	٢٢٩
﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾	البقرة/١٦٥	٣٤
﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ... ﴾	البقرة/١٧٤	٨٧
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾	البقرة/١٧٧	١٣١
﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾	البقرة/١٨٥	١٣١
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ...﴾	البقرة/١٨٦	٩٨
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾	البقرة/١٨٧	١٢٢
﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾	البقرة/١٩٥	١٠٩
﴿ ... وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾	البقرة/٢٠٤	١٩٩
﴿ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾	البقرة/٢٢٥	٤٨
﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾	البقرة/٢٢٦	١٣٢
﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	البقرة/٢٤٥	٨٣
﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	البقرة/٢٤٨	١٩٣
﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	البقرة/٢٥٥	٨٧
﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ... ﴿٢٦٠﴾﴾	البقرة/٢٦٠	٦١
﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾	البقرة/٢٨٣	٧٧
﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	البقرة/٢٨٤	٢٤٩
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾	آل عمران/٧	٢٠٨
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾	آل عمران/٨	٨٠

﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾	آل عمران/١٣	٩٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ...﴾	آل عمران/٣٣	٢٥٩
﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	آل عمران/٥٢	١١٥
﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	آل عمران/٧٢	٢٥
﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ... ﴾	آل عمران/١٠٣	٢٤٤
﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾	آل عمران/١١٥	١٢٠
﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾	آل عمران/١١٩	٢٥٣
﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾	آل عمران/١٢٥	٦٦
﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ...﴾	آل عمران/١٢٦	٦٢،٦٦
﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾	آل عمران/١٢٩	٨٣
﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾	آل عمران/١٣٤	٢٥٣
﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	آل عمران/١٤١	٢٠٠
﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾	آل عمران/١٥١	١٩٧
﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾	آل عمران/١٥٣	٢٠١
﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ...﴾	آل عمران/١٥٤	٢٠٠
لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾	آل عمران/١٥٦	٢٢٢
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾	آل عمران/١٥٩	١٠١، ١١٠
﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾	آل عمران/١٦٧	٢٠٥
﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾	آل عمران/١٨٨	٢٣٢
﴿... خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	النساء/١	١٦٩

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾	النساء/٢	١١٥
﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾	النساء/٦	١٠٩
﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	النساء/٤٦	١٧٧
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ... ﴾	النساء/٦٣	٢٠٣
﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾	النساء/٧٩	١٠٩
﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾	النساء/٩٣	٥٢
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾	النساء/١٥٥	٢٥، ١٠١، ١٥٢،
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾	المائدة/٣	١٩٦
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾	المائدة/١٣	٨٠، ٩٩
﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾	المائدة/٢٢	٢٥٦
﴿... قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾	المائدة/٤١	٥٥، ٧٠، ٨٠، ٨٣، ٩٥، ٢٠٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	المائدة/٥١	٢١٤
﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾	المائدة/٥٢	٢٠٧
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	المائدة/٥٤	٢٥٢
﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ﴾	المائدة/٦٤	٢١٠
﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	المائدة/١١٢	٥٩
﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ... ﴾	المائدة/١١٣	٥٨

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾	الأنعام/١	١٦٩
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾	الأنعام/١٩	١٧٠
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾	الأنعام/٢٥	٣٠، ٣١
﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾	الأنعام/٣٨	٦٤
﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	الأنعام/٤٣	٤٥
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾	الأنعام/٤٦	١٥٠
﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾	الأنعام/١٥٨	٤٩
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾	الأعراف/٤٣	٢٢١
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	الأعراف/٥٦	٢٣٩
﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾	الأعراف/٥٩	١١٢
﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾	الأعراف/١٠٠	١٦٤
﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾	الأعراف/١٠١	١٦٦
﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾	الأعراف/ ١٢٨	٢٣٠
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾	الأعراف/١٤٦	٨٥
﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾	الأعراف/١٦١	٢٥٨
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ... ﴾	الأعراف/١٧٩	٢٣٦
﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾	الأعراف/١٨٩	١٦٩
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	الأنفال/٢	٤٩، ٦٠
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾	الأنفال/٧	٦٦
﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾	الأنفال/٨	٦٦
﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾	الأنفال/١٠	٦٥،٦٧

﴿ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾	الأنفال/١١	١٤٣
﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾	الأنفال/١٢	١٩٨
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾	الأنفال/٢٤	٢٦٠
﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	الأنفال/٤٨	١٨٧
﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ... ﴾	الأنفال/٤٩	٣٤
﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾	الأنفال/٦٠	٤٣، ٢٠١
﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ ﴾	الأنفال/٦٣	٢٨، ٢٤٤
﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾	الأنفال/٦٥	٣٦
﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا...﴾	الأنفال/٧٠	٢١٩
﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨ ﴾	التوبة/٨	٦٣، ٢٠٥
وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ ... ﴾	التوبة/١٥	١٣٢
﴿ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾	التوبة/٤٠	٣٤
﴿وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾	التوبة/٤٥	٥٠
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾	التوبة/٦٠	٧٨، ٢٣٠، ٢٦٦
﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾	التوبة/٦٤	١٤، ٢٠٤
﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ﴾	التوبة/٧٧	٢٢٤
﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾	التوبة/٨٧	١٦١
﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾	التوبة/٩١	٢١٠
﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٩٣ ﴾	التوبة/٩٣	١٠٨

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾	التوبة/١٠٣	٢٣٣
﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾	التوبة/١٠٨	٢٣٢
﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾	التوبة/١١٠	٥٧، ٢١٢
﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾	التوبة/١١٧	٧١، ٩٨
﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾	التوبة/١١٨	١٧٨
﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾	التوبة/١٢٢	٢٦
﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾	التوبة/١٢٣	٢٤٨
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	التوبة/١٢٤	٢١٣
﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾	التوبة/١٢٥	٢٠٧
﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	التوبة/١٢٧	٨٠
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾	يونس/٢٢	١٨٣
﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾	يونس/٧٤	١٦٥
﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾	يونس/٨٨	٩٧، ١٧٢
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	يونس/٩٣	١١٩
﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾	هود/٥٣	١٧٨
﴿وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾	هود/٥٨	٢٤٨
﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾	هود/١٠١	٩١
﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾	هود/١٠٧	٢٣٠
﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾	يوسف/٤٣	٢٣٠
﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾	يوسف/٨٢	١، ٢
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾	الرعد/٦	١٣١
﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾	الرعد/٢٤	١٣١

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾	الرعد/٢٨	٣٠، ٦٠، ٧٥
﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾	إبراهيم/٩	١٨٢
﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	إبراهيم/١٥	٢٥٦
﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾	إبراهيم/٤٣	١٤٣
﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾	الحجر/١٢	١٨٩
﴿ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾	الحجر/٢٢	٢٣٢
﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ...﴾	الحجر/٦٦	١١٨
﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾	النحل/٢٢	٢٦
﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾	النحل/٨٣	٢٦
﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾	النحل/٨٦،٨٧	١٩٧
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ...﴾	النحل/١٠٦	٢٩، ٢٦٥
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ...﴾	النحل/١٠٨	١٥٠
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ...﴾	الإسراء/١	٢٣٢
﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾	الإسراء/٤٤	٣٦
﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾	الإسراء/٤٥	١٧١
﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾	الإسراء/٤٦	١٧١
﴿كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾	الكهف/٥	٢٠٥
﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	الكهف/١٤	١٤٢

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ... ﴾	الكهف/٢٨	٨٠، ٩٢
﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾	الكهف/٥٧	٣١، ١٤٣
﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾	الكهف/٦٦	١٣٢
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾	الكهف/٧١	١٨٤
﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾	الكهف/٨٦	٢٢٠
﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾	مريم/١١	١٣١
﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾	مريم/٣٢	٢٥٦
﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾	مريم/٥٠	٢٣٠
﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾	طه/٣٩	١٩١
﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾	طه/٥٣	٢٨
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾	طه/٧١	١١٤، ١١٦
﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾	الأنبياء/٢	٢٣٣
﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾	الأنبياء/٣	٧٦، ٢٦٦
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾	الأنبياء/١٦	٨١
﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾	الأنبياء/٧٧	١٢٠
﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾	الأنبياء/١٠٣	١٨٠
﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾	الحج/٣٠	٢٣٣
﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾	الحج/٣٢	٢٥١
﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴿٣٥﴾﴾	الحج/٣٥	٥٠
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾	الحج/٤٦	١٨، ٤٢، ٦٣، ٢٣٥

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾	الحج/٥٣	٧٤، ٢٠٨، ٢١٨
﴿... فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾	الحج/٥٤	٦٧
﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾	المؤمنون/٢٢	١٣١
﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾	المؤمنون/٢٨	١٨٣
﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾	المؤمنون/٤٠	٢٤٩
﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾	المؤمنون/٥٤	٣٢
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾	المؤمنون/٦٠	٢٧، ٢٦٨
﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا...﴾	المؤمنون/٦٣	٣٢
﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾	النور/١	٢
﴿... يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾	النور/٣٧	٥٥، ٦٧
﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟...﴾	النور/٥٠	٢١٠، ٢٢٨
﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾	النور/٦١	٢١٠
﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾	النور/٦٣	١٤، ٨٣
﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾	الفرقان/١٢	٢٥٤
﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾	الشعراء/١٤	١٣١
﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾	الشعراء/٥٥،٥٤	١١٧
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾	الشعراء/٨٩	١٢٥
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾	الشعراء/ ١٩٤	١٣٤
﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾	الشعراء/٢٠٠	١٨٨
﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾	الشعراء/٢٠٨، ٢٠٩	١٤٠

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾	النمل/٢٠	٥٥، ٨٧
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦ...﴾	النمل/٧٨	١١٨
﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	النمل/٨٧	١٧٩
﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾	النمل/٨٩	١٧٩
﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	القصص/٧	١٤٨
﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ﴾	القصص/٨	٢٢٣
إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا ...﴾	القصص/١٠	١٢١، ١٤٣
﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾	القصص/١٥	١١٨
﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾	القصص/٢٧	١٣٢
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾	القصص/٢٩	١١٨
﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾	القصص/٧٩	١٣١
﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾	العنكبوت/١٥	٢٥٩
﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾	العنكبوت/٤٠	١٢٤
﴿إِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾	العنكبوت/٦٤	٢١٠
﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ... ۝٤﴾	الروم/٢-٤	١٨٠
﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٩﴾	الروم/٥٩	١٦٧
﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾	لقمان/١٧	١٣١
﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾	لقمان/١٨	٨١
﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾	الأحزاب/٤	١٨، ٢٠٥، ٢٣٥، ٢٦٥

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	الأحزاب/٥	٥٢
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ﴾	الأحزاب/٧	٢٥٩
﴿ إِذْ زَاغَتِ الأبصارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾	الأحزاب/١٠	٥٤، ٩٨
﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾	الأحزاب/١٢	٢٠٨، ٢١٦
﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾	الأحزاب/٢٦	١٩٠
﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾	الأحزاب/٣٢	٢٠٧
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	الأحزاب/٣٣	٩٦
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾	الأحزاب/٣٧	١١٩
﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	الأحزاب/٤٠	١٥١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	الأحزاب/٤٥	٨٣
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾	الأحزاب/٥١	٢٠٣
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾	الأحزاب/٥٣	٢٢٩، ٢٣١، ٢٦١
﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾	الأحزاب/٦٠	٢٠٨
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾	سبأ/٢٣	١٧٨
﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ...﴾	سبأ/٣٣	٢٤٢
﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾	سبأ/٥٤	٢٦٠
﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾	فاطر/٣	٢٣٤
﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ﴾	فاطر/٣٣	٢٣٣

﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾	فاطر/٤٤	١٧٢
﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾	فاطر/٤٥	٤٩
﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾	يس/٩	٣٢
﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾	يس/٦٥	١٥١
﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾	الصافات/٨٤	٢٦٥
﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾	الصافات/٨٥	١٢٩
﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾	الصافات/٩٢	٨٧
﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾	ص/٨	٩١
﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾	ص/٦٣	٢١٨
﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾	الزمر/٢٢	٧٥، ٢٦٦
﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾	الزمر/٢٣	٦١، ٦٩
﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾	الزمر/٤٥	٥١
﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾	غافر/١٨	٣٣، ٣٤
كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ۝٣٥﴾	غافر/٣٥	٢٥٥
﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾	غافر/٧١	٣٤
﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾	فصلت/٥	٢٣، ١٧٠
﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾	فصلت/١١	
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾	فصلت/١٧	٩٢، ٩٥
﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾	فصلت/٥٣	٢٣٦
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾	الشورى/١١	١٠١،١١٠
﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾	الشورى/٢٤	١٥٧

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾	الشورى/٢٥	١٧٨
﴿كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾	الشورى/٣٠	٤٨
﴿جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾	الشورى/٥٢	١٢٤
﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾	الزخرف/١٩	١٦٩
﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾	الزخرف/٥٥	٩١
﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾	الدخان/٥٦	٢٥١
﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾	الجاثية/٢٣	١٥٠، ١٥١
﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾	الأحقاف/٢	١٣٧
﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾	الأحقاف/٣١	١٢٨
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾	محمد/٤	١٧٢
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾﴾	محمد/١٦	١٦٠
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾	محمد/١٧	٩٥، ١٣٦
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِىِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾	محمد/٢٠	١٣٣، ٢٠٧، ٢١٤
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾	محمد/٢٤	١٥١، ١٧٤
﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾	محمد/٢٩	١١٢، ٢٠٨
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	الفتح/٤	٩٥، ١٤٣
﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِى قُلُوبِهِمۡ﴾	الفتح/١١	٢٠٦
﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمۡ﴾	الفتح/١٢	١٤، ١٨٦
﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾	الفتح/١٨	٢٠١
﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	الفتح/٢٥	٢٢٠

﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾	الفتح/٢٦	٢١٢، ٢٢٠
﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾	الفتح/٢٩	٢١
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾	الحجرات/٣	٨٠، ٨٣
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾	الحجرات/٧	١٤، ١٨٦
﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾	الحجرات/١٤	١٩٨
﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾	ق/٣٣	١٢٩
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾	ق/٣٧	١٢،٣٨
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾	النجم/٣	١٧٨
﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾	النجم/٥	١٧٢
﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾	النجم/١٧	٩٨
﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾	الحديد/١٦	٤٦، ٥٨
﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾	الحديد/٢٧	٢٢١
﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾	المجادلة/٨	٢٠٦
﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾	المجادلة/٢٢	١٤، ٩٢
﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ﴾	الحشر/٢	١٩٢
﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	الحشر/١٠	٢١٢، ٢٢١
﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾	الحشر/١٤	٢٧، ٢٨
﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾	الممتحنة/١	١٩٧
﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾	الممتحنة/١٠	٢٠١
﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾	الصف/٥	٨٠، ٩٠

﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾	الصف/١٤	١١٤
﴿... ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	المنافقون/٣	١٥٣، ١٦٣
﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾	التغابن/١١	٨٠، ٩٤
﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾	التحريم/٣	٢٠٤
﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾	التحريم/٤	٤٧، ٢٦٨
﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾	التحريم/٦	١٧٢
﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾	الملك/٣	٢٣٣
﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾	الحاقة/٤٧	١١٠
﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ...﴾	نوح/٢٨	٢٢٩
﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ...﴾	المدثر/٣١	٢٠٨
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾	المدثر/٤٩	٨٨
﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	القيامة/١	٨٧
﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾	القيامة/٣١	٨٧
﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾	الإنسان/٦	١٢١
﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾	الإنسان/١١	٢٥١
﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان:٢٨]	الإنسان/٢٨	١٧٢
﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾	النازعات/٨ ، ٩	٢٢
﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾	المطففين/٢	١٣٢
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾	المطففين/١٤	١٤٠
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾	الانشقاق/١٩	١٧٧
﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾	الطارق/٤	٩١
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾	القدر/١	١٣٣

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾	الزلزلة/٦	٢٨
﴿أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾	قريش/٤	٧٥
﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝﴾	الماعون/٤، ٥	٨٢
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص/١	٨٠، ٨٣
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾	الفلق/١	٨٣

٣- فهرس شواهد الحديث الشريف

م	الحديث	الصفحة
١-	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ	١٩
٢-	اللهمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ	١٩
٣-	كَانَ أَكثَرُ دُعَائِهِ ﷺ: يَا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ	١٩
٤-	إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ	١٤٢
٥-	اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ	١٧٤
٦-	فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ	١٧٨
٧-	تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ	١٩٥
٨-	بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ	٣٥
٩-	إنه ما يحول به بين المؤمن والمعاصي	٢٦٢
١٠-	إِنَّ امْرَأَةً دَخَلَتِ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا	١٨٣

٣- فهرس الأشعار

البيت	قائله	البحر	الصفحة
حرف الراء وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلْ تَغَشَّـاهُمُ مُسْبِـلٌ مُنْهَمِرْ	أوس بن حجر	المتقارب	١١١
مَا سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِهِ والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإنسانِ أَطْوارَا	–	البسيط	١٨
وما حُبَّ الديارِ شَغَفْنَ قلبي ولكن حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا	قيس بن الملوح	الوافر	٢٤٠
إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوًى وعَقْلُ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا.	بعض المولدين	البسيط	٢٣٩
تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الخَافِي يَسِيرُ. تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَـرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ. أَكَادُ إِذَا ذَكَـرْتُ العَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ.	الحارث المخزومي أو النابغة في زوجته عثمة	الوافر	١٩٥
حرف العين .... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ.	عنترة بن شداد	الوافر	١٢٥
حرف الفاء إِذَا مَا الْقَلْبُ أُشْرِبَ حُبَّ شَيءٍ فَلَا تَأْمَلْ لَهُ الدَّهْرَ انْصِرَافَا.	–	الوافر	١٩٥
لَعَمْرُكَ لَوْلَا البَيْنُ لا يُقْطَعُ الهَوَى وَلَوْلَا الْهَوَى مَا حَنَّ لِلبَيْنِ آلِفُ.	قيس بن ذريح	الطويل	٢٤٦
حرف اللام الوُدُّ أَنْتِ الْمُسْتَحِقَّةُ صَفْوِهِ مِنِّي وَإِنْ لَمْ أَرْجُ مِنْكِ نَوَالَا.	–	الطويل	٢٣٨
لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ	كُثَيِّرَ عَزَّة	مجزوء الوافر	٧٦
جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي في مَفَاصِلي	المتنبي	الطويل	١٩٥
لَيْسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْـرٍ خَلْقٌ يُوَازِيهِ فِي الْفَضَائِلِ	أوس بن حجر	مجزوء البسيط	٢٤٦

حرف الميم تَحَلَّمْ عنِ الأدنَيْنِ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ولنْ تستطيعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا.	الأحنف بن قيس أو حاتم الطائي	الطويل	٥٣
لَيْسَ الأَخِلَّاءُ بِالْمُصْغِي مَسَامِعِهِم إِلَى الْوُشَاةِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ.	-	البسيط	٢٣٧
وَكَلَامٍ سَيِّءٍ قَدْ وَقِرَتْ أُذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمِ.	المُثَقِّب العبدي	الرمل	٣١
حرف النون إنْ يَغْنيَا عَنِّي الْمُسْتَوْطِنَا عَدْنٍ فَإِنِّي لَسْتُ يَوْمًا عَنْهُمَا بِغَنِي.	-	البسيط	٢٣٧
حرف الهاء أُجَامِلُ أقوامًا حَيَاءً وقد أَرَى صُدُورَهم تَغْلِي عَلَيَّ مِرَاضُهَا.	الشماخ بن ضرار	الطويل	٢٢٧
لقد فَرَّقَ الواشِينَ بيني وبينُها فقرَّتْ بِذاكَ الوَصْلِ عِيْنِي وَعَيْنُهَا.	-	الطويل	٢٤٦

٤- فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
(أ) آدم عليه السلام	١٩، ٢٥٩.
إبراهيم عليه السلام	٦١، ٨٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٥٩، ٢٦٥.
إبراهيم بركات	١٧، ٨٢، ١٠٣.
إبراهيم مصطفى	٦
الأُبَّذِيّ	١٠٣، ١٠٥.
ابن الأثير	٢٤٩
أحمد بن حنبل	١٩٢، ١٩٧، ٢٦٠.

الإسفرائيني	٤٥، ١٠٧، ١٢٦.
أبو الأسود الدؤلي	١٠٥.
الألوسي	٢٩، ٣٣، ٣٥، ٧٢، ١١١، ١٢٧، ١٤٤، ١٧٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٧، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٥٣.
ابن الأنباري	٢١، ٣٥، ٥٤، ٥٦، ١٤٨، ٢١١، ٢٥٧.
(ب) ابن بابشَاذ	١٠٨، ١٢٣.
البخاري	١٩، ٣٥، ٣٦، ٢٦٢،١٩٢.
البغوي	٣٣، ٦٨.
أبو بكر الرازي	٥٠، ٦١، ٦٤، ٧٨، ٢٤٧.
بهجت عبد الواحد	٢٠٨.
"بيان الحق" النيسابوري	٤٠، ٦٤، ٦٨، ٧٦، ٩٣، ١٢٦، ١٤٥، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٦١، ٢٦٩.
البَيْتُوشِيّ	١٣٦، ١٨١، ٢٣١.
البيضاوي	٧٠، ٨٨، ١٠٠، ١١٠، ١٧٨، ٢٥٢، ٢٥٣.
(ت) الترمذي	١٩، ١٤٢.
ابن تيمية	١٢٣.
(ث) ثعلب، أحمد بن يحيى	١١٢، ٢٥٨.
(ج) ابن جَمَاعَة	٣٧، ٦٠، ٦١، ١٠٧، ١١٥، ١٣٦، ١٤٥، ١٦٣، ٢٣٢.
أبو جعفر الغرناطي	٦٧.

أبو جعفر النحاس	٤٦، ٢١١، ٢١٢، ٢٤١، ٣٥٧ .
جميل ظفر	٥، ١٤٥.
ابن جني	٥٩، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ٢٣٧.
الجواري	٥، ٤٤، ٥٩،١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ٢٣٧.
(ح) ابن الحاجب	١٦، ٣٧، ٥٣، ٥٥، ٨٣، ٨٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٥، ١٣١، ١٤٥، ١٨٣، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥.
حسني عبد الجليل	١٣٨، ٢٢٥.
حماسة	٦، ١٧.
أبو حيان	٢٢،٢٨، ٥٩، ٦٨، ٨٧، ٩٦،١٢٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٥، ١٧٩، ١٩٩،٢٢٣، ٢٤٢.
(خ) ابن الخبّاز	١١٢.
(ر) الراغب الأصفهاني	١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٧، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٤، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٣، ١٥١، ١٥٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٠.
الرَّضِي الأستراباذي	٥٥، ٨٣، ٨٥، ١٠٦، ١٤٥، ٢٤٠.
الرُّمَانيُ	٣٧، ٤٨، ٩١، ١٣١.

(ز) الزَّبِيدِي	١٨، ٣٦، ٤٣، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٨٤، ٩٢،٨٦ ، ١٣٣، ١٤٣، ١٥١، ١٧٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٨.
الزجاج، إبراهيم بن السري	١٧١، ٢١٨.
الزجاجي	٨٦، ٩١،٨٧، ١٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٨،
الزركشي	٨٨، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١١٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ٢٢٤، ٢٢٥.
الزمخشري	٣٧، ٤٠، ٤٣، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٧٦، ٨٤، ٨٦، ١٠٥، ١١٠، ١١٦، ١٣٤، ١٤١، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٨١، ٢٠٠، ٢٣٠، ٢٤٢، ٢٥٣.
(س) السامرائي، فاضل صالح	١١٤، ١٥٩، ١٦٣.
السخاوي	١٠٧، ١١٦، ١١٧، ١٨٤.
ابن السَّراج، محمد بن السري	١١٢، ١٢٤.
أبو السعود	٤٢، ٦٩، ١٥٤،٩٦، ١٥٥، ١٧٥، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٦٤.
السكاكي	١٧.
السمين الحلبي	٢٢، ٢٨، ٣٢، ٣٦، ٥٧، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٨، ١٩٦، ٢٦٤.
السهيلي	٥، ٩٦، ١٤٨.
سيبويه	١، ٣، ٥، ٢١، ٣٨، ٤٣، ٥٣، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ١٠٥، ١١٣، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٨، ١٨١، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤١.

ابن سِيدَة	١٠٧.
السيوطي	٣٦، ٤٨، ٤٩، ٧٠، ٧٤، ٨١، ٨٨، ٩٨، ١٠٥، ١١٣، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٩٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٦٤.
(ش)	
الشاطبي	٧، ٢٤٠، ٢٤١.
ابن الشجري	٥٣.
الشريف الجرجاني	١٧، ١٨، ١٤١.
الشريف الرضي	٣١، ٣٢، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٤، ٥٧، ٧٢، ٩١، ١٥٢، ١٦٤، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ٢٠٤، ٢٢٧، ٢٦٠.
الشعراني	٣٤، ٢٥٧.
شعيب عليه السلام	١٣٢، ١٤٠، ١٦٦.
ابن شُقَيْر	٨٧، ١٥٩، ٢٢٣، ٢٤٣.
الشَّلَوْبِينيّ	١١٥، ١١٦، ١٢٤، ١٨٠.
الشوكاني	١٧٥، ٢٥١، ٢٥٢.
(ص)	
الصاغانيّ	٢٢٤..
صافي، محمود بن عبد الرحيم	٤٨، ٥٣.
الصالح، الملك الصالح إسماعيل الأيوبي	٦٩،٨٣، ١٠٧، ١١٥، ١٧٦، ٢٣٨، ٢٤٢.

الصاوي	١٢٧.
الصَّيْمَرِي	١٨٢، ٢٤١، ٢٥٧ن ٢٥٨.
(ط) الطبري، ابن جرير	٢٦١.
الطرسوسي	١١٢..
(ع) ابن عاشور	٣٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٦٩، ١٨٨، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٦٣.
أبو العباس الآبَيّ	١١٦.
عبد القاهر الجرجاني	٣، ٤، ٥، ١٧، ١٨، ٣٧، ٣٩، ٤١، ٥٥، ٥٩، ٩٦، ١٠٤، ١٠٦، ١٢٤، ١٥٩، ١٦١، ١٧٧، ١٨٠، ٢١٤، ٢٣٢.
أبو عبيدة، معمر بن المثنى	٢، ٢٤، ٧١، ١١٠.
ابن العربي	١٢٢.
العز بن عبد السلام	٣٣، ٤٤، ٤٧، ٥١، ٦٣، ٦٩، ٧٧، ٨٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٨، ٢٢٧، ٢٤٤، ٢٤٨.
ابن عصفور	٤٤، ٤٦، ٤٩، ٥٩٠، ٦٠، ٦٩، ٨٠، ٢٥٧.
ابن عقيل	١٣١، ٢٢٥، ٢٣٧.
العُكْبَرِيُّ	٨٩، ١٥٣.
أبو علي الفارسي	١٦، ١٠٧.
علي بن أبي طالب ﷺ	١٠٥
عمر بن الخطاب ﷺ	٢٦٢.
أبو عَمرو الجَرْميّ	٢١١.

(ف) ابن فارس	٦، ٤٦، ٤٧، ٩٠، ٩٤، ١٣٣، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٨، ١٧٢، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٥٣.
الفاكهي	٥٥، ١٠٦.
الفخر الرازي	١٥٠، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٥٠.
الفرَّاء	٢٠، ٤١، ١٢٤، ١٩٤، ٢٥٨.
الفراهيدي	١٥.
الفيروزآبادي	١٥، ٨٩، ٢٤٦.
الفيومي	١٣٦.
(ق) ابن قاسم المالكي	١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ٢٣٩.
القاسمي	١٧٥، ١٧٦.
ابن قتيبة	٢٠، ٢٤، ٣١، ٣٢، ٤١، ٤٧، ٦١، ٧١، ٨٨ن ١١٤، ١٢٥، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٢، ١٧٣، ١٩٣، ٢١٨، ٢٢٧.
القرشي الأشبيلي	١٠٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٦.
القرطبي	١٠٠، ١٩٢،
(ك)	
الكرماني	١٢٩..
الكسائي، علي بن حمزة	٢٥٨.
الكَفَوِيُّ	٩٩، ١١٢، ١١٣، ١١٩.
الكِيشِيُّ	١١٣.
(م) المَالَقِيُّ	١٧٧، ٢٥٧.

ابن مالك	٢٠٢، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢.
الماوردي	١٠٩، ١١٠.
المُبَرِّدُ، محمد بن يزيد	١٧٩، ١٩٥، ٢٣٦.
محمد عبد العزيز النجار	٢٠، ١١٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٥٧.
محمد بن عبد الله ﷺ	١.
محمد عيد	٥، ٨٥، ١٣٧، ١٤٦، ٢٢٥.
محمد محمد أبو موسى	١٤٥.
محمد محيي الدين عبد الحميد	٣١، ١٣١، ١٤٦.
محمد نديم	١٢٠، ١٢٢.
محيي الدين الدرويش	٢٦٠.
المرادي	٢٩، ٣٤، ٣٥، ٤٤، ٤٩، ٧٦، ٨٦، ٩٠، ٩١، ١٠٥، ١٠٦، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٥٧.
مسلم	١٩، ١٧٧، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧.
ابن مضاء	٢٠٩.
المُطَرِّزيُّ	٧٧، ١٠٦، ١٧٧.
أَبُو مُعَاذٍ النَّحْوِيُّ	١٤١.
ابن منظور	١٨، ٥٩، ١٠٥، ١٤١، ١٨٨، ٢٤٦.
مهدي المخزومي	٦، ١٥، ٧٣.
موسى عليه السلام	١٣١، ١٣٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٢ن ١٧٣، ١٨٤، ١٩٥.
(ن) ابن الناظم	٢٥، ٨٥، ١٣٧، ٢٠٢، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٦.

ابن النحاس، بهاء الدين محمد بن إبراهيم	٤٦، ١٠٧، ١١١، ١١٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩.
أبو نزار	١١٨..
"النَّظَّامُ الأعرجُ" النيسابوريُّ	٢٤٧.
ابن النقيب	١٢١، ١٤٦.
نوح ﷺ	١٢٧، ١٦٦، ٢٥٩.
(هـ) الهَرَوِيّ	١١١.
ابن هشام	٣١، ٣٤، ٥٣، ٨٦، ١٠١، ١١٠، ١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٣٠، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٢، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٥٠،
أبو هلال العسكري	١٢٠، ١٢٨.
(ي) ابن يعيش	١٦، ٩٧، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٦، ١٧٩، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٦، ٢٥٧.

الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

المصادر والمراجع:

أولا: المصـــادر: القـــــرآن الكريـــــم

ثانيا: المراجع:

١- د.إبراهيم إبراهيم بركات:

- **النحو العربي**، دار النشر للجامعات- مصر، ط١(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

- **وظيفة البنية في تحديد دلالة الكلمة**، دار عامر للطباعة والنشر، المنصورة- مصر،(١٩٨٨م).

٢- د. إبراهيم مصطفى:

- **إحياء النحو**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط٢(١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٣- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي(ت ٦٣٧هـ):

- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق، د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة- القاهرة، ط٢(د.ت).

٤- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ):

- **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة(د.ت).

٥- الأَرْدَبِيلِي، جمال الدين محمد بن عبد الغني(ت٦٤٧هـ):

- **شرح الأنموذج في النحو للزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)**، تحقيق، د. حسني عبد الجليل،الناشر، مكتبة الآداب- القاهرة.

٦- الأزهري، خالد بن عبد الله(ت٨٩٦هـ):

- **شرح التصريح على التوضيح**، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي،(د.ت).

٧- الإسفرائيني، تاج الدين محمد بن أحمد بن السيف المعروف بالفاضل الإسفرائيني(ت٦٨٤هـ):

- **اللُّبَاب في عِلْمِ الإعرابِ**، تحقيق، د. شوقي المعَرِّي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان ط١(١٩٩٦م).

٨- الألباني، محمد ناصر الدين:

- **صحيح سنن الترمذي(ت٢٧٩هـ)**، مكتبة المعارف، الرياض، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٩- **الألوسي**، العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي،(ت١٢٧٠هـ):
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٤(١٤٠٥هـ-١٩٨٣م).
١٠- **امرؤ القيس**، حُنْدُج بن حُجر بن الحارث الكِندي(ت ٥٦٥م):
- **ديوان امرؤ القيس**، تحقيق، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٥ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
١١- **ابن الأنباري**، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ابن أبي سعيد الأنباري(ت٥٧٧هـ):
- **أسرار العربية**، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، تحقيق، د. جودة مبروك، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١(٢٠٠٢م).
- **البيان في غريب إعراب القرآن**، تحقيق، د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).
- **مَنثورُ الفوائدِ**، تحقيق، د. حامد الضامن، دار الرائد العربي، بيروت، ط١(١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
١٢- **ابن بابشَاذ**، أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي المصري(ت٤٦٩هـ):
- **شرح المقدمة النحوية" الجُمل الهادية في شرح المقدمة الكافية"**، تحقيق، د. محمد أبو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية(١٩٧٨م).
١٣- **البخاري**،الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ):
- **صحيح البخاري المسمى بـ «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»**، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع،الرياض- السعودية،ط (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).
١٤- **البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٦هـ):

- **تفسير البغوي"معالم التنزيل"**، تحقيق،محمد عبد الله النمر – وعثمان جمعة ضميرية– وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤(١٤١٧هـ-١٩٩٧ م).
١٥- **أبو بكر الرازي**، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦هـ):
- **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل**، تحقيق، د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي،الناشر: دار عالم الكتب، الرياض- السعودية ط١(١٤١٢هـ-١٩٩١م).
١٦- **بهجت عبد الواحد صالح:**
- **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**، الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- **بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز**، مكتبة دنديس، عمان- الأردن، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
١٧- **"بيان الحق" النيسابوري**، العلامة محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي الملقب بـ "بيان الحق"(ت٥٥٣هـ):
- **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، تحقيق، حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان. ط١(١٩٩٥م).
- **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
١٨- **البَيْتُوشِيُّ**،عبد الله بن محمد الكُرْدِي البَيْتُوشِيُّ الشافعي العراقي(ت١٢١١هـ):
- **كفاية المُعاني في حروف المَعاني**، تحقيق، شفيع برهاني، دار اقرأ للطباعة والنشر، سورية- دمشق، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
١٩- **البيضاوي**، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت٧٩١هـ):
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوى**، تحقيق، محمد صبحي حسن خَلَّاق ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق- بيروت، ط١(١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
٢٠- **الترمذي**، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذِيّ(ت٢٧٩هـ):

- **سُنَنُ الترمذي(الجامع الكبير)**، تحقيق: د. بشار عَوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٩٩٦م).

٢١- **ابن تيمية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت ٧٢٨هـ):

- **شَرْحُ مُقَدِّمَة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّةَ**، شرحه، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار، دار ابن الجوزي،الرياض- السعودية، ط٢(١٤٢٨هـ).

٢٢- **أبو جعفر النحاس**، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المُرَادِي، أبو جعفر النحاس النحوي، المصري(ت٣٣٨هـ):

- **كتاب التُّفَّاحَةِ في النَّحْوِ**، تحقيق: كوركيس عوّاد، مطبعة العاني، بغداد(١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م).

٢٣- **ابن جَمَاعَة**، شيخ الإسلام أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جَمَاعَة(ت٧٣٣هـ):

- **كَشْفُ الْمَعَانِي فِي الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْمَثَانِي**،(٨) سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي- باكستان تحقيق، د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة- مصر، ط١(١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).

- **شرح كافية ابن الحاجب**، تحقيق، د، محمد محمد داود، سلسلة تحقيق التراث(٣)، دار المنار للنشر، القاهرة- مصر، ط(٢٠٠٠م).

٢٤- **الجَمَلُ**،الشيخ سليمان الجمل:

- **حاشية الجمل المسماة، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، المطبعة العامرة الشرقية بمصر المحمية، ط(١٣٠٢هـ).

٢٥- **ابن جني**، أبو الفتح عثمان بن جنّي الأزديّ(٣٩٢هـ):

- **الخصائص**، تحقيق، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ط(١٣٧١هـ-١٩٥٢م).

٢٦- **الجوجري**، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي(ت٨٨٩هـ):

- **شرح شذور الذهب**، دراسة وتحقيق، د نوَّاف بن جزاء الحارثي، المدينة المنورة- السعودية ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

٢٧- **الجوهري**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٨هـ):

- **الصحاح تَاجُ اللغةِ وصِحَاحُ العربيةِ مُرَتَّبٌ تَرْتِيبًا ألفبائيًا وِفْقَ أوائلِ الحروفِ**، تحقيق، د. محمد محمد تامر، دار الحديث- القاهرة، ط(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢٨- **ابن الحاجب**،أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المِصْرِي الإسْنَوي المالكي المعروف بابن الحاجب النحوي(ت٦٤٦هـ):

- **الإيضاح في شرح المفصل**، تحقيق، أ.د إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين للنشر- دمشق- سوريا، ط١(١٤٢٥هـ-٢٠٠٥ م).

- **الكافية في عِلم النحو والشافية في عِلمَيّ التصريف والخط**، تحقيق، د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط(١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

٢٩- **الحاكم**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ):

- **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق، مقبل الوادعي، دار الحرمين،القاهرة، ط١(١٤٢٧هـ- ١٩٩٧م).

٣٠- د. حسني عبد الجليل يوسف:

- **تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو**، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري(ت ٧٦٩ هـ)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١(١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م).

٣١- **الحُصْري** ، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي الحُصْري القيرواني(ت٤٥٣هـ):

- **زهر الآداب وثمر الألباب**، شرح، د. زكي مبارك، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٤(د.ت).

٣٢- **الحملاوي**، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي(ت١٣٥١هـ):

- **شذا العرف في فن الصرف**، قدم له، د. محمد بن عبد المعطي، دار الكيان- الرياض، ط (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).

٣٣- **أبو حيان**، محمد بن يوسف علي بن أثير الدين أبو حيان النحويّ الأندلسيُّ الغرناطيّ(ت٧٤٥هـ):

- **البحر المحيط**، تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط١(١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م).

٣٤- **النُّكَتُ الحِسَانُ في شَرْحِ غايةِ الإحسانِ**، تحقيق، د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

- **تذكرة النحاة**، تحقيق، د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١(١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
٣٥- **الخطيب الشربيني**، الإمام العلامةالفقيه الوليّ شمس الدين محمد بن أحمد الخَطيب الشربيني(ت٩٧٧هـ):
- **نُورُ السَّجِيَّةِ في حَلِّ أَلْفَاظِ الأَجُرُومِيَّةِ**، عُنِيَ به الشيخ سيد بن شلتوت الشافعي، دار المنهاج، جدة- السعودية، ط١(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
٣٦- **الخوارزمي**، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي(ت٦١٧هـ):
- **شَرْحُ الْمُفَصَّلِ فِي صَنْعَةِ الإِعْرَابِ المَوسُوم بالتخمير**، تحقيق، د. عبد الرحمن بن سليمان العثَيمين، مكة المكرمة- جامعة أم القرى، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٢هـ- ١٩٩٠م).
٣٧- **الدرويش**، محيي الدين:
- **إعراب القرآن وبيانه**، دار ابن كثير، دار الإرشاد، حمص- سورية، ط٣(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
٣٨- **الرازي**،الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(ت٦٠٦هـ):
- **تفسير الفخر الرَّازي المُشتَهِر بالتفسير الكبير ومَفَاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١(١٤٠١هـ،١٩٨١م).
- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق د. نصر الله حَاجي، دار صادر بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).
٣٩- **الرَّضِي الأستراباذي**، محمد بن الحسن الرَّضِي الأستراباذي(ت٦٨٦هـ):
- **شرح الرَّضِي لكافية ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)**،**(القسم الأول)**، تحقيق،د. حسن بن محمد حفظي، عمادة البحث العلمي سلسلة نشر الرسائل الجامعية(١٣)، أشرفت على طباعته إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- **شرح الرَّضِي لكافية ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)**،**(القسم الثاني- المجلد الأول)** تحقيق،د. يحيى بشير مصري، سلسلة نشر الرسائل الجامعية(١٥)، جامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية، ط١(١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
٤٠- **الرمالي**، ممدوح عبد الرحمن:

- **العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط(١٤١٨هـ-١٩٩٦م).

٤١- **الرُّمّانيُّ**،أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني النحْوي(ت٣٨٤هـ):

- **كتاب معاني الحروف**، تحقيق، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق- جدة، المملكة العربية السعودية، ط٢(١٤٠٤هـ-١٩٨١م).

٤٢- **الزَّبِيدِيّ**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبِيدِيّ(١٢٠٥هـ):

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الحميد قطامش ومجموعة من المحققين، الكويت ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٤٣- **الزجاج**، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي(ت٣١١هـ):

- **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٤٤- **الزجاجي**، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي(ت٣٣٧هـ):

- **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق، د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣(١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

- **كتاب حروف المعاني والصفات**، تحقيق، علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١(١٩٨٤م).

٤٥- **الزركشي**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت٧٩٤هـ):

- **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة، ط١(١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

٤٦- **الزمخشري**، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت ٥٣٨هـ):

- **أساس البلاغة**، تحقيق محمد باسل عيُون السُّود، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- **الأنموذج في النحو**، تحقيق، سَامي بن حَمَد المنصور، نشر: أضواء السلف، الرياض- السعودية، ط١(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوَّض، مكتبة العبيكان ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- **المُفَصَّل في عِلْمِ العربيـة**، وبذيله كِتاب المُفَصَّل في شرح أبيات المُفَصَّل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النَعْسَاني الحلبي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، طبعة مصورة عن طبعة سنة(١٣٢٣هـ).
٤٧- د. السامرائي، فاضل صالح:
- **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، شركة العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
- **معاني النحو**، دار الفكر، عمان- الأردن، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
٤٨- السخاوي، علم الدين علي بن محمد السخاوي(ت٦٤٣هـ):
- **المُفَضَّل في شرح المُفَصَّل(باب الحروف)**، تحقيق، د. يوسف الحشكي، المكتبة الوطنية- عَمان- الأردن، ط٢(١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).
٤٩- ابن السَّراج،أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي البغدادي المعروف بابن السرّاج(ت٣١٦هـ):
- **الأصول في النحو**، تحقيق، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١(١٩٨٥م).
٥٠- أبو السعود، قاضي القضاة، أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي(ت٩٨٢هـ):
- **تفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"**، تحقيق، عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديث- الرياض،(١٤٠١ هـ-١٩٨١م).
٥١- السكاكي، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي **السكاكي**(ت٦٢٦هـ):
- **مفتاح العلوم**، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١،(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
٥٢- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ):
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق، د. أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق(١٤٠٦هـ).
- **عُمْدَةُ الحُفَّاظِ في تفسيرِ أشرفِ الألفاظِ مُعجمٌ لُغويٌّ لألفاظِ القرآنِ الكريمِ**، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة بيروت- لبنان، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
٥٣- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(ت٥٨١هـ):

- **نتائج الفكر في النحو**، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٢هـ-١٩٩٢ م).
٥٤- **سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ):
- **الكتاب**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ط٢(١٩٧٧م).
٥٥- **ابن سِيدَة**، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سِيدَه(ت ٤٥٨هـ):
- **المخصص**،(ط الأميرية)، تصوير دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان(د.ت).
٥٦- **السيوطي**، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ):
- **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١(١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- **الأشباه والنظائر في النحو**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١١هـ-١٩٩٠م).
- **الاقتراح في عِلم أصول النحو**، قرأه وعلق عليه، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط(١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م).
- **الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة - مصر، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- **قطف الأزهار في كشف الأسرار**، تحقيق، د.أحمد بن محمد الحماديّ، إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
- **معترك الأقران**، تحقيق، أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية** ، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).
٥٧- **الشاطبي**، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي(ت٧٩٠هـ):
- **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، تحقيق أ.د محمد إبراهيم البنا ، ود. عبد المجيد قطامش، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط١(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- **الموافقات**، تحقيق عبد الله دراز، المطبعة الرحمانية بمصر(د.ت).

٥٨- **الشريف الجرجاني**، العلامة على بن محمد الشريف الجرجاني(٨١٦هـ):
- **التعريفات**، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة- القاهرة.
٥٩- **الشريف الرضي**، محمد بن حسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم وكنيته أبو الحسن الشهير بالشريف الرضي(ت٤٠٤هـ):
- **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق، د.علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت- لبنان،(١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
٦٠- **الشعراني**، عبد الوهاب بن أحمد بن علي(ت٩٧٣هـ):
- **لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب**، تحقيق،د.زهراء سعد الدين شيت ود.باسل خلف حمود، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل- العراق، المجلد٨، العدد٣،(٢٠٠٨م).
٦١- **ابن شُقَيْر**، أبو بكر أحمدُ بن الحَسَن بن شقير النَّحْويّ البَغْدَادِيّ،(ت٣١٧هـ):
- **المُحَلَّى " وجوه النَّصْبِ "**، تحقيق د. فائز فارس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١(١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م).
٦٢- **الشلوبيني**، أبو علي عمر بن محمد الشلوبيني الأزدي الإشبيلي(ت٦٤٥هـ):
- **التوطئة في النحو**، تحقيق، د. يوسف أحمد المطوع، دار التراث العربي- القاهرة ، ط٢(١٤٠١هـ- ١٩٨١م).
٦٣- **الشماخ**، الشماخ بن ضرار الذبياني:
- **ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني**، ذخائر العرب(٤٢)، تحقيق، صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، مصر،(١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).
٦٤- **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ):**
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار عالم الفوائد للنشر، طبعة مجمع الفقه الإسلامي بجدة،ط١(١٤٢٦هـ).
٦٥- **الشوكاني**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ):
- **فتح القدير الجامع بين فَنّيّ الرواية والدراية من علم التفسير**، تحقيق، يوسف الغُوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان،ط٤(١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

٦٦- **صافي، محمود بن عبد الرحيم (ت١٣٧٦هـ):**
- **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، دار الرشيد- دمشق، ط٣(١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).
٦٧- **الصالح إسماعيل الأيوبي، أبو الفداء**، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي(ت٧٣٢هـ):
- **الكُنَّاش في النحو والتصريف**، تحقيق، د جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب- القاهرة، ط٢(١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
٦٨- **الصاوي**، أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي المالكي(ت١٢٤١هـ):
- **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر، ط١(١٣٤٥هـ-١٩٢٦م).
٦٩- **الصبان:** أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي(ت ١٢٠٦هـ):
- **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٧٠- **الصَّيْمَرِي**، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري من نحاة القرن الرابع:
- **التبصرة والتذكرة**، تحقيق، د. فتحي أحمد مصطفى على الدين، جامعة أم القرى- السعودية مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي من التراث الإسلامي الكتاب السادس عشر، دار الفكر- دمشق، ط١(١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
٧١- **الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(٣١٠هـ):
- **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق، محمود محمد شاكر، طبعة دار المعارف بمصر(١٣٧٤هـ).
٧٢- **ابن عاشور**، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور:
- **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس(١٩٨٤م).
٧٣- أ.د **عبد الحميد السيد طلب:**
- **تهذيب النحو**، الناشر، الصدر لخدمات الطباعة – مدينة نصر، القاهرة، ط٢(١٩٨٩ م).
٧٤- **عبد القاهر الجرجاني**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤٧١ هـ):
- **أسرار البلاغة**، تحقيق محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١(١٩٩١م).

- **العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية**، شرح الشيخ خالد الأزهري الجرجاوي(ت٩٠٥هـ) تحقيق وتقديم وتعليق: د.البدراوي زهران، دار المعارف- القاهرة، ط٢(١٩٨٨م).

- **المفتاح في الصرف**، حققه وقدم له د.علي توفيق الحمد، إربد – عمان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

- **دلائل الإعجاز**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

- **كتاب الجُمَل في النحو**، حققه وقدم له علي حيدر[أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق] دمشق (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) .

- **كتاب المُقتصِد في شرح الإيضاح**، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان،الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة كتب التراث(١١٥)(١٩٨٢م).

٧٥- **أبو عُبيدة** ، معْمَر بن المُثنَّى التَّيْمِيّ البصري(ت٢١٠هـ):

- **مجاز القرآن**، حققه وعلق عليه ، د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١٣٧٤هـ-١٩٥٤م).

٧٦- **ابن العربي**، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي(ت٥٣٤هـ):

- **أحكام القرآن**، تحقيق، علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣(١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

٧٧- **العز بن عبد السلام**، سلطان العلماء عِز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدِّمشقي الشافعيّ(ت٦٦٠هـ):

- **فوائد في مشكل القرآن**، المحقق: سيد رضوان، دار الشروق- جدة، ط٢(١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

- **مجاز القرآن**، تحقيق، د. مصطفى محمد حسين الذهبي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن سلسلة المخطوطات المنشورة: رقم ٦، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

٧٨- **ابن عصفور**، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور(ت٦٦٩هـ):

- **المُقرَّب**، تحقيق، أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبُوري، ط١(١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

- **الممتع في التصريف**، تحقيق، فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ط١(١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

٧٩- **ابن عقيل**، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله المشهور بابن عقيل المصري(ت٧٦٩هـ):
- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢(١٩٨٥م).
٨٠- **العكبري**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(ت٦١٦هـ):
- **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق، سعد كُريّم الفقي، دار اليقين، المنصورة- مصر، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
٨١- **د . علي أبو المكارم:**
- **الظواهر اللغوية في التراث النحوي**، دار غريب للنشر والتوزيع- القاهرة، ط١(٢٠٠٦م).
٨٢- **أبو علي الفارسي**، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفَسَوي(**٣٧٧هـ**):
- **الإيضاح العضدي**، تحقيق، د.حسن شاذلي فرهود، ط٢(١٩٨٨م).
٨٣- **الغرناطي**، الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(ت٧٠٨ هـ):
- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
٨٤- **ابن فارس**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريًا بن محمد بن حبيب القزويني، اللغويّ(ت٣٩٥هـ):
- **الصاحبيُ في فِقهِ اللغةِ العربية ومسائِلِها وسُننِ العربِ في كلامها**، تحقيق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- **مقاييس اللغة**، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
٨٥- **الفاضل الهندي**، بهاء الدين محمد بن الحسن فاضل الأصبهاني المعروف بالفاضل الهندي(ت١١٣٧هـ):
- **شرح العوامل في النحو، ومعه إيضاح المسائل من شرح العوامل**، لمحمد زكي الجعفري، دار الحجة للثقافة، قم، سوق القدس، ط١(١٤٣١هـ).
٨٦- **الفاكهي**، جمال الدين عبد الله بن أحمد الفاكهي النحويّ المكّيَ(ت٩٧٢هـ):

- **شرح كتاب الحدود في النحو**، تحقيق، د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة- القاهرة، ط٢(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
٨٧- **الفَرّاءُ**،أبو زكريا يحيى بن زياد الفَرّاء(ت٢٠٧هـ):
- **معاني القرآن**، تحقيق، محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط٣(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
٨٨- **الفراهيدي**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(ت١٧٥هـ):
- **الجُمَلُ في النَّحْوِ**، حققه، د.فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١(١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
٨٩- **الفيروزآبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ):
- **القاموسُ المُحِيطُ مُرَتَّبٌ تَرْتِيبًا أَلِفْبَائِيًّا وِفْقَ أَوَائِلِ الحروفِ**، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشيخ أبوالوفا نصر الهُوريني المصري الشافعي(ت١٢٩١هـ)، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث- القاهرة، سنة الطبع(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
٩٠- **الفيومي**، شهاب الدّين، أبو العبّاس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ(ت٧٧٠هـ):
- **المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعيّ** ، مكتبة لبنان- لبنان(١٩٨٧م).
٩١- **ابن قاسم المالكي**، عبد الرحمن بن محمد زين الدين محمد بن قاسم الجلالي المالكي(ت٩٢٠هـ):
- **شرح حدود النحو للأُبَّذِي**، أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي البِجَائِيّ الأُبَّذِيّ (ت٨٦٠هـ)، تحقيق، د.خالد فهمي، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
٩٢- **القاسمي**، علامة الشام، محمد جمال الدين القاسمي(ت ١٣٣٢هـ):
- **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١(١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).
٩٣- **ابن قُتَيْبَة**، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت٢٧٦هـ):
- **تأويل مشكل القرآن**، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢(١٣٩٣هـ-١٩٧٣هـ).
- **تفسير غريب القرآن**، تحقيق، السيد أحمد صقر، الكتب العلمية، بيروت(١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م).

٩٤- **القرشـــي الأشـــبيلي**، ابـن أبـي الربيـع عبيـد الله بـن أحمـد بـن عبيـد الله القرشـي الأشـبيلي السَّبْتِي(ت٦٨٨هـ):

- **البَسِيطُ فِي شَرْحِ جُمَلِ الزَّجَّاجِيِّ**، تحقيق، د. عياد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).

٩٥- **القُرْطُبِيُّ**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القُرْطُبِيُّ(ت٦٧١هـ):

- **الجامع لأحكام القرآن والمُبَيِّنُ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السُّنَّةِ وآيِ الفرقانِ**، تحقيق، د. عبد الله بن عبد المُحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٩٦- **قيس بن الملوح(ت٦٨هـ):**

- **ديوان مجنون ليلى**، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، الناشر، مكتبة مصر(١٩٧٩م).

٩٧- **قيس بن ذريح(ت٦١هـ):**

- **ديوان قيس بن ذريح(قيس لُبنى)**، تحقيق، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٩٨- **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ):

- **تفسـير القـرآن العظـيم**، تحقيـق، سـامي بـن محمد سـلامة، الناشـر، دار طيبـة للنشـر والتوزيـع، ط٢(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٩٩- **كُثَيِّر عَزَّة**، كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي(ت ١٠٥هـ):

- **ديوان كُثَيِّر عَزَّة**، تحقيق، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان،ط(١٣٩١هـ-١٩٧١م).

١٠٠- **الكَفَوِيُّ**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفَوِيُّ(ت١٠٩٤هـ):

- **الكُلِّيَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، وضع فهارسه، د. عدنان درويش ومحمد المصري، الناشر، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان، ط٢(١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٠١- **الكِيشِي**، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد اللطيف القرشي الكِيشِي(ت٦٩٥هـ):

- **الإرشادُ إلى عِلْمِ الإعرابِ**، تحقيق، د. عبد الله على الحسيني البركاتي ود. محسن سالم العميري، جامعة أم القرى، مركز إحياءالتراث الإسلامي- مكة المكرمة(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

١٠٢- **المالَقِيّ**، أحمد بن عبد النور المالَقِيّ الأندلسي(ت٧٠٢هـ):

- **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق، أ. د.أحمد محمد الخراط ، دار القلم- دمشق، ط٣(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٠٣- **ابن مالك**، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي(ت ٦٧٢هـ):

- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة،المكتبة العربية، القاهرة (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م).

- **شَرْحُ التَّسْهيلِ تَسهيل الفَوائِدِ وتَكميل المَقَاصِدِ**، تحقيق، محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

١٠٤- **الماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصْري(ت٤٥٠هـ):

- **النُّكَتُ والعيون"تفسير الماوردي"**، تحقيق، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان(د.ت).

١٠٥- **المُبَرِّدُ**، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،(ت٢٨٥هـ):

- **الْمُقْتَضَبُ**، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام، قليوب، مصر، ط٣(١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

١٠٦- **المتنبي**، أبو الطيب، أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي(ت٣٥٤هـ):

- **ديوان المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ط (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

١٠٧- **مجمع اللغة العربية:**

- **المعجم الوسيط**، دار المعارف، القاهرة(١٩٨٠م).

- **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ط(١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).

١٠٨- **د. محمد حماسة عبد اللطيف:**

- **النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي**، دار الشروق- القاهرة، ط١(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

١٠٩- **محمد عبد العزيز النجار:**

- **التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل**، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري(ت ٧٦٩هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة،ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

١١٠- د. محمد عيد:
- **النحو المصفى**، مكتبة الشباب، القاهرة ، ط١(١٩٨٧م).
١١١- د. محمد محمد أبو موسى:
- **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥،(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
١١٢- محمد محيي الدين عبد الحميد:
- **التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية**، لأبي عبد الله بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجُرُّوم،(ت ٧٢٣ هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
١١٣- د.محمد نديم فاضل:
- **التضمين النحوي في القرآن الكريم**، دار الزمان للنشر، المدينة المنورة- السعودية، ط١(١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
١١٤- د. محمود سليمان ياقوت:
- **شرح جمل سيبويه**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، ط١(١٩٩٢م).
١١٥- **المرادي**، الحسن بن قاسم المرادي بن عبد الله بن علي(٧٤٩هـ):
- **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٣هـ-١٩٩٢هـ).
١١٦- مسلم، الإمام الحافظ أبو الحسين مُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ):
- **صحيح مسلم المسمَّى المسند الصحيح المختصر من السُّنن بِنَقْل العَدْلِ عن العَدْلِ إلى رسولِ الله** ﷺ، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
١١٧- **ابن مَضَاء**، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي(ت٥٩٢هـ):
- **الرد على النحاة**، تحقيق، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣(١٩٨٨م).
١١٨- **المُطَـرِّزي**، أبـو الفـتح ناصـر الـدين بـن عبـد السـيد بـن علـي الشـهير بـالمُطَرِّزيّ النحـوي الخوارزمي(ت٦١٠هـ):
- **المِصْبَاحُ في عِلْمِ النَّحْوِ**، تحقيق، د. عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب- مصر، ط١(د.ت).

١١٩- **ابن منظور**، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الإفريقي ثم المصري المعروف بابن منظور(ت٧١١هـ):
- **لسان العرب**، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيديَ، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، ط٣(١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
١٢٠- **د. مهدي المخزومي**:
- **في النحو العربي نقد وتوجيه**، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط٢(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
١٢١- **ابن الناظم**، أبو عبد الله بدر محمد ابن الإمام جمال الدين بن مالك(ت٦٨٦هـ):
- **شرح ابن النَّاظِمِ على ألفية ابن مالك**، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م).
١٢٢- **ابن النحَّاس**، الإمام بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي الشافعي المعروف بابن النحاس(ت٦٩٨هـ):
- **التعليقة على المُقَرّبِ(شرح العلامة ابن النحاس على مُقَرّب ابن عصفور فـي عِلْم النحو)** تحقيق، د. جميل عبد الله عويضة، سلسلة كتاب الشهر(٩١)، وزارة الثقافة،عمان- الأردن، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).
١٢٣-"**النظّام الأعرج**" **النيسابوري**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بالنظام الأعرج (ت٨٥٠هـ):
- **تفسير النيسابوري"غرائب القرآن ورغائب الفرقان"**، تحقيق، الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط١،(١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
١٢٤- **ابـن النقيـب**، جمـال الـدين محمد بـن سـليمان البلخـي المقدسـي الحنفـي المشـهور بـابن النقيب(ت٦٩٨هـ):
- **مقدمـة تفسـير ابـن النقيـب**،علق حواشيها، د.زكريـا سـعيد علـي، الناشـر مكتبـة الخـانجي- القـاهرة، ط١(١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
١٢٥- **الهَرَوِيّ**، أبو الحسن علي بن محمد، النحوي الهَرَوِيّ(ت٤١٥هـ):
- **كِتَابُ الأُزْهِيَّةِ فِي عِلْمِ الْحُرُوفِ**، تحقيق، عبد المعين الملّوحي- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة(١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .

١٢٦- **ابـن هشــام**، أبـو محمد عبـد الله جمـال الـدين بـن يوسـف بـن أحمـد بـن عبـد الله ابـن هشـام الأنصاري(ت٧٦١هـ):

- **الإعراب عن قواعد الإعراب**، تحقيق علي فودة نيل، الناشر: عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض- السعودية، ط١(١٤٠١هـ-١٩٨١م).

- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة(د.ت).

- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ط(١٤١١هـ-١٩٩١م).

١٢٧- **أبـو هـلال العسكري**،الحسن بن عبد الله بن سـهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبـو هـلال العسكري(ت٣٩٥هـ):

- **الفروق اللغوية**، تحقيق، محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة، ط١(١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٢٨- **ابن يعيش**، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت ٦٤٣هـ):

- **شرح المفصل للزمخشري**، قدّم لـه ووضـع هوامشـه وفهارسـه، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

- **شـرح الملـوكي فــي التصـريف**، تحقيـق، د. فخـر الـدين قبـاوة، المكتبـة العربيـة، حلـب- سـوريا، ط١(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

فِهْرِسُ الْمُحْتَوَيَاتِ

تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ وَصِفَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ"	
الآيةُ	أ
الإهداءُ	ب
شُكْرٌ وتَقْدِيرٌ	ت
مُسْتَخْلَصُ الْبَحْثِ	ث
ABCTRACT	ج
مُقَدِمَةٌ:	١
التَّمْهِيدُ: تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ فِي الدِّرَاسَةِ:	١٥
الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: " تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا ":	٢١
المبحث الأول: " تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا فِي الْجُمْلَةِ الاسمِيَّةِ ":	٤١
المبحث الثاني: " تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَرْفُوعًا في الْجُمْلَةِ الفعلية ":	٦٣
الفصل الثاني: " تراكيب ذِكْرِ القلب منصوبًا في الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ ":	٨٠
الفصل الثالث: " تَرَاكِيبُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مَجْرُورًا ":	١٠٣
الْخَاتمةُ وَنَتَائِجُ الْبَحْثِ:	٢٦٦
التَّوْصِيَاتُ:	٢٧١
الْفَهَارِسُ الْفَنِّيَّةُ:	٢٧٣
الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ:	٣٠١
فِهْرِسُ الْمُحْتَوَيَاتِ	